

جمال عبد الناصر

و

القومية العربية
الثورة الاجتماعية
معاريك الاستعمار



معهد تدريب ضباط الشرطة



معهد تدريب ضباط الشرطة

جمال عبد الناصر و

القومية العربية

بقلم : المقدم ابراهيم محمد الفحام

الثورة الاجتماعية

بقلم : النقيب حامد محمد أحمد

معاربة الإقطاع القديم والجديد

بقلم : المقدم عبد العظيم لاشين
الرائد سيد مصطفى رضوان





فكرة الكتاب

للمعيد الدكتور
عبد الكريم درويش
مدير
معهد تدريب ضباط الشرطة



فكرة الكتاب

كان لمعهد تدريب ضباط الشرطة شرف الاعلان عن مسابقه بين ضباط الشرطة على مستوى الجمهورية للحصول على جائزة عبد الناصر للبحوث القومية ، تخليدا لفكر ونضال الزعيم العظيم . وقد اشترك في هذه المسابقة ٢٨ ضابطا قدموا ٢٩ بحثا في موضوعات :

عبد الناصر ومحاربة الاستعمار القديم والجديد .

عبد الناصر والثورة الاجتماعية .

عبد الناصر والقومية العربية .

والحكمة من اختيار هذه الموضوعات الثلاثة في أول مسابقة تتصل بجمال عبد الناصر ، لا تخفى على أحد . فهي تترجم على التوالي أهداف النضال العربى فى محاربة الاستعمار ، والثورة الاجتماعية ، والقومية العربية - كما حددها الميثاق فى « الحرية والاشتراكية ، والوحدة » .

وفى عيد الشرطة فى ٢٥ يناير ١٩٧١ ، احتفل المعهد بتسليم جوائز البحوث الفائزة فى المسابقة . ونشر فى هذه الوثيقة البحوث الأربعة الفائزة بالمرتبة الأولى .

والغرض من هذه المحاولة المتواضعة هو استكشاف بعض الأدوار التى كان من قدر جيلنا أن يرقب - باعجاب لانهائى - عبد الناصر وهو يلعبها . وحينما تتابع هذه الأدوار فائنا نفعل ذلك من فوق كتفى عبد الناصر . فننظر على امتداد منكبىه العريضين تتابع كفاح متلاحق ومرير ومشرف ، خاضه العملاق العبقرى فى بطولة وجلد ضمن اطار عريض من مسئوليات

(ح)

قدرية لم تصادف قائدا من قبله ، ويندر أن يدخر الزمان مثيلا لها لغيره ..
فبعد الناصر هو عبد الناصر لا مثيل له .

هذا المرجع اذا ليس كتابا عن عبد الناصر . ان عبد الناصر
لا يمكن أن نضمه كتابا . فالذى ينظر اليه عن قرب أو عن بعد كان يراه
رجالا عديدين ، أو رجلا واحدا يلعب أدوارا عديدة . فهو ابن عظيم لمصر ،
ومؤسس لثورتها الخالدة ، وهو رئيس بارز لجمهوريتها ، وقائد لمؤسساتها
الشعبية والسياسية والعسكرية ، وهو بناء قدير لأمتة ، وزعيم أجست عليه
العرب ، ورمز شامخ لكفاح العالم الثالث ، ومناهض صلب للاستعمار ،
وهو انسان كبير ، وداعية سلام لا يبارى .

*** لقد كانت ثورة عبد الناصر ثورة على الاستعمار . فقد كان عبد الناصر**
وطنيا من الطراز الأول . ولم تقف حرب عبد الناصر للاستعمار عند حدود
وطنه ، وانما شملت جميع أرجاء العالم العربى ، ودول العالم الثالث .
وكان أكبر عامل استمد منه عبد الناصر قوته فى حربه للاستعمار هو ايمانه
بالشعب ، وايمان الشعب به . وقد كان يعتبر الشعب معلمه وقائده ، وكان
الشعب ينظر الى عبد الناصر كأمله وناصره . . يستجيب اليه ، ويتجمع حوله .

ولقد أثبت عبد الناصر للشعوب المغلوبة على أمرها ، انه ليس فى العالم
مستحيل . . وان الانسان أيا كان قدره أو جنسه أو لونه أو موقعه قادر
على الكفاح . وهكذا أثرت ثورة عبد الناصر بشكل واضح فى معظم
ثورات التحرير ، كما كان للتأييد المطلق المادى ، المعنوى من جانبه ، أثر
قوى فى استمرار ثورات كثيرة .

وحارب عبد الناصر الاستعمار الجديد عن ادراك ودراسة لخطئه وأساليبه . وكانت حربه عن طريق بناء القوة الذاتية ، ومجاربة الأخطاف والتكتلات الاقتصادية ، ومقاومة الحرب الباردة ، وربط التحرر من الاستعمار على المستوى الوطنى بعملية التحرر الاقتصادى . وكان يرى فى الوحدة أساسا لخلق الكيان العربى القادر على مواجهة الاستعمار الجديد والامبريالية .

ولم يكن عبد الناصر فى حربه للاستعمار مدفوعا بمجرد الرغبة فى الحرب ، أو شهوة معاداته واستفزازه . وانما لأن الاستعمار كان دائما للثورة بالمرصاد ، يناهضها ، ويسد أمام انطلاقاتها كل السبل . فكان عبئا ثقيلا عليها ، وعلى تقدمنا وأماننا . وعلى اقتصادنا وتنميتنا ، وعلى حضارتنا .

ومع ذلك ، فإن عبد الناصر كان داعية للسلام فى المقام الأول . ويرجع اليه الكثير من الفضل فى فكرة الحياد الايجابى ، والنظرة الى قيمة الانسان . وتوحيد القوى الثورية والتقدمية سواء فى العالم الثالث ، أو على مستوى القارة الافريقية ، أو العالم العربى . كقوة تدعم السلام ، وتخفف من حدة التوتر الدولى .



* اما ثورة عبد الناصر الاجتماعية ، فقوامها الثورة الاشتراكية التى أعلنها الزعيم المخالد . ولقد أثبت عبد الناصر امكان قيام الثورة الاجتماعية متوازية مع الثورة السياسية . فسار بالثورة الاجتماعية مع ثورته الوطنية فى غير ما تردد أو مهادة ، ليحل نظاما اجتماعيا تقدما محل النظام القديم المتداعى . وليغير بذلك وجه التاريخ جذريا على أرض النيل .

(٥)

ولقد اختار التحول الاشتراكي طريقا واضحا لتحقيق الثورة الاجتماعية، ولاقى في طريقه تحديات وصراعات ومعاناة ، ثم تشنه عن عزمه أو تغير من فكره وعقيدته . وكان طريقا خاصا لم تطرقه مسيرة ثورات سبقت ، لأنه لم يستورد نظريات ولم يقتبس ، وإنما صاغ نظرياته من واقع حياته وتجاربها وفكره ، ومن مجتمعه ، وكفاح شعبه .

وهكذا حقق سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الرئيسية . والتجأ الى التخطيط القومي الشامل ، واستهدف تذويب الفوارق بين الطبقات ، ومنع الاستغلال ، ونقل السلطة السياسية الى يد قوى اجتماعية تمثل تحالف قوى الشعب العاملة .

وفي مجال القومية العربية ، فإن أعظم ما حققه عبد الناصر من خلال قيادته وتفجييره للثورة العربية في رأى الكتاب العرب هو تأكيد الانتماء المصرى الى الأمة العربية تاريخيا وحضاريا ونضاليا ومصيريا . وكانت هذه الحقيقة قد حجبت بغشاوة على المستوى الرسمى ، خلال النصف الأول من القرن العشرين ، حين تكاثفت قوى الاستعمار مع القوى الحاكمة التقليدية ، على شن حرب عوان عليها ، وسعت بقوة لاستبدالها بالانتماء الاقليمى المعزول ، الذى يحاول أن يجد له سنداً في أغوار التاريخ السحيق .

وقد كان أسلوب عبد الناصر في تأكيد الانتماء المصرى الى الأمة العربية ، وضرورة الوحدة ، وربطها بوحدة المصير ، وبلورة مفاهيم القومية العربية على مدى الوطن العربى ، يقوم على استخلاص العبرة من وقائع التاريخ ، التى أكدت وشائج الانتماء المصرى ، ونزول الهزيمة بالعرب

(ك)

كلما أصابتهم الفرقة • وسعيه الدائب لجبع الشمل ، والتخفيف من حدة الصراع في داخل الوطن العربي ، وتحويل هذا الصراع الى أعداء الأمة العربية •

وكان سلوك عبد الناصر لا ينفصل عن دعوته • اذ كان يخوض معركة نضالية بعد معركة ، في سبيل تحقيق هذه الدعوة ، دعوة الوحدة المعبرة عن شمول القومية العربية ، لكل من ينتمى الى الأمة العربية ، وفي قيادة معارك التحرر ، والوحدة العربية •

ان جمال عبد الناصر - كما يقول القذافي - لم يكن شخصا مجردا • وانما كان مبادئ وحركة تاريخ • ودور جمال عبد الناصر لم ينته بدوته • وعلينا كناصريين أن نترجم الناصرية الى مبادئ وأعمال من خلال المؤسسات الجماهيرية التي تركها القائد العظيم •

ان ضباط الشرطة بهذا الاسهام ، قد كرموا أنفسهم ، وكرموا هيئتهم بتخليد جانب من فكر وثورة ونضال جمال عبد الناصر • وهو عمل زادهم قدرا وتشريفا •

عميد دكتور

القاهرة في أول يونيه ١٩٧١

عبد الكريم درويش

البحث الأول

صفحة

المقدمة ٥

الفصل الأول

انتماء المصريين للأمة العربية ١

الفصل الثاني

حالة الدعوة القومية في مصر قبل الزعامة الناصرية ١٠

الفصل الثالث

حالة الدعوة القومية في البلاد العربية قبل الزعامة الناصرية ٢٥

١ - كانت تعتمد على الاثارة العاطفية أكثر من اعتمادها على

المبررات العلمية المقننة ٢٦

٢ - كانت دعوة سياسية جامدة ، خالية من أى مضمون اجتماعى ٢٧

٣ - كانت دعوة تعتمد في نضالها على السادة لا على الجماهير ٣٠

٤ - كانت تفتقر الى الزعامة الواعية المخلصة ٣١

٥ - كانت ضعيفة الثقة في نفسها ، فسقطت في حبال التبعية ٣١

٦ - كانت دعوة محدودة ، لا تتسم بالشمول ٣٣

الفصل الرابع

خصائص المرحلة الناصرية للحركة القومية العربية ٣٦

١ - أصبحت دعوة تقوم على أسس ومبررات مقننة لا على مجرد

الاثارة العاطفية ٤٠

٢ - أصبحت دعوة ذات مضمون اجتماعى ٤٣

٣ - أصبحت تعتمد في مسيرتها على الارادة الشعبية ونضال

الجماهير ٤٦

٤ - انها تقدم نموذج الزعامة الواعية الصالحة ٥٢

٥ - أصبحت دعوة مستقلة نابعة من الارادة العربية وحدها ٥٥

٦ - أصبحت دعوة الى الوحدة الشاملة ٥٨

الفصل الخامس

٦٠ فضل الزعامة الناصرية في تحرير الشعوب العربية

الفصل السادس

٦٨ المطاعن والانتقادات التي واجهت الحركة القومية في هذه المرحلة

٦٩ ١ - تشكيك الشعب المصري في جدوى السير في موكب القومية العربية

٧٠ ٢ - تشكيك الشعوب العربية في نوايا مصر والزعامة الناصرية

٧٤ ٣ - تشكيك الأقليات الجنسية والطائفية في نوايا الدعوة القومية ازاءها

٧٧ ٤ - تشكيك الشعوب الاسلامية في موافقة الدعوة القومية (بمضمونها الاجتماعي) للقيم الدينية

٨١ ٥ - تشكيك الشعوب الافريقية في نوايا الحركة القومية العربية

الفصل السابع

٨٨ مستقبل الحركة القومية بعد وفاة الزعيم الراحل

٩٣ كشف المراجع

البحث الثانى

صفحة

المقدمة ١٠٢

الفصل الأول - جمال عبد الناصر :

الفصل الثانى - الثورة الاجتماعية :

المبحث الأول :	الثورة والانقلاب	١١٢
المبحث الثانى :	الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية	١١٤
المبحث الثالث :	العلاقة بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية	١١٥
المبحث الرابع :	الثورة الاجتماعية .. والثورة المضادة	١١٩
المبحث الخامس :	خصائص الثورة	١٢٨
المبحث السادس :	قدرات الثورة	١٣٠
المبحث السابع :	عوامل قيام الثورة	١٣١
المبحث الثامن :	متى تقوم الثورة	١٣٢
المبحث التاسع :	الظلم الاجتماعى والطبقية	١٣٣

الفصل الثالث - حتمية الحل الاشتراكى :

المبحث الأول :	حتمية الحل الاشتراكى	١٣٩
المبحث الثانى :	متى بدأ الزعيم ثورته الاجتماعية	١٤٣
المبحث الثالث :	ملامح التحول الاشتراكى	١٤٥

الفصل الرابع - بعض انجازات الثورة الاجتماعية :

المبحث الأول :	معركة تحرير الفلاح	١٤٩
اولا - مشروع ناصر		١٥٦
ثانيا - الخدمات فى القرى		١٥٧
ثالثا - حقوق العامل الزراعى		١٦٢

[illegible]

البحث الثالث

صفحة	
٢١٩	المقدمة
٢٢٠	اولا - مكان عبد الناصر في الثورة
٢٢٢	ثانيا - موقع مبدأ محاربة الاستعمار من ثورة عبد الناصر
٢٢٦	الفصل الأول - مذاهب الاستعمار وصوره
٢٢٦	الاستعمار في العصر الحديث
٢٢٧	تعريف الاستعمار
٢٢٩	صور الاستعمار وأشكاله
٢٣١	اولا - تصنيف الاستعمار من حيث تطور القوى الاستعمارية
٢٣٣	ثانيا - تصنيف الاستعمار من حيث الفرض منه
٢٣٣	ثالثا - تصنيف الاستعمار من حيث الشكل والتاريخ
٢٣٤	١ - الاستعمار القديم
٢٣٦	٢ - الاستعمار الجديد
٢٣٩	اسباب تغير الاستعمار من لونه القديم للجديد
٢٤١	طرق ووسائل واساليب الاستعمار الجديد
٢٤٢	١ - الضغط الاقتصادي
٢٤٣	٢ - حجب اسباب القوة عن الشعوب المتحررة
٢٤٤	٣ - خلق عوامل التفكك والانقسام في الدول المستقلة حديثا
٢٤٥	٤ - تدبير الثورات المضادة
٢٤٥	٥ - اتاحة الفرصة لحكومات عميلة لتولى الحكم
٢٤٦	٦ - الفوز العسكري غير المباشر
٢٤٧	٧ - شن الحرب التي تختفى وراء صبغة شرعية
٢٤٩	٨ - الأحلاف والقواعد العسكرية
٢٥٠	٩ - الضغط على دول العالم في المنظمات الدولية
٢٥١	١٠ - الفوز الفكري

صفحة	
٢٥٢	الفصل الثاني - اثر ثورة عبد الناصر في موجات التحرير في العالم
٢٥٣	أولا - موجات التحرير الثلاثة
٢٥٣	١ - موجة التحرير في آسيا
٢٥٤	٢ - تحرير العالم العربى
٢٥٥	٣ - تحرير العالم الأفريقى
٢٥٦	ثانيا - اثر ثورة عبد الناصر في حركات التحرير
	الفصل الثالث - وسائل عبد الناصر في محاربة الاستعمار القديم
٢٦٢	والجديد
٢٦٣	أولا - العمل المتواصل لدعم القوى الثورية في العالم
٢٦٤	- دور عبد الناصر في التضامن الأسىوى الأفريقى
٢٦٥	- جهود عبد الناصر في اقامة الوحدة الأفريقية
٢٦٨	- دور عبد الناصر في انتشار مبدأ الحياد الايجابى
	ثانيا - خلق جيل جديد ووضع تنظيم سياسى في مصر يحمى
٢٦٩	مكاسب الثورة
٢٧٢	ثالثا - تكريس كل الجهود لبناء القوة الذاتية
٢٧٢	١ - التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة
٢٧٤	٢ - تطبيق وتدعيم الاشتراكية العلمية
٢٧٥	٣ - اقامة جيش وطنى قوى
٢٧٦	٤ - الاهتمام بالعلوم والثقافة كأساس للقوة والتقدم
٢٧٧	رابعا - العمل من أجل السلام
٢٧٩	خامسا - اقرار مبادئ جديدة في السياسة الدولية
	سادسا - الايمان بالرأى العام العالمى وتجنيد لمحاربة
٢٨١	الاستعمار
٢٨٣	سابعا - التصدى للأحلاف العسكرية
٢٨٧	ثامنا - تأييد الثورات التحريرية في العالم
٢٨٨	تاسعا - ضرب الاحتكارات الاستعمارية
٢٩٠	عاشرا - مواجهة الحرب النفسية
٢٩١	حادى عشر - استخدام الوسائل السلمية والعسكرية

٢٩٤	والجديد	الفصل الرابع - دعائم نجاح عبد الناصر في محاربة الاستعمار القديم
٢٩٦	اولا - وطنيته وثوريته	
٣٠٠	ثانيا - كفايته الثقافية	
٣٠١	ثالثا - انتماءه الطبقي	
٣٠٢	رابعا - شجاعته	
٣٠٦	خامسا - ارتباطه الوثيق بالشعب	
٣٠٧	سادسا - حركته السريعة تجاه أهداف محددة	
٣٠٨	سابعاً - قدرته على السيطرة وتنسيق الجهود	
٣٠٩	ثامنا - قدرته على التقريب بين وجهات النظر	
٣٠٩	تاسعا - انسانيته وعالميته	
٣١١	١ - حبه للسلام	
٣١١	٢ - رحمته	
٣١٢	٣ - انسانيته	
٣١٣	٤ - صاحب مبدأ ورسالة	
٣١٤	خاتمة	
٣١٤	اولا - النتائج	
٣١٨	ثانيا - مناقشة قضية مهادنة الاستعمار والتفرغ لبناء القوة الذاتية بدلا من التصدى له	
٣٢٥	ثالثا - انور السادات امتداد أصيل لجمال عبد الناصر	

البحث الرابع

صفحة

المقدمة ٣٤١

الفصل الأول - الاستعمار القديم والجديد :

مراحل تطور الحركة الاستعمارية ٣٤٥
 الاستعمار الجديد ٣٤٧
 اساليب الاستعمار الجديد ٣٤٨

الفصل الثاني - الاستعمار في فكر عبد الناصر :

من متظاهر الى ثائر ٣٥٧
 ثقافة عبد الناصر الفكرية ٣٥٩
 مفهوم الوحدة الوطنية لدى الطالب عبد الناصر ٣٦١
 عبد الناصر والجيش ٣٦٢
 اثر حادث ٤ فبراير على عبد الناصر ٣٦٢
 حرب فلسطين وعبد الناصر ٣٦٣

الفصل الثالث - حرب عبد الناصر ضد الاستعمار البريطاني في مصر :

الثورة سلاحه الأول ضد الاستعمار ٣٦٦
 القضاء على اعداء الاستعمار ٣٦٨
 الوحدة الوطنية ٣٦٩
 الكفاح المسلح ٣٦٩
 حرب عبد الناصر لاقامة جيش وطني ٣٧٢
 جلاء قوات الاحتلال ٣٧٥



معهد تدريب ضباط الشرطة

البحث الأول

جمال عبد الناصر والقومية العربية

بقلم :

المقدم ابراهيم محمد الفحام



بسم الله الرحمن الرحيم

جمال عبد الناصر والقومية العربية

المقدمة

اعتاد الباحثون في « القومية العربية » أن يبدأوا كتاباتهم بدراسات مطولة، عن النظرية العامة للفكرة القومية ، والنشأة التاريخية لمبدأ القوميات، وانتشاره بين الشعوب الأوروبية ثم الشرقية ، والنظريات المختلفة التي تتناول بالتحديد أسس القومية وعناصرها . ثم ينتقلون من ذلك الى الحديث عن القومية العربية ، فيظهرون مدى توفر هذه الأسس والعناصر فيها ، ويستعرضون المراحل التاريخية التي مرت بها كفكرة وكمبدأ ، منتهين بالمرحلة الحالية ، التي حصل فيها الزعيم الخاند « جمال عبد الناصر » لواء الدعوة القومية ، فأعاد اليها صحتها وقوتها ، وحدد مفاهيمها وأهدافها ، وأخرجها من ظلمات الرجعية ، وحررها من أغلال الاستغلال والتبعية ، وأضفى عليها طابعها الثوري ، بسُـمونه الديسقاطى الاجتماعى ، الذى يتفق مع واقع الأمة العربية ، ومصالحة شعوبها الواعية الكادحة .

ومع اعترافى التام بأهمية مثل هذه الدراسات التمهيدية ، كمدخل للحديث عن هذه المرحلة الأخيرة ، فاننى لا أجد ضرورة للتقيد بهذا المنهج ، فى بحثى هذا ، الذى يحمل عنوانا بالغ التخصص والتركيز ، وذلك حتى لا يطغى مدخل البحث على لبّه وجوهره ، وخاصة اذا كان ما يقدمه من الحقائق والمعلومات الأولية ، فى مثل هذا البحث ، من قبيل القول المعاد ، الذى لا يحسن تكراره الا فى المؤلفات افراسية ذلك الطابع العام ، التى تُعنى بالأصول والتعاريف ، وبالإحاطة الشاملة ، التى تتناول الموضوع من الألف الى الياء .

(ض)

وليس معنى هذا أنني سأستغنى في بحثي هذا تماما ، عن ذكر هذه الحقائق والمعلومات الأولية ، فأننى وإن كنت لن أفرد لها فصولا تمهيدية خاصة ، فإن هذا لن يمنع من ذكر بعضها في مواضع متفرقة من البحث ، كلما دعت الحاجة الى ذلك ، سواء للمقارنة ، أم الاستشهاد ، أم التوضيح .

وتبدو هذه الحاجة على الأخص ، في تصوير الحالة التي انتهت اليها الحركة القومية في البلاد العربية - وخاصة في مصر - قبل أن تتداركها زعامة جمال عبد الناصر ، وينتقل لواؤها اليه .

ولما كان من أهم صفات هذا البحث أننا تقدمه من زاوية مصرية ، كما أن من أهم ما حققه زعيمنا الراحل في هذه المرحلة ، هو « تأكيد انتماء الشعب المصرى الى الأمة العربية » وتهيئته للقيام بدوره البطولى في الحركة القومية ، فسنبداً البحث بفصل نخصصه لدراسة ملامح هذا الانتماء وأعماقه ، مع التركيز بصفة خاصة على الروابط الحديثة والمعاصرة ، التي تربط الشعب المصرى بسائر الشعوب العربية ، على غير ما اعتاد الباحثون من التركيز على الروابط التاريخية القديمة . فمع اعترافى بما يثبته التركيز على الروابط التاريخية القديمة ، من عراقة هذه الروابط وعمقها ، فلا شك أن التركيز على الروابط الحديثة والمعاصرة ، يثبت حيويتها واستمرارها .

والذى أقصده من هذا الفصل ، أمران :

اولا :

اثبات أن ما فعله جمال عبد الناصر من تأكيد انتماء الشعب المصرى الى الأمة العربية ، كان كما ذكرنا « تأكيداً لهذا الانتماء » وليس « اختلاقاً » . وفى هذه الحقيقة من الانصاف لأهداف قائدنا الراحل ، ما فيه بالنسبة للشعب المصرى ، الذى ينكر بكل صلابة واباء ما يدعيه أعداؤه ، وأعداء الحركة القومية ، من أنه قد ربط بها ربطاً وأنه فى الحقيقة دخل عليها .

ثانيا :

أن هذه الدراسة تعد فى الوقت نفسه مقدمة لا غنى عنها للانتقال الى الفصل الثانى ، الذى سأتناول فيه « حالة الدعوة القومية فى مصر » قبل مرحلة الزعامة الناصرية .

وسنتقل بعد ذلك - في الفصل الثالث - الى ايضاح الحالة التي انتهت اليها هذه الدعوة في البلاد العربية الأخرى قبل تلك المرحلة ، مع تفصيل الحديث عن أهم خصائصها .

وانا وان كنا لن نبدأ الحديث عن مرحلة الزعامة الناصرية للحركة القومية ، الا في الفصل الرابع ، الذي سنفصل فيه الحديث عن خصائص هذه المرحلة ، الا أنه لا يمكن بحال اعتبار موضوعات الفصول الثلاثة الأولى خارجة عن صلب « هذا البحث » ، أو أنها مجرد مقدمة مطولة له . وذلك لأن من أهم صفات هذا البحث أنه مبني على « التأصيل » و « التبرير » و « المقارنة » .

وبعد أن نتحدث عن خصائص هذه المرحلة ، سنتقل الى الحديث عن « فضل الزعامة الناصرية في تحرير الشعوب العربية » .

وفي الفصل السادس سنتحدث عن المطاعن والانتقادات التي وجهت الى تلك المرحلة ، من حيث مبادئها ، أو أعمالها ، وحملات التشكيك التي شنت عليها ، مع الرد على كل منها .

أما الفصل السابع ، وهو خاتمة هذه الفصول ، فسنخصصه للرد على ذلك التساؤل الذي أثارته أجهزة الاعلام الأجنبية ، وهمسات البلبلة والتشكيك حول « مستقبل الحركة القومية بعد وفاة زعيمنا الراحل » .

وقد راعينا توضيح مراجع البحث ، مع الاشارة اليها بالأرقام ، الا أننا قصرنا ذلك غالبا على المؤلفات التي رجعنا اليها ، أما الصحف فقد أشرنا اليها والى تواريخها في صلب البحث .

وبالنسبة لأقوال الرئيس الراحل التي استشهدنا بها ، فما أخذناه منها عن كتب خاصة ، أشرنا اليها ضمن المراجع ، وأما ما أخذناه منها عن الصحف اليومية ، فقد اكتفينا بذكر الأماكن والمناسبات والتواريخ التي أقيمت فيها ، وفي ذلك ما يكفي لتحديد مصادرها ، وهي الصحف التي صدرت في اليوم التالي لالتقاءها .

الفصل الأول

انتماء المصريين للأمة العربية

يقول الدكتور أحمد صدقي الدجاني ، في بحث له بمجلة الهلال « عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠ » عن « عبد الناصر والثورة العربية » .

« ان أعظم ما حققه عبد الناصر من خلال تفجييره وقيادته الثورة العربية ، هو تأكيد الانتماء المصرى الى الأمة العربية تاريخيا ونضاليا ومصريا » .

ثم يشرح ما يقصده من ذلك فيقول « ونقول « تأكيد » لأن هذا الانتماء حقيقية تاريخية ونضالية ومصرية ، كانت موجودة دوما ، ولكن هذه الحقيقة حُجبت بغشاوة ، وأنكرت على المستوى الرسمي ، خلال النصف الأول من القرن العشرين على الخصوص ، حين تكاثفت قوى الصراع الاستعماري مع القوى الحاكمة التقليدية ، على شن حرب عوان عليها ، وسعت بقوة لاستبدالها بالانتساء الاقليمي المعزول ، الذي يحاول أن يجد له سنداً في أغوار التاريخ السحيق ، ويستغل مشاعر الوطنية لينحرف بها » .

والواقع أن الشعب المصرى لم يفقد في يوم من الأيام شعوره بالانتماء الى الأمة العربية ، وأما المناقشات النظرية التي كانت تدور حول عروبة هذا الشعب ، فقد كانت - بصرف النظر عن بواعثها ومبرراتها ، وبرغم نفوذ مصادرها ، وارتفاع ضوضائها - تعجز كل العجز عن مجرد مس هذا الشعور ، وخاصة على المستوى الشعبي ، وليس أدل على ذلك من هذا التعبير العامي الصادق الأصيل ، الذي تخلده المأثورات الشعبية ، والذي يأبى أن يعبر عن « المصرى » الا بأنه « ابن العرب » .

ولا يتسع هذا المقام ، للاستشهاد على ذلك بالعند من أقوال العلماء الذين أثبتت دراساتهم التاريخية والجينية والأثرية ، عراقة الصلة ، ووحدة الأصل بين الشعب المصرى ، والشعوب العربية الأخرى ، وحسبنا أن تقدم

— على سبيل المثال — بعض ما أثبتته الدكتور جمال حمدان في كتابه « شخصية مصر » *

فبعد أن أثبت أن تعبير « العربية » يحمل مضمونا ثقافيا أكثر منه جنسى ، قال « ومع ذلك فكل الغطاء البشرى الذى يغطى ما يعتبر الآن العالم العربى ، فرشة واحدة ، من جذر واحد ، وعلى الأقل فان الاختلاط والانصهار الدموى بين العرب الوافدين والسكان الأصليين ، حقيقة تاريخية بعيدة المدى » *

ثم قال « شعوب المنطقة — قبل العرب والاسلام — هم أساسا وأصلا أقارب ، انفصلوا جغرافيا ، ابتداء من العراق الى الشام الى الجزيرة العربية ، ومن مصر الى المغرب أو السودان • والتوطن المحلى والمؤثرات الدخيلة الموضعية ، والتزاوج الداخلى الذى حدث بعد ذلك لا يمكن أن ينتج أكثر من ابتعادات محلية ضئيلة ، لا تغير من حدة الأصل الدموى ، وتجانس العرق فى كثير، وان تطورت اللغات ما بين سامى وحامى ، ويظل العالم العربى أو بيت العرب الجغرافى الكبير هو « دوائر العرب » بمعنى الأسرة الموسعة التى تضم عدة أسر نووية أو خلوية » *

وبعد أن نحيل القارئ الى كتاب محمد عزة دروزة ، عن « عروبة مصر من قبائلها » الذى يتحدث فيه عن هجرة القبائل العربية المتتابعة الى مصر منذ الفتح الاسلامى ، واسهامها فى مداومة تركيز الخصائص العربية فى الدم المصرى تنتقل الى ايضاح الروابط القبلية والعائلية الحديثة والمعاصرة ، بين الشعب المصرى ، والشعوب العربية الأخرى •

ولقد كان الشعب المصرى — حتى طوال العصر العثمانى — فى تفاعل واختلاط دائم ، لا يعترف بالحدود ولا التقيود مع سائر الشعوب العربية •

وقد قدم لنا نعوم بك شقير فى كتابه « تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها » بيانا وافيا بأسماء عشرات من العائلات المصرية ، التى تنتمى الى أصل (سورى) بالمعنى العام الذى كان يقصد من هذه الكلمة عند وضع ذلك الكتاب (فى سنة ١٩١٦) وهو يشمل اليوم سكان سوريا ولبنان وفلسطين والأردن •

كما قدم لنا الأب بولس قرألى والياس زاخورا معلومات أخرى
مماثلة في كتابيهما اللذين يعرفان باسم واحد وهو (السوريون في مصر) *

والذى يتابع أسماء القبائل العربية في المملكة العربية السعودية ،
التي جاء ذكرها في كتاب فؤاد حمزة عن (قلب جزيرة العرب) وهي قبائل
ترتبط بروابط القربى بسائر قبائل الجزيرة العربية وجنوبى سوريا والعراق
يلحظ أنه لا تكاد توجد قبيلة من تلك القبائل ، الا ولها فروع تحمل هذه
الأسماء نفسها ، في بعض أنحاء مصر ، وان كانت قد توطنت آلاف
العائلات التي تنتمى اليها ، وفقدت أقدارا متفاوتة من بداوتها ، وأصبح
أفرادها في حكم الفلاحين المصريين ، وخاصة بعد أن ألغيت آخر امتيازات
البدو في سنة ١٩٤٧

وتصور لنا عمق الروابط بين الشعبين المصرى والليبي ، والتي يوجد
ما يماثلها من الروابط بين الشعب الليبي ، وسائر شعوب دول شمال
افريقيا تلك المؤلفات العديدة ، التي عنيت بتوضيح أنساب العائلات
المصرية والليبية الحالية التي تنتمى الى أصول قبلية مشتركة ، وخاصة
كتاب الشيخ عبد السلام حمد الجبوني عن (أنساب قبائل العرب) ،
وكتاب محمد السنوسى ابن السيد محمد الغزال عن (السبك الحديث
في تاريخ برقة القديم والحديث) وكتاب أحمد لطفى السيد عن (قبائل
العرب في مصر) وتعليقات الأمير شكيب أرسلان ، على كتاب (حاضـر
العلم الاسلامى) للعالم الأمريكى لوثر وب ستودارد *

وبرغم أن النظم والروابط القبلية قد فقدت معظم صلابتها وحدتها
في مصر ، بفضل ما أتيح لغالبية الجماعات البدوية الليبية الأصل فيها ،
من أسباب التحضر والاستقرار ، فان آلافا من العائلات المصرية ، التي
تنتمى الى هذه الجماعات ، والتي يعيش معظمها في سبع عشرة محافظة
من محافظاتنا الخمس والعشرين ، لا تزال تتذكر أصولها القبلية ، وتحس
— على الأقل — بعاطفة القربى نحو العائلات التي تشاركها هذه الأصول ،
وان اختلفت مواطنها *

وتحرك هذه العاطفة من وقت الى آخر ، زيارات التعارف والمجاملة ،
التي يقوم بها بعض الليبيين لأقاربهم من البدو والفلاحين المصريين ، الذين

توطنت عائلاتهم في مصر ، منذ زمن بعيد ، كما تحركها الحكايات التي تتوارث ترديدها أبناء تلك العائلات الأولى ، وسير شيوخهم وأبطالهم القدامى ، التي حدثت بعض أحداثها في ليبيا وبعضها في مصر ، مما يجعلها من المأثورات الشعبية الليبية والمصرية معا .

وبدافع من الاحساس العميق بأواصر القربى بين الشعبين المصرى والليبي ، تألف في سنة ١٩٤٦ حزب « الاتحاد المصرى الطرابلسى » برئاسة الأستاذ على رجب الليبي الأصل ، الذى تزعم أول دعوة حديثة للوحدة بين ليبيا ومصر ، وان لم تنهيا لانجاحها الظروف السياسية في كلا البلدين في ذلك الوقت .

وجاء على لسان رئيس ذلك الحزب في حديث ألقاه بنقابة الصحفيين في القاهرة في ٢٣ مايو سنة ١٩٤٧ :

« مادام في طرابلس شعب عربى ، تربطه بمصروحدة التاريخ ، والعقيدة ، والجنس ، والجوار ، والثقافة ، والعادات ، والمصالح المشتركة ، وما دامت لا تفصل بين القطرين المصرى والطرابلسى — يقصد الليبي — أية حدود طبيعية ، بل وما دام عدد الطرابلسيين المنتشرين في ربوع القطر المصرى ، الذين أجلتهم من بلادهم الحوادث وظروف الاستعمار الايطالى ، لا يقلون عن عدد الطرابلسيين الذين يغمرهم القطر الطرابلسى المتراعى الأطراف ، والذى تزيد مساحته عن مساحة القطر المصرى فمن الذى سيقوى على منع قيام اتحاد بين هذين البلدين الشقيقين ، والقطرين المتلاصقين ، وهو اتحاد يتوقف عليه سلامة كيان كل منهما ، واستقرار الحياة في ربوعهما (١) .

والواقع أن الذى شجع الليبيين على الهجرة الى مصر ، تحت وطأة الاستعمار الايطالى ، هو اللحاق بأبناء عموماتهم الذين سبقوهم للتوطن فيها ، تحت وطأة عوامل أخرى عديدة ، في عهود مختلفة ، وخاصة في القرنين السابقين .

ومن أجلى مظاهر الشعور بالقربى الذى تكنه العائلات المصرية ، التى تربط أصولها القبلية بالشعب الليبي ، أنه عندما افتتح باب التطوع لإنشاء نواة الجيش الليبي في مصر سنة ١٩٤٠ بلغ طائد من تطوعوا فيه

فى ذلك الوقت وحده نحو ١٤ ألف شاب من أبناء تلك العائلات (٢) ، برغم أن الغالبية العظمى منهم قد ولدوا - بل وولد آبائهم وربما أجدادهم أيضا - على أرض مصر •

وقد أثبتت لى هوايتى المفضلة ، وهو دراسة أصول اللهجات العامية ، والأزياء ، والعادات والتقاليد ، والآداب والفنون الشعبية وأصول العائلات ، وأسماء الأشخاص والمدن والقرى ، فى المناطق التى عملت فى خدمة الشرطة ، بالوجهين البحرى والقبلى ، مدى عمق المؤثرات العربية - غير المصرية - فى ملامح مجتمعاتنا الريفية ، الأمانة على أصولها وتجاربها وذاكراتها •

وقد يكفى أن نذكر كمثل لهذه المؤثرات أن نسبة كبيرة من الأولياء الذين تنتشر أضرحتهم فى أنحاء مصر ، وتداول سيرهم وأضرحتهم ، مجموعة من أعذب الأقاويص والأغاني الشعبية ، يرجعون الى أصول مغربية ، وسودانية ، وحجازية ، ويمانية ، وشامية ، وعراقية •

ونذكر الى جانب هذا أن الطرق الصوفية التى يعتنقها عشرات الآلاف من المصريين ، فى المدن والقرى ، ويرفعون أعلامها وشعاراتها ، ويترنمون بأناشيدها ، ويرددون فى صلواتهم أورادها وأحزابها ، أو يطلقون على أبنائهم أسماء شيوخها ، هذه الطرق يرجع معظمها الى أصول عربية غير مصرية •

ومثال ذلك ، أن الطريقة الشاذلية مغربية الأصل ، والطريقة التجانية جزائرية الأصل ، والطريقة العروسية تونسية الأصل ، والطرق السنوسية والمدنية والصلامية ليبية الأصل ، والطريقة الميرغنية سودانية الأصل ، والطريقة العلوانية يمنية الأصل ، والطرق الرفاعية والنقشبندية والمسلمية عراقية الأصل ، والطريقة السعدية سورية الأصل •

ويقابل ذلك انتشار الطريقتين الأحمدية ، والبرهامية المصريتين الأصل ، فى البلاد العربية الأخرى •

وفي أسماء المصريين وعائلاتهم تلتقى أسماء المغربى ، والجزايرلى ،
والتلمسانى ، والتونسى ، والحجازى ، والمكى ، والمدنى ، والجداوى ،
والتهامى ، والنابلسى ، والعكاوى ، والرملى ، والعسقلانى ، والشامى ،
والحلبى ، والعراقى ، والبغدادى •

ولم تكن مظاهر الروابط بين الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية
مقصورة على من هاجر الى مصر من عائلات تلك الشعوب ، واستقر فيها ،
فهناك كثير من العائلات العربية التى تعيش خارج مصر ، وتنتمى الى
أصول مصرية •

وعن العائلات الفلسطينية التى تنتمى الى أصل مصرى ، قال الكاتب
الفلسطينى عمر الصالح البرغوثى فى مقدمة كتابه عن (الوزير اليازورى)
تحت عنوان (علاقة فلسطين بمصر) •

« ان أكثر من عشر سكان فلسطين يمتون الى أصل مصرى ، هاجرت
عائلاتهم مع جيش ابراهيم باشا الى فلسطين ، ثم التجأت عائلات أخرى
فرارا من السخرة والشدة فى حفر القنال • ولا تزال تحصل الطابع المصرى
فى الاسم ، مثل عائلات المصرى والدمياطى والزعبلاوى والشرقاوى
والأنشاصى والعرايشى وغيرهم • وكذلك اللهجة المصرية ، والطعام المصرى ،
واللباس الريفى ، والعادات المصرية ، فهى شائعة فى الساحل ما بين خان
يونس وعكا » •

وتعرض الكتاب الفلسطينى (عارف باشا العارف) لهذه العلاقة
فى كتابه (تاريخ غزة) بقوله :

« لقد كان المصريون أهم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا
غزة على مر الأحقاب ، وان كنت فى شك من قولى هذا فما عليك الا أن
تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة فى شارع من شوارع غزة ،

في هذه الأيام (سنة ١٩٣٤) تشابه في الرداء واللهجة ، وفي العادات والعنعات ، وفي الأفراح والمآتم ، وفي السحن وتقاطيع الوجه ، وفي الأبنية والمآكل وفي كل شيء » •

وأشار الكاتب المصري عباس العقاد الى تلك العلاقة ومظاهرها ، ضمن الفصول التي نشرها عن انطباعاته في رحلة فلسطين في صيف سنة ١٩٤٥ ، والتي أعيد نشرها في كتابه (حياة قلم) سنة ١٩٦٤

« أحسب أن المصريين الفلسطينيين في مجال الهجرة فرسا رهان ، أو فارسان متقاربان •

فمن فلسطين مهاجرون في مصر ، ومن مصر مهاجرون في فلسطين ، وقد يعيش الفلسطيني زمنا في مصر ثم يعود الى بلاده ، وقد ترى بينهم من يلقب بالأنشاصى والبليسى والطنطاوى كما ترى بيننا من يلقب بالغزى والرملى والعكاوى ، وكأنهم يتسابقون أو يتلاحقون في حلبة واحدة ، لا يخرجون منها ، لا يسرعون الى تبديل معالمها ، سواء في التقاليد الاجتماعية ، أو معيشة البيوت ، حتى « الملوخية » وهي صفحة مصرية لا يتقنها الطهارة من غير وادى النيل ، قد أكلناها في بيت أبى خضرة كما تؤكل على أفخر موائدها التي تعزز بتقديمها في بواكيرها أو معقباتها ، لأن أبناء هذا البيت يحافظون على تراثهم القديم منذ كانوا بريف مصر ، ولا تزال لهم قرابة فيه » •

وقد عنى كثير من الكتاب الذين أرخوا للمدن الفلسطينية ، أمثال احسان النمر في كتابه (تاريخ جبل نابلس والبلقاء) والقس أسعد منصور في كتابه (تاريخ الناصرة) وعارف باشا العارف في مؤلفاته عن مدن القدس وغزة ويبر سبع ، بتحديد أسماء كثير من العائلات المصرية الأصل ، التي تنتشر في أنحاء القطر الفلسطيني ، وأسماء بعض الشخصيات التي تنتمى اليها ، والتي لعبت أدوارا هامة في تاريخ هذا القطر •

وقد ذكر اللفتنت كولونل فردريك ج • بيك في كتابه عن (تاريخ شرق الأردن وقبائلها) أسماء كثيرة من العشائر المصرية الأصل التي تعيش في مناطق عديدة من أنحاء الأردن ويطلق على بعضهم حتى الآن (المصاروة) و (المصريين) •

وأشار الى مثل ذلك أيضا خير الدين الزركلى في كتابه (عمان في عمان) •

وذكر عيسى اسكندر المعلوف في كتابه (دوانى القطوف في تاريخ بنى المعلوف) ومحمد عبد الجواد القاياتى في كتابه (نفحة البشام في رحلة الشام) ومحمد ديب آل تقى الدين الحصينى في كتابه (منتخب التواريخ لدمشق) أسماء كثيرة من العائلات السورية واللبنانية التي تنسب الى أصل مصرى • كما قدم لنا خير الدين الزركلى في كتابه (الأعلام) تراجم كثير من الشخصيات السورية واللبنانية والفلسطينية التي أسهمت بنصيب وافر في الحركة العلمية والوطنية ، والتي تنتمى أيضا الى أصل مصرى •

وقد تحدث العلامة السورى محمد كرد على في عدد أبريل سنة ١٩٤٠ من مجلة (الهلال) عن السوريين الذين ينحدرون من أصول مصرية ، فقال :

« ترك جيش ابراهيم بن محمد على الكبير في الديار الشامية وما اليها ، ألوفا من المصريين أصبحوا بعد حين من الدهر ، كأهل الشام في مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة ألوف من المصريين وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية ، وكانوا السبب الظاهر في اعلان محمد على باشا الحرب على والى عكا ، بل على الدولة العثمانية لأنه طلب ارجاعهم الى مصر ، فأبى الوالى على محمد على اعادتهم محتجا بأن مصر والشام شيء واحد ، وكلتاها تابع للدولة ، وهؤلاء المهاجرون الأول تفرقوا في أنحاء فلسطين ، وأحالتهم بودقتها شاميين » •

أما عن جزيرة العرب — وخاصة الحجاز — فقد حدثنا محمد لبيب البتانوني عن العائلات والشخصيات البارزة التي تنتمي الى أصول مصرية فيها ، في كتابه (الرحلة الحجازية) كما حدثنا عن مثلها خير الدين الزركلي في كتابه (ما رأيت وما سمعت) •

ووردت سير بعض تلك الشخصيات في (مذكرات الملك عبد الله) التي ذكر بها أن أول من تلقى العلم على يده من علماء مكة ، هو الشيخ على منصوري المصري الأصل ، وكان شيخ والده الشريف حسين بن علي ، ثم استكمل دراسته بالطائف على يد عالم آخر مصري الأصل هو الشيخ ياسين البسيوني • وقال عنهما « أما الشيخ على منصوري فله الفضل في تمييز الأصولين في القراءة القديمة والجديدة ، أما الشيخ ياسين فهو الذي فتح الله على بسبب دماثته وحسن احتماله ، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته » •

وحدثنا المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم في كتابه (النداء في دفع الافتراء) عن الأصول المصرية لكثير من القبائل والعائلات والشخصيات السودانية ومنها المهدي الكبير ذاته •

ومن أدق وأوفى المؤلفات التي أوضحت الأصول المصرية لكثير من العائلات السودانية ، تلك التي وضعها النسابة السوداني الشيخ عثمان ابن حمد الله ، وخصص كلا منها لذكر أنساب العائلات السودانية في منطقة معينة من مناطق السودان •

أما عن شعوب دول المغرب العربي ، فحسبنا أن نذكر أن القبائل العربية التي أسهمت في تعميق ملامحها العربية ، وروابطها بشعوب المشرق العربي ، قد هاجرت اليها في مصر ، وخاصة تلك القبائل التي تنتمي الى مجموعتي (بنى هلال) و (سليم بن منصور) والتي تنتمي الى بطونها كثير من العائلات المصرية الحالية •

الفصل الثاني

حالة الدعوة القومية في مصر قبل الزعامة الناصرية

أثبتنا في الفصل السابق أن الشعب المصري كان يحس دائما بائتمائه الى الأمة العربية ، وأن هذا الائتماء كان يتسم بصفة الاستمرار والحيوية ، ولم يكن مجرد ذكرى تاريخية عزيزة ، أو روابط قديمة بالية •

على أنه برغم ذلك فقد تعرضت الدعوة القومية في مصر لقدر كبير من الفتور ، وكان ذلك يرجع لعدة عوامل أهمها انشغال شعوب الأوطان العربية التي كانت تخضع لسلطات دول مختلفة ، بقضاياها التحررية الخاصة وارتباط مصالح حكامها الرجعيين بمصالح سلطات الاحتلال والاستعمار ، أو خشيتها من أن تقضى دعوى الوحدة على نفوذها ومكاسبها ، وتعاون ذلك الثنائي المتحالف (الاستعمار والرجعية) على اثارة النعرات الاقليمية والطائفية لتنفيذ تلك السياسة •

ومن أجل ذلك حورت فكرة الارتباط بالحركة القومية في مصر ، حربا لاهوادة فيها • وتصيد ذلك التيار الجارف كثيرا من المفكرين والكتاب المصريين ، الذين تأثروا بتلك العوامل التي ذكرناها ، وسقطوا في أحاييلها ، ووجدوا ما يؤيدهم في بعض المظاهر السطحية ، والظروف السياسية الوقتية ، التي كانت تمر بها الشعوب العربية ، والتي أدت الى تعارض مصالحها الوطنية في كثير من الأحوال •

فقد وجد كثير من الوطنيين السوريين الذين لجأوا الى مصر فرارا من بطش السلطات العثمانية ، في عهد السلطان عبد الحميد ، ثم في عهد تسلط حزب الاتحاد والترقي ، من رعاية سلطات الاحتلال البريطاني لهم ، ما دفعهم الى مبالأتها اعترافا بفضلها ، واكتسابا للمزيد من حمايتها ، وحصروا نشاطهم الوطنى فى مهاجمة الاستبداد العثمانى ، ويبدو ذلك واضحا فى اتجاه

الصحف السورية التي كثر صدورها في مصر في أوائل الاحتلال البريطاني ،
مثل (المقطم) و (المقتطف) و (النيل) و (الزمان) و (الاتحاد المصري)
و (لى نوفل) (٣) •

وقد خصص عبد الله النديم عددا كاملا من مجلة (الأستاذ) لمهاجمة
أصحاب جريدة (المقطم) السوريين ، ومن ذهب مذهبهم من أبناء جنسهم ،
وكان ذلك سببا في ارغامه على اغلاق مجلته ، والهجرة من مصر •

كما هاجم حافظ اهميم السوريين في كتابه (ليالى سطيح) (٤) •

كذلك احتضنت اسلطات البريطانية الوطنى التونسى (محمد يريم
الخامس) الذى لجأ الى مصر فرارا من سلطات الاحتلال الفرنسى ، وشجعته
على اصدار صحيفة (الاعلام) لتأييد سياستها ، فى مقابل السماح له بمهاجمة
سياسة الاحتلال الفرنسى فى تونس •

وقد وصف الفيكونت فليب دى طرازى سياسة تلك الصحيفة بقوله :

« كانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم ، وخدمة مصالحهم
فى وادى النيل » •

ثم تحدث عن انتقاد العناصر الوطنية المصرية له ، واتهامها اياه بالتناقض
مع سياسته المعادية للاحتلال الفرنسى ، فقال :

« وساء ذلك بعضهم ، وانتقدوا عليه هذه الخطة ، لأنها تعاكس
ما كانت عليه سياسته فى تونس التى هجرها من حكم الأجانب ، فكيف
يكلف المصريين عكس ذلك (٥) •

وفى الوقت الذى كان الوطنيون من عرب المشرق يجدون فى السلطات
البريطانية فى مصر تشجيعا لهم فى صراعهم مع الحكم العثمانى ، كان
الوطنيون المصريون يتطلعون الى مساعدة الدولة العثمانية لهم فى صراعهم
مع الاحتلال البريطانى •



وقد انتقد الزعيم مصطفى كامل نشاط السوريين المقيمين في مصر في خطابه الذي ألقاه في الاسكندرية سنة ١٨٩٦ (٦) • كما هاجمهم الزعيم محمد فريد في بعض فقرات مذكراته ، ووصفهم بالدخلاء ، واتهمهم بالاستغلال والتواطؤ مع سلطات الاحتلال •

ومما كتبه في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٤ تعليقا على تعيين السير الدون جورست مستشارا لنظارة الداخلية لاحكام قبضة السلطات البريطانية على تلك النظارة « لا يمضى قليل حتى نرى الدخلاء الشوام انبثوا في المديرية بوظائف عالية أو ربما عين منهم المديرون وهى الطامة الكبرى التى نخشاها الآن اذ الشوام أضر على مصر من الانكليز أنفسهم (٧) •

وانصافا للحق ، نذكر أن موقف التنافر بين المصالح الوطنية المصرية والعربية لم يمنع كثيرا من أبناء الأقطار العربية المقيمين في مصر ، من مشاركة المصريين مشاعرهم الوطنية وحركاتهم النضالية في مناسبات عديدة •

ومن مظاهر تلك الروح اشراك بعض العناصر العربية المقيمة في القاهرة في الجمعية العمومية التى انعقدت بنظارة الداخلية في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ لبحث النتائج التى ترتبت على احتلال القوات البريطانية لمدينة الاسكندرية وعندما قررت الجمعية ايفاد لجنة من ستة أشخاص للتوجه الى الاسكندرية لتبليغ قراراتها للخديو توفيق والنظارة ، كان من بين أعضائها الشيخ سعيد الشماخى (وكيل دولة مراكش في مصر) (٨) •

وكان من السوريين الذين أسهموا في الحركة الوطنية المصرية ، أديب اسحق ، وسليم فقاش ، وثقولا توما ، ونجيب حداد ، وسعيد البستاني ، كما كان أمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ينتميان الى أسرة سورية (لبنانية) الأصل ، وكان عبد العزيز جاويش ينتمى الى أسرة تونسية الأصل •

ومما يلاحظ أن أول جمعية سرية أنشئت لمقاومة الاحتلال البريطانى ، وهى الجمعية التى أطلق عليها (المؤامرة الوطنية المصرية) واكتشف أمرها في سنة ٨٣ وكان من أعضائها سعد زحلول ، كان رئيسها رجل مغربى الأصل وهو محمد سعيد الحكيم الذى حكم عليه بالنفى خارج البلاد (١٠) •

ومن شخصيات الحركة الوطنية التي ترجع الى أصل مغربي عمر لطفى بك منشئ نادى المدارس العليا ورائد الحركة التعاونية فى مصر ، وشقيقه أحمد لطفى بك الذى أصبح وكيلا للحزب الوطنى فيما بعد ، وكان والدهما من أشهر التجار المغاربة ، كما كان يشغل حكومة بلاده فى عهد محمد على (١١) •

وقد بلغ التعارض بين المصالح الوطنية لعرب المشرق مع المصالح الوطنية المصرية ذروتها ، عندما أعلن شريف مكة الحسين بن على ثورته على الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٦

فقد كانت تلك الثورة صفة قاسية لأمانى المصريين ، الذين كانوا يتطلعون فى ذلك الوقت للخلاص على أيدي القوات التركية الزاحفة نحو حدود مصر الشرقية •

وكانت أنباء نجاح الثورة ، وفشل الحملة التركية على الحدود الشرقية ، ووقوع مجموعات متتابعة من الجنود الأتراك فى أسر القوات العربية والانجليزية المشتركة ، تدمى قلوب المصريين ، وكان شعورهم بالمرارة والأسى تزداد وهم يرقبون جموع الأسرى الأتراك بطرايشهم الحمراء وهم يساقون الى معسكرات الاعتقال فى شوارع القاهرة والاسكندرية •

وقد روى لنا عبد الفتاح أبو النصر اليافى — أحد ضباط الجيش العربى — فى مذكراته ، واقعة تدل على مدى المشاعر العدوانية التى كان يكنها المصريون نحو الثورة العربية ورجالها فقال :

« أذكر مرة أنه بينما كان ثلاثة من ضباط الجيش الفيصلى — نسبة للأمير فيصل ابن الملك حسين — يقضون مدة اجازتهم فى القاهرة ، خطر لهم أن يقضوا ليلتهم فى مسرح الاجبسيانة ، حيث يمثل رواياته الأستاذ نجيب الريحانى •

واتفق أنه كان يوجد الى جانبهم عدد من الشبان المصريين ، ينتمون الى عائلات مصرية عريقة فأخذوا يسمعون الضباط كلاما جارحا ، لمجرد

كونهم ينتمون الى الجيش الفيصلى ، وقد احتدم الضباط الثلاثة غيظا ، وقامت بينهم وبين الشبان معركة تبودل فيها ضرب العصى والكراسى •

وقد تألف المشاهدون نحو الضباط وانهالوا عليهم بالضرب ، اقتصارا لرفاقهم ، فأثخنوهم جراحا • وعند حضور الدورية انسحب الشبان المعتدون ولاذوا بالفرار ، فنقل الضباط الى الفنادق التى ينزلون فيها بعد أن أجريت لهم الاسعافات اللازمة » •

وكان قد قال قبل ذلك « ان اخواننا المصريين كانوا غير راضين عن أعمال الملك حسين بن على وحركة أنجالة (١٢) » •

وقد أثار الصحفى المصرى المعروف محمد توفيق دياب تلك المسألة فى خطابه الذى ألقاه بالحفل الذى أقيم لتكريم بعض الزوار العراقيين فى مصر سنة ١٩٣٦ بقوله « منذ عشرين سنة أو نحوها ، كان أكثر المصريين اذا ذكر البلدان العربية ، ذكرها فى شىء من الموجدة يشبه الاتحاد » •

قد ظل التباعد بين القضية الوطنية المصرية والقضايا العربية الأخرى الى ما بعد انتهاء الحرب ، فأغفل العرب دعوة المصريين للمشاركة فى أكبر مؤتمرات عربيين عقدا فى تلك الحقبة بدمشق فى ٢ يونيه سنة ١٩١٩ و ٧ و ٨ مارس سنة ١٩٢٠ • كما رفض سعد زغلول الاقتراح الذى قدمه له بعض الساسة العرب أثناء وجوده فى باريس فى سنة ١٩١٩ للقيام بعمل عربى مشترك ضد القوى المعادية لها ، ورد عليهم قائلا « ان قضيتنا مصرية وليست عربية » وروى عبد الرحمن عزام أنه كان يحدثه يوماً عن الوحدة العربية فقاطعه متهمكا « اذا جمعت صفراً مع صفر فالنتيجة صفر (١٣) » •

وكان أول اختبار للاتجاه العربى لسعد زغلول ، عند توليه رئاسة الوزارة لأول مرة فى أوائل سنة ١٩٢٤ هى مشكلة الزعماء الليبيين الذين لجؤوا الى مصر فراراً من وطأة الاحتلال الايطالى • فانه وان كان قد رفض تسليمهم للحكومة الايطالية تنفيذا لما نص عليه الدستور المصرى من حظر تسليم اللاجئين السياسيين ، الا أنه رفض فى الوقت نفسه قبول اقامتهم فى مصر (١٤) •

وكانت قد حصلت بعض الاتصالات السطحية المفعمة بروح المودة والمجاملة بين الوفد المصرى وبعض الساسة العرب فى باريس ، ولكنها لم تبلغ درجة المشاركة النضالية بعد . ومثال ذلك تلك الكلمة التى ألقاها المجاهد السورى شكرى غانم فى المأدبة التى أقامها سعد زغلول فى فندق الكوتنتنتال فى باريس فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ وقدم فيها «تحية الشام» (١٥) .

والواقع أنه عندما انتهت الحرب العالمية الأولى باقتسام بريطانيا وفرنسا أشلاء المشرق العربى ، وأخذ الوطنيون فيه يوجهون نضالهم الى مواجهة سلطات الاحتلال الجديد ، بدأت ظروف نضالهم تتشابه وظروف نضال اخوانهم فى مصر ، وبدأ التعارض فى المصالح والاتجاهات يتلاشى . الا أن نتيجة ذلك كانت لا تخرج عن مجرد إثارة المشاعر العاطفية ، لا نشغال كل مجموعة بمشكلاتها المحلية .

وكانت فلسطين منذ البداية ، من أكثر الأوطان العربية تأثرا بأصدقاء الحركة الوطنية فى مصر . وذلك بحكم الجوار ، وقوة الارتباط بين شعبيهما ، ووقوعها معا تحت وطأة الاحتلال البريطانى .

وكان من مظاهر هذا التأثير اطلاق الوطنيين الفلسطينيين لقب (الزعيم الجليل) على اسحق موسى الحسينى باشا رئيس الوفد الفلسطينى الى لندن سنة ١٩١٩ ، وهو يشبه اللقب الذى أطلقه الوطنيون المصريون على سعد زغلول باشا وهو (الرئيس الجليل) .

كما تذكر فرنسيس اميلى نيوتين فى كتابها « خمسون عاما فى فلسطين » أن الوطنيين الفلسطينيين رفعوا فى سنة ١٩٢٠ علما يشبه العلم الذى كان يرفعه الوطنيون المصريون منذ اندلاع ثورة سنة ١٩١٩ والذى يضم هلالا يحتضن الصليب (١٦) .

وذكر مراسل صحيفة (الديلى هيرالد) الانجليزية فى القاهرة أنه فى ٢١ ديسمبر ١٩٢١ صلى الحجاج العرب الواقفون فى عرفات من أجل نجاح القضية المصرية ، وحصول الشعب المصرى على استقلاله وتحقيق مساعى سعد زغلول (١٧) .

وعندما توفي سعد زغلول سنة ١٩٢٧ أعلنت معظم الهيئات الوطنية الحداد عليه في مختلف أنحاء العالم العربى ، وكانت فلسطين من أكثر البلاد العربية اهتماما بتخليد ذكراه ، حتى نشرت صحيفة السياسة الأسبوعية فى عدد ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ نبأ لمراسلها الخاص فى القدس بأن لفيفا من أهالى مدينة يافا طالبوا - بالاشتراك مع لفيف من المصريين المقيمين فيها - الى رئيس البلدية اطلاق اسم سعد زغلول على أحد شوارع المدينة •

وفى ٢٣ ديسمبر فى ذلك العام ، ارتفع صوت المجاهد الفلسطينى حسن صدقى الدجاني منادياً بتنفيذ اقتراح كان قد أعلنه من قبل ، بشأن الاتحاد بين مصر وفلسطين ، كحل حتمى للقضية الفلسطينية ومواجهة الخطر الصهيونى • وذلك فى مقال صحيفة (مرآة الشرق) الفلسطينية ثم نشرت نصه صحيفة السياسة الأسبوعية المصرية فى عدد أول يناير ١٩٢٨ وأنهى المقال بقوله :

« اننى لا أزال أقول وأصرح بأن أحسن شئ يعملُه عقلاء الفلسطينين ، هو أن يطلبوا ويلحوا بلزوم ضم فلسطين الى القطر المصرى ، وجعلهما مملكة واحدة تستظل بظل الراية المصرية ، وتقنع بأن يكون مقدورنا ومقدور مصر واحد • فان ظل اخوانتنا الانجليز هناك ظلوا هنا ، وان رحلوا من هناك أرسلنا وفداً الى يافا ، يشيعهم ويودعهم ، كما يودعهم المصريون من الاسكندرية أو بور سعيد » •

وكان التقارب بين الوطنيين المصريين وسائر الوطنيين العرب لا يأخذ طابع التضامن العربى الصريح ، بل آثر المصريون أن يضيفوا عليه صفة (الطابع الشرقى) العام الذى يشمل الأتراك والایرانيين والأفغانين والهنود •

وقد ذكر المجاهد الفلسطينى محمد على الطاهر أنه كان فى باريس غداة وفاة سعد زغلول ، فى حفل جمع بعض المصريين والسوريين والعراقيين ، وكان المقصود من اقامته انشاء جمعية لاهياء الروابط الأدبية بين الأقطار العربية ، وثارت مناقشة حادة بين الحاضرين الذين اقترح بعضهم تسميتها (الجمعية العربية) ولكن المصريين أصرروا على تسميتها (الجمعية الشرقية) وكانت مناقشة لا نهاية لها (١٨) •

ولم يكن خافيا أن سبب ذلك هو بناء بعض سوء الظن عالقاً بأذهان المصريين نحو الاتجاهات العربية ، كما كانوا مقيدين بمراعاة شعور حكام مصر الذين كانوا أبعد ما يكونون عن الصفة العربية •

وشبيه بذلك ما حدث عندما أصدر المجاهد المصرى المعروف الشيخ على الغاياتى جريدته الفرنسية فى سويسرا فى أعقاب ثورة ١٩١٩ باسم (لاتريون دوريان) أى (منبر الشرق) فاقترح عليه المجاهد اللبناني رياض الصلح أن يطلق عليها (منبر العرب) ولكنه رفض ذلك (١٩) •

وحتى ذلك الطابع الشرقى العام ، كان يلقي معارضة قاطعة من دعاة « المصرية الخالصة » أو « الاقليمية » فعندما دعا بعض الشبان المصريين فى الثلاثينات الى عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين لا يقتصر على العرب وحدهم ، والتقى وفد منهم بالأستاذ أحمد لطفى السيد مدير الجامعة ، ليحصل على موافقته وتأييده ، لم يوافقهم على مشروعهم وقال لهم « فلنكن مصريين » وليكن تفكيرنا مصريا ، ولنقصر سعيينا وجهدنا لرقى مصر وتحسين أحوالها (٢٠) •

ومن العجب أن أحمد لطفى السيد الذى كان من أقدم أقطاب الدعوة الاقليمية فى مصر ، وأكثرهم تشددا ، كان من أبناء قرية (برقين) بمحافظة الدقهلية ، الذى ذكر فى مذكراته أنها استمدت اسمها من قرية (برقين) الفلسطينية ، ويرجح أن يكون أبناؤها الأوائل قد هاجروا اليها من فلسطين (٢١) •

وكانت دعوة أحمد لطفى السيد الاقليمية قد أسفرت عن نفسها ، عندما قامت فى مصر حركة لجمع التبرعات لمعاونة المجاهدين الليبيين الذين هبوا ليقاوموا الحملة الايطالية على بلادهم فى سنة ١٩١١ • فكتب فى صحيفة (الجريدة) التى كان يحررها ثلاث مقالات فى ثلاثة أيام متتالية ، عنوانها جميعا « سياسة المنافع لا سياسة العواطف » ودعا فيها المصريين الى التزام الحياد المطلق فى تلك الحرب ، والى الضن بأموالهم أن تبعثر فى سبيل قلما تفيد بلادهم منه ويذكرهم بأن من الخير أن يبذلوا هذه الأموال لخير مصر ، ولانشاء المرافق المصرية النافعة لأبناء الوطن •

وقد أثارت عليه تلك المقالات عاصفة هوجاء واتهمه البعض بسناوأة دولة الخلافة الاسلامية ، كما اتهمه آخرون بالالحداد (٢٢) •

وكان التيار الاقليمي الذي يدعو اليه بعض رجال الفكر المصريين ، متأثراً بتضارب المصالح الوطنية بين الشعب المصرى والشعوب العربية الأخرى ، الذى أوضحناه من قبل • وكان الاهتمام بشئون بعض الشعوب العربية — كالشعب الليبي فى ذلك الوقت — لا يصدر عن عاطفة عربية خالصة ، بقدر ما كان يصدر عن عاطفة الولاء للدولة العثمانية الأم ، بطابعها الاسلامى ، وهو ولاء لم يكن يلقى تشجيعاً من بعض المثقفين والأعيان المصريين ، الذين كان يمثلهم حزب الأمة ذو الاتجاه الاقليمي •

أما الأعيان الموالين للدولة العثمانية الذين ينتمون الى أصول غير عربية ، فكانوا لا يميلون — بحكم هذه الأصول — للاتجاه العربى •

وكذلك كان جمهور الأقباط يفضل الاتجاه الاقليمي بطبيعة الحال على الاتجاه العربى ، الذى لم تكن قد اتضحت معالمه بعد • بل كان مجرد شعار عاطفى غامض ، يخلط أنصاره الدعوة الى (اعادة مجد العروبة) بالدعوة الى (اعادة مجد الاسلام) ولا يقدمون مبررات مقنعة مبينة على فكرة المصالح المشتركة التى تربط بين شعوب العالم العربى ، جسيماً على اختلاف طوائفهم وأقاليمهم •

وكان مما يغذى ذلك الاتجاه الاقليمي ما كانت تسفر عنه من آن الى آخر ، دراسة التاريخ المصرى القديم ، والاكتشافات الأثرية المتتابعة من الأمجاد الفرعونية التى تزيد المصريين اعتزازاً بمصريتهم •

وقد تمثلت تلك النعرة الاقليمية ذات الطابع الفرعونى ، فى التماثيل التى أقامها مختار ، والطراز الذى أقيم عليه ضريح سعد زغلول ، وفى الشعارات التى اتخذت لكليات الجامعة ، واجتذبت تلك الدعوة كثيراً من المثقفين وأعلام الفكر والصحافة ، مثل طه حسين ، وسلامه موسى والعقاد وغيرهم (٢٣) ويمثل وجهة نظر العقاد فى تلك الحقبة ذلك رأى الذى أبداه على صفحات عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٠ من مجلة (كل شئ) عندما طرحت

عليه المجلة وعلى اثنين آخرين من رجال الفكر هما أحمد شوقي ومحمد فريد وجدي استفتاء موضوعه « مصر عربية أم فرعونية » فقال :

« كيف يقال ان مصر عربية أو يراد منها أن تكون عربية ، وهى
مصرية لحما ودما واشباحا • وانى لأعجب ممن يتشبث بعروبتة من
المصريين • وهو يرى تلك الوجوه الفرعونية التى لا تختلف فى سماتها
وملامحها عن تلك الوجوه المرسومة لأجدادنا الفراعنة فى تماثيلهم وآثارهم
الخالدة ، التى تدلنا على أن بين هذه السلالة الموجودة الآن ، وبين أجيال
الفراعنة القدماء ، نسبا متصلا ، وسلسلة تصل الفروع بالأصول » •

ثم عاد فقال « ولكن اذا كنت تنظر الى أن المصريين يتكلمون الآن
اللغة العربية التى طرأت ، بفتوحات العرب وغزوهم لمصر ، فأنا معك أن
مصر عربية ، ومن هذه الجهة ينبغى أن نقول أنها شرقية أيضا ، ويجب أن
تتعاون مع الأقطار الشرقية الأخرى ، فيما يمضى بالشرق الى المستوى
اللائق حتى ينافس الغرب وساكنيه » •

وذكر أحمد شوقي بك فى ذلك الاستفتاء « أن من يقول بعربية مصر ،
ومن يقول بفرعونيتها كلاهما غير معيب ، اذا كان لا يريد بذلك الاستقلال
باحدى الصفتين عن الأخرى ، والانفصال عنها انفصالا تاما • ان مصر بلاد
مصر ، ولكن أهلها يشتركون مع سائر بلاد الشرق فى الثقافة العربية ،
ويمارسون مثلهم التكلم باللغة العربية ، ومن واجب من يشتركون هذا
الاشتراك أن يحافظوا على التعاون فيما بينهم تعاونا ماديا وأديبا على
الدوام » •

أما محمد فريد وجدي ، فقد قطع بزوال الطابع الفرعونى تدريجيا فى
مواجهة الفتوح المتتالية ابتداء من الفتح الفارسى ، ثم اليونانى ، ثم الرومانى ،
وفى خاتمتها الفتح العربى ، وتحدث عن هجرة القبائل العربية الى مصر
ودخول القبط الاسلام ، واتخاذهم اللسان العربى ، الى غير ذلك من العوامل
التي صبغت مصر بصيغة عربية خالصة ثم قال « فبعد حدوث كل هذه
الانقلابات لم يعد من الفرعونية الا اسمها ، فالقول بالعودة الى الفرعونية
الأولى رغما من كل هذه الانقلابات ، يشبه القول بالعودة الى الأدمية
الأولى » •

والحقيقة أن الدعوة الى الاقليمية أو الفرعونية ، كانت تلقى كثيرا من المعارضة سواء من العرب غير المصريين ، أم من بعض المصريين أنفسهم •

ومن ذلك المقال الذى نشر للعلامة ساطع الحصرى عدد يونيه سنة ١٩٣٨ من مجلة (الرسالة) ردا على ما نشر بمجلة (المكشوف) اللبنانية من حديث للدكتور طه حسين الى بعض الشبان العرب والذى ذكر فيه « أن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وأنها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى وأن المصرى مصرى قبل كل شئ » ، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تكن الظروف » •

وجاء فى رد ساطع الحصرى « اسمحوا لى أن أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية • أنا لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال بالنفى ، لأتنى أعتقد بأن دعوة المصريين الى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية ، لا يتضمن بوجه من الوجوه منهم هذا التنازل عن المصرية • ان دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا من المصريين ضمنا ولا صراحة بأن يتنازلوا عن مصريتهم • بل انهم يطلبون اليهم أن يضيفوا الى شعورهم المصرى الخاص شعورا عربيا عاما وان يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية • فهل لديكم ما يدل على أن العروبة والمصرية ضدان لا يجتمعان وعنصران متعاكسان لا يمتزجان (٢٤) •

وكان الاتجاه العربى قد بدأ يتصاعد فى مصر منذ ثار اهتمام الرأى العام فيها بالقضية الفلسطينية ، وخاصة عندما اندلعت (أزمة البراق سنة ١٩٢٩) الا أن هذا الاتجاه — بحكم طبيعة تلك الأزمة — كان صادرا فى البداية عن وازع اسلامى أكثر منه عربى • وقد مثل المصريين فى « لجنة البراق الدولية » التى عقدت فى العام التالى بعض المهتمين منهم بالشئون العربية والاسلامية (٢٥) •

ومما عزز الطابع الاسلامى للاهتمام بالمشكلة الفلسطينية بالنسبة للمصريين طرحها على (المؤتمر الاسلامى الذى عقد بالقدس فى سنة ١٩٣١) • وقد أثيرت فى مواجهة الدعوة لهذا المؤتمر، بعض الاعتراضات فى مصر، بسبب خشية الملك فؤاد وحكومة صدقى باشا أن يتناول المجتمعون موضوع الخلافة ، والمطالبة بمخصصات الحرمين •

ورأى حزب الوفد أن يستغل موقف الحكومة من ذلك المؤتمر ،
في الأوساط الشعبية المصرية ، فشكل وفدا لتشيله فيه ، واضطرت حكومة
صدقى باشا لارسال وفد آخر يناوئه ، ويتابع أحداث المؤتمر للتصدي لأية
دعوة تحقق مخاوف الحكومة المصرية والملك فؤاد •

وفي المؤتمر حدثت عدة احتكاكات بين الوفدين ، وبين الوفد
الحكومي وبعض الوفود العربية الأخرى ، وتابع الرأى العام المصرى -
الذى كان يعادى اتجاهات الحكومة ويتعاطف غالبا مع اتجاهات الوفد -
أنباء المؤتمر وأحداثه باهتمام شديد • وخلال ذلك الاجتماع تضاعف
اهتمامه بالقضية الفلسطينية حتى أصبحت تكاد ترتبط بالقضية المصرية (٢٦)

وقد أيدت ذلك الاهتمام الصحافة المعارضة ، وأصبحت القضية
الفلسطينية من القضايا التى تستغلها المعارضة فى كل عهد لكسب الرأى
العام ، وإحراج الأحزاب الحاكمة •

وكان من مظاهر ذلك الاتجاه الجديد ، أحاديث مكرم عبيد (القطب
الوفدى) التى ألقاها فى زيارته لبعض مدن سوريا ولبنان وفلسطين
فى سنة ١٩٣١ ، وأكد فيها أن الفكرة العربية جذيرة بأن يقبلها الأقباط ،
وهاجم الدعوة الفرعونية ووصفها بالانعزالية والرجعية ، وتعقب التراث
العربى فى مصر الى أقدم العصور (٢٧) •

وكان مما أخذ على حكومة صدقى باشا ، موافقتها على الاشتراك
فى المعرض الصهيونى الذى أقيم فى تل أبيب فى سنة ١٩٣٢ واصدارها الأمر
بتخفيض أجور السفر بالقطار الى فلسطين ، أثناء انعقاده ، الأمر الذى
أثار مشاعر الوطنيين الفلسطينيين وشاركهم فى ذلك الرأى العام
المصرى (٢٨) •

ولا نريد أن نسترسل فى استعراض مظاهر استئثار القضية الفلسطينية
باهتمام الرأى العام المصرى ، وارتباطها بالقضية الوطنية المصرية ، وحسبنا
أن نستخلص من هذا كله أن هذه القضية كان لها الفضل فى إثارة المشاعر
القومية العربية فى نفوس المصريين •

ومن العجب حقا أن هذه القضية التي يرجع اليها الفضل في احياء تلك الشاعر ، كانت هي ذاتها التي هددت نفس الشاعر وضربتها في الصميم فيما بعد •

وكان سبب ذلك هو تلك الظروف الآثمة المخزية التي واجهها الجيش المصرى فى حملة فلسطين سنة ١٩٤٨ والتي أسهمت بأوفر نصيب فى الانحدار الى تلك النهاية التاريخية الأليمة ، التي أحدثت صدى مريرا فى نفوس المصريين •

ويمكن الرجوع الى تفصيلات ذلك كله فيما كتبه الدكتور أنيس صايغ فى كتابه (الهاشميون وقضية فلسطين) وما كتبه (عبد الله التل) فى كتابه (كارثة فلسطين) •

وقد وجد هذا الصدى المرير من يستغله ، أو ما يستدل به على بعد نظره ، لتوجيه مشاعر المصريين القومية التي أشعلها الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، نحو الاتجاه المضاد • وبكل سهولة انقلبت مشاعر الكثيرين من النقيض الى النقيض •

وكان مرجع تلك السهولة أن تلك الشاعر كانت ترتفع على أسس عاطفية هشة ، لا على أسس من الايمان العميق والمبررات القوية المقنعة ، التي ترتبط بفكرة (الوجود أو عدم الوجود أو الحياة أو الموت) التي لا تتأثر بالهزات والأزمات •

وقد تزعم صدقى باشا الدعوة الانعزالية فى تلك الآونة ، وارتفع صوته ليكرر ما سبق أن رددته من وجوب تجاهل القضية الفلسطينية ، وعدم الاشتراك فى نجدة أهلها • وقد نشرت له جريدة (أخبار اليوم) ذلك الرأى الذى أصر عليه يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهو اليوم الذى بدأت تتجه فيه الجيوش العربية نحو حدود فلسطين •

ويؤكد المقال الذى نشره صدقى باشا فى جريدة الأهرام فى ٢٦ مايو سنة ١٩٤٩ للاعتراض على ما أشيع من اعتساد مبالغ لتعزيز الجيش المصرى ، وانشاء مصانع ومنشآت حربية ، أن هذه الفكرية لم تكن صادرة عن وعى

صادق أو وازع وطنى ، بل كانت صدى لاتجاهه التقليدى المتعاون مع الاستعمار •

ففى ذلك المقال أعلن صدقى باشا أنه لا سلام لمصر ، الا بالانضمام لأحد الأحلاف الدولية ، مثل (كتلة الأطلنطى) التى وصفها بأنها « أصبحت دعامة السلام ، وأمل كل من أراد خير الانسانية » واقترح « المبادرة الى الاتصال بالدول ذات المصالح غير المضادة لمصالحنا ، وذات القوة التى قد يفيدنا استخدامها لأغراضنا — يقصد الدول الغربية — كما نبثث مع وسائل هذا الانسجام وذلك الالتئام » •

وقد جدد صدقى باشا دعوته الى تجاهل الخطر الصهيونى ، والابتعاد عن القضية الفلسطينية ، فى حديثه الى أحد محررى مجلة (المصور) الذى نشر فى عدد ١٥ يوليو ١٩٤٩ ردا على سؤاله « ألا زلتم ترون أنه لا خطر على مصر من الصهيونية ؟ » •

فقال « نعم لأنه لا يعقل أن اسرائيل وتعدادها لا يزيد عن مليون يهودى من أجناس مختلفة ، تستطيع أن تجند جيشا وتحارب به مصر • وهى أكثر منها عددا وأكبر ثروة ، بنسبة لا تقبل المقارنة • هذا فضلا عن أن للدول الكبرى وبخاصة بريطانيا مصالح مرتبطة بمصالح مصر ، وهى لذلك لن تسمح — مهما تبدلت الأحوال — بهذا الاعتداء • ولعل أقرب الأمثلة على ذلك ما حدث فى حرب فلسطين ، عندما حاول اليهود الاعتداء على حدود شرق الأردن فى العقبة ، وقد حالت بريطانيا دون هذه المحاولة » •

وبهذا يدافع صدقى باشا عن سياسة الأحلاف ، ويطالب بالاعتماد على الحماية الأجنبية فى الدفاع عن البلاد ، لا على القوة الذاتية ، والترابط العربى •

وقد تتابع ارتفاع الأصوات التى تدعو الى ابتعاد المصريين عن قضايا العرب ، وعدم الثقة فيهم فنشرت مجلة (المصور) حديثا لأحمد لطفى السيد فى عدد ٥ مايو سنة ١٩٥٠ تعرض فيه لعلاقة مصر بالعالم العربى والقومية العربية ، ذكر فيه أنه طالما ألح فى تأييد « مصرية المصريين » ثم قال

« نحن المصريين يجب أن تمسك بمصريتنا ولا نتسب الى وطن غير مصر ، مهما كانت أصولنا حجازية أو سورية أو شركسية أو غيرها ، ويجب أن نحافظ على قوميتنا ، ونكرم أنفسنا ووطننا ، ولا نتسب الى وطن آخر ، ونخصه بكل خيرنا وكل منافعنا ، ونحيطه بكل غيرتنا » .

ونشرت مجلة (المصور) مقالا للدكتور حسين مؤنس في عدد ٤ يناير سنة ١٩٥١ بعنوان (وحدنا) انتقد فيها اندفاع الشعب المصرى نحو مساندة الشعوب العربية ، بينما هى تتخلى عنا وتتركنا وحدنا عندما تكون المعركة معركتنا . وطالب بالابتعاد عن قضايا العرب واتباع الطريق الذى فيه مصلحتنا فقط ، حتى لا تثير الدول الكبرى علينا .

وقد علق رئيس التحرير فكرى أباطه على ذلك المقال بقوله :

« نشرنا للزميل هذا رأى عملا بحرية الرأى وحرية النشر ، ولكننا لا نوافقه على وجهة نظره . فالحكاية هى نضال بين الاستعمار والحرية ، ومصر يجب أن تناضل الاستعمار أيا كان » . كما رد الزعيم المغربى علال الفاسى على مقال حسين مؤنس فى عدد ١١ يناير تحت عنوان « كلا لستم وحدكم » أشار فيه الى تضامن الشعوب العربية مع أشقائها فى مصر فى معركة التحرير .

أما صدقى باشا فقد تمادى فى دعوته ، حتى طالب صراحة بالتعاون مع الصهيونيين ، ووصفهم بأنهم « أنفع لمصر وأقرب عاطفة من العرب » وذكر أن اسرائيل من الصغر بحيث لا تشكل خطرا على مصر وأنه « آن الألوان لأن يشرع العرب واليهود فى محادثات لعقد اتفاقية الصلح » وطالب علنا باجراء صلح رسمى مع اسرائيل فى أوائل سنة ١٩٥٢ (٢٩) .

وهكذا ظل الشعور القومى فى مصر مضطربا تزعزعه الأزمات ، وتعبث به المطامع والأهواء ، حتى قامت الدعوة الناصرية لاهياء الحركة القومية ، فأعادت اليه صلابته ، وأرست قواعده على أسس ثابتة لا تزيد الأزمات الا صمودا .

الفصل الثالث

حالة الدعوة القومية في البلاد العربية الأخرى قبل الزعامة الناصرية

إذا كان عهد العرب بالفكرة القومية ، يرجع الى الماضى السحيق ، كما يرجع تبلورها الحقيقى ، الى ما بعد ظهور الاسلام ، فان الدعوة القومية بمعناها الحديث ، أى الأخذ بمبدأ القوميات يرجع الى أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، عقب انتشار هذا المبدأ فى أوروبا ثم تركيا .

وقد مرت هذه الدعوة منذ ظهورها هذا بالمراحل الخمس الآتية :

- ١ - مرحلة الدعوة الى اصلاح ما أفسدته الأنظمة الادارية فى الدولة العثمانية .
 - ٢ - مرحلة الدعوة الى اللامركزية الادارية فى ظل الحكم العثمانى .
 - ٣ - مرحلة الثورة العربية الكبرى لتحرير المشرق العربى من الحكم العثمانى ، وتوحيد أوطانه .
 - ٤ - مرحلة مكافحة الاستعمار والاحتلال الأوروبى لأجزاء الوطن ، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .
 - ٥ - مرحلة الدعوة الناصرية ، التى تتسم بالوعى والتحرر والشمول .
- ولقد اتسمت الدعوة القومية ، قبل قيام هذه المرحلة بعدة خصائص ، كانت السبب فيما آلت اليه من التخاذل والتفكك والاستقطاب .
- ويمكن تلخيص هذه الخصائص فى النقاط الآتية ، التى تبدو متشابهة ومتشابهة ، لأنها كانت فى الواقع وجوها عديدة لظاهرة واحدة .

١ — أنها كانت تعتمد على الاثارة العاطفية أكثر من اعتمادها على البررات العلمية المقنعة :

وذلك أن أكثر ما كان يعتمد عليه المروجون لها ، هو تذكرة العرب بماضيهم العظيم وانتصاراتهم الباهرة ، ودعوتهم الى استعادة أمجادهم الغابرة ، الى غير ذلك من الشعارات البراقة ، التي تخلق الأبصار ، وقلبا تنفذ الى البصائر •

وفات أولئك الدعاة أن التاريخ لا يعيد نفسه ، وأن القومية العربية التي يراد احياؤها لن تعود بوجهها القديم ، وأن الوحدة التي يراد تحقيقها لن تكون الا خلقا جديدا : لا محاولة لاستعادة ذكريات بالية ، أو احياء كيان قديم • وفي ذلك يقول الدكتور عبد العزيز الأهواني « ليس أخطر على فكرة الوحدة من أن يتصور أن في وحدة مصر والسودان إعادة لما حدث في أيام محمد علي ، ومن بعده ، وأن الوحدة بين مصر وسوريا هي إعادة لاجتماعهما تحت ظل الفاطميين أو الأيوبيين والمماليك • وأن وحدة المغرب الكبير هي ارجاع لعهد الدولة الموحدية • ومن الخطأ أيضا أن يتصور أن الوحدة العربية ، انما تقوم لتؤدي في العالم نفس الدور الحضارى الذى أدته الثقافة العربية في العصر الوسيط ، فان لكل عصر رسالة ولكل مجموعة من البشر دور في العالم يختلف من جيل الى جيل (٣٠) •

واذا كان الأسلوب العاطفى التقليدى ، الذى ركز عليه دعاة القومية العربية فيما مضى مدعاة لايقاظ الهمم ، والمشاعر واجتذاب حماس الجماهير ، فانه لم يعد كافيا لاقتناعها بالسير في ركابها في هذه الأيام •

وقد كان من أبرز عيوب ذلك الأسلوب العاطفى ، أنه بتغنيه بأمجاد العرب ، وعراقة أصولهم ، ونبيل صفاتهم وتفوقهم على من عداهم من الأجناس ، يستفز عصبية بعض الطوائف والأقليات التي تعيش بين ظهرانيهم ، وتجمعها بهم تلك الروابط ذات المفهوم الثقافى والمصالح المشتركة ، لا روابط النقاء الجنى الخالص ، فتسبى الظن بهذه الدعوة ، التي تكتسب في نظرها الطابع العنصرى •

ويعتقد أولئك الدعاة ، أن ميل الشعور القومى الى الوحدة يصدر عن عاطفة قوية عميقة لا تستلزم أن يكون وراءها مبررات ما أو هدف معين •

ومع الاعتراف بأهمية الدور الذى أدته الاثارة العاطفية فى نشوء القوميات ، فى مختلف العصور ، إلا أن التفكير الواقعى نفسه ، يحتم فى الظروف الحاضرة للوطن العربى ، ألا يركز فى هذه الدعوة على العاطفة ، بحيث تستأثر بالنصيب الأكبر منها ، بل يجب أن يستأثر أسلوب الاقناع العقلى ، القائم على فكرة المصلحة المشتركة ، بهذا القدر الأكبر من النصيب •

وليس معنى هذا أن الدعوة الى القومية العربية ، تتطلب تجاهل التركيز بأمجاد العرب ، طالما أريد به اشاعة العزة القومية ، واهياء النفوس اليائسة التى غلبتها آلام الحاضر ، وليس الهاء الشعب عن حقائق حاضرة ، كما يجب أن يكون الأسلوب العاطفى ، مجرد أسلوب مكمل ومساعد فى هذه الدعوة (٣١) •

وأصدق مثل على عواقب الاعتماد فى الدعوة القومية على مجرد اثارة العواطف ، ما حدث عندما انفجر الشعور القومى فى مصر ، وبلغ ذروته عندما تقدم الجيش المصرى نحو الحدود الفلسطينية فى سنة ١٩٤٨ ، ثم اذا به ينهار فجأة ، ازاء المؤامرات التى تعرض لها ، والصدمات التى واجهته •

٢ - أنها كانت دعوة سياسية جامدة ، خالية من أى مضمون اجتماعى :

وذلك لأنها استهدفت تحقيق الاستقلال الشكلى الذى يعنى مجرد اخراج الحاكم الأجنبى ، ليحل محله حاكم عربى •

ولم تعتبر أن الاستقلال الصحيح ، يعنى زوال السيطرة الأجنبية على مقدرات البلاد وثرواته ، أيما كانت صورها وأساليبها ، لأن الاستعمار عندما يضطر الى تغيير أسلوبه السافر ، يخفى وراء العناصر الرجعية المحلية ، التى تقبل ذلك الوضع ، للمحافظة على مكاناتها ، ومضاعفة مكاسبها •

ولذلك تكون هذه العناصر عادة هي المنتفعة الوحيدة من الاستقلال ،
وتظل جموع الشعب فريسة للاستغلال والاستنزاف ، والعبودية •

وقد فضح الميثاق هذا التحالف بين الرجعية والاستعمار ، بقوله :

« ان الاستعمار الآن غير مكانه ، ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، وكان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف داخل قصور الرجعية •
ان الاستعمار نفسه دون أن يدري ساهم في تقريب يوم الثورة الاجتماعية ،
وذلك حين توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة ، يوجهها ويحركها » •

ويعنى ذلك أن الاستقلال الفعلى ، لا يقوم فى الحقيقة الا على دعائتين
متشابكتين ، تقوم احدهما على أنقراض الاستعمار ، والاخرى على أنقراض
الرجعية ، ولا يمكن أن يقوم على احدى هاتين الدعائتين فقط •

ولذلك لا يمكن للثورة الوطنية (وهى روح الدعوة القومية) أن
تحقق ثمرتها المرجوة ، ما لم تقترن بالثورة الاجتماعية •

ولم يكن من المعقول أن يسلك دعاة الثورة الوطنية العربية هذا
السبيل ، وقد أصبحوا وحدهم المستفيدين من الاستقلال الشكلى ، وورثة
الاستعمار وظله •

ولذلك ظلت أهداف الدعوة العربية تكاد تقتصر على الميدان الخارجى ،
فى مواجهة الاستعمار ، طالما كان فى هذه المواجهة ما يكفل لزعمائها مزيدا
من المكاسب ، أى كانت أشبه بمحاولات التقامر أو المساومة ، وصرفت
نفسها — أو كادت — عن الميدان الداخلى ، الذى يستهدف رفع مستوى
الشعوب العربية ، وتحريرها من براثن الظلم والاستغلال ، ولذلك ظلت
تحمل طابع الرجعية والجمود ، ومقاومة التجديد والتقدم ، والعدالة
الاجتماعية (٣٣) •

وقد ارتبطت معظم الدعوات القومية التى نشأت بأوربا فى القرن
الثامن عشر ، بأفكار اجتماعية معينة ، عبر عنه بالمضمون أو المحتوى
الاجتماعى للقومية • وكان ذلك المضمون هو معيار التفرقة بين الدعوات

القومية التي تعبر عن وتطلعات جماهيرية حقيقية ، وبين الدعوات التي استغلت شعار القومية ، لتضليل الجماهير ، واستغلالها •

ولا تجد الدعوات القومية الخالية من هذا المضمون غالبا ، استجابة طويلة المدى بين الجماهير عندما يكتمل وعيها ، وتنكشف لها الحقائق ، وتجد أنها استبدلت سيذا بسيد ، واستغلالا باستغلال •

ولذلك فقد أصبحت الدعوات القومية الحديثة ، لا تقتصر على طلب الاستقلال السياسى والوحدة السياسية ، بل تتجاوز ذلك الى المطالبة بتهيئة حياة اجتماعية أفضل ، تتشثل فى المجتمع الاشتراكى ، أى المجتمع الذى يستهدف تحقيق الديمقراطية السياسية ، والديمقراطية الاجتماعية معا •

وبذلك تصبح الدعوة القومية (وما تستهدفه من تحقيق الوحدة السياسية) والدعوة الاشتراكية (وما تستهدفه من تحقيق مجتمع الكفاية والعدل والتقدم) وجهين لدعوة واحدة (٣٣) •

ولقد أحيط تلك الحقيقة منذ بداية نشوء الدعوة القومية العربية بضباب الجهل ، ولم يكن قد اكتمل الوعى الشعبى الذى يحسن تقديرها ، ويستطيع أن ينفذ بصيرته اليها • واذا استطاع ذلك فانه لا يجرؤ على الجهر بها • وذلك لأن المواطن العربى حين هب يطرد الغزاة من أرضه تحت راية السادة والأشراف ، كان شديد الاعتزاز بمجتمعه ، قوى الايمان بمثلها الخاصة التى كان يعتقد أنها تكفل له من أسباب التقدم والسعادة ، مالا تحققه له المثل الاجتماعية ، لمجتمع أولئك الغزاة • ولذلك كان جهاده فى تلك المرحلة ، ينطوى على فكرة المحافظة على ما هو قائم من أوضاع اجتماعية وثقافية ، باعتبار أنها الأوضاع الصحيحة السليمة ، والتى ينبغى التمسك بها ، ومقاومة كل تبديل يراد بها •

أما اليوم فان المواطن العربى وقد اكتمل وعيه ، ونضجت بصيرته ، وحنكته التجارب ، وأيقظته الخيانات والصدمات ، فقد أصبح يؤمن بأن المجتمع الذى يعيش فيه مجتمع متخلف ، وأن هذا التخلف يرجع — الى جانب الأسباب الخارجية — الى أسباب داخلية اقتصادية واجتماعية وثقافية تتمثل فى نقص الموارد ، وسوء توزيع الثروات ، وفساد الحكم ، والتأخر العقلى ، فأخذ يتطلع الى تغيير تلك الأوضاع والثورة عليها •

وبعد أن كان جهاده ضد الاستعمار القديم ينطوى على معنى المحافظة، أصبح جهاده ينطوى الآن على معنى الثورة الاجتماعية ، وأصبح الاستعمار في نظره عاملا لتثبيت الأوضاع القديمة ، بعد أن كان يتصوره عاملا من عوامل هدمها (٣٤) •

٣ - أنها كانت دعوة تعتمد في نضالها على السادة لا على الجماهير :

وذلك لأن الاشتغال بها كان مقصورا على طبقة معينة من المفكرين والساسة ، الذين ينتسبون الى الأسر الكبيرة ، التي تستمد نفوذها وقوتها من العصبية القبلية والاقطاعية وانطوائية التي تمثلها •

وكان ذلك الوضع وليد الظروف السياسية والاجتماعية والدينية، التي انبثقت فيها الحركة القومية في العصر العثماني ، عندما كانت مجالات التعليم محدودة ، وكان النصيب الأوفر فيها للأثرياء ، وأبناء البيوتات الكبرى ، وأصحاب الوجاهات التقليدية •

وظلت تلك الطبقة تحتكر الحكم ، والصراع الحزبي بعد الاستقلال ، مثلما كانت تحتكر الدعوة الى التمرد على التسلط العثماني ، ومظالمه قبل ذلك • وبذلك انقطعت علاقة الشعب — أو كادت — بالحركة القومية ، وأحس أنها ليست حركته وأنه مجرد وقود لها ، وليس له رأى فيما يساق اليه ، أو يستغل لتحقيقه •

وكانت تلك الطبقة تمزج بين النضال الوطني ، والكسب الشخصي ، ولا تفرق بين ولاء أنصارهم في الجهاد لهم ، وخضوع عبيدهم وأتباعهم (٣٥) •

واعتبر أولئك الساسة والمجاهدون المحترفون (المتميزون بأصولهم ، وأدوارهم في الحركة القومية) المناصب الحكومية التي توصلوا اليها في عهد الاستقلال ، مجالا للنفع الذاتي ، فملؤوا اداراتها بالأقارب والأصدقاء (٣٦) • ولم يشركوا الغالبية العظمى من أفراد الشعب ، في أى مظهر حيوى من مظاهر نشاطهم السياسى ، الا بالقدر الضرورى الذى يكفل تخديرهم والهائم بالفتات • وحتى هذا القدر كاد أن يكون مقصورا على الوصوليين والذين يقبلون التنصل من انتمائهم الطبقي •

٤ - أنها كانت تفتقر الى الزعامة الواعية المخلصة :

أدى احتكار أبناء الطبقات المتميزة للحركة القومية ، واقتصار عضوية مؤسساتها من جمعيات ومنتديات وأحزاب عليهم فقط ، الى اقتصار زعامات تلك الحركة عليهم .

ولما كان أولئك الزعماء يستمدون قوتهم ونفوذهم من مراكزهم القبلية والاقطاعية والطائفية ، فقد كان ذلك كفيلا بأن يجعلهم ملتزمين بخدمة مصالح الجماعات والطبقات التي كانوا ينتمون اليها ، كما ترتب على ذلك عجزهم عن أن يبسطوا زعامتهم على الجماعات والطبقات الأخرى التي لم ينجحوا في القضاء على نفوذها ، أو محالفتها على أساس من المساومة في اقتسام المكائات والمكاسب . وكان ذلك كفيلا بطبيعة الحال بأن يضفي على الزعامات التي ظهرت - مهما اتسع نفوذها - صفة الاقليمية أو الطائفية ، ويحرمها من صفة الشمول .

ولم تكن إحدى تلك الزعامات تطمح في أن تحظى بولاء الشعوب خارج أوطانها ، ورضائها بتحقيق حلم الوحدة تحت رايتها ، الا بالالتجاء الى المؤامرات ، والاستناد الى الحراب الأجنبية .

كما كانت بطبيعتها تنفر من أية دعوة للوحدة ، تهدد بالقضاء على مراكزها ، وسحب ولاء شعوبها لها .

أما هذه الشعوب ، فكانت لا تملك الا أن تقبل الزعامات التي تفرض نفسها على خصومها ، وتخرج من حلبة الصراع الحزبي والعائلي ، فائزة بمقاليد السلطة . وكانت تلك الزعامات بدورها لا تشعر بأن هنالك فضلا يذكر للجماهير في اختيارها ، أو تثبيت سلطانها .

٥ - انها كانت ضعيفة الثقة في نفسها ، فسقطت في حبال التبعية :

فكما اعتمدت بعض الحركات العربية الأولى ، على التشجيع البريطاني والفرنسي وقامت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ اعتمادا على تشجيع البريطانيين ومساعدتهم ، فقد ظل زعماء تلك الحركة يعتمدون على ذلك التشجيع ، وتلك المساعدة ، في المرحلة التالية . فقامت مملكة العراق ، وامارة شرق الأردن على تلك الدعائم .

كما قامت عليها أيضا كثير من دعوات الوحدة ، ومشروعات الأحلاف فيما بعد .

وكان مرجع الاعتماد على القوى الأجنبية ، هو افتقار قادة الحركة القومية العربية الى الثقة في أنفسهم ، وفي ولاء شعوبهم لهم .

ولقد كان الانجليز هم أنفسهم الذين اختاروا زعامة الثورة العربية ، ومدوها بكل تأييد مادي وأدبي ، فاختاروا الملك حسين بن علي للزعامة الروحية والسياسية ، واختاروا ابنه فيصل للزعامة العسكرية .

وقد استندت دعوات الوحدة في عهود الاحتلال الأوروبي ، الى تأييد سلطات ذلك الاحتلال ، على اعتبار أن ما يحققه الحكام العرب الخاضعون لتلك السلطات من توسيع في (المستلكات) والنفوذ ، تستفيد منه تلك السلطات في النهاية .

وقد أيد بعض الساسة الفرنسيين حيناً من الدهر تلك الدعوة التي ارتفعت في سوريا ، مطالبة بالاتحاد مع العراق ، عندما وجدوا في ذلك ما يحقق بسط النفوذ الفرنسي الى ذلك القطر (٣٨) .

وبينما بادرت بريطانيا الى افساد المشروع ، لوقف امتداد النفوذ الفرنسي الى منطقة نفوذها ، اذا بها تؤيد بعد ذلك المشروعات الوحدوية الأخرى ، التي كان يراد أن تخضع لنفوذها ، مثل مشروع سوريا الكبرى (الذي يستهدف توحيد سوريا وشرق الأردن) ومشروع الهلال الخصيب (الذي يستهدف توحيد العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن) .

وحتى جامعة الدول العربية ، لم تبدأ محاولات تشكيلها الا بعد أن أعلنت الحكومة البريطانية ترحيبها بقياسها ، وكانت تطمع من ذلك في اتخاذها أداة لفرض سيطرتها على الدول العربية ، والانفراد بالنفوذ في الحرب العالمية الثانية ، وصدر ذلك الترحيب من وزير خارجية بريطانيا في تصريحه الذي أعلنه في ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ وقال « ان العالم العربي قد خطا خطوات عظيمة في طريق الرقي ، وهو يطمع الآن في تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالماً متماسكاً ويرجو أن تساعد بريطانيا العظمى

في بلوغ هذا الهدف • ويسرني أن أعلن باسم حكومة صاحب الجلالة عن ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة ، وعن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالما تتوفر لديها الأدلة على تأييد الرأي العام العربى لها •

ثم أكدت بريطانيا هذا الاتجاه الجديد بتصريحين آخرين في سنة ١٩٤٢
ثم سنة ١٩٤٣ • واستجابة لتلك الرغبة بدأت المشاورات التى انتهت بإعلان ميثاق الدول العربية في سنة ١٩٤٥ (٣٩) •

وكانت موافقة بعض الزعماء العرب على الانضمام الى حلف بغداد في سنة ١٩٥٥ ثم قبول مشروع أيزنهاور سنة ١٩٥٧ مظهرا صارخا من مظاهر الاستسلام للنفوذ الأجنبى في المنطقة والاعتقاد بأنه لا يمكن للعرب أن ينعموا بالسلام ، ما لم يستظلوا بالحماية الأجنبية •

ومن المشروعات الوحدوية الأخرى ، التى كانت تستند الى التأييد الأجنبى وتقوم على الارتباط بأحلافه ، مشروع « وحدة المغرب » ، و « حلف شمال أفريقيا » و « حلف البحر الأبيض المتوسط » (٤٠) وكانت تلك الأحلاف ، والمشروعات الوحدوية الضيقة تعد في الحقيقة من وسائل تفتيت الدعوة الى الوحدة العربية العامة ، وتقسيمها الى كيانات مفككة •

٦ - انها كانت دعوة محدودة ، لا تتسم بالشمول :

كان نشاط القائمين بالدعوة القومية الأولى ، يقتصر من الوجهة العملية على المشرق العربى ، وهو ذلك الجناح من الوطن العربى ، الذى كان يعاني وطأة المظالم العثمانية ولذلك لم تشمل تلك الدعوى الدول العربية الافريقية - وفي مقدمتها مصر - التى لم تكن بدورها تتعاطف جديا مع تلك الحركة ، للأسباب التى ذكرناها من قبل •

وقد حدث عندما عقد المؤتمر العربى الأول في مارس سنة ١٩١٣ أن تساءل الطالب المصرى السيد كامل الذى كان يدرس الحقوق هناك ، « ان كان للمصرى أن يشترك في مناقشات المؤتمر ؟ » •

فأجاب الرئيس « نحن نحترم اخواننا المصريين ، ونحترم آراءهم • ولهذا المناسبة أعذر لأنى لم أجد فرصة قبل الآن لتحية الأمة المصرية ،

ولأن تحيى اخواننا المصريين ونبدى حرمتنا لآراءهم • ونعرف أن مصر عربية عثمانية ، ولكن بما أنها ادارة خاصة لا ينفذ فيها رأى العثمانيين ، وكذلك البلاد العثمانية ادارة لا ينفذ فيها رأى المصريين ، لذلك أرجو أن يكون هذا عذرا لبقاء مناقشة الشئون العثمانية الداخلية ، منحصرة فيمن لآرائهم تأثير على أحوالهم » (٤١) •

ومعنى ذلك أنه يعترف بعروبة مصر ، ولكنه لا يجد ضرورة لاشراك المصريين فى الحركة العربية لأنها كانت فى تلك المرحلة ، مجرد اقتفاضة ، فى مواجهة المظالم العثمانية ، ومقصورة على الخاضعين للحكم العثمانى ، وكان من آثار ذلك أن مفهوم الوطن العربى ، فى عرف الجمعيات القومية العربية ، كان ينحصر فى المنطقة التى تمتد « من دجلة والفرات الى برزخ السويس ، ومن البحر المتوسط الى بحر عمان » •

وقد حرص الملك الحسين الأول ألا يتطرق فى مباحثاته الأولى (١٩١٥ — ١٩١٦) الى ذكر مصر ، ورفض أن يعين مصرىا — وهو عزيز المصرى باشا — قائدا لجيش الثورة ثم أقصاه بعد أن عين رغما عنه •

وقد أسقط الهاشميون مصر من حسابهم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وأيد ذلك الاتجاه موقف مصر ذاتها ، وشعوب المغرب العربى ، حتى كانت لا تتفق مصالحها السياسية وظروف نضالها مع مصالح وظروف شعوب المشرق العربى •

وكان من مظاهر الطابع المحدود للدعوة القومية ، فى ظل الزعامة الهاشمية ، أن أخرج فيصل أثناء امارته ثم توليه ملك سوريا (١٩١٩ — ١٩٢٠) موضوعى فلسطين ولبنان من القضية العربية العامة خلال مباحثاته مع ممثلى بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية فى لندن وباريس •

والواقع أن الهاشميين كانوا يخشون ان امتدت الدعوة القومية الى مصر ، أن تستأثر دونهم بزعامتها ، كما كانوا يفضلون الانكماش بدعوتهم فى النطاق الذى يكفل لهم الملك ، ويجنبهم فقد الحماية الأجنبية •

ولذلك أستهدف مشروعا « سوريا الكبرى » و « الهلال الخصيب »
حصر نطاق القضية القومية في هذين الاتحادين ، اللذين كانا مظهرًا من
مظاهر الاقليمية الجديدة ، أكثر منها مظهرًا من مظاهر الوحدة •

وكان طرح مشروع (سوريا الكبرى) الذى تبني الدعوة اليه الأمير
عبد الله (أمير شرق الأردن) عند بدء التشاور لإنشاء جامعة الدول العربية،
دليلاً على ذلك الاتجاه الاقليمى المتوقع الذى يخشى ضياع النفوذ الهاشمى،
فى ضم مشروعات الوحدة الموسعة ، وتسفر تلك الحقيقة عن نفسها فى البرقية
التي بعث بها ذلك الأمير فى ٢٤ يونية سنة ١٩٤١ الى نوري السعيد رئيس
وزراء العراق ، وقال فيها « ان مسألة ايجاد وحدة عربية أو اتحاد عربى
مسألة موهومة خطيرة ولذلك فمن واجب بغداد وعمان السعى للسير
على سياسة هاشمية موحدة ، مع صرف المساعى للقضاء على من يريد
اخراج القضية العربية من مبادئ النهضة الأولى فى القطر السورى ،
الذى قام به تفاهم سعودى مصرى لبنانى خطير ، وبذل الهمة لاجياء أنصار
الثورة مرة أخرى بهذه الديار ، واعادة الدعوة الهاشمية » (٤٣) •

وهو بذلك لم يعترض على مبدأ الوحدة ، الذى أرادته بريطانيا ،
لتنفيذ سياستها فى المنطقة ولكنه خشى من اتساع نطاقها ، الأمر الذى يهدد
بفقد البيت الهاشمى لزعامته المفروضة •

وقد اتخذت محاولات عزل مصر عن تيار الحركة القومية ، سبيلين
متلازمين :

أولهما : تشجيع الدعوة الاقليمية فى مصر ، وتآليب رأى العام المصرى
على الدعوة القومية ، عن طريق المؤتمرات ، والتصرفات الاستفزازية ، من
بعض العناصر العربية المعرضة ، التى كانت تريد أن تشوه له تلك الدعوة ،
وتنفره فيها •

ثانيا : تخويف الحكام العرب ، والشعوب العربية ، من اشتراك مصر
فى الحركة القومية ، واتهامها بالرغبة فى التسلط على العالم العربى ، طمعاً
فى ثرواته ، وبحثاً عن مجال حيوى لتزايد سكانها •

الفصل الرابع

خصائص المرحلة الناصرية للحركة القومية العربية

أشار رئيسنا الراحل في (فلسفة الثورة) التي أعلنها سنة ١٩٥٣ الى رسالة مصر ، ومسئوليتها ازاء العالم العربى ، عندما تساءل :

« أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها أمتزج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها ، حقيقة وفعلا ، وليس مجرد كلام ؟ »

وبعد أن حدد دور مصر في هذه الدائرة ، والدائرتين الافريقية والاسلامية ، قال : « وما من شك في أن الدائرة العربية هي أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا . »

فلقد أمتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاه ، كانوا معنا تحت نفس السنابك » .

ومن ذلك يبرز مدى ميله الى الفكرة العربية ، وترجيحه رابطتها ، على الرابطتين الافريقية والاسلامية ، وان لم يغفل أمرهما تماما ، كما أثبتت ذلك أقواله وأفعاله ، وما نص عليه (الميثاق) فيما بعد .

وكان دور عبد الناصر في احياء القومية ذا اتجاهين : يتمثل أولهما في تأكيد انتماء الشعب المصرى للأمة العربية ، ويتمثل الثانى فى احياء تلك الحركة بصفة عامة ، وتحديد ملامحها ، وتوسيع نطاقها ، وربطها بالثورة الاجتماعية ، واعادة الثقة بها الى نفوس العرب .

والذى لا شك فيه - كما ذكرنا - أن عبد الناصر لم يجعل من المصريين عربا دون أن يكونوا كذلك ، وإنما يرجع اليه الفضل في تدارك الدعوة القومية في مصر ، وإعادة حيويتها اليها ، بعد أن تخاذل دعاؤها ، فانزوت مؤقتا - أو كادت - بين ذكريات التاريخ ، وعادت نعمة الانعزال ترتفع من جديد ، وتحتل التفكير المصرى ، وتسيطر على تصرفاته (٤٥) .

وفي ذلك يقول الصحفى الهندى المعروف (كارانجيا) « ان جمال عبد الناصر هو الذى أعاد مصر الى ركب العروبة ، بعد أن حاول المستعمرون إبعادها عنه ، والدعوة بأن مصر لا شأن لها ولا مصلحة في العمل للقضايا العربية . وبهذه الحركة الجديدة الحاسمة جعل مصر على رأس الحركة العربية التحررية ، فنادى باستقلال العرب جميعا ، وتوحيدهم صفا واحدا لا يريد من وراء هذا جزاء ولا شكورا ، ولا ملكا ولا زعامة » (٤٦) .

وقد كرر الرئيس الراحل دعوته الى تحل مصر مسئولياتها العربية ، في المؤتمر العربى الاسلامى الذى عقد بالقاهرة في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٣ حيث قل :

« ائنى لأشهد الله على أن مصر التى طالما انبعث منها صوت الحق والحرية والتى طالما امتشقت حسامها للدفاع عن العروبة والاسلام ، لتقطع على نفسها عهدا - كما جاء في ميثاق هبة التحرير - أنها ما قامت الا لتحرير مصر والسودان ، ودعم اتصالاتها مع الشعوب العربية ، لتحقيق التعاون الفعال بينها في شتى الميادين ، وتعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها المشتركة .

أيها الأحرار في كل دولة عربية .

أيها الأحرار في كل شعب عربى .

أيها الأحرار في كل مكان .

صابروا وجاهدوا في الله حق جهاده ، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة » (٤٧) .

وعبر الرئيس عن سياسة الثورة ازاء ائوحدفة العربفة فف خطابه الذى ألقاه على الجماهر فى العفء الثانف لقفام الثورة (٢٣ فوفف سنة ١٩٥٤) فقال :

« كل فرد فى البلاد العربفة ، مصرفا كان أو سؤءاففا أو لبناففا أو حجازفا أو عراقفا أو ارءنفا أو فسففا أو لفبفا أو كوفففا ، فؤمن افمانا قاطعا بأن الوءءة الءقبقفة بفن البلاد العربفة هى السبفل الوءفء لءءقق امانفهم وآمالهم ، وءرف الأخطار عنهم » .

والواقف أنه وان كانت الءءوة العربفة فى مصر لفست ءءوة مءءلفة أو مفعلفة ، فافه لا فسكن انكار فضل الرفس جمال عبء الناصر فى لءفائفها وعرس مباءفها فى النفوس ، عن اقءناع وافمان . وففى ذلك فقول الءكتور أنفس صافف فى كتابه (الفكرة العربفة فى مصر) « افنا نعبفر رءل الثورة فى مصر من عوامل قبول مصر بالفكرة العربفة ، وءءنفءفا لءءمة هذه الفكرة ونشرها ، وءءقق غافافها ، ولكنا لا نعالى اذا قلنا أن الفضل الأكبر فى ذلك فرفع الى شءص واءء هو الرفس جمال عبء الناصر » .

وكان مما عزز ذلك الاتءاف العربف ، وأكء ضرورة السفر ففه عن وعف واصرار ، تلك النواف العءوانفة والءوسعة ، التى كشفء عنها الهءمات الاسرائلفة الفاءرة المءلاءقة ، التى شئفها على قءاع غزة ، وءءوء مصر الشرففة منذ أواخر فبرافر سنة ١٩٥٥ ، واستشهد ففها أكثر من مائة مصرف وفلسطفنف .

وقء أثبءت تلك الهءمات التى اسءهلففء ءءوفف العرب جمفعا ، وءملهم على اللوء بالأءلاف الأجنبية ، والاحءماء بها ، والاستسلام لمطامع اسرائفل ، أن ءءذفر من تلك الءولة الفاصبة ومطامعها ، وءءوة العرب الى ءءضامن للصموء فى وءفها ، لم فكن مجرد شعارات ءوفاء .

ولم يكن من الغريب أن تعاصر تلك الحملات العدوانية ، توقيع الحلف التركي العراقي الذي أطلق عليه (حلف بغداد) ونص في مقدمته على أن من أهدافه «المحافظة على الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط» ولا شك أن الإبقاء على السلام في المنطقة ، يعنى المحافظة على الأوضاع التى قامت فيها ، ومن ذلك التسليم بوضع إسرائيل ، وعدم منازعتها فيه .

وقد صار من الواضح بعد توقيع ذلك الحلف أن الاستعمار لم يعد يحاربنا من قواعده في بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو غيرها ، بل من قواعده في العالم العربى نفسه . الأمر الذى يتطلب مزيدا من الاهتمام بالقضايا العربية ، وتبصرة العرب بتلك الأخطار ، للعمل على الصمود في مواجهتها ، وتكتيل جهودهم حتى يستمدوا قواهم من امكانياتهم الذاتية ووحدهم ، وليس من الأحلاف الأجنبية ، التى لا تمنحهم من الحماية ، الا بالقدر الذى تنتفضه من استقلالهم .

وكان مما ساعد أيضا عن مضاعفة الخطوات في مسيرة مصر ، في هذا الاتجاه العربى فجاح الثورة المصرية في تنفيذ أهدافها الداخلية ، بالتخلص من الملكية والحزبية ، وتصفية الاقطاع ، وتطهير الأداة الحكومية ، وتقوية الجيش . وارساء قواعد العهد الجديد على أسس قوية ثابتة (٤٨) .

وقد اكتسب هذا الاتجاه صفته الرسمية ، عندما أعلن الدستور المصرى الجديد في ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ ونص في مقدمته على « أن شعب مصر يشعر بوجوده متفاعلا في الكيان العربى الكبير ، ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك ، لنصرة الأمة العربية ومجدها » .

كما نصت المادة الأولى من ذلك الدستور على « أن مصر دولة عربية » و « أن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » .

وأكد ذلك الاتجاه أيضا فيما بعد ما نص عليه (الميثاق) من أن شعبنا شعب عربى ، ومصيره يرتبط بوحدة مصير الأمة العربية .

وكانت تلك بداية مرحلة جديدة ، في مسيرة الدعوة القومية العربية ،
وهي المرحلة التي آلت فيها قيادة تلك الدعوة ، الى زعيمنا الراحل •

وكان من أعظم ما اتسمت به الدعوة العربية في تلك المرحلة ، تجنبها
الأخطاء التي تردت فيها ، في المراحل السابقة ، فاكتملت بذلك خصائص
جديدة ، سنحاول ايضاحها في النقاط الآتية :

١ - أنها أصبحت دعوة تقوم على أسس ومبررات مقنعة ، لا على مجرد
الاثارة العاطفية :

لم يغفل قائدنا أهمية الشعور العاطفي ، كدافع لبث الحركة القومية ،
واثارة حماس الجماهير لها • ولكنه كان يؤمن في الوقت نفسه ، بأن هذا
الشعور ليس كافيا وحده لارساء قواعد ثابتة للعمل القومي ، يمكن
أن تصمد في مواجهة الأزمات •

وقد أشار الى هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في ميدان الجمهورية
بالقاهرة في ٢١ فبراير سنة ١٩٥٩ وقال فيه :

« ان القومية العربية ليست فقط حركة سياسية ، انما هي أيضا فلسفة
اجتماعية • انها نداء عاطفي ، وهي مصلحة مشتركة ، وهي ضرورة
استراتيجية ، ولكنها قبل هذا كله فلسفة اجتماعية ، وكما هي شعارات ،
لا بد أن تكون أيضا تخطيطا اجتماعيا ، وكما هي جموع وحشود ، لا بد
أن تكون قضية اقتصادية كاملة ، وكما هي طاقة حماس ، لا بد أن تكون
أيضا جهدا وعرقا • وكما هي حلم لا بد أن تترجم الى مستوى معيشة لائق
لجميع العرب • تلك هي الغاية الحقيقية للقومية العربية ، وذلك أنه لا كرامة
لجائع ، ولا قوة لمريض ، ولا طمأنينة لمن لا بيت له ولا مقاومة ولا صمود ،
لمن لا يطمئن الى غده ، ولمن لا يشعر أن حوله مجتمعا يكفله ويرعاه
لا يسلبه حقه ، ولا يستغله ، ومن ثم لا يهدد حرته » •

وكان الرئيس الراحل يركز أمحاديثه وخطبه وتصريحاته دائما على
مقومات الوحدة العربية وعناصرها ، لا على مظهرها البراق وبريقها الخلاب •
ومن ذلك ما قاله في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الجمهوري الأول للاتحاد
القومي في ١٠ يولية سنة ١٩٦٠ وهو :

« انه ليشرفنا أيها المواطنون أن نكون دعاة وحدة عربية شاملة ، تستمد مقومات وجودها من الطبيعة ذاتها ، ولسنا في حاجة الى أن نعد الأسانيد والحجج التي تجعل من هذه الوحدة غاية لا بد أن يصل اليها كفاحنا من أجل القوة ، وانما يعنينا أن تؤكد حقيقتين حاسمتين : أولهما أن الأمة العربية برغم الحدود المصطنعة ، عاشت تاريخاً واحداً ، والثانية أن الأمة العربية برغم اختلاف الغزاة ، احتفظت بلغة واحدة ، وإذا كان تاريخ أى أمة هو صانع ضميرها فإن لغة أى أمة هى صانعة فكرها ، فإذا كانت للعرب وحدة الضمير ، ووحدة الفكر ، فمعنى ذلك بوضوح هو أن العرب أمة واحدة » .

وتحدث الرئيس عن تلك المقومات فى خطابه الذى ألقاه فى هيئة الأمم المتحدة فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦٠ وقال فيه :

« انا لنعلن أننا نؤمن بأننا أمة عربية واحدة ، لقد كانت للأمة العربية دائماً ، وحدة اللغة ووحدة اللغة هى وحدة الفكر . وكانت للأمة العربية دائماً وحدة التاريخ ، ووحدة التاريخ هى وحدة الضمير . ولسنا نرى أساساً قومياً ، أمتن من هذا الأساس » (٤٩) .

ولم يكتف الرئيس بالاعتماد فى دعوته الوحشية على تأكيد توفر مقومات وعناصر الوحدة القومية ، بل كان يشير دائماً الى العوامل والظروف الملموسة الأخرى التى جعلت منها ضرورة ملحة ، فى زمن أصبحت الحاجة فيه الى التكتل أكثر لزوماً من أى وقت مضى . عالم لا مجال فيه للدول الصغيرة الضعيفة ، والأمم المفككة الى دويلات هزيلة . لأن العصر الذى نعيش فيه يقوم على التعاون والتقارب والاتحاد بين الدول المختلفة ، وعلى ذلك فإن الوحدة العربية تعد فى الوقت الحاضر ضرورة عسكرية ، كما أنها ضرورة اقتصادية ، وضرورة سياسية (٥٠) وقد عبر الرئيس الراحل عن هذه المبررات فى حديثه للأستاذ كامل الشناوى رئيس تحرير جريدة الجمهورية فى ٣٠ مايو سنة ١٩٥٦ عندما سأله « هناك كثيرون يسألون : لماذا اندفعنا فى طريق العروبة وهل لنا سياسة عربية وأخرى مصرية » .

فقال « لقد تغير الزمن الذى كانت السياسة فيه تسير طبقاً لنظريات محدودة ، أو تسير على نهج معين ، والسياسة المصرية تقوم على الاستراتيجية

المصرية ، فهي ليست مسألة عاطفية ، أو جزئية تتعلق بنا وحدنا ، ولكنها عملية تتعلق بمصالح الجميع ، ومصالحنا ومصالح العرب . قوتنا في قوميتنا . اذ يجب أن تتماسك هذه القومية ، وتترابط في الدفاع عن مصالحها ، ضد المؤامرات الاستعمارية ، التي تتربص بنا ، وتريد أن تضع يدها على الضعيف منا لننتهمه أولا ، ثم تلتهم الآخرين » .

كما أكد على تلك المبررات ، وألقى مزيدا من الأضواء عليها في خطابه الذي ألقاه على وفد الأساتذة والطلبة السوريين الذين زاروه في ١١ فبراير سنة ١٩٥٧ . فقال :

« ان مصر حين نادت بالقومية العربية لم تكن تنادى بذلك عن عاطفة أو عن مآرب سياسية ، ولكنها كانت تنادى بذلك عن ايمان عميق بأن قوتنا تنحصر في هذه القومية العربية .

ان القومية العربية هي الدرع الواقى الذى يحمى مصر ، ويحمى سوريا ، ويحمى بقية الدول العربية من مؤامرات المستعمرين ، وأطماع الطامعين . ان مصر حينما نادت بالقومية العربية وحينما أعلنت أنها جزء من الوطن العربى ، انما كانت تشعر بذلك شعورا عميقا .

وان مصر تشعر بأن العرب حينما اجتمعوا استطاعوا أن ينتصروا على أقوى القوى فى العالم ، وحينما تفرقوا كانوا لقمة سائغة للطامعين الفاتحين .

هذا أيها الأخوة هو هدفنا من القومية العربية : مصلحة مشتركة ، مصلحة متبادلة ، حماية كلنا نعمل فى سبيلها ضد الطامعين ، وضد الغاصبين ، وضد المستعمرين » (١) .

وهكذا بلغت الدعوة القومية ، فى المرحلة الناصرية ، هذا القدر من النضج ، والقدرة على الاقناع ، حتى لقد أطلق عليها الدكتور جمال حمدان فى كتابه (شخصية مصر) « المرحلة الواقعية أو العلمية » ، بينما أطلق على المراحل السابقة جميعا « المرحلة العاطفية أو الرومانتيكية » .

ولو أن الدعوة القومية التي أحيها جمال عبد الناصر ، قد أقيمت على أسس عاطفية فقط ، لكانت قد انهارت في مواجهة الصعوبات المتتالية ، والمؤامرات الخفية ، التي كانت تنطلق من أوكار الرجعية العربية ، بالتعاون مع حليفها الاستعمار ، ولا تقلب إيماننا بالعروبة ، كفرأ بها ، ولكن قيام هذه الدعوة على هذه الأسس الثابتة ، هيأت لها أسباب الصمود ، ومازادتها تلك الصدمات والمؤامرات الا قوة وصلابة .

وتتجلى أروع مظاهر هذا الصمود ، في ذلك البيان التاريخي الذي وجهه قائد العروبة الراحل الى الأمة العربية ، اثر نكسة الانفصال ، وقال فيه :

« انى لأثق في نفسى ثقتى بالله أن هذه التجربة لن تكون الأخيرة .
وأنها كانت تجربة عملية رائدة ، أفدنا منها الكثير في تقديرى ، وسيكون ما أفدناه ذخيرة للمستقبل العربى ، وللوحدة العربية التي أشعر أن إيمانى بها يزيد قوة وصلابة .

ان التاريخ طويل أمام الأمة العربية ، والكفاح يزداد عمقا بالتجربة .
ان أملى هو حرية الوطن العربى ، وحرية المواطن العربى . وانى لأثق في حتمية الوحدة بين شعوب الأمة العربية ، ثقتى بالحياة ، وثقتى بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال » .

٢ - انها أصبحت دعوة ذات مضمون اجتماعى :

قال الرئيس الراحل فى خطابه الذى ألقاه فى الاحتفال الذى أقيم بالقاهرة بمناسبة العيد الأول للجمهورية العربية المتحدة (فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٩) :

« ان أهدافنا هى تحقيق الديمقراطية السياسية ، وتحقيق الديمقراطية الاجتماعية فى نفس الوقت . فلا فائدة أبدا من ديمقراطية سياسية تمكن أصحاب المصالح أو بعض أصحاب المصالح من أن يتحكموا فى رقابنا ، حتى يستطيعوا أن يستغلونا كما استغلونا فى الماضى ، وحتى يستطيعوا أن يستغلوا نتيجة عملنا حتى تتحكم فيها الاحتكارات » .

وفي ذلك يقول الميثاق أيضا « ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية » .

وتؤكد هذه المبادئ المضمون الاجتماعي (أو الاشتراكي) الذي تتميز به الدعوة القومية في المرحلة الناصرية . وذلك بربط تحقيق الديمقراطية الاجتماعية (الاشتراكية) بتحقيق الديمقراطية السياسية في المجتمع الذي تنشده هذه الدعوة ، وذلك لأن تحقيق الديمقراطية السياسية وحدها لا يعنى الا تجنيد الأغلبية لخدمة الأقلية ، أى لخدمة الرجعية ، وحليفها الاستعمار .

وتتميز الديمقراطية الاجتماعية (أى الاشتراكية) بقاعدتها العريضة التي تضم جميع قوى الشعب العاملة ، وتتيح لها التمتع بحرية الفكر والتعبير والتنظيم .

وقد بدأ جمال عبد الناصر يهيم الأذهان لقبول دعوته الاشتراكية (أو الدعوة القومية ذات المضمون الاشتراكي) بعد سنوات قلائل من الثورة ، وظل يركز على هذا الشعار ، حتى تمثلت أقوى مظاهر تنفيذه ، في اصدار القوانين الاشتراكية المشهورة في يوليو سنة ١٩٦١ . وكانت تلك أول ضربة مباشرة وفعالة لرأس المال المستغل . وقد تبعها عدة تشريعات واجراءات أخرى مماثلة ومكملة فيما بعد .

وقد استهدفت تلك التشريعات والاجراءات تحقيق نوع من التكافؤ الاقتصادي بين المواطنين ، يحقق العدل المشروع ، ويقضى على آثار احتكار الفرص للقلة على حساب الكثرة ، ويساهم في الوقت نفسه في عملية تذويب انفوارق بين الطبقات ، بما يعزز احتمالات الصراع السلمي بينها ، ويفتح أبواب الحلول الديمقراطية للمشاكل الكبرى التي تواجه عالية التطوير ، كما استهدفت زيادة كفاية القطاع العام الذي يملكه الشعب ، وتعزيز قدرته على تحمل مسئولية التخطيط ، وتمكينه من دوره القيادي في عملية التطوير الصناعي على الأساسى الاشتراكي .

وقد أصبحت الدعوة القومية بهذا المضمون الاشتراكي الجديد ، تستهدف التحرر السياسى ، والتحرر الاجتماعى معا . وفي هذا ما يؤكد الاعتراف بأن الاشتراكية هي الحل الحتمى لمشكلة التخلف في العالم

العربي ، كما هو شأنها في المناطق الأخرى ، لأنها الطريق الذي يؤدي إلى الحرية الحقيقية ، التي تقوم على التخلص من القلق والاطمئنان إلى المستقبل •

فاذا كانت كثير من البلاد العربية قد حصلت على استقلالها السياسي ، فإن الاشتراكية هي طريق المحافظة على هذا الاستقلال ، وتدعيمه في مواجهة القوى الاستعمارية ، والقوى الرجعية الحليفة لها (٥٢) •

وقد أضفت هذه المرحلة ذات المضمون أو الطابع الاشتراكي ، على مفهوم الوحدة العربية (الذي يعد المظهر العملي للدعوة القومية ، ويمثل أعز وأسمى أهدافها) معنى جديدا يختلف عن معناها القديم • فلا شك أن التحام النضال الاجتماعي بالنضال الوطني ، جعل قضية الوحدة في يد القيادات الشعبية ، وأصبحت العلاقة بين الوحدة والتقدم الاجتماعي والتحرر الوطني وثيقة ، يقابلها العلاقة بين التجزئة والتخلف (٥٣) •

ولا شك أن الربط بين الوحدة والمضمون الاجتماعي أو الاشتراكي أمر حتمي ، فالوحدة — كمطلب جماهيري — تتعارض تعارضا جذريا مع مصالح الاستعمار المتحالف مع الرجعية والمستغلين في الوطن العربي ، فالوحدة ليست هدفا بذاتها ، بل هي وسيلة لمقاومة ما يتعرض له المجتمع العربي من استغلال أيا كان مظهره (٥٤) •

وقد ظل عبد الناصر يحمل لواء دعوته القومية ذات المضمون الاجتماعي بكل شجاعة وحزم واصرار ، ولم يبال بعداوة الرجعية العربية ، التي أزعجها هذا الاتجاه ، وهدد مصالحها •

وكانت تلك العداوة من أهم دوافع الحركة الانفصالية في الاقليم السوري ، التي قادتها العناصر الرجعية فيه ، تلك العناصر التي بايعت الرئيس وأيدته عند بحث امكانيات الوحدة ، ثم حاربتة بعد قيامها وتنفيذ السياسة الاشتراكية •

وكان ذلك أيضا هو موقف العناصر الرجعية في سائر الدول العربية ، الأخرى ، ولكن جمال عبد الناصر ضحى بتعاطف تلك العناصر معه ، برغم ما لها من نفوذ في كل قطر ، وذلك في سبيل مبادئه ، وفي سبيل مصالح الجماهير العربية • •

٣ - أنها أصبحت تعتمد في مسيرتها على الإرادة الشعبية ، ونضال الجماهير :

كان الرئيس يؤمن دائما بالقوى الكامنة ، في أعماق الشعب العربى ، وضرورة الاعتماد عليه وحده في معركة القومية والوحدة ، وأن ارادة الشعوب العربية ، تملو رغبات القادة ، وأن القادة لا يستمدون سلطاتهم الا من هذه الارادة .

وفي ذلك يقول في خطاب له ، ألقاه في مدينة حلب بالاقليم السورى في ١٨ فبراير سنة ١٩٦٠ :

« هذا الشعب هو شعب خلاق ، ولا يمكن لفرد أن يخلق الشعب ، ولكن الشعب يستطيع أن يمكن الفرد من أن يعمل ، لا يمكن لقائد مهما كانت صفاته ، أن يخلق الشعب ، ولكن الشعب الذى رأته والمذى لمست فيه الروح يستطيع أن يخلق القادة ، ويستطيع أيضا أن يوجههم الى الطريق الصحيح ، الطريق السليم ، الطريق السوى ، الذى يتمشى مع أهدافه ، ومع آمانيه ومع آماله » .

ثم قال « ان الشعب الذى تضمه جمهوريتنا هو شعب خلاق ، هو شعب يقود ، ولا يقاد » .

وأكد في بيانه الذى ألقاه أمام مجلس الأمة في ٢٥ مارس سنة ١٩٦٤ قدرة الشعوب على خلق قياداتها ، حيث قال :

« ان الارادة الشعبية هى التى تملك أن تصنع قياداتها وتحدد لها مكانها . وانى لأرفع صوتى هنا أمامكم محذرا من الاعتماد على الفرد » .

« ان الشعب يجب دائما أن يبقى سيد كل فرد وقائده » .

وايمانا بقوة الشعوب العربية ، ووعيتها ، كان عبد الناصر يتخاطب معها مباشرة ، فيطرح عليها القضايا ويصبرها بالحقائق ، متخطيا الحواجز والحدود . وفي ذلك يقول (ولتن وين) في كتابه « عبد الناصر : قصة البحث عن الكرامة » - « ان الذى أزعج الزعماء العرب الآخرين ، وأثار

حفيظتهم هو أن عبد الناصر كان يخاطب الشعوب العربية مباشرة ، متجاهلا الحكومات ، متجاوزا اياها • انه كان يحظى بتأييد عظيم لدى شعوب تلك الحكومات بالذات • وكان رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون ، والملك حسين ملك الأردن يغضبان كلما رأيا صورة عبد الناصر ترتفع في شوارع بيروت وعمان ، على نحو أضخم من صورهما • ولكن حتى أوائل عام ١٩٥٦ لم يكن أى زعيم عربى يجرؤ على أن يقول كلمة واحدة ضد عبد الناصر ، لقد كان عبد الناصر شعبيا الى درجة جعلت كل معارضة له تعنى الانتحار السياسى •

وهكذا اكتسب عبد الناصر ثقة الجماهير العربية ، عندما أودعها ثقته واكتسب زعامتها ، عندما استمد من ارادتها مقومات زعامته •

وكانت تلك الجماهير دائما عند حسن ظنه ، كما كانت أهلا لأمانة النضال التى حملها اياها • وكان أول اختيار نجحت فيه ، فى التعبير عن ارادتها ، وأول تجربة عملية خاضتها مع الاستعمار ، وخرجت منها مرفوعة الرأس عملاقة ، هو موقفها من العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ ، عندما خرجت جموعها للاعلان عن غضبتها العارمة ، ووضعت حكامها أمام مسئولياتهم ، وأجبرتهم على الوقوف الى جانب الشعب العربى فى مصر •

وفى ذلك يقول الرئيس فى الخطاب التاريخى الذى ألقاه فى عيد النصر الأول بمدينة بور سعيد فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٧ :

« انتصرت القومية العربية ، وكانت بور سعيد أول تجربة فى معركة تدخلها القومية العربية • واشترك العرب كلهم فى معركة بور سعيد ، فى كل مكان كان العرب ينادون للقتال • وفى كل مكان كان العرب يهددون مصالح المستعمرين ، اتسع ميدان القتال فأصبح ليس ببور سعيد فقط ، ولكن أصبح ميدان القتال فى البلاد العربية كلها • لم يكن العساكر الانجليز فى بور سعيد وحدهم مهددين بالفدائيين ، وبحرب العصابات ، فى داخل بور سعيد ، ولكن أصبحت مصالح الاستعمار كلها مهددة فى كل مكان فى الوطن العربى ، فانتصرت القومية العربية وكانت معركة بور سعيد أول انتصار حقيقى للقومية العربية » •

وكأن من أعظم الاختبارات التي تعرضت لها ارادة الجماهير العربية ووعيتها تلك التي تجلت في خروجها يومى ٩ و ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ في أعقاب النكسة تطالب زعيمها بالعدول عن تنحيه •

وكان تعاطف الجماهير العربية مع الشعب العربى بمصر ، فوريا وجماعيا ، شمل مختلف البلدان العربية ، من المحيط الى الخليج •

وتقديرًا لارادة الشعوب العربية ، أجمعت أقوال الرئيس وأفعاله ، على ضرورة توافرها كشرط لاقرار الوحدة • وقد تجلّى هذا المبدأ أول ما تجلّى عندما طلبت حكومة الثورة المصرية الاحتكام الى ارادة الشعب السودانى وتحقيق رغبته فى تقرير مصيره ، فأرسلت بذلك المذكرة التاريخية المعروفة ، الى الحكومة البريطانية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ • وما تبع ذلك من المراحل والأحداث التى أدت الى اختيار الشعب السودانى طريق الاستقلال ، وتسليم السلطة للسودانيين فى أول يناير سنة ١٩٥٦ • وكانت مصر أول دولة عربية اعترفت بالسودان المستقل •

وحدث مثل ذلك أيضا بالنسبة للوحدة بين مصر وسوريا ، التى تست — بناء على الاستفتاء الشعبى الحر — فى البلدين فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨

وقد تحدث الرئيس كثيرا عن أهمية توافر ارادة الشعوب العربية ، لاتخاذ أية خطوة للوحدة ، ونفى بشدة ما يروجه أعداؤه من أنه ينوى فرض الوحدة على الشعوب العربية فرضا • وعبر عن ذلك فى حديث له مع المستر جوردون بورواسن كبير مراسلى هيئة الاذاعة الكندية ، ونشرته جريدة الأهرام فى ٩ فبراير سنة ١٩٦٠ ، اذ قال :

« كان هناك من يدعون أننا نريد أن تفرض الوحدة على الشعوب العربية فرضا • ولم يكن هناك ما يؤيد ذلك سواء من آرائنا أو من أعمالنا • وانما كان ذلك كله مجرد اصطناع يستهدف الاساءة الى الجمهورية العربية المتحدة ، وقد لجأ الى هذا الطريق كثيرون ممن أرادوا الاساءة الى الحركة القومية •

ويتمثل دستور الاستفتاء الشعبى للوحدة ، فى الشروط التى أقرها المؤتمر الجمهورى الأول للاتحاد القومى ، عقب قيام الجمهورية العربية المتحدة ، باتحاد سوريا ومصر • وهى :

أولا :

أن يكون الاختيار الحر المستقل طريق أى شعب من الأمة العربية الى الوحدة •

ثانيا :

أن يكون هذا الشعب قد استكمل مقومات وحدته الوطنية داخل حدوده القائمة ، قبل أن يدخل فى ارتباط أوسع مدى من هذه الحدود •

ثالثا :

أن يكون هذا الشعب قد عقد أجماعه على طلب الوحدة ، وثبت من يقينه ورغبته فيها •

وقد أكد الميثاق هذه المبادئ عندما نص على أن « الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغى أن تكون فرضا ، فان الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تنكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها • ومن ثم فان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة • انه ليس عملا غير أخلاقى فحسب وانما هو خطر على الوحدة الوطنية ، داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم بالتالى فهو خطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل » • •

وكان الرئيس يعتبر أن العلاقة بين الشعوب العربية ، أقوى من العلاقة بين حكامها • كما كان يرفض أن يعتبر التصرفات غير القومية لبعض أولئك الحكام ، تعبيرا عن ارادة شعوبها •

ومن أمثلة ذلك أنه عندما انخرفت حكومة عبد الكريم قاسم فى العراق ، واتبعت خطة مضادة للجمهورية العربية المتحدة ، رفض أن يعتبر ذلك تعبيرا عن ارادة الشعب العراقى وأكد أن روابط الأخوة بين الشعب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة ، والشعب العربى فى العراق ، أقوى من السياسة العدائية التى اختلقها الحكومة العراقية آنذاك فقال :

« ان الأخوة بين الشعوب العربية أقوى وأوثق من أن تؤثر فيها ظروف أو اعتبارات طارئة • ولقد يحدث فى بعض الأحيان أن تقوم الأزمات

والخلافات بسبب تصرفات بعض القادة ، ولكن الأخوة العربية تحل في نهاية الأمر كل المشاكل ، مهما بدت عويصة ومستعصية ، وانه لا خلاف بين الشعب العربى فى العراق ، وبين الشعب المصرى فى الجمهورية العربية المتحدة (٥٥) .

وقد أثبتت ردود الفعل التى أحدثتها الاجراءات الاشتراكية التى تمت فى شهر يولية سنة ١٩٦١ فى الأوساط الرجعية ، والتى تمثلت بصفة خاصة فى الانفصال بين سوريا ومصر ، أنه من المتعذر التعاون مع هذه الجماعات فى حركتنا القومية المتحررة ، وخاصة بعد أن تأكد مضمونها الاجتماعى .

فقد انقسم الوطن العربى الى معسكرين متصارعين يضم أحدهما أعداء التقدم العربى من ناحية ، ويضم الآخر القوى التحررية ، واتضح أكثر من أى وقت مضى وجوب استناد حركة النضال العربى على قاعدتها الأساسية العريضة الراسخة وهى قاعدة الايمان بالشعب .

ومن هنا رفع قائدنا الراحل شعار «وحدة الهدف ، قبل وحدة الصف» وأن الحركة القومية المتحررة ، لا يمكن أن تقوم على سواعد القوى الشعبية وحدها فقال :

« ان وحدة الهدف لا بدأ تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية » .

وتنفيذا لهذا الشعار ، واقتناعا بمنطقه ، انطلقت الدعوة الى تضامن القوى الثورية فى أنحاء العالم العربى ، فتتعدى عدة لقاءات بين ممثلى تنظيمات القوى ذات المسار العربى ، الذى يجمع فى خطواته بترابط عميق وشامل بين التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، وذلك لبحث تحقيق المساندة الفعالة والحماية الجدية لكل النظم الثورية والمتحررة فى البلاد العربية ، وخلق المناخ الصحى لقيام تضامن فعال ومنتج بينها فى كل المجالات ، مع مساندة وتأمين القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد العربية غير المتحررة ، فى كفاحها من أجل تطوير الأوضاع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا والوقوف ضد مؤامرات التخريب الذى تمارسه الرجعية العربية بالتعاون مع الاستعمار (٥٦) .

ولم يمنع رفع شعار « وحدة الهدف » من الاعتماد على جامعة الدول العربية في أداء الخدمات التي تدخل في حدود امكانياتها مهما تضاءلت ...

وقد نص الميثاق على ذلك صراحة ، مع تبريره • فبعد أن نص على « أن قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية في العالم العربي أمر سوف يفرض نفسه في المراحل القادمة من النضال » قال « ان ذلك لا يؤثر — ولا ينبغي له أن يؤثر — على قيام جامعة الدول العربية • وإذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشوط العربي الى غايته العظيمة البعيدة ، فانها تقدر على السير به خطوات •

ان الشعوب تريد أملها كاملا •

والجامعة العربية — بحكم كونها جامعة للحكومات — لا تقدر أن تصل الى أبعد من الممكن •

ان الممكن خطوة في طريق المطلوب الشامل •

ان تحقيق الجزء مساهمة في تقرب يوم الكل •

ولهذا فان الجامعة العربية تستحق كل التأييد على ألا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف ، وهم تحميلها أكثر من طاقتها العملية التي تحلها ظروف قيامها وطبيعته •

ولم يمنع رفع شعار « وحدة الهدف » أيضا من الالتجاء الى مؤتمرات القمة العربية ، عند ظهور الضرورات التي تتطلب ذلك • فليس في الدعوة الى هذه المؤتمرات لبحث موضوعات محددة ، ذات طابع خاص ، لا يناهض هذا الشعار ، لأنها لا تدعو الى قيام وحدات سياسية ، أو ارتباطات دائمة بين الدول التي تدعى للاجتماع ، ولكنها تدعو الى عقد اجتماعات مؤقتة ، لمناقشة موضوعات معينة ، تخص الجميع ، لدرء أخطار تتهدد الجميع ، اجتماعات يقصد بها التعاون في أعمال موحدة ، لدرء أخطار موحدة ، بمجهودات موحدة ، يستطيع كل بلد عربي أن يسهم فيها مع احتفاظه باتجاهاته السياسية الداخلية ، ولذلك فان مثل هذه الاجتماعات لا يستدعي وحدة الأهداف العامة ، وان كان قد قام على هدف معين ^(٨٥) •

٤ - أنها تقدم نموذج الزعامة الواعية الصالحة :

ظلت الزعامات العربية وقفا على بعض الشخصيات التي تستمد نفوذها وقوتها من العصبية القبلية أو الاقطاعية أو العائلية ، أو التكتلات الطائفية التي تنتمي اليها ، والتي كانت تجعل مصالحها ومصالح تلك العصبية في المرتبة الأولى من اهتمامها ، حتى بزغت في أفق العالم العربي شخصية جمال عبد الناصر التي انبثقت من صميم الارادة الشعبية ، واستمدت زعامتها للعرب من ثقتها فيها وايمانها باخلاصها ، ومبايعتها لها بلا تحفظ ولا اكراه ، ولا ولاء سابق . فكانت زعامته أول زعامة تتخطى دوائر النفوذ التقليدية ، والدوائر الاقليمية ، وتشمل العالم العربي أجمع (٥٨) .

ويرغم اتساع أفق الزعامة الناصرية ، وقوة تمكنها من نفوس العرب ، فقد كان زعيمنا الراحل حريصا دائما بأن ينفي عن نفسه — بكل تواضع واحساس بثقل الأمانة التي حملته اياها الشعوب العربية — ما أسبغه عليه المعجبون به من صفات العظمة والتفرد . وكان يأبى أن يعترف بفضله وحده في احياء الدعوة القومية ، وحمل لوائها ، بل كان ينسب ذلك كله الى ما أودعته الشعوب العربية فيه من ثقة ، وما بعثته فيه من قوة وأمل ، كما كان ينسب كل انتصار تحققه الدعوة القومية الى صلابة الشعب ووعيه وتضحياته وبطولته .

فقد قال الرئيس في خطابه الذي ألقاه في مدينة دمشق في ١٨ يوليو سنة ١٩٥٨ « ان القومية العربية التي انطلقت لا يمثلها أحد ، ولا يمثلها حفنة من الناس ، ولا يمثلها جمال عبد الناصر ، ولا يمثلها أي شخص آخر ، ولكنها أنتم . كل فرد منهم » .

ويقصد من ذلك أن المبالغة في تقدير عظمة الزعماء ودورهم ينفي دور شعوبهم في مساندتهم ، وتهيئة مقومات نجاحهم ، بما يمنحونهم من الثقة ، وما يبذلونه في سبيل انجاح دعواتهم من التضحيات . كما كان يقصد أن الرسائل العظيمة لا تنتهي بموت دعائها .

وقد أكد الرئيس ذلك المعنى في خطابه الذي ألقاه في مدينة المنيا في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨ بقوله :

« هذه القومية العربية سيرتفع علمها • لم يرفعه جمال عبد الناصر وحده • ان جمال عبد الناصر هو جندي القومية العربية ، ولكن سيرفعها الشعب العربي في كل بلد عربي • هذه القومية العربية — أيها الاخوة — لا تعنى مطلقا • ولا تعنى بأى حال رياسة فرد أو رياسة أفراد ، ولكنها تعنى سيادة الأمة العربية ، وتعنى سيادة الشعب العربي • هذه القومية العربية اذا كنا رفعنا لواءها ، واذا كنا تسلمنا قيادتها فان قيادها سيستمر من يد الى يد ، وعلى مر الزمن ، وعلى مر الأيام ، بيد كل أفراد هذه الأمة العربية ، وبيد كل أفراد هذا الشعب العربي » •

وقد روى لنا محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام في حديثه (بصراحة) في العدد الصادر في ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ، واقعة ثبت مدى ايمان قائدنا الراحل ، بقوة الشعب العربي ، ونخلود الدعوة العربية ، وايمانه بأنه ليس الا تعبيرا عن ارادة هذا الشعب في ظرف تاريخي معين • فقال :

« أذكر مرات بغير عدد ، حضرت فيها مقابلات جمال عبد الناصر مع معظم الصحفيين الأجانب الذين قابلتهم ، وكان السؤال المتكرر على السنة كثيرين منهم موجها اليه ، هو : ما هو السبب الذي تعزو اليه تأثير قيادتك في العالم العربي ؟ »

وكان رده الذي لا يتغير ، وعن يقين نافذ الى الصميم هو ، اننى لا أقود العالم العربي ، لست قائدا لهذا العالم العربي ، ولكنى مجرد تعبير عنه في ظرف معين ، وفي زمان معين » ، ثم كان يضيف « دورى فيه هو بمقدار تعبيرى عنه » •

ولعلنى أستكمل الصورة هنا بمشهد من أعرق المشاهد التى أعتقد أن جمال عبد الناصر أثر فيها على تأثيرا غير محدود • كان ذلك في شهر فبراير سنة ١٩٥٩ ، وفي دمشق التى أحبها من أول نظرة ، حبا بقى معه

الى آخر لحظة • كان قد وصل الى دمشق — لأول مرة في حياته — بعد اتفاقية الوحدة ، وكان قد انتخب رئيسا لسوريا في اطار « الجمهورية العربية المتحدة » بينما قدمه لم تطأها بعد •

وكان استقباله في عاصمة الأمويين مذهلا •

وقف في شرفة قصر الضيافة ، بينما عشرات الألوف يزحفون الى الساحة الواسعة أمامه ، بعد أن عرفوا بوصوله اليهم • كان في الشرفة وتحتة بحر متلاطم الأمواج من الناس الذين ذابوا حماسة له • فلم يعد على الشفاه غير اسمه يدوي كالرعد ، ترتد اصداؤه على جبل قاسيون الذي يبدو من بعيد أمام الواقف في شرفة القصر •

وقف ساعات ، ويداه مرفوعتان بالتحية ، ومشاعره هو الآخر ذائبة ، كأنها ومشاعر الجماهير تيار يتدفق في مجرى واحد •

ثم دخل الى قلعة مكتب تطل على الشرفة ، يستريح بعض الوقت ويشرب كوب ماء •• أول قطرات من ماء بردى •

وسألني وأنا جالس بجواره •

هل رأيت ؟•••

ثم ابستطرد : ما هو رأيك ؟••

قلت بآمانة : لو أنك كنت شخصا آخر غير من أعرف ، لكنت قلت لك ، وأنت واقف في الشرفة • « تذكر أنك بشر » • لكنى معك لا أحتاج أن أقولها •

وكان رده على الفور « غريبة •• لقد كنت أفكر في شيء غير ذلك طول الوقت ، لقد كنت أقول لنفسي وأنا أشاهد ما شاهدت : لا تنسى نفسك • هذا كله ليس لشخصك ، ذلك كله لأمل عند الناس في الوحدة • وما لك فيه هو بمقدار اخلاصك لهذا الأمل •

ومع ايماننا بصدق ما ذكره معلمنا الراحل ، في هذه العبارة البليغة المتواضعة ، فاننا نجد فيها ما يضاعف ايماننا بعظمة هذا الطراز من الزعامة ، ونزداد ايماننا بفضلها في بعث الحركة القومية ، وتحقيق منجزاتها ، الأشبه بالمعجزات . فاذا كانت الشعوب العربية تدخر في أعماق قوميتها طاقة كبرى ، فان جمال عبد الناصر ، هو الذى استطاع أن يفجر هذه الطاقة ، ويوجهها التوجيه السليم .

وفى ذلك يقول الكاتب الفلسطينى مازن البندك :

« ليس من المبالغة القول بأنه فى شخص جمال عبد الناصر تبلور كل آمال أمتنا وأمانيتها وكبرياتها أيضا ، وشخصيته البطولية ، بما تبلوره من معان ، لها عند الجماهير العربية قدرة سحرية على تحريكها ، ودفعها الى العمل والتضحية .

وقبول دور البطولة ، والاعتراف بإيجابيته ، هو فهم صحيح لطبيعة الأشياء والتاريخ »^(٥٩)

٥ - انها دعوة مستقلة نابعة من الإرادة العربية وحدها :

أعلن الرئيس الراحل مرارا ، وفى جميع المواقف التى أريد فيها ربط الإرادة العربية بمشيئة لدول الأجنبية الكبرى ، مبدأ استقلال الحركة القومية العربية وتحررها من أية تبعية أجنبية ، أو توجيه خارجى .

وقد تشمل ذلك المبدأ فى رفض الارتباط بالأحلاف الأجنبية ، والمساعدات الأجنبية المشروطة والتوجيهات التى تحمل معنى التدخل فى سياستنا التحررية ، وقد عبر الرئيس الراحل عن تمسكه بهذا المبدأ ، فى خطابه الذى ألقاه فى ٩ يوليو سنة ١٩٥٥ وأوضح فيه أسباب رفضه الانضمام (الى حلف بغداد) وغيره من الأحلاف ، وقال فيه :

« اننا اليوم لنا سياسة خارجية مستقلة ، تنبعث من وعى هذا الشعب ، أعلننا فيها مبادئ الحرية وأقنا تنصرها دائما ، وأقنا ضد الاستعمار وأعوانه ، وأقنا مع تقرير المصير ، وتنظيم السلام ، وأقنا نعمل للقضاء على الاستعمار ،

وهلى مساعدة كل حركة تحريرية فى هذه المنطقة من العالم • ان علينا واجبا نحو اخواننا ، ولهذا فانا نقول ما نؤمن به • لا نستجدى ولا نسترضى •

وعندما وجدنا ان هذه السياسة لا تتفق مع سياسة الدول الكبرى ، وقفنا ضد هذه القوى جميعا ، لاننا نريد القوة والاتحاد للشرق العربى بجميع دولة •

على هذا رفضنا الدعوة الى الأحلاف ، وقلنا ان لنا نظرية ، ولنا فكرة نؤمن بها كل الايمان ، لأن أى تحالف مع الدول الكبرى يعنى السيطرة ، ولأن هذه الأحلاف هى أحلاف الذئب والحمل ، لابد أن يأكل الذئب الحمل •

وقد استجاب الشعب العراقى للدعوة الرئيس الراحل الى نبذ ذلك الحلف ، بعد أن فضح أغراضه ، فأعلن سخطه عليه ، وعلى حكومة فوزى السعيد ، الا أنه قوبل بالقمع الشديد ، وظل ذلك الحلف قائما حتى اندلعت ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ ، فسقط تحت أنقاض الحكم البائد فى العراق •

كما استجاب الشعب الأردنى لتلك الدعوة ، وطالب برفض الانضمام الى الحلف ، وقام بثورة عارمة ، انتهت بالاطاحة بحكومة حابس المجالى واقالة الجنرال جلوب قائد الجيش الأردنى ، وأعوانه من الضباط البريطانيين ، وتعيين حكومة وطنية برئاسة سليمان النابلسى أعلنت صراحة رفض هذا الحلف (٦٠) •

وفضح الرئيس أيضا أهداف « مشروع أيزنهاور » الذى أريد به تدعيم حلف بغداد ، وإحلال النفوذ الأمريكى محل النفوذ البريطانى والفرنسى ، فى المنطقة العربية •

وأكد الرئيس فى تصريح له ، لصحيفة الأوبزرفر البريطانية نشرته فى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٦ على رأيه القاطع فى مثل هذه المناورات ، واصرار العرب على رفضها حفظا لاستقلالهم ، وحماية لدعوتهم القومية من الانحراف أو التبعية ، فقال :

« العرب لا يستطيعون الآن أن يكونوا ذيلا لسياسة بريطانية ، أو أن تملى عليهم سياستهم من لندن • فهذا أمر لم يعودوا يستطيعون

قبوله ، ويجب أن يعلم علم اليقين أن أى نظام دفاعى يفرض من الخارج لن تكون له أية قيمة ، اذا انهارت الجبهة الداخلية ، فالجبهة الداخلية هى التى ستحمى المصالح الحقيقية للعرب . وهذا هو السبب فى أنه يجب أن يكون للعرب هيئتهم الاقليمية على أساس الضمان الجماعى ، بدون اشراك أية دولة فى نظام آخر تحت سيطرة أجنبية ^(١)

وفى خطابه الذى ألقاه فى القاهرة فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٧ عبر بكل صراحة وحزم عن التزام مصر بتلك السياسة ، ودعا الشعوب العربية للالتزام بها ، فقال :

« شخصيتنا الدولية ليست موضع مساومة ، ودورنا العالمى ليس سلعة مقايضة ، وحققنا فى لقاء الشعوب المتحررة ، والتعاون معها من أجل سلام البشرية جميعا ليس للبيع أو الشراء ، حتى ولو كان الثمن سلاحا نحن فى ميسس الحاجة اليه ، لكى ندافع به عن حدودنا وبيوتنا وأرواحنا وأولادنا » .

ثم قال « ان السلاسل تحطمت والوصاية سقطت ، والشخصية المستقلة برزت ، واحتكار السلاح انتهى ، لا فى بلد يمكن عزله وحصاره ، وانما فى منطقة شاسعة الأطراف ، يتدفق فيها تيار واحد ، هو تيار القومية العربية فيما بين المحيط الأطلسى والخليج العربى » .

وانسجاما مع هذا الاتجاه الاستقلالى التحررى ، اختط الرئيس لعلاقتنا الدولية وموقفنا من أحداث العالم ومشكلاته ، سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وقد شرح الحكمة من هذا الاتجاه فى حديثه الى وفد الصحفيين الأمريكين فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٨ فقال :

« اتنا نعتبر أن فكرة عدم الانحياز ، وعدم الاشتراك فى حلف دفاعى مع دولة كبرى ، مقاومة لسيطرة الدول الكبرى . اتنا نعارض حلف بغداد . وقد صرحنا بأننا نعارض هذا الحلف لأن هدفه الرئيسى . انما هو زيادة نفوذ الدول الكبرى فى المنطقة . ومستر ايدن نفسه قال فى مجلس العموم فى أبريل سنة ١٩٥٥ فى معرض حديثه عن هذا الحلف « أنه سيكون لنا بواسطته صوت عال فى هذه المنطقة ، كما ستزداد سيطرتنا عليه » .

من أجل ذلك قاومنا أى محاولة للزج بنا داخل منطقة نفوذ دولة أخرى •

كذلك — ونحن دولة صغيرة — لن نقف على قدم المساواة مع دولة كبرى • فالقرارات ستتخذ فى مقر الحكومة الأمريكية ، أو بعد استشارة قواد القوات المسلحة الأمريكية ، وعلينا نحن أن نتبع ما يتخذون من قرارات وما يرسمون من سياسة (٦٢) •

وقد أشار الميثاق الى دور الشعب العربى ، فى رفع راية الحياد ، فقال « ان اصرار شعبنا على محاربة الأحلاف العسكرية التى تريد أن تجر الشعوب رغم ارادتها الى فلك الاستعمار كان صوتا عاليا بالحق ، ارتفع فى جميع المجالات منها ومحدرا » •

٦ - انها أصبحت دعوة الى الوحدة الشاملة :

ظلت الحركة القومية فى مراحلها الأولى — كما رأينا — مقصورة على نطاق محدود من الأقطار العربية وهى أقطار المشرق العربى ، كما استمرت دعوات الوحدة فيما بعد محصورة فى حلقات أضيق ، مثلما تتمثل الدعوة الى مشروعى (سوريا الكبرى) ، و (الهلال الخصيب) • حتى اقتتل لواء هذه الحركة الى يد الرئيس الراحل ، فبدأت تحطم الحواجز ، وتكتسب صفة الشمول •

ويرجع ذلك القصور الذى ذكرناه ، الى ارادة القائمين بأمر تلك الحركة ، فى تلك المراحل ، الذين خشوا أن يفقدوا زعامتهم ، اذا امتدت الحركة الى ما بعد مناطق نفوذهم فقمعوا بطلب اللقمة التى يستطيعون بلعها • كما يرجع ذلك أيضا الى اصطدام تلك الحركة بدعاوى الاقليمية والطائفية ، والظروف السياسية الخاصة بالدول الأخرى التى لم تدخل فى ذلك النطاق •

وقد رددت اذاعة « صوت العرب » عند افتتاحها فى شهر يوليو سنة ١٩٥٣ أول شعار للدعوة القومية الشاملة ، أى قبيل أن ينقضى عام كامل على قيام الثورة ، وكان شعارها جملة من احدى خطب الرئيس تنادى العرب جميعا ، «كلنا سنعمل ، كلنا سندافع عن عروبتنا ، حتى يتحرر الوطن العربى ، من المحيط الأطلسى ، الى الخليج الفارسى » (٦٣) •

وقد تكرر هذا المعنى في خطبه وتصريحاته وأحاديثه التي كان يؤكد فيها أن شمول الدعوة القومية ، هي من أهم الضمانات التي تكفل لها القوة ، والصلاية ، والصمود .

ومن ذلك قوله في الاحتفال بإعلان الدستور الذي أكد فيه عروبة مصر ، وارتباطها بالأمة العربية في ١٦ يناير سنة ١٩٥٦

« ان الكيان العربي يمتد من المحيط الأطلسي ، الى الخليج العربي . كلنا شعب واحد ، شعب عربي واحد ، نكافح جميعا متحدين متكاتفين من أجل حقنا في الحرية ، ومن أجل حقنا في الحياة . نكافح جميعا ضد الاستعمار ، وضد أعوان الاستعمار ، لن تقطع أوصالنا مرة أخرى ، كما قطعت بعد الحرب العالمية الأولى » .

وهكذا كانت الثورة العربية في مصر ، هي التي فجرت الحماس لفكرة الدعوة العربية الشاملة ، في المشرق والمغرب على السواء ، وحملت ذلك اللواء ، حتى شملت الدعوة الناصرية شعوب العالم العربي جميعا . وكان الرئيس يضرب الأمثلة دائما ، على أهمية هذه الفكرة ، بأحداث التاريخ العربي القريب ، وبظروف العرب المعاصرة ، ويفضح الأساليب السياسية للدول الاستعمارية ، التي اذا أرادت أن تعتدى على دولة عربية ، لا تتورع عن اتخاذ قواعد عدوانها في دولة عربية لأخرى ، واذا أرادت أن تضرب دولة عربية ، ربما لجأت الى الضغط على شقيقاتها الأخرى .

ولم يكتف الرئيس في دعوته الشاملة بالأقوال ، بل كان يضعها موضع التنفيذ دائما . فالى جانب الدفاع عن قضايا الدول والشعوب العربية ، في المنظمات والهيئات الدولية ، فقد عمل على تأييد جهات التحرير الشعبية ، سواء بتدريب أفرادها ، أم بمدهم بالأموال والأسلحة والذخائر ، أم بحماية اللاجئين منهم ، وكفالة حرية الدعوة والجهاد لهم ، مع تجنيد جميع أجهزة الاعلام لخدمة قضاياهم ، وتوضيح حقائقها للرأي العالمي ، وإبلاغ نداءاتهم وتوجيهاتهم الى شعوبهم المكافحة .

وقد شهد الجنرال جلوب في مذكراته التي نشرتها جريدة الديلى ميل في سنة ١٩٥٧ بأهمية اذاعة صوت العرب في توحيد مشاعر العرب ، وجمع كلمتهم ، بقدر ما أفلحت في اذكاء الشعور بالانتماء للأمة العربية ، بين المصريين أنفسهم (٦٤) .

الفصل الخامس

فصل الزعامة الناصرية في تحرير الشعوب العربية

قال الرئيس أنور السادات في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاة سلفه العظيم ، وشرح فيه النتائج التي حققتها الدعوة الناصرية في معركة تحرير الشعوب العربية •

« يكفي أيها الاخوة أن نلقى نظرة على خريطة أرض الأمة العربية قبل جمال عبد الناصر ، والآن بعد أن ذهب عنا جمال عبد الناصر ، واننا ظل باقيا بفكره ، وبالمثل العليا لنضاله وبأعماله الباهرة •

مصر والسودان وليبيا تحت الاحتلال البريطاني •

شمال افريقيا كله حتى شاطئ الأطلسي تحت الاحتلال الفرنسي •
بل ان بعض بلادها لم تكن مجرد بلاد محتلة ، وانما كانت كما كان الحال في الجزائر جزءا لا يتجزأ من أرض الدولة المستعمرة •

وكانت سوريا ولبنان تحت ظلال علم يبدو مستقلا ، ولكن النفوذ الأجنبي كان ضاربا في الصميم •

وكان العراق والكويت تحت الاحتلال البريطاني •

وكان اليمن الشمالي تحت حكم ما هو أسوأ من الاستعمار •

وكان اليمن الجنوبي واحدة من ممتلكات التاج البريطاني •

وكانت الأردن محمية •

وكان الخليج في عزلة •

وكانت المملكة العربية السعودية حقل بترول ناشئ ينمو بسرعة لمصلحة المستغلين •

وكان شعب فلسطين لاجئاً في الخيام .

وكانت اسرائيل خنجراً في قلبنا كما هي الآن خنجر في قلبنا ، ولكننا قبل جمال عبد الناصر لم نكن نقاوم . بل لم نكن حتى قتالهم .

وكانت الأمة العربية بأسرها معزولة عن العصر ومعزولة عن التطور .

ولم تكن كلمة التصنيع أو التخطيط أو الكهرباء اكاملة قد تردت على أرضها ، ولا كانت الحقوق الاجتماعية لجماهير الشعب معنى له قيمة حقيقية .

ولا كان للعمال والفلاحين دورهم وهم الأغلبية ، وانما كانت السلطة كلها في يد الأقلية من الأجانب ، مع مجموعات من الحكام والباشوات والشيوخ ، تعتصر الجماهير بالاستغلال بواسطتهم ويحصلون على فروق الغنيمة ، والباقي كله يتسرب الى الخارج نزيها مستمرا للجهد القومي .

وذلك ما كان من أمر الثورة القوسية ، وذلك ما لم يعد موجودا الآن .

وتلك هي شهادة التاريخ لجمال عبد الناصر .

انه لم يصنع بيده كل تحول ، ولا فجر بجهده ، كل ثورة ، ولكنه — وهذا هو دوره التاريخي العظيم — به جماهير أمتنا الى حقيقة ومعنى وجودها القومي ، وربط جماهير أمتنا بحقائق ومعاني العصر الحديث الذي نعيش فيه .

هكذا تحركت الجماهير وزحفنا الى النضال المستمر ، وانتصرت في معارك ، وما زال عليها أن تنتصر في معارك » .

والواقع أن من أهم ما حققته الدعوة الناصرية هو اعادة ثقة الشعوب العربية في البلاد المستغلة والمحتملة بنفسها ، واقناعها بأن عوامل قوتها تكمن في أعماقها ، وأن قدرتها على التحرر ليست من قبيل المعجزات .

وكان منا هياً لهذه النتائج أسباب النجاح ، أن هذه الدعوة لم تقتصر في التعبير عن نفسها بالأقوال ، بل كان ذلك التعبير يخرج دائماً

الى حيز الأعمال ، اذ كانت الحركات التحررية للشعوب العربية تحظى من مصر الناصرية بكل عون مادي وأدبي مستطاع ، حتى تحقق آمالها • وتحطم قيودها ، وتحتل مكانها اللائق في عالم الحرية والاستقلال •

وقد كان السودان الشقيق أول دولة عربية حصلت على استقلالها بفضل السياسة الناصرية التحررية ، المنزهة من الأهواء والمطامع ، والتي اكتسبت — بما تظهره دائما من النوايا الطيبة ، وما تقدمه من الخدمات والتضحيات احتسابا — ثقة الشعوب العربية بها ، واعترافها بفضلها •

وقد عبر الرئيس السوداني الأسبق الفريق أحمد عيود في كلمة الترحيب التي ألقاها عندما زار رئيسنا الراحل السودان في سنة ١٩٦٠ عن تقدير الشعب السوداني لخدماته الجليلة واعجابه بمبادئه ورسالته فقال ••

« لن ينسى السودان تلك اليد الكريمة التي أسدتها له الثورة المظفرة بقيادتكم الحكيمة في سبيل استقلاله وحريته ، وما تسهمون به في ميدان الثقافة والتعليم (٦٥) » •

وكان لمسافدة مصر للسلطان محمد الخامس سلطان المغرب ، عندما خلعت السلطات الفرنسية في شهر أغسطس سنة ١٩٥٣ والوقوف الى جانب الشعب المغربي الثائر في الصعيدين الرسمي والشعبي ، أثر كبير في اذكاء معركة التحرير في ذلك القطر الشقيق ودعمها ، وتهيئة أسباب النجاح لها •

وقد شرح الرئيس الراحل موقف مصر من القضية المغربية في حديث له في جريدة الأهرام قال فيه :

« ان مصر لتناصر الشعب المراكشي في جهاده المقدس ، ولن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا العدوان • ان قصة المستعمر تتكرر كل يوم على مسرح الدول الصغيرة وقضية مراكش واحدة منها ، وان اختلف المثلون ، وعلى الشعب المراكشي أن يصمد أمام هذا العدوان ويقاومه ، فقد جاء الوقت الذي يجب على الشعب أن يعمل لينال حريته واستقلاله • ومصر لن تغفل عن هذه القضية وستقوم بالتشاور مع باقي الدول العربية في الموقف الموحد الذي ستتخذه في هذا الشأن (٦٦) » •

وظلت مصر الناصرية تساند شعب المغرب في نضاله العادل الشريف ، حتى نال استقلاله في مارس سنة ١٩٥٦ وأعيد السلطان الى عرشه ، وكانت مصر في مقدمة الدول العربية التي تعاونت مع الحكومة الجديدة تعاوناً مشيراً ، وخاصة في مجال التعليم والتدريب .

وقد أشاد الأمير الحسن - ولي عهد المغرب وقتذاك - في خطابه الذي ألقاه في حفل العشاء الذي أقامه له الرئيس الراحل عند زيارته لمصر في شهر يولييه من السنة التالية بفضل قائد العروبة في تسهيل حصول المغرب على استقلاله فقال : . .

« ان المغرب المستقل الذي لم ينل استقلاله الا في سنة ١٩٥٦ لمدين لكم شخصياً ولصحبكم ولشعبكم على الخصوص ، وللشعوب العربية على العموم ما قمتم به مدة كفاحنا من اعانة جبارة قلبية مخلصة ، لامصلحة لها ولا شهوة الا أن ترى بلداً شقيقاً عربياً مسلماً يصل الى ما يتمناه من حرية وكرامة واستقلال ، حتى يسهم بنصيبه هو كذلك في بناء مستقبل الأمة العربية (٦٧) . »

ولم تتردد مصر في تأييد الشعب التونسي في نضاله من أجل استكمال حريته واستقلاله . وأقوى ما يتمثل ذلك فيما أعلنه الرئيس الراحل من التعهد بتسليح الجيش التونسي ، بعد أن رفضت بعض الدول العربية مد هذا القطر الشقيق بما طلبه من الأسلحة والذخائر .

كما أيدت مصر الثورة الجزائرية منذ اعلانها في أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وقدمت لها كل مساعدة وتأييد ، سواء على مستوى المنظمات الدولية الرسمية والشعبية ، أم عن طريق مداها بالعون المادي ، ووضع امكانيات مصر التدريبية والاعلامية في خدمتها .

وقد استهدفت مصر - نتيجة لنصرتها شعوب تلك المنطقة - لغضبة الحكومة الفرنسية ، فراحت تضع العراقيل في وجهها ، وتحتج على كل تأييد مصري رسمي أو شعبي لحركات التحرر فيها ، وتهدد المصالح المصرية الواقعة تحت النفوذ الفرنسي ، وتمنع ارسال الصحف والكتب المصرية

الى تلك البلاد ، كما أوقفت تنفيذ صفقات الأسلحة التي كانت قد تعاقدت عليها مع مصر، وبلغت تلك الغضبة ذروتها عندما اشتركت فرنسا في العدوان الثلاثي الغادر على مصر في أواخر سنة ١٩٥٦

وكل ذلك لم يحل دون استمرار تأييد مصر لثورة الشعب الجزائري، حتى ظفر باستقلال بلاده في سنة ١٩٦٢ ، وقد أتيح لهذا الشعب الشقيق أن يعبر عن تقديره لهذه المواقف والتضحيات العظيمة عندما زار الرئيس الراحل الجزائري في سنة ١٩٦٣ ، فاستقبل هنالك أروع استقبال ، ووقف الزعيم أحمد بن بلا يشيد بجهوده في معركة التحرير الجزائرية فقال :

« وقف معنا عبد الناصر في الوقت الذي لم نجد فيه من يؤازرنا في الشرق أو الغرب » .

وفصل ذلك الموقف البطولي بقوله :

« لقد ذهبت الى مصر وقابلت الرئيس جمال عبد الناصر وشرحت الأزمة الموجودة في الجزائر ، وأوضحته له أن آمالنا هي في هذا الشعب القوى . وطلبنا منه أن يظل واقفا الى جانبنا في هذا الوقت المضطرب ، وقد رد الرئيس عبد الناصر بأن امكانيات مصر تحت تصرفكم . ووقف معنا وأيدنا في الوقت الذي لم نجد فيه أحدا في الشرق أو الغرب ، لم نجد سوى جمال عبد الناصر يؤازرنا ويقف بجانبنا » .

وتحدث عن توالي المعونات المصرية للجزائر فقال :

« وعندما كانت الثورة في بدايتها أي في الشهر الأول من اندلاع الثورة في ديسمبر ١٩٥٤ جاءت أول باخرة مصرية محملة بالأسلحة الى ليبيا الحقيقية ، واتفق جمال عبد الناصر مع المسئولين في ليبيا أن يسلموها لنا ، ثم جاءت بعد ذلك سفينة ثانية وثالثة ورابعة » .

وقد أسهمت مصر الناصرية في تعريب لسان الشعب الجزائري وثقافته لتساعده على تأكيد شخصيته العربية ، واسترداد وجدانه العربي ، وكان ذلك استجابة لنداء الرئيس السابق بن بيلا في خطابه الذي ألقاه يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٢ في المجلس التأسيسي الجزائري وقال فيه « ان شعورنا عربي ولكن تعبيرنا فرنسي وثقافتنا فرنسية » وفي هذا خطر قد يؤدي الى تمزق شخصيتنا وفقدانها لتوازنها وأصالتها (٦٨) .

ومن أصلب المواقف التي اتخذها الرئيس الراحل للدفاع عن حرية الشعوب العربية واستقلالها ، موقفه من ذلك الضغط العسكري الأمريكي الذي استهدفت له سوريا في سنة ١٩٥٧ عن طريق تهديد أسطولها للموانئ السورية ، واشتركت فيه حليفتها تركيا واسرائيل بحشودهما على حدودهما ، كما استلمت الحكومة الأردنية أسلحة أمريكية في ذلك الوقت العصيب ، وبدأت كأنها تنوى الهجوم على سوريا بحجة حماية نفسها من الخطر الشيوعي المزعوم . وهنا ارتفع صوت عبد الناصر معلنا موقف مصر الحازم من تلك المؤامرة ، وتصميمها على مساندة الشعب السوري بكل قوة ومهما كانت التضحيات فقال :

« ان مصر ستقف بجانب سوريا الى غير حد ، وبدون أى قيد أو شرط ومهما تكن تطورات الضغط على سوريا ، فان شيئا واحدا لا يجب أن يغيب عن الأذهان ، ذلك أن جميع امكانيات مصر السياسية والاقتصادية والعسكرية كلها تساند سوريا في معركتها ، بل معركتنا نحن ، معركة القومية العربية كلها » .

وكان من المظاهر العملية الحاسمة لهذا الانذار المصرى ، تلك النجذات العسكرية الضخمة التي أرسلت الى سوريا عن طريق ميناء اللاذقية فورا ، والتي كان لها أطيّب الأثر في رفع الروح المعنوية للشعب السوري وتعزيز جيشه . وما تلا ذلك من نكوص قوى العدوان على أعقابها (٦٩) .

وكانت ثورة العراق في سنة ١٩٥٨ ثمرة من ثمار الدعوة الناصرية ، وقد عبر عن ذلك الأستاذ فؤاد الركابى الوزير العراقى الأسبق في كتابه (على طريق الثورة) بقوله :

« فى اللحظة التى قامت فيها الجمهورية العربية المتحدة ، وكنتيجة مباشرة لقيامها ، تطور هدف التحرر ، وهدف الوحدة الى مستوى جديد نوعى ، بحيث أصبح نضال الجماهير فى العراق هدفه طرد الاستعمار والقضاء على عملائه ، ولأصبح هدف الوحدة يعنى فعلا الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، التى أصبحت نواة للوحدة العربية الشاملة » .

وبسبب هذا التطور الاستراتيجي تجاه هدف الوحدة والتحرر ،
وأثر هذا التطور في عقلية ونفسية وتطلع الجماهير ، بسبب هذا التطور
النابع من قيام الجمهورية العربية المتحدة ، أمكن قيام ثورة ١٤ تموز
سنة ١٩٥٨ •

ولولا خيانة عبد الكريم قاسم ، والمؤامرات البعثية ، والنزعات
الاقليمية والطائفية ، التي أثرت ، لاستطلعت تلك الثورة أن تستأنف
مسيرتها في الاتجاه القومي القويم ، الذي يحقق للشعب العراقي آماله في
الوحدة ويجنبه السقوط في براثن الاستغلال والتضليل •

وكذلك كانت ثورة الشعب اليمني في سنة ١٩٦٢ صدى من أصداء
الدعوة الناصرية ، كما لقيت منها بعد قيامها كل مناصرة وتأييد • وقد أيرق
الرئيس الراحل الى قائد الثورة الزعيم عبد الله السلال عندما أعلن بقيامها
يقول :

« ان شعب الجمهورية العربية المتحدة تابع بكل اهتمام وعناية
تطورات الأحداث الكبرى في اليمن ، ومحاولة الشعب والجيش اقامة حياة
جديدة تحقق على أرض اليمن عزة الانسان وكرامته • ان شعب الجمهورية
العربية المتحدة يؤمن بأن هذا العصر هو عصر الشعوب وحدها ، تصنع
بأيديها أقدارها وتحقق بارادتها الحرية كل أمانيتها ، ان الله جلت قدرته خلق
البشر أحرارا متساوين في الفرصة ، متكافئين في العدل ، ولا يرضيه جل
وعلا أن تقف دون قدرته حواجز الاستعمار وطمعاني الرجعية » •

وقد بادرت الدولتان الى توقيع اتفاقية للدفاع المشترك ، لمواجهة
تحركات الاستعمار وأعوانه ، ولم تتوان مصر عن ارسال قواتها لتأييد
الثورة وحمايتها ، وظلت تساندها حتى رسخت أقدامها ، وأخذت تسير
في طريق التقدم والاستقرار •

وقد اعترف قائد تلك الثورة في خطابه الذي ألقاه بالحفل الذي
أقيم لتكريمه بمحافظة الاسكندرية في ٤ يوليو ١٩٦٣ بجهود الشعب

المصري بقيادة عبد الناصر في تهيئة أسباب النجاح لثورة اليمنية ، ومؤازرتها في معركتي التحرر والتقدم فقال :

« ان الشعب العربي في اليمن يكن لشعب الجمهورية العربية المتحدة الاخاء الصادق • وقد وصلنا من اليمن بعد معركة طاحنة ، اشتركت فيها الجمهورية العربية المتحدة والقوات اليمنية جنبا الى جنب ضد الرجعية • وهناك امتزج الدم بالدم ، وامتزجت القلوب والأرواح ، وأصبح الشعب العربي في مصر واليمن شعبا واحدا ، وقلبا واحدا ، وروحا واحدا •

باسم الشعب العربي في اليمن ، والوفد اليمنى الرسمي ، أتقدم بشكري لشعب الاسكندرية وشعب الجمهورية العربية المتحدة عامة ، وعاش محرر العروبة ورائد القومية العربية (٧٠) » •

وكان لموقف مصر من الثورة اليمنية فضل كبير في اذكاء الثورة الشعبية في الجنوب العربي ، وقد اضطرت بريطانيا في البداية الى تقديم اتحاد الجنوب ، بضم مستعمرة عدن اليه وبعض المشيخات المجاورة ، وتعديل دستوره ، ولكن الثورة ازدادت اشتعالا بفضل العون والتأييد المصريين ، حتى اضطرت بريطانيا في النهاية الى اخلاء قاعدة عدن ومنح المنطقة استقلالها (٧١) •

وهكذا كانت الدعوة الناصرية التي تعبر عنها تصريحات الرئيس وأحاديثه وخطبه ، تترجم الى مثل هذه المواقف البطولية التي اتسمت بالشجاعة والحزم والاخلاص ، وكان لها أعظم الفضل في ايقاظ الشعوب العربية ، فظفر أغلبها بحريته واستقلاله ، وقطع الباقي منها مراحل طويلة نحو التحرر والاستقلال •

الفصل السادس

المطاعن والانتقادات التي واجهتها الحركة القومية في هذه المرحلة

كان طبيعيا أن تتضافر قوى الاستعمار ، مع حليفتيها الصهيونية العالمية من جهة والرجعية العربية من جهة أخرى ، لمحاربة الدعوة الناصرية لاهياء القومية العربية ، التي شنت عليها هذه الحرب السافرة ، وكشفت ألاعيبها ومؤامراتها ، وانتصرت عليها في المعارك المتتالية ، وقضت على مصالحها في ميادين عدة ، وهددت ما بقي لها من المصالح فيما بقي من الميادين .

ويلجأ هذا الثالث ، في معركته اليائسة الى أساليب الدس والتضليل وإشاعة المزاعم الباطلة ، التي يراد بها تشويه أيديولوجية الدعوة الناصرية ، والتشكيك في أهدافها ، وزعزعة الثقة في دعائها ، حتى يسلبوها أقوى أسلحتها ، التي تتمثل في اعتمادها على إيمان الشعوب بها ، وتجاوبها معها .

وكثيرا ما تجتذب هذه الأضاليل والأباطيل بعض العناصر التي أساءت فهم هذه الدعوة أو فشلت في استغلالها ، أو أحست بأنها تقف حجر عثرة في سبيل تطلعاتها ومطامعها ، فتحاول بدورها أن تبث سمومها في غيرها من العناصر الساذجة البريئة ، التي لم يمنحها الله ملكة التقدير ، والتمييز بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث .

ونستعرض فيما يلي مجموعة من المطاعن والانتقادات التي يثيرها هذا الثالث في حملة التشكيك التي تشنها على أيديولوجية الدعوة القومية وأهدافها في هذه المرحلة ، وهي حملة تختلف موضوعاتها ونعماتها باختلاف الأوساط التي تبثها فيها :

١ - تشكيك الشعب المصرى فى جدوى السير فى موكب القومية العربية :

حاولت هذه الحملة أن تتخذ من بعض هذه المواقف والأزمات التى تثيرها التناقضات السياسية والاجتماعية فى العالم العربى ، للعمل على زعزعة ثقة الشعب المصرى فى الشعوب العربية الأخرى ، وتشكيكه فى جدوى السير فى موكب القومية العربية ، ضاربة فى ذلك على النعمة الاقليمية البائدة .

وكان يمكن أن تحقق هذه الحملة أغراضها ، لو أن الدعوة القومية اقتصرَت فى هذه المرحلة على الأسلوب العاطفى ، ولم تعتمد الى ارساء قواعدها على أسس من العناصر الثابتة ، والمبررات المقنعة (السياسية والعسكرية والاقتصادية) .

وقد أشار الرئيس الراحل الى هذه الحملة المغرضة ، وفضح أهدافها . فى خطابه الذى ألقاه يوم اعلان دستور سنة ١٩٥٦ الذى أكد عروبة مصر ، فقال :

« نحن اليوم حينما نعلن أننا نتقابل مع الشعوب العربية ، ونعلن أننا جزء من الكيان العربى ، نعلن هذا من أجل مصلحتنا ، ومن أجل مصلحة العالم العربى كله . لقد حاولوا أن يخدعونا وحاولوا أن يضلّلونا ، وكانوا يقولون لنا مالكم وللعرب ، ولكننا اليوم وقد تبهنا ، لن نخدع أبدا » .

ثم قال : « واليوم أيها المواطنون ، نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ، ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا ، حتى لا يتكرر ما مضى ، وحتى لا يتكرر ما فات . لقد ضاعت قطعة من أرضنا ، لقد محيت قومية العروبة فى فلسطين ، لأننا انخدعنا ، ولأننا تبعنا الاستعمار ، وتبعنا أعوان الاستعمار . وكانوا يقولون هنا فى مصر ما لكم وللعرب ، وكانوا يقولون للبلاد الأخرى ، ما لكم ولمصر .

ولكننا اليوم بعد أن تبهنا ، وبعد أن اتصرونا فى ثورتنا التى انبثقت من شعورنا ، نعلن أننا تتكاتف مع العرب جميعا ، من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ، من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ، ومن أجل الحق فى الحياة (٧٢) .

والحقيقة أن الأحداث والمواقف المتتابة ، التي تعرضت لها شعوب العالم العربى وفي مقدمتها الشعب المصرى ، فى الآونة الأخيرة ، قد أكدت منطق الدعوة القومية وأهدافها كطريق الى التحرر والخلاص . وأثبتت أن المواقف والأزمات التى يتخذها أعداء الدعوة القومية مدعاة للتنفير منها ، هى فى الواقع مدعاة للإيمان بها ، لأن هذه الدعوة لم تقم ، الا لمواجهةها والقضاء على مصادرها .

٢ - تشكيك الشعوب العربية فى نوايا مصر والزعامة الناصرية :

يتمثل الأسلوب التقليدى لمحاربة الدعاوى القومية ، فى إثارة النعرات الاقليمية وتخويف الأقاليم الصغرى ، من طغيان الأقاليم الكبرى ، وابتلاعها لكيفياتها .

وكان العالم العربى دائما مجالا خصيبا لتنفيذ هذه السياسة . وعندما تقدمت مصر لتؤدى دورها ، فى الحركة القومية ، التى قبلت مختارة أن تتحمل من التضحيات والأعباء فيها ، ما يناسب مكائنها وامكانياتها العملاقة ، ووقفت الزعامة الناصرية الى ايقاظ الشعوب العربية وتحريرها ، حتى ركز أعداء هذه الحركة هجومهم عليها ، متهمين اياها بمحاولة التسلط على البلاد العربية الأخرى ، واستغلال خيراتها .

وذلك فى الوقت التى تعلن فيه مصر الناصرية دائما ، أن اشتراكها فى موكب العروبة ، وحركتها القومية ، لا يحمل معنى (التسلط) وانما يحمل معنى (تحمل المسئولية) . وفى ذلك يقول الميثاق « ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة ، فى صنع التقدم وتدعيمه وحمايته ، تمتد لتشمل الأمة العربية كلها » .

« والجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية ، لا بد لها أن تنقل دعوتها والمبادئ التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى . ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة ، التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها . »

ولا شك أن تزعم مصر للحركة القومية ، أمر منطقي لا افتعال فيه ،
فالى جانب أن مصر تضم نحو ١٠٠ تعداد الشعوب العربية جميعا ، ويعادل
تعداد سكانها على الأقل تعداد سكان دول المغرب العربى كله ، ويكاد
يعادل تعداد سكان دول المشرق العربى من جهة أخرى ، فإن مركزها
الدولى ، وأهمية موقعها الجغرافى ، وعظمة امكانياتها الاقتصادية والزراعية
والصناعية ، وثقافتها فى خدمة البلاد العربية ، جعل الدعاة المخلصين للقومية
العربية — حتى من غير أبناء مصر — يؤيدون زعامتها للأمة العربية .

وفى ذلك يقول عبد الله الطريقي وزير البترول الأسبق فى الحكومة
السعودية

« يصعب على الانسان أن يتصور أمة عربية بدون مصر . فمذ عرف
الانسان العربى نفسه ، وأقام فى المناطق الواقعة بين المحيط الأطلسى
والخليج العربى وطنا له ، وشمال وادى النيل هى النقطة التى يلتقى فيها
العربى طريقهم من المشرق الى المغرب ، ومن المغرب العربى الى المشرق .
وقد ساعد ظهور الاسلام على استمرار وتقوية هذا الاتصال بين مشرق
البلاد ومغربها ، ولعبت القاهرة على مر العصور دور الشقيق الخطوف
المضياف ، واستطاعت الأجيال المصرية المتعاقبة الوقوف أمام كل الصعاب
التي تعرضت لها الأمة العربية ، فحافظت على الدين واللغة ، وأصبحت
ملجأ الأحرار العرب فى كل الأزمنة ، وملجأ للهاربين بدينهم أو قوميتهم
من نير الاستعمار والظلم والاستعباد . كما كانت القاهرة قبل الثورة
مصدر الاشعاع الفكرى للانسان العربى ، وكانت مدارسها وجامعاتها
وصحافتها وأدبائها ، ووسائل الاذاعة فيها ، معلما مثقفا وموجها للانسان
العربى فى كل أوطانه . فلما قامت الثورة ضاعفت ما تبذل من جهود
فى هذا السبيل ، وعندما استقرت الأمور للنظام الجديد فى مصر ، وأعلن
الشوار برنامجهم ، كان من أهم بنوده بأن مصر جزء لا يتجزأ من الأمة
العربية ، وأنها لا تستطيع العيش بدون مجالها العربى ، كما أن واجبها
الوقوف تحت جميع الظروف فى صف الشعوب والحكومات الوطنية
العربية ، التى تناضل فى سبيل تخليص نفسها من سيطرة الاستعمار
والاستغلال ، وقد صدقت الثورة كل ما قالت » (٧٣) .

والحقيقة أنه منذ زمن مبكر ، وحتى قبل أن تأخذ مصر مكانها في الصف العربى القومى بصفة رسمية وقاطعة ، كان أدباء العرب ومفكروها ودعاة القومية فيها ، يتغنون بزعامة مصر للعالم العربى • ومن ذلك ما قالته الشاعرة الفلسطينية المعروفة (مى) فى كتابها (بين الجزر والمد) الذى صدر سنة ١٩٢٤ •

« أصبحت مصر كعبة العالم العربى ، وحاضرتة المعنوية ، فما لاح فيها نور الا استضاءت به الأقطار الأخرى ، ولا مضت فى أرجائها صيحة ، الا اهتزت لها القلوب ، ولا ظهر فيها أسلوب جديد فى الأدب والاجتماع والسياسة ، الا نظر فيه الآخرون باهتمام ، ومالوا الى تحديه قائلين « أليس أن مصر فعلت ذلك ؟ » •

ولئن كان هذا مما يبعث فى مصر عاطفة الاغتراب والفخر ، فهو كذلك يلقى عليها مسئولية كبيرة ، لأن فى الاعجاب تشجيعا ووازعا وايماء الى النهج القويم الذى يتحتم السير فيه ، نحو العلى » •

وكان ساطع الحصرى فيلسوف القومية العربية ، من أول من نادوا من دعاة القومية ، بدعوة مصر الى مسامرة موكب العروبة ، وأثبت حقها فى تولى زعامة الأمة العربية ، ومن أمثلة ما كتبه فى هذا المقام ، ما جاء فى مقاله الذى نشر فى جريدة البلاد فى ١٩ أبريل سنة ١٩٣٦ :

« لقد زودت الطبيعة مصر بكل الصفات والمزايا التى تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة فى انهاض القومية العربية » •

واذا كان ذلك هو تقدير مفكرى العرب ، ودعاة القومية العربية لمكانة مصر وزعامتها ، قبل أن تأخذ مكانها فى الصف العربى ، فلا شك أنها الآن أصبحت أجدر بهذه الزعامة ، بعد أن أكدت اتبائها للأمة العربية ، وأصبحت تقوم بهذا الدور البطولى الرائد ، فى معركة القومية العربية ، متحملة فى سبيله أعظم التضحيات •

ويشير المؤرخ والفكر الفلسطيني الدكتور أنيس صايغ عن الظروف والأوضاع التي تؤكد الزعامة المصرية للعالم العربي « مصر كما هو معروف أكبر الدول العربية في عدد السكان وفي الامكانيات ، وأشهرها في المجال الدولي ، وأعرقها في التاريخ ، وأكثرها تمرسا في الاستقلال ، وأقدمها في اثبات الوجود عالميا ، وهي قاعدة الوطن العربي سياسيا وحضاريا ونفسيا وتكتيكيا وفنيا ، وتحفظ باعتبار خاص ، في قهوس المواطنين العرب ، لا يتوافر لدى اقليم عربي آخر من الناحية السياسية والنفسية ، حتى ولا للمدن ذات الأماكن المقدسة » .

ثم أشار الى ما أضافه جمال عبد الناصر ، الى أهمية مصر في العالم العربي ، بقوله « أضاف عبد الناصر في قيادته العربية الشاملة ، الى الامكانيات التي تتمتع بها بفضل حكمة مصر - وهي قاعدة العمل العربي - روحا جديدا ، ميزت هذه القاعدة بها في عهده ، فلم تعد مصر أمل العرب بجمالها وأهرامها وأبي هولها ، ورموز الماضي ، كما كانت قبلا ، بل أصبحت أملهم بثورتها ، وصناعاتها ، وجراتها ، ومركزها الدولي ، وشخصية رئيسها بالطبع » .

ويشير هذا الى أن مصر أفادت من ناصر في تجديد مركزها العربي ، وبعثه على أسس جديدة ، بقدر ما أفادته في تأمين مركزها التقليدي^(٧٤)

والواقع أن ظهور جمال عبد الناصر في مصر بالذات ، واتخاذ الحركة القومية الحديثة من مصر منطلقا لها ، دون غيرها من البلاد العربية ، كل ذلك كان له أعظم الأثر في تقوية هذه الحركة واكسابها هذه القوة الخارقة ، والصوت العالي ، والقوام العملاق . ولا شك أنه اذا كانت مثل هذه الدعوة قد ظهرت في بلد عربي آخر ، لما كان لها كل هذا الشأن .

وقد روى مازن البندك أن هذه النقطة قد أثرت بينه وبين الشاعر الكويتي تشي جيفارا اذ قال له « ان نقطة الضعف في ثورة أمريكا اللاتينية هي أنها بدأت في كوبا . فكوبا بإمكانياتها المحدودة ويسبب وضعها الجغرافي ، في أحضان الشاطئ الأمريكي ، كان قصارى جهدها وأعظم آمالها أن تحمي نفسها » .

وفي المقابل فإن انتصار الثورة في مصر وقدرتها على الصمود — وهي أكبر بلد عربي — جعل في الامكان أن تنطلق الثورة العربية بقوة هائلة ، مستندة الى قوة الثورة الأم ، ولذلك فإن انتصار الثورة في مصر ، كان مقدمة ضرورية لانتصارها في الجزائر ، وكذلك فإن ثورة اليمن ما كانت لتبقى لولا أن نجدها ثورة عبد الناصر ، وكذلك الأمر أيضا بالنسبة لثورة العراق سنة ١٩٥٨

ويوم اشتركت فرنسا في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ بفكرة ضرب ثورة الجزائر في مقرها الأساسي (في القاهرة) ، كان حسابها صحيحا . واذا تحققت فعلا وحدة الثورة العربية فإن هذا يعود بسبب انتصارها الحاسم في مصر بالذات (٥) .

٣ - تشكيك الأقليات الجنسية والطائفية ، في نوايا الدعوة القومية ازاءها :

يحاول أعداء الدعوة القومية — في مختلف مراحلها — تخويف الأقليات الجنسية والطائفية التي يضمها العالم العربي ، من نوايا الدعوى القومية ازاءها ، ويتهمونها بأنها تسعى الى اهتضام حقوقها ، وطمس معالمها الخاصة ، واكتساحها في تيار العروبة الغلاب ، ويعمدون الى اثاره الشكوك حول انتماء هذه الأقليات الى الأمة العربية ، ويركزون الأضواء على أصول أسلافهم الأولى من فينيقية وأشورية ، وفرعونية وبربرية ، وزنجية .

ويعد « الحزب القومي السوري » و « حزب الكتائب اللبنانية » من أخطر التكتلات السياسية التي تعبر عن هذا الاتجاه ، وتحارب الدعوة القومية بكل صلابة وعناد .

وبرغم أن هذا الاتجاه المعادي للقومية العربية ، لم يكن وليد المرحلة الناصرية الا أن القوى المعادية أصبحت أكثر ميلا لاستغلاله ، من أي وقت مضى .

ومن أمثلة الاسفاف في اثاره النعرات الجنسية البائدة ، ما ذكره (كيركبرايد) أحد سفراء بريطانيا السابقين بالأردن . بتعليقه على محاربة عبد الناصر لحلف بغداد « ان الصراع بين العراق ومصر ، هو صراع تاريخي أزلي ، منذ حروب الأشوريين والفراعنة » .

والواقع أن القومية العربية بطبيعتها ، وعبر تاريخها الطويل لم تتخذ الفوارق الجنسية وسيلة لاهتضام حقوق الناطقين بالضاد ، من غير العرب .
فما يروى عن الرسول الكريم « لا فضل لعربي على عجمي » ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى » . وكان مقياس العروبة يقوم على أنه « كل من تكلم العربية فهو عربي »^(٧١)

ولم تقم فكرة القومية العربية في يوم من الأيام على فكرة « النقاء الجنسي » . والتاريخ العربي غنى بأسماء كثيرة من الحكام والقادة والعلماء والأدباء ، الذين لم يكونوا ينتمون الى أصول عربية خالصة ، ومع ذلك فإن أحدا من العرب لم يعتبرهم غرباء عنه ، ما داموا ينطقون لغته ، وفي ذلك ما يؤكد عراقة الفكرة القائلة بالمضمون الثقافي للقومية العربية ، والتي عبر عنها الدكتور جمال حمدان ، في كتابه (شخصية مصر) بقوله :

« ما دام الأصل الجنسي القاعدي مشتركا في العالم العربي ، قبل الاسلام ، فليس يهم تماما بعد ذلك كم قطرة دم عربي انصبت هنا أو هناك . ولهذا تبقى العروبة والتعريب في جوهرها المنشود مضمونا ثقافيا أساسا .
وإذا كان لابد من مقياس مدرج للعروبة ، فليس جنسيا هو . ليس كمية اندم العربي التي أضيفت ، ولكنه كمية اللسان العربي التي استعيرت .
بمعنى آخر ، مقياس العروبة — مثلما هو أساسها — اللغة لا الجنس » .

ولقد كانت الحركة القومية العربية منذ نشأتها في مواجهة الاستبداد العثماني ، درعا لوقاية الجماعات التي توصف اليوم بالأقليات الجنسية والطائفية ، فوجدت الأمن والطمأنينة والأخوة الصادقة ، في ثوب العروبة السمج الفضفاض .

واحقا للحق ، فانه مما ساعد على اذكاء النزعة الطائفية ، هو ذلك الغموض الذي كان يشوب معنى القومية العربية ، في أذهان دعاةها وعلى ألسنتهم ، قبل المرحلة الناصرية عندما كانت « العروبة » و « الاسلام » تعتبران في كثير من الأحيان ، كلمتين مترادفتين .

وكان لبنان دائما خير مرتع لهذه البلبلات والأراجيف ، التي تجسمت خطورتها في الأحداث الدامية التي حدثت في سنة ١٩٥٨ في عهد الرئيس الأسبق كميل شمعون .

وقد أكد الرئيس الراحل في حديثه لأحد الزعماء اللبنانيين ، أنه لا موجب للخاوف التي تساور بعض العناصر اللبنانية المسيحية (كالموارنة) في وحدة مصر وسوريا ، كما أعرب له عن تقديره لخدمات المسيحيين من أبناء لبنان للعروبة ، فقال :

« اننى أريد أن يظل لبنان بلدا مستقلا ، وأريد أن يتمتع بسيادته .
اننا نحترم المسيحيين اللبنانيين كل الاحترام ، فهم الذين أدخلوا الطابع العربى الى مصر ، وهم الذين حفظوا لنا لغة القرآن . كل ما أريده من لبنان ألا يستخدم قاعدة للمؤامرات ضد الوطنية ، وضد الجمهورية العربية المتحدة » ١١٧ .

وقد أكد الرئيس الراحل تقديره لروابط الأخوة المسلمين والمسيحيين من أبناء الأمة العربية ، في تصريحاته وخطبه وأحاديثه العديدة ، ونختار منها بعض كلمات من خطابه الذى ألقاه بمناسبة وضع حجر الأساس لدير الراهبات في حلب في ١٨ فبراير سنة ١٩٦٠ أثناء الفترة التى قضاها في ربوع الاقليم السورى ، لحضور احتفالات العيد الثانى للوحدة وهى :

« قد حاول أعداؤنا دائما أن يثثوا الفرقة بين صفوفنا ، بين صفوف الوطن الواحد لينفذوا في وطننا ، وينفذوا في بلدنا . ولكنى كنت دائما أقول لآخوانكم في مصر : ان رصاص الأعداء أو قنابل الأعداء ، لا تفرق بين ملة وملة ، أو بين دين ودين ، أو بين عقيدة وعقيدة ، ولكنها تجمع أبناء الوطن الواحد ، تحت علم واحد . فان القنايل التى تزلت على بور سعيد ، لم تفرق بين المسلم والمسيحى . لم تفرق بين المذهب والمذهب ، ولكنها كانت تستهدف أبناء الوطن باعتبارهم عربا تجمعهم الراية » .

وفي الوقت الذى يعارض فيه عبدالناصر الدعوات الانفصالية التى تثيرها بعض الأقليات الجنسية التى تغالى في مطالبها ، ويكشف دور الاستعمار في توجيهها ، واثارتها ، نجده يعترف بحقوقهم كمواطنين

في الأسرة العربية الكبرى ، فيقول في حديث له مع وفد الصحفيين العراقيين في ٢١ فبراير سنة ١٩٦٦ تعليقا على تسرد بعض الأكراد في شمال العراق ومطالبتهم بالانفصال ، وبأن يكون لهم جيش منفصل :

« طبعا نحن لا نوافق أبدا على الانفصال بأي حال من الأحوال ، ولا نوافق على أية دعوة انفصالية داخل العراق ، كما أننا لا نرى في التقاطع مع ما يطلب هؤلاء الناس أن يكون لهم جيش مستقل ، عن الجيش العراقي ، ففي كل البلاد في العالم حتى ما كان منها اتحاديا أو فدراليا يكون الجيش جيشا واحدا ، ولكننا نرى أن يكون للأكراد حقوقهم القومية مثل اللغة وغيرها من الحقوق القومية المعروفة ، وأتمم قد اعترفتم بهذا في دستور العراق ، ونرى أيضا أن الحكم المحلي لا يمثل انفصالا ، ولكنه ينظم السلطات على أساس لامركزي » .

ثم قال « هذا يمكننا من القضاء على ما يراد من اقتصاص البلاد العربية واحدة بعد أخرى . ونحن نتمنى أن ينتهي هذا العصيان ، وتقوم العراق القوية بجميع أبنائها ، وبذلك لا يكون هناك أي محل لأية ألاعيب استعمارية في الوطن العربي أو في العراق ^(٧٨) »

٤ - تشكيك الشعوب الاسلامية في موافقة الدعوة القومية (بمضمونها الاجتماعي) للقيم الدينية :

آثار اتباع شعار « الحركة القومية ذات المضمون الاجتماعي » أو « الاشتراكي » ثائرة القوى الرجعية ، ربيبة الاستعمار ، وحليفته الطبيعية ، فاطلقت تدعى أن هذه الحركة بمضمونها الجديد ، قد انحرفت عن جادة الدين ، وأن ما يعبر عنه بالاشتراكية ، وبالأخص (الاشتراكية العلمية) ، هو في الحقيقة الكفر بعينه .

وليس بخاف على كل ذي عقل ، أن قصارى ما تهدف اليه هذه القوى من حملتها المغرضة هو المحافظة على مراكزها ومكاسبها ، التي لم تتوصل اليها ، ولم تحافظ عليها الا بالأساليب الاستغلالية ، التي تعد في حقيقتها من أبشع مظاهر الاخلال بالقيم الدينية .

وقد رد رئيسنا الراحل تلك المزاعم المغرضة المتجنية مرارا ، وكان أبلغ رد له عليها ذلك الذي ضمنه خطابه الذي ألقاه بالجلسة الافتتاحية لمجلس الأمة في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ وقال فيه :

« لقد قيل ان كلمة الاشتراكية العلمية هي من الكفر ، وانها ماركسية ، وسعت أنا هذا الكلام • وأظن كثيرين منكم سمعوا أيضا هذا الكلام • فما معنى الاشتراكية العلمية ، وأتينا اشتراكية عربية ولسنا اشتراكية علمية • هذا الكلام ان دل على شيء فانه يدل على مغالطة •

فمثلا عندما تتصفح الجرائد في الصباح ، نرى أنها تقول أحيانا أن فرق كرة القدم تخسر • وكى تكسب يجب أن تتدرب وأن تلعب بطريقة علمية ، ان أى فرد كى ينجح يجب أن يسير على طريقة علمية ، وإذا كنا نريد اشتراكية سليمة فاجحة ، يجب أن تكون بطريقة علمية ، وعكس الطريقة العلمية هي الطريقة الفوضوية ، فاشتراكيتنا اذن اشتراكية علمية قائمة على العلم وليست قائمة على الفوضى ، وهي ليست أبدا اشتراكية مادية ، ولم نقل أن اشتراكيتنا ، اشتراكية ماركسية ، ولم نقل أننا خرجنا عن الدين ، بل قلنا أن ديننا هو دين اشتراكي وأن الاسلام في القرون الوسطى حقق أول تجربة اشتراكية في العالم^(٧١) » •

وبهذا الأسلوب المبسط المقنع : يفضح الرئيس الراحل أباطيل أولئك الأدعاء ، ويسلط الأضواء على حقيقة الأسلوب الذى تتبعه حركتنا القومية ، تحت قيادته ، في طريقها الصاعد الجديد •

وقد تولى الترويج لهذه الحملة المغرضة • بعض المتجرين بالدين ، الذين لجؤوا الى معاقل الرجعية المتعاونة مع الاستعمار ، ليجعلوا من أنفسهم لسانها الناطق بالأراجيف •

وانه لمن العجيب أن يرفع الاستعمار والرجعية شعار الدفاع عن القيم الروحية ، في الوقت الذى تمارس فيه أشد النظم الاجتماعية اغرافا في الماديات ، وأبعدها عن كل ما تسمو به الروح ، وتزهو به الفضيلة والأخلاق •

عجيب حقا أن نرى أشد الدول الرأسمالية والرجعية ، امعانا في استغلال الانسان داخل بلادها وخارجها ، وفي العدوان على كل النوازع والاعتبارات الانسانية ، تنبأكى على القيم الروحية ، وتعلن أنه لا حياة لها الا في ظل نظامها الاجتماعى والاقتصادى الخاص .

فلا شك أن من الخطأ الجسيم ، أن نعتقد أن القيم الروحية لاتعدو أن تكون تراثا قديما ، علينا أن نحفظ به سليما ، لأن هذه القيم في أساسها خلق متجدد ، في ميدان العمل ومرشد يهديننا في محاولاتنا لبناء مستقبل أفضل ، « فان القيم الروحية تختنق لو أصبحت مجرد مجموعة من المبادئ الموروثة ، وتحيا وتزدهر اذا استحالت الى قوة دافعة توجه المرء في حاضره ومستقبله ^(٨٠) »

وقد اتفقت الندوات والمؤتمرات العديدة التى نوقش فيها موقف الاسلام من الاشتراكية ، على أنه لا خلاف بينهما ، وصدرت كثير من المؤلفات التى أثبتت ذلك على أسس من البحث العلمى الدقيق ، الذى أجراه المختصون فى العلوم الاسلامية ، والعلوم الاجتماعية والاشتراكية معا .

وقد بلغت تلك الحملة ذروتها ، واتخذت مظهرها السياسى الرسمى ، عندما ارتفعت أصوات بعض حكام الدول العربية والاسلامية ، عقب فشل العدوان الثلاثى على مصر ، تنادى بإنشاء « حلف اسلامى » لمواجهة ما أسمته بالخطر الذى يهدد القيم الاسلامية ، بينما هو فى الحقيقة ان كان خطرا ، فانه لا يهدد سوى مصالحها وأطماعها .

ومما يلفت النظر ، أن نرى بين الدول الاسلامية ، غير العربية التى دعت الى انشاء ذلك الحلف ، أو رجيت به ، من هو أكثر امعانا فى التعاون مع اسرائيل ، والارتباط بها ، من كثير من الدول غير الاسلامية ، التى أيدت الحق العربى ، من غير تحيز ولا مصلحة . كما أن من هذه الدول ما لا يزال يلتهم — ظلما وعدوانا — بعض أجزاء الوطن العربى ، ويتطلع الى المزيد .

ومما يفضح نوايا ذلك الحلف ، تلك السلسلة من المقتلات التي كتبها الوزير البريطاني السابق ألتوني فلتنج بعد جولة في الشرق الأوسط اثر اخفاق العدوان الثلاثي وقال فيها :

« ان الوسيلة الفعالة للتفاهم مع القومية العربية ، يجب أن تكون عن طريق اقامة جامعة اسلامية في المنطقة . وعندئذ تخرج هذه البلاد من حيز القومية العربية الضيق ، الى حيز العقيدة الاسلامية الواسعة ، حيث ينسى التركي والعربي والایرانی والباكستاني جنسياتهم، ولا يفكرون الا في الاسلام . وعندئذ يمكنهم التفاهم مع الغرب ، وحتى مع اسرائيل^(٨١) » .

وقد فضح الرئيس الراحل نوايا تلك الدعوة ، فقبرت في مهدها .

وعندما بذلت المحاولات لاحيائها مرة أخرى في سنة ١٩٦٢ ، اثر اجراءات التحول الاشتراكي ، التي هزت صروح الرجعية ، منيت تلك المحاولات بنفس المصير الذي لحق بالمحاولة السابقة . وكان الفضل في ذلك لأسلوب الاقناع والتوعية ، الذي اتبعه الرئيس الراحل في خطابه وتصريحاته ، والدور الذي قامت به أجهزة الاعلام العربية في ذلك الوقت .

وقد كان موضوع « الحلف الاسلامي » وما يشاع عن التعارض بين الاسلام والاشتراكية ، من الموضوعات التي ناقشها مؤتمر العلماء المسلمين في مجمع البحوث الاسلامية في دور انعقاده الثالث في سنة ١٩٦٦

وكان مما قاله فيه الشيخ علي عبد الرحمن ، رئيس حزب الشعب الديمقراطي بالسودان « ان الاسلام بطبيعته حلف شرعي وأصيل من صنع الله ، يوحد بين المسلمين ، ولا يحتاج الى حلف سياسي دخيل ، كما أنه دين اشتراكي يحارب الطبقة والعنصرية ولا يسمح بقيام طبقة تستغل الناس وطبقة أخرى تستغلها الطبقة الأولى ، وأن حملة الرئيس جمال عبدالناصر ، ضد الاستعمار حملة اسلامية صحيحة تستوجب تأمين جميع المسلمين » .

وقال مفتى طرسوس بسوريا « لا أتصور أن تدعو دولة تسير في ركاب الاستعمار الى حلف اسلامي • والحقيقة أنها دعوة الى تفرقة المسلمين لا الى تعاونهم » •

وجاء في قرارات المؤتمر في النهاية « يستنكر مجمع البحوث الاسلامية ، ما تنطوي عليه الدعوة لهذا الحلف من فكرة سياسية واستعمارية ، ويدعو الدول الاسلامية الى أن تأخذ حذرهما من خداع الأساليب السياسية الاستعمارية ^(٨٢) »

• - تشكيك الشعوب الافريقية في نوايا الحركة القومية العربية :

يقول « مازيموكولوماكيوا » عضو اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الوطني الافريقي ، وممثل جنوب افريقيا في السكرتارية الدائمة لمؤتمر التضامن الافريقي الآسيوي ، عن أصدقاء الثورة العربية المصرية في القارة الافريقية •

« كان للثورة المصرية الآثار الهائلة على الثورة الافريقية ، كنموذج حي للإمكانيات الجبارة التي تفتحت أمامها ، والمساندة الحقيقية المنزهة المادية والأدبية ، التي تلقاها حركة التحرير الافريقية ، من الثورة المصرية » •

ثم قال « كان الطريق الذي تنتهجه مصر في صراعها الداخلي ضد الامبريالية أبعد أثرا في ثورة أفريقيا من كل ما سبق ^(٨٣) »

ولقد أثارت أصدقاء الحركة الناصرية في أرجاء القارة الافريقية ، وتأثر وشعوبها بها ، حفيظة القوى الاستعمارية ، فانطلقت تجند أجهزتها الاعلامية ، لتشكيك الشعوب الافريقية من نوايا هذه الحركة ، وبث الفرقة والوقية بالعرب بصفة عامة ، وسائر سكان القارة الافريقية مستغلة في ذلك تلك النعمة المبتذلة المبالغ فيها التي كانت تدور حول تجسيم الذكريات البالية لاستعمار العرب القدامى للشواطئ الافريقية منذ مئات السنين ، وحملات استرقاق الزنوج فيها •

ولم تخجل تلك الأبواق الاستعمارية المغرضة ، ما قامت وما تزال
تقوم به دولها من استبعاد الشعوب الافريقية ، واستغلالها ، واخضاعها
لأبشع أنواع وأنظمة التفرقة العنصرية .

وكان طبيعيا أن تتعاون الصهيونية العالمية في هذه الحملة ، لوقف المد
الثورى العربى في هذه القارة وتشويه أهدافه ، واثارة الروح العدائية
للسعوب الافريقية ازاء العرب .

وكان مما يسر لها ذلك ، ما أتاحتها الدول الاستعمارية لاسرائيل ،
من المشاركة في مؤامراتها الاستعمارية المستترة ، التى اتخذت شكل
الوساطة .

وتعتمد اسرائيل في تنفيذ مخططها هذا على نفوذ الدول الاستعمارية
وثرواتها ، وعلى بعض الدعايات الكاذبة التى تحاول أن تقنع الافريقيين
بأنهم — هم واليهود — قد عانوا ضغطا ، وعاشوا في ظروف اضطهاد
متشابهة . كما تحاول الادعاء بأن بعض الشعوب أو الجماعات الافريقية
(فى سيراليون ونيجريا والحبشة مثلا) تنتمى الى أصول يهودية .

وتستغل اسرائيل دائما تلك الأسطورة التى تردد أن الأسرة المالكة
الحبشية تنحدر من أصل يهودى ، لأنها تنتمى الى (منليك) ابن الملكة
بلقيس من الملك سليمان ، الذى تربى في بيت المقدس ، ثم عاد الى الحبشة
ومعه مجموعة من الشباب الاسرائيلى ، عندما عينه والده ملكا عليها وكان
معهم (تابوت العهد) فحفظوه في عاصمة الحبشة القديمة التى أطلقوا عليها
(أرض صهيون الجديدة) .

وقد ناقش العلامة (أولندروف) في كتابه « الأثيوبيون » تلك
الأسطورة ، وأثبت ما تتضمنه من المبالغات والاضافات المغرضة . (١٤١)

وتحاول أيواق الاستعمار كذلك أن تستغل الخلافات الناشئة بين الحكومة الحبشية والشعبين الأريتري والصومالي ، وتعاطف الشعوب العربية مع هذين الشعبين ، لاثارة روح العداء بين الأحباش والعرب ، ضاربة في ذلك على الوتر الديني الحساس ، كما تحرص على الايقاع بين الحبشة ومصر والسودان ، وتخوفها من وجود دولتين اسلاميتين قويتين على حدودها . ومن أمثلة ذلك المقال الذي نشرته صحيفة (نيوزويك) في عدد ٥ مارس سنة ١٩٥٧ التي خوفت فيه الحبشة من (مصر عبد الناصر الطموح) .

والواقع أن الخلط بين معنى كلمتي « العروبة » و « الاسلام » وبين الاتجاهات التي تصدر عن وازع عربي ، وتلك التي تصدر عن وازع اسلامي ، قد استغلت في بعض الدول الأفريقية التي يتسم الخلاف بين الأغلبية والأقلية من سكانها ، أو بين سكانها وسكان الدول المجاورة لها ، بالطابع الديني .

ومن أظهر المشكلات التي تنطوي على هذه الخلافات ، مشكلة الاقليم الشرقي في نيجريا وانفصاله باسم (جمهورية بيافرا) ومشكلة جنوب السودان ، التي تتخذ وجهة انفصالية مشابهة .

وكذلك فقد استغل أعداء القومية العربية أخطاء بعض أفراد الجاليات العربية المقيمة منذ أمد طويل في سواحل افريقية الغربية (ومعظمهم من أصل لبناني) ، وفي سواحل افريقية الشرقية (ومعظمهم من أصول يمنية وحضرية ومستقطبة) . وذلك بسبب نشاطهم التجاري الذي هيا لهم أسباب التعاون مع العناصر الأوربية المستغلة ، ذات المصالح المتعارضة مع مصالح الشعوب الافريقية .

ويصور لنا التصرفات المنفرة لأولئك التجار في الشاطئ الافريقي الغربي ، ذلك التصريح الذي أولى به السيد وجيه أبو ظهر رئيس الغرفة التجارية في مدينة صيدا لصحيفة بيروت المساء في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٦١ عقب عودته من تلك المنطقة .

ومما يدل على أن أولئك التجار يقومون بتصرفاتهم هذه عن وازع استغلالي لا قومي ، ما ثبت من تعاونهم مع النشاط الاسرائيلي في بعض العواصم والثغور الافريقية^{٨٦}

وتشبه هذه الظروف — التي يحسن أعداء العرب استغلالها — تصرفات بعض العناصر العربية المستغلة في جزر وشواطئ افريقية الشرقية ، وقد تمثلت ذروة السخط عليها في تلك الثورة العارمة ، التي انتهت بخلع سلطان زنجبار في أوائل سنة ١٩٦٤ وقيام الوحدة السياسية بين زنجبار وتنجانيقا باسم « الجمهورية المتحدة لتنزانيا »^(٨٧)

وقد اتبعت قوى الاستعمار والصهيونية مخططا محكما ثابتا ، لاستغلال تلك الظروف جميعا في الايقاع بين الشعوب العربية الافريقية ، وسائر شعوب القارة •

ومما يعبر عن هذا الاتجاه ذلك البحث الذي كتبه ج. ش. فروليخ عن مؤتمر أديس أبابا في عدد يولييه سنة ١٩٦٣ بمجلة الدفاع القومي الفرنسية وقال فيه « ان الجو الودي الذي ساد المؤتمر باستمرار يجب ألا يجعلنا ننسى أن السود لا يثقون تماما بالعرب والبربر » •

كما قال « أما الوحدة الافريقية — وأنا هنا أردد ما قاله صحفي افريقي — فيمكن أن تتوقع أنها سوف تتم ، ولكن بدون افريقيا البيضاء » • يقصد الجزء العربي من القارة الافريقية •

وقد فضح الرئيس الراحل في خطبته بمؤتمر أديس أبابا المقصود من تلك المحاولة الاستعمارية وغيرها من المحاولات المشابهة ، التي تستهدف اشاعة الفرقة بين صفوف الشعوب الافريقية ، على أسس عنصرية وطائفية مفتعلة فقال :

« ان جميع التقسيمات التقليدية التي حاول الاستعمار فرضها على القارة وتمزيقها الى شمال الصحراء وجنوب الصحراء ، والى افريقيا بيضاء وسوداء وسمراء ، الى شرق وغرب ، الى افريقيا فاطقة بالفرنسية وأخرى فاطقة بالانجليزية ، قد انهارت جميعا ، وجرفتھا الحقيقة الافريقية الأصيلة . ولم يبق على أرض افريقيا غير لغة واحدة ، هي لغة المصير المشترك ، مهما اختلفت أساليب التعبير » .

وقد عبر فروليخ عن خشيته من امتداد تيار الحركة القومية الى داخل القارة الافريقية وأمله في أن تظل الخلافات بين دعوتى الوحدة العربية والافريقية فقال :

« ان المساعى التي تبذلها مصر من أجل توحيد الدول العربية تحت سيطرتها ، تنقل مركز الثقل الى افريقيا البيضاء ، فدعوة مصر الى الوحدة العربية من ناحية ، والمحاولات التي تبذلها الجزائر للقيام بدور هام في الشئون الافريقية من ناحية أخرى . هذه العوامل تقلقل افريقيا السوداء . ليس من الممكن التوفيق بين الوحدة العربية ، والوحدة الافريقية » .

ويرى الدكتور بطرس غالى أن هذا الرأى لا يستقيم مع الواقع السليم ، وأنه لا تناقض بين سياسة مصر العربية ، وسياستها الافريقية لأن مصر ليست دولة افريقية خالصة بل هي تبعا لموقعها وحدودها الجغرافية دولة افريقية آسيوية ، كما أن روسيا السوفيتية ، وتركيا تعتبر كل منهما دولة أوربية آسيوية . وهذا الموقع الجغرافى مفروض على مصر ، وبالتالي فهو مفروض على القارة الافريقية ، ما دامت مصر جزء منها .

كما يقول « العروبة لا تناقض الافريقية ، بل هي فى الواقع مكملتها لها ، لأن الوحدة العربية لا تقتصر على الدول التي هي من أصول عربية ، ولا على الدول التي تدين بالاسلام دون سواه . ولكنها مفتوحة لقبول الدول التي تتكلم اللغة العربية ، وتشارك مع العرب فى هدف واحد ، وتراث

واحد ، وأى دولة افريقية تستكمل هذه العناصر ، تصبح صالحة للانضواء تحت لواء الوحدة العربية . فالصومال وموريتانيا مثلا ، اذا تمت السيادة فيها للغة العربية يمكن أن تشملها الوحدة العربية ، وقس عليها عدة دول افريقية أخرى كالسنغال ومالي وغينيا^(١)

وكان مما ضاعف من اثارة حفيظة الاستعمار واسرائيل ، على الحركة القومية العربية ، وقائدها جمال عبد الناصر ، تلك القرارات التى وفق لاستصدارها لصالح القضايا العربية ، من المؤتمرات الافريقية ، والافريقية الآسيوية ، الرسمية منها والشعبية ، وما تكسبه هذه الحركة كل يوم من عطف ، وما تقدمه من قدوات لدى الشعوب الافريقية .

وقد انتقد المعلق السياسى لجريدة (ايفسيتا) السوفيتية فى مقال له بعد أغسطس سنة ١٩٦٣ من مجلة اترناسيونال أفير ، أساليب الايقاع بين الشعوب العربية ، والشعوب الافريقية الأخرى بالقارة ، وبين القومية العربية والقومية الافريقية وقال :

« الواضح أن الذين رددوا مثل هذه الأمور انما يريدون أن يتجاهلوا حقيقة الأوضاع فى النصف الثانى من القرن العشرين » .

ولقد استطاع قائدنا الراحل عن طريق تشجيع الحركات الوطنية الافريقية ، ومدّها بكل ما تحتاجه من عون مادي وأدبي ، ومواقفه الصلبة الى جانب قضاياها التحررية فى المجالات الرسمية والشعبية ، دون أن يضمن عليها بأعظم التضحيات بما فى ذلك التعرض لغضب الدول الكبرى .

أدى ذلك كله الى اكتساب ثقة هذه الشعوب ، وتعاطفها مع الحركة القومية العربية ، واعتبارها بمثابة القدوة لها ، وتكذيبها للدعوى والباطل الاسرائيلية .

وكان لذلك أثره الفعال في تزايد ميل الدول الافريقية نحو تأييد الحق العربي ، والتصويت الى جانب القضايا العربية ، مع التنبه الى خطورة التسلل الاسرائيلي الى قلب القارة . وحقيقة دور اسرائيل كمخلب قط للدول الاستعمارية . وقد أحست اسرائيل بخطورة هذا التحرك الفعال ، للسياسة العربية ، في قلب القارة الافريقية ، وتصدع سياستها التي ترمى الى التشكيك في نوايا الحركة القومية العربية ، وقائلها ازاء الشعوب الافريقية ، فقام أبا يان وزير الخارجية الاسرائيلية برحلة لبعض الدول الافريقية ، صاحبها حملة من الصحف الاسرائيلية ، التي تهدد بوقف مساعدات التنمية التي تقدمها اسرائيل لتلك الدول ، كما هددت صراحة بالمساهمة في قمع حركات التحرر الافريقية .

ولقد لخصت مجلة (هوريتسونت) الألمانية الديمقراطية أهداف هذه الرحلة بقولها « انها محاولة لعزل حركات التحرر الوطني الافريقي عن النضال العادل للشعوب العربية » وأنها تستهدف أيضا الضغط على البلدان الافريقية ، بعد أن ازدادت مطالبها بانسحاب اسرائيل من الأراضي العربية المحتلة » (٨٩) .

وهكذا تخطو السياسة الناصرية كل يوم خطواتها الموفقة المتتابعة نحو اكتساب ثقة الشعوب الافريقية في نوايا حركتنا القومية وتعاطفها مع القضايا العربية ، في الوقت الذي تفضح فيه حقيقة النوايا الاسرائيلية ، نحو الشعوب ، وتعمل على محاصرة التسلل الصهيوني وحملة على التراجع ، فتكسب كل يوم مواقع جديدة ، في الوقت الذي تخسر فيه اسرائيل موقعا بعد آخر . وبذلك يحقق التعاون الحر الشريف بين الحركة القومية العربية ، والحركات الوطنية الافريقية ، الغاية المشتركة لنضال شعوبها جميعا .

الفصل السابع

مستقبل الحركة القومية بعد وفاة الزعيم الراحل

ما ان اقتتل زعيمنا الراحل — باعث الحركة القومية ، وشهيد نضالها الحر الشريف — الى رحاب الله ، حتى بدأت أبواق الأعداء تتساءل عن مصير هذه الحركة ، بعد وفاة قائدها وتردد من التخيلات والتنبؤات ما تستهدف به تشييط همم العرب ، وإشاعة البلبلة في صفوفهم ، وإفقادهم الثقة في أنفسهم ، وبث روح الهزيمة والاستسلام فيهم .

وكان من الأراجيف التي أذاعوها فكرة « الفراغ » الذي تصوروا حدوثه بعد وفاته .

وفي الوقت نفسه ارتفعت بعض الأصوات معلنة أن الرسالة التي أداها جمال عبد الناصر قد بلغت من التمكن في النفوس والتعرس على مواجهة العواطف والأعاصير ، ما يشبه انطلاق المارد من القمم الذي حبس فيه منذ أجيال وأجيال (٩٠) .

وكان مما ذكرته جريدة (التايم) الأمريكية في عددها الخاص عن (العالم العربي بعد ناصر) « ان جمال عبد الناصر ان كان قد رحل عن المنطقة فمبادئ الناصرية ستظل باقية الى الأبد » .

ولكنها تساءلت « هل ستظل مصر منار العالم العربي ، ومصدر الثورات ، كما كانت في عهده ، وهل ستظل الناصرية (بذرة الثورات) ، كما وصفها بتير شفيلد في كتابه (مصر ناصر) ، وقالت صحيفة (نيوزدوتشلاند) بالمائيا الديمقراطية في مقال نشرته في عدد ١٢ أكتوبر سنة ١٩٧٠ عن استمرار سياسة الجمهورية العربية المتحدة « لقد وجدت القيادة المصرية صفوفها ، والتحمت ، واتخذت الخطوات اللازمة لتضمن استمرار سياستها ، ومواجهة الأعباء الجسام التي تواجهها ، ولحماية وازدياد المنجزات التي حققها الشعب في مجال الانتاج ، وهذا بفضل موقف الاتحاد الاشتراكي العربي السليم ، وكذا موقف المسؤولين في الحكومة المصرية » (٩١) .

والواقع أن التساؤل عن مستقبل الدعوة الناصرية ، كان يتردد دائما على السنة الكثير من الكتاب الأجانب ، في حياة رئيسنا الراحل ، وكان بعضهم يحاول أن يظهر أن هذه الدعوة لن يكتب لها البقاء عندما تطوى صفحة حياته ، بينما أكد الكثيرون أن هذه الدعوة قد بلغت من النضج والصلابة والانتشار ، ما سوف يحقق لها الصمود والخلود إلى الأبد ، وأن جمال عبد الناصر قد مهد لهذه الدعوة طريقها السليم الذي لن تضل فيه ، وحدد لها الهدف الواضح الذي لن تنحرف عنه ، وأثار فيها كوامن العزة والكرامة ، وحطم قيودها ، وكشف عن بصيرتها ، وفجر في أعماقها من الطاقات الثورية الخلاقة ، ما سوف يعجز أية قوة عن كبتها ، أو الوقوف في طريقها .

ومن ذلك ما قاله الكاتب الأمريكي ولتون وين في كتابه (عبد الناصر : قصة البحث عن الكرامة) الذي نشر باللغة العربية في سنة ١٩٥٩ « لقد أصبح جمال عبد الناصر زعيم العالم العربي ، لأنه يمثل في ذات نفسه أمانى العرب ومشاعرهم الحاضرة أكمل تمثيل ، ولقد أقام الدليل على أنه ليس في استطاعة أى زعيم عربى أن ينجح كزعيم إذا ما عارض هذه المشاعر أو ناقضها . أولئك الذين يناقضون هذه المسألة لابد أن ينتهوا الى مثل نهاية الملك عبد الله أو نوري السعيد ، أو الملك فاروق . وكثير ما وقع الزعماء الغربيون في نفس الحماقة التى ما بعدها حماقة ، والتى تقول بأن الناصرية سوف تنتهى اذا ما أزيح شخص عبد الناصر من الطريق . ولقد سقط ايدن وموليه في هذا الشرك . كانوا قد مثلا الصورة التشبيهية الزاعمة بأن عبد الناصر هو « هتلر الصغير » أقول أنهما كانا قد قبلتا تلك الصورة قبولا كاملا ، حتى لقد توهمتا أن القضاء على عبد الناصر سوف يعنى نهاية الناصرية ، كما هى القضاء على هتلر نهاية النازية .

لكن الناصرية مستقلة عن عبد الناصر ، وسوف تستمر سواء بقى عبد الناصر على قيد الحياة أم لم يبق .

وقال جاك دومال ، ومارى لوروا فى كتابهما عن (جمال عبد الناصر :
من حصار القلوجة حتى الاستقالة المستحيلة) والذي نشر بالعربية
سنة ١٩٦٨ •

« قد ينتهى جمال عبد الناصر ، ولكن سرعان ما ينهض غيره ليحل
محلّه كما سبق أن أعلن مرارا وتكرارا » •

وقد كان ذلك فعلا ما كان يردده قائدنا ومعلمنا العظيم الذى كان
يؤمن بأن راية القومية العربية التى ارتفعت ستظل باقية وستنتقل من يد
الى يد ، ولن يتحقق أمل أعدائها فى سقوطها أبدا ، ان شاء الله •

ومن ذلك قوله فى خطاب ألقاه فى مدينة المنيا فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٧
« هذه القومية العربية سيرتفع علمها • لم يرفعه جمال عبد الناصر وحده ،
ان جمال عبد الناصر هو جندى القومية العربية • ولكن سيرفعها الشعب
العربى فى كل بلد عربى •

وهذه القومية العربية — أيها الاخوة — لا تعنى مطلقا ، ولا تعنى بأى
حال رياسة فرد أو رياسة أفراد ، ولكنها تعنى سيادة الأمة العربية وتعنى
سيادة الشعب العربى •

هذه القومية العربية اذا كنا رفعنا لواءها ، واذا كنا تسلمنا قيادها ،
فان قيادها سيستمر من يد الى يد ، وعلى مر الزمن ، وعلى مر الأيام • بين
كل أفراد هذه الأمة العربية ، بين كل أفراد هذا الشعب العربى •

هذه القومية العربية لا يمكن أبدا أن تكون لواء لفرد ، أو أن يرفع
لواءها جمال عبد الناصر ، لأن القومية العربية هى أتم هى مشاعركم ،
هى آمالكم ، هى كفاحكم ، هى قتالكم ، هى دماء شهدائكم وأجدادهم •

ولا نجد أخيرا ما نختم به هذا الحديث ، خيرا من تلك الكلمات المؤمنة الحكيمة ، التي تقتطفها من كلمة الرئيس اللىبى معمر القذافى ، التي ألقاها فى احتفال ذكرى الأربعين لوفاة الزعيم الراحل والتي قال فيها :

« عزاؤنا اليوم هو أننا كلنا أمل وثقة ، فى أن صحبة جمال ورفقاء الكفاح معه ، يكونوا قادرين على رفع الرايات التي رفعها جمال ، ومواصلة مسيرة النضال ، لينتصر الحق العربى ، وتنتصر الكرامة العربية التي جرحت .

وأنا شخصا كلى أمل فى الأخ العزيز المناضل أنور السادات ، الذى كان رفيقا لجمال ، والذى وهب شبابه من أجل مصر ، ومن أجل المبادئ ومن أجل الثورة » .

الى أن قال :

« ان جمال لم يكن شخصا مجردا ، ان جمال كان مبادئ ، وكانا حركة للتاريخ ، وان الحركة الناصرية اليوم التي تتطلب كل جماهير الأمة العربية ، المؤمنين بالحرية والاشتراكية والوحدة انما تعى اليوم جيدا أنها تواجه المؤامرات من الداخل ، والتحديات من الخارج ، وهى أقوى ماتكون وعيا وأشد ماتكون صلابة ، وسوف لن ينال منها أحد وسوف تستمر هذه الأمة رافعة لأعلام جمال عبد الناصر ، لأنها أعلام القومية والعروبة ، وأعلام الوحدة ، وأعلام الشار ، وأعلام الكرامة .

وسوف يستمر شعب مصر العظيم طليعة لكفاح هذه الأمة » .

كشف المراجع

- (١) محمود الشنيطى (قضية ليبيا) ص ٢٥٨
- (٢) المرجع السابق ص ١٦٥
- (٣) الدكتور سامى عزيز (الصحافة العربية : ومواقفها من الاحتلال الانجليزى) ص ٩٦ و ١٨ و ١٨٤ والدكتور محمود نجيب أبو الليل (الامانى الوطنية والمشكلات العربية فى الصحف الفرنسية منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الاولى) ص ٤٦
- (٤) الدكتور م. محمد حسين (الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر) ج ١ ص ٢٠٥
- (٥) الدكتور سامى عزيز (المراجع السابق) ص ٩٤ والفيكونت فيليب دى طرازى (تاريخ الصحافة العربية) ج ١ ص ١٣٩
- (٦) الدكتور م. محمد حسين (المرجع السابق) ج ١ ص ٢٠٤
- (٧) مذكرات محمد فريد - مجلة الكاتب عدد ديسمبر سنة ١٩٦٩ وعدد فبراير سنة ١٩٧٠
- (٨) عبد الرحمن الرافعى (الثورة العربية : والاحتلال الانجليزى) طبعة ١٩٦٦ ص ٤٣١
- (٩) الدكتور أنيس صايب (الفكرة العربية فى مصر) ص ١٠٨
- (١٠) أحمد شفيق باشا (مذكراتى فى نصف قرن) ج ١ ص ٢١٢
- (١١) زكى محمد مجاهد (الاعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية) ج ٢ ص ١٦ و ٤٨ ومجلة الهلال عدد ٥ مارس ١٩١٢ ص ٢٢٣
- (١٢) عبد الفتاح أبو النصر الباقي (مذكرات قائد عربى من الحرب العامة والشئون العربية) ص ١٩٢
- (١٣) الدكتور أنيس صايب (المرجع السابق) ص ٩١ و ١٤٢
- (١٤) أحمد شفيق باشا (حوليات مصر السياسية) الحولة الاولى ص ٦٨
- (١٥) محمود أبو الفتوح (المسألة المصرية والوفد) ص ٩٤
- (١٦) ترجمة وديع البستاني ص ٨٦
- (١٧) الدكتور أنيس صايب (المرجع السابق) ص ١٥٧
- (١٨) محمد على الطاهر (نظرات الشورى فى الاحوال الشرقية الحاضرة) ص ١٣١
- (١٩) فتحي رضوان (عصر ورجال) ص ٢١٠
- (٢٠) المرجع السابق ص ٤٠٦
- (٢١) أحمد لطفى السيد (قصة حياتى) ص ١٨
- (٢٢) حسن عبد العزيز (حركة الفكر القومى فى مصر من حكم محمد على الى الحرب العالمية الثانية) مجلة الطليعة عدد يناير ١٩٦٧
- (٢٣) الدكتور م. محمد حسين (المرجع السابق) ج ٢ ص ١٢٢
- (٢٤) ساطع الحصرى (ابحاث مختارة فى القومية العربية) ص ٢٠٢

- (٢٥) محمد عزة دروزه (حول الحركة العربية الحديثة) ج ٢ ص ٧٣
- (٢٦) محمد على الطاهر (المرجع السابق) ص ٩٧
- (٢٧) الدكتور أنيس صايغ (المرجع السابق) ص ١٧٢
- (٢٨) محمد على الطاهر (المرجع السابق) ص ١٤٣
- (٢٩) الدكتور أنيس صايغ (المرجع السابق) ص ٢٥٩
- (٣٠) الدكتور عبد العزيز الأهواني (الوحدة العربية بين المد والجزر) مجلة الكاتب الحلقة الأولى من البحث عدد يناير ١٩٦٦ و (الوحدة العربية والتقدمية) عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠
- (٣١) عبد الرحمن البزاز (من وحى العروبة) ص ١٤٧
- (٣٢) الدكتور أبو الفتوح رضوان (القومية العربية) طبعة ١٩٦٥ ص ٣٦٤
- (٣٣) الدكتور عبد العزيز الأهواني (الوحدة والتقدمية) مجلة الكاتب عدد نوفمبر سنة ١٩٧٠ وعبد الكريم أحمد (المضمون الاشتراكي للقومية) عدد مارس سنة ١٩٦٨
- (٣٤) الدكتور عبد العزيز الأهواني (الوحدة العربية بين المد والجزر) الحلقة الثالثة من البحث عدد مايو سنة ١٩٦٦
- (٣٥) الدكتور أنيس صايغ (الهاشميون والثورة العربية الكبرى) ص ٢٨
- (٣٦) الدكتورة نجلاء عز الدين (العالم العربي اليوم) ص ٥١٢
- (٣٧) الدكتور أنيس صايغ (من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر) ص ٦٨
- (٣٨) المرجع السابق ص ٣١
- (٣٩) الدكتور محمد حافظ غانم (محاضرات عن جامعة الدول العربية) ص ٣٤
- والدكتور نور الدين حاطوم (محاضرات عن حركة القومية العربية) ص ١٠٨
- (٤٠) الدكتور عبد المنعم محمد حسنين واحمد فريد على (الشروعات الاستعمارية في افريقيا) ص ٥٨٥
- (٤١) توفيق على برو (العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤) ص ٥٢٠
- (٤٢) الهاشميون والثورة العربية الكبرى ص ٣١٤ والفكرة العربية في مصر ص ٩٢
- (٤٣) مذكرات الملك عبد الله ص ٢٤٩
- (٤٤) الدكتور جمال حمدان (شخصية مصر) ص ٥٠٠
- (٤٥) الدكتور محمد كامل ابو ليله (المجتمع العربي ومبدأ القومية العربية) ص ٤
- (٤٦) ر . ك كارنجيا (الفجر العربي) ص ١٤٠
- (٤٧) مجموعة اخترنا لك (خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٥٢ - ١٩٥٩ ج ١ ص ١٤٠
- (٤٨) الدكتور محمد طه بدوي الدكتور محمد طلعت الضيمي (دراسات سياسية وقومية) ص ١٨٠ والفكرة العربية في مصر ص ٢٧٥

- (٤٩) دراسات سياسية وقومية ص ١١٢ . والدكتور مصطفى فهمي أبو زيد « في الحرية والاشتراكية والوحدة » ص ٤٧٦
- (٥٠) الدكتور سليمان الطماوى (التطور السياسى للمجتمع العربى) طبعة ١٩٦٦ ص ٢٦٠ والدكتور رمزى الشامر (المجتمع العربى) طبعة ١٩٧٠ ص ٢١٤
- (٥١) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ٨ ص ١٥٥١
- (٥٢) كمال الدين رفعت (من وحى الوحدة) مجلة الكاتب عدد مارس ١٩٦٨
- (٥٣) مصطفى طيبه (المرونة مع الجسم طريق وحدة النضال العربى) مجلة الطليعة عدد يولييه سنة ١٩٦٧
- (٥٤) التطور السياسى للمجتمع العربى ص ٤١٥
- (٥٥) أنور الجندى (القومية العربية والوحدة الكبرى) ص ٢٣٤
- (٥٦) افتتاحية مجلة الطليعة عدد أغسطس وعدد سبتمبر سنة ١٩٦٦
- (٥٧) الدكتور أبو الفتوح رضوان (المرجع السابق) ص ٣٨٦
- (٥٨) من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر ص ١٩٤١-١٩٥٧
- (٥٩) مازن البندك (دعوة الى الثوريين العرب) مجلة الكاتب عدد يونيه ١٩٦٥
- (٦٠) الدكتور نور الدين حاطرم (والمرجع السابق) ص ٦٠ و ٦٣
- (٦١) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ٣ ص ١١٠٧
- (٦٢) المرجع السابق ج ١٠ ص ١٨٨٣
- (٦٣) في الحرية والاشتراكية والوحدة ص ٥٣١
- (٦٤) الفكرة العربية في مصر ص ٢٠٦
- (٦٥) المستشار محمد أحمد رجب (ثورة رائدة) ص ١٤٧
- (٦٦) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ١ ص ١٢١
- (٦٧) فؤاد دياب (المغرب الأسمى بين الماضى والحاضر) ص ٥٧
- (٦٨) ثورة رائدة ص ١٥٦
- (٦٩) الفكرة العربية في مصر ص ٢٩٦
- (٧٠) ثورة رائدة ص ١٩٠
- (٧١) التطور السياسى للمجتمع العربى ص ٣٦٣ ومحاضرات عن حركة القومية العربية ص ٦٧
- (٧٢) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ج ٣ ص ١٠٥٢
- (٧٣) عبد الله الطريقي (رؤية قومية للواقع العربى) مجلة الطليعة عدد يولييه ١٩٦٦
- (٧٤) من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر ص ١٧١
- (٧٥) مازن البندك « دعوة الى الثوريين العرب » مجلة الكاتب عدد يونيه ١٩٦٥
- (٧٦) الدكتور يوسف عز الدين (تطور الفكر العربى) مجلة المجتمع العلمى العراقى المجلد ١٥ سنة ١٩٦٧

- (٧٧) دكتور حسدى بدوى الطاهري (سياسة الحكم في لبنان) ص ٤٦٠
- (٧٨) التطور السياسي للمجتمع العربي ص ٢٣٧ والعقيد أ.ج أمين سامي الضراوى
(قصة الاكراد في شمال العراق) ص ٤٠٢
- (٧٩) كتب قومية - العدد ٢٧٤ (اقامة الحياة الديمقراطية السليمة) من اقوال
الرئيس جمال عبد الناصر
- (٨٠) الدكتور فؤاد زكريا (الاشتراكية والقيم الروحية) مجلة الفكر المعاصر عدد
اكتوبر سنة ١٩٦٩
- (٨١) مجلة الطليعة عدد سبتمبر ١٩٧٠ مكتبة الطليعة (كتاب من حلف بغداد الى
الحلف الاسلامى)
- (٨٢) مجلة الطليعة - عدد اكتوبر ١٩٦٦ من تقارير الشهر (الاسلام يحارب الطبقية
والعنصرية)
- (٨٣) مازيموكولا ماكيوا (اتفاق حركة التحرير الافريقية بعد ٢٣ يوليو) مجلة الطليعة
عدد يوليو ١٩٦٦
- (٨٤) المهندس فتحى غيث (الاسلام والحبة عبر التاريخ) ص ٢٣
- (٨٥) الدكتور محمد صبرى (توفر التضامن الافريقى الاسيوى) مجلة معهد الدراسات
الاسلامية العدد ١ السنة ١ / سنة ١٩٥٨ ص ١٨٠
- (٨٦) سياسة الحكم في لبنان ص ٤٥٤
- (٨٧) محمد ميسى (جوليوس نيريرى ثائر من افريقيا) مجلة الفكر المعاصر عدد
ابريل ١٩٦٨ ، ومجلة الطليعة عدد اكتوبر سنة ١٩٦٦ تقارير الشهر (تترايا خطوة جديدة
في طريقة اللقاءات الثنائية) .
- (٨٨) الدكتور بطرس غالى (منظمة الوحدة الافريقية) ص ١٤٢ و ص ١٤٦
- (٨٩) مجلة الطليعة عدد يناير ١٩٧٠ تقارير الشهر (اسرائيل وافريقيا)
- (٩٠) دكتور شريف حتاته (فصل جديد في جمعية الأمم) مجلة الكاتب عدد نوفمبر ١٩٧٠
- (٩١) زينات الصباغ (وجهة نظر الصحف الأجنبية) : العالم العربي بعد عبد الناصر
عدد نوفمبر ١٩٧٠



معهد تدريب ضباط الشرطة

البحث الثاني

جمال عبد الناصر
والثورة الاجتماعية

بقلم:

النقيب حامد محمد احمد



بسم الله الرحمن الرحيم

الكافة . . .

تكون . . .

وتعيش . . .

وتموت . . .

ولكن الصفوة يخصصها القدر بالخلود . . .

فيكون الفرد منهم انسانا . . .

ويعيش مناضلا . . .

ويموت شهيدا . . .

وهكذا كان قدر جمال عبد الناصر . . .

انسانا كاسمى ما يكون الانسان . . .

مناضلا كاعظم ما يكون النضال . . .

شهيدا كاعذب ما تكون الشهادة . . .

اهداء

الى : اعز الرجال ...

الى : صانع تاريخ مصر الحديث ...

الى : روح الشهيد الذى مات لتحيأ أمته ...

الى : الملايين الذين ودعوه مرددين ...

(سنكمل المشوار)

أهدى هذا الجهد المتواضع

نقيب : حامد محمد

مقدمة

ليس هذا البحث عن جمال عبد الناصر والثورة الاجتماعية . كما هو موضح بعنوانه . نعم . ذلك لأن جمال عبد الناصر وثورة عبد الناصر أكبر من أن تكون موضع بحث في صفحات معدودة . كما أن عبد الناصر وثورته أكبر بكثير من أن أتسرع أو يتسرع غيرى ويكتب عنهما . وإذا ما حدث وحاول أحد مثلما فعلت فانتى أعتقد أنه لم يف ولن يف عبد الناصر أو ثورته حقهما لأن الحديث عن عبد الناصر كثير وطويل . وأن أعماله وماآثره في مصر والعالم العربى والعالم أجمع سيحتاج لسنين طويلة . لأن معالجة هذا الموضوع الهام والحيوى أكبر من طاقة أى فرد وفى مثل هذه الفترة الزمنية الوجيزة التى أتيت ومعه ذلك فانتى أود هنا وبقدر ما أستطيع أن أجعل عبد الناصر نفسه هو الذى يتكلم . لا بصوته . فقد ذهب جسده وروحه الى رحاب الله . ولكن يتحدث هنا بعبادته وأعماله . وكل ما أود هو أن أمهد الطريق لكى تأتى كلمات عبد الناصر نفسه معبرة عما يريد عبد الناصر .

فلننظر كيف أعاد صياغة العلاقات الاجتماعية فى المجتمع بعد أن كانت علاقة « سيد ومسود » لقد جعل المعدم مالكا . والعمل عضوا فى مجلس الادارة ، والمريض وجد علاجا ودواء ، المواطن المحطوم ارتفع عزة وكرامة . . وقد صاغ صرخات وأنين المظلومين ، ضحايا الحزبية ، ضحايا الاقطاع ، ضحايا الاستبداد ، ضحايا المتألهين بالاحساب والانساب . . صاغ من كل هذا ثورته الاجتماعية الاشتراكية . .

والثورة الاجتماعية هى الثورة الاشتراكية التى أعلنها الزعيم الخالد يوم قيام الثورة سنة ١٩٥٢ وقد سار بثورته الاجتماعية مع ثورته الوطنية ، وقابل فى مسيرته عناصر الثورة المضادة ومعوقات كثيرة . . الا أن كل ذلك لم يشبه عن عزمه وسار فى طريقه الذى حددده ليحقق أهدافه التى أعلنها . . وقد اختار الثورة الاجتماعية طريقا للتحويل الاشتراكى ولم يستورد نظريته الاشتراكية بل صاغها من واقع حياته ومجتمعه ومن كفاح شعبه .

وأنجزت ثورة عبد الناصر الكثير ، وليس في طاقتي أو طاقة أحد أن يحصى ما أنجزته إلا أن السد العالي العظيم يشهد بذلك في أسوان وقلاع الصناعة في حلوان وزيادة المساكن وال عمران والصحة والاعلام والتقدم الصناعى وتحرير العسل والعسل وتحزير الفلاح وكل مجال من مجالات الحياة لمستها انجازات ثورته فأحالتها الى حياة من بعد عدم .

وأن ثورة عبد الناصر الاجتماعية باقية وستظل مهما كانت الظروف ومهما كانت العقبات وطريق عبد الناصر هو طريق النصر وطريق الكرامة وطريق الحرية والاشتراكية والوحدة .

فملتقى في الفصل الأول : بجمال عبد الناصر

وفي الفصل الثانى : بمفهوم الثورة الاجتماعية

وفي الفصل الثالث : بحتمية الحل الاشتراكى

وفي الفصل الرابع : ببعض انجازات ثورة عبد الناصر

وفي الفصل الخامس : بثورة عبد الناصر بعد رحيله

الفصل الأول

جمال عبد الناصر

في كل عام ، وفي كل شهر من العام ، وفي كل يوم من الشهر يولد هنا وهناك مئات الألوف ، ثم يقضى منهم من يقضى ويبقى من يبقى ، ولكن التاريخ ربما لا يحفل بهؤلاء جميعا ، وربما يلقي قلمه أعواما متوالية لا يحفل بمن يولدون ، لأنه لا يخط في سجل الخلود سوى العظماء والأبطال ..

ويثور السؤال التالي .. من هو عبد الناصر ؟ ؟

انه ابن الشعب البار الذي قال في ١٦/٣/١٩٦٥ : « ان جماهير شعبنا العظيمة المناضلة تمنحني في كل يوم من رضاها ما يفوق طاقتي على الوفاء ولست أملك غير عملي وحياتي .. أريدكم جميعكم وبغير استثناء معي .. احتاج أكركم مع فكري وضائركم مع ضميري وأيديكم مع يدي .. ويا وطن الحرية والأحرار سلمت دائما وظللتك الى الأبد رايات العزة والعدل والتقدم والسلام » .

ان الفلاحين الذين وزعت عليهم أراضي الاقطاعيين ، والذين خفضت لهم الايجارات ، والذين تسوق محاصيلهم الآن تسويقا تعاونيا مجزيا ، والذين يزودهم النظام بكل احتياجاتهم في الزراعة ، وكذلك الفلاحين الأجراء الذين يعملون في الأرض يعرفون جميعا جمال عبد الناصر الذي كان وراء كل الاجراءات التي اتخذت في صالحهم وتتخذ لصالحهم .

ان العمال الذين رفعت أجورهم وزيدت مكاسبهم وحددت لهم ساعات العمل ، وفتحت لهم المصانع وفتحت لهم معها فرص العمل العديدة بالأجور المجزية ، والذين أخذوا مكانهم الجدير بهم في الحياة الاجتماعية ، يعرفون جميعا جمال عبد الناصر الذي كان وراء كل الاجراءات التي اتخذت وتتخذ لصالحهم .

ان الفلاحين والعمال أغلبية الشعب الكبرى الذين ارتفعت راياتهم في عهد عبد الناصر والذين صاروا يمثلون بأغليبتهم في مجلس الأمة ومجالس الشعب والادارة يعرفون ويدركون أن جمال عبد الناصر كان وراء كل ما في أيديهم من حقوق ، وأنه تعرض من أجل الدفاع عن هذه الحقوق لحملات مسعورة من كل القوى المضادة محليا وعالميا كل القوى المعادية للفلاحين والعمال •

ان المثقفين الذين يعملون في أجهزة الدولة وفي منشآت القطاع العام وفي المهن المختلفة وفي مجالات العلم والفكر والأدب والفن والثقافة عموما يدركون ويعرفون جيدا من هو جمال عبد الناصر لأنه كان ولا يزال وراء كل الأعمال التي تمت لصالحهم وأنه كان يعطى مشاكلهم واهتماماتهم جزاء كبيرا من عنايته واهتماماته •

ان الجنود الذين صاروا في عهد عبد الناصر يؤلفون أقوى جيش في المنطقة العربية يعرفون تماما أن هذا الجندي الكبير هو الذي صنع لهم ويصنع معهم أمجاد وطننا وشعبنا وثورتنا وانتصارات الأمة العربية كلها ••

ان أصحاب رؤوس الأموال الوطنية غير المستغلة يعرفون أن جمال عبد الناصر فتح لهم بسياسته الوطنية الاستقلالية وبخطته للتنمية الاقتصادية فرصة المساهمة في البناء الاقتصادي للمجتمع •

ان الاستعمار والصهيونية والرجعية وكل قوى العدوان والتخلف التي لا تزال تتحدانا وتقاومنا وتقف ضدنا • تعلم جيدا من هو عبد الناصر الذي قادنا وكان يملك القدرة والكفاءة والاستعداد لقيادتنا في كل المعارك • دفاعا عن الاستقلال والاشتراكية والديمقراطية والوحدة •

ان عبد الناصر ليس مجرد زعيم وقائد ، ولكنه رسالة ، وهو عقيدة ، وهو مبدأ ، وهو أسلوب للحياة انه ثورة • كان ثائرا ، ولكنه كان انسانا •• وحتى آخر لحظاته ، لم يتخل عن ثورته ، ولم يتخل عن انسانيته •• لقد كان يؤمن بالضرورة أنه لا بد من تغيير شكل المجتمع ، كان يؤمن بضرورة انهاء السيطرة الأجنبية وانهاء سيطرة الأفراد •• كان يؤمن بضرورة انهاء الاقطاع ، وحتمية تملك الشعب لوسائل انتاجه وخدماته ••

لقد مضى حق نوره الاجتماعية ، بعقل وحرص حتى لا تتعرض بلاده الى أية هزات .. ولا تتعرض ثورتها الى الانتكاس .

بدأ بالقضاء على الاقطاع وتصفية نفوذ الاقطاعيين .. وحرر الفلاح المصرى من العبودية والرق وعادت الأرض الى الذين يشقون فى حرثها ووزرعها وجنى ثمارها .. وأصبح القطاع الأكبر من الشعب سيدا للأرض ولم يعد عبدا لمالك الأرض .

ولم يكن الاقطاع وحده هو هدف ثورة عبد الناصر الاجتماعية ، كان القضاء على سيطرة الأجانب على ثروة البلاد هدفا من أهداف هذه الثورة .. وكان القضاء على سيطرة الرأسمالية الوطنية واستغلالها هدفا آخر للزعيم الراحل .

هذا وقد كانت الجيوش البريطانية وقتها تحتل أرض مصر .. ومن أهدافها حماية السيطرة الأجنبية على ثروات مصر .

ودخل الزعيم الخالد معركتين فى وقت واحد .. معركة مع الجيوش المحتلة .. وأخرى مع القوى الأجنبية المسيطرة .. وفى الوقت الذى كان يتفاوض فيه مع الانجليز على الجلاء ويخطط لضربهم فى قناة السويس لاجبارهم على انهاء الاحتلال كان يصفى صرح الاقطاع والرجعية .

وفى لحظة من لحظات التأمر على الزعيم وثورته الاجتماعية .. قرر الغرب الامتناع عن تمويل السد العالى .. ورد الزعيم بتأميم شركة القناة .. أكبر قوة أجنبية تسيطر على أغنى مرفق فى مصر .. وكان تأميم القناة هو بداية المعركة الحقيقية لتصفية السيطرة الأجنبية على ثروات مصر ..

ووقع العدوان الثلاثى فرد عليه بوضع ممتلكات البريطانيين والفرنسيين تحت الحراسة كوسيلة من وسائل تصفية السيطرة الأجنبية

على الاقتصاد • وذلك لأن إنجلترا وفرنسا في ذلك الوقت كانت تمتلك أكثر من ربع رأسمال المصانع التي كانت قائمة في مصر •

وفي يوليو عام ١٩٦١ أصدر القوانين الاشتراكية العظيمة التي قضت بتأميم وسائل الانتاج والخدمات الرئيسية وتمليكها للشعب •• كما قضت بمشاركة العاملين في ادارة وسائل العمل •• وفي أرباح العمل •• وفي تحديد حد أدنى لأجورهم •• وضمان معاشاتهم ومستقبلهم •• ويومها تحرر العمل والعمال من سيطرة أصحاب رؤوس الأموال •• ولم تعد لقمة العيش تضطربهم الى احناء رؤوسهم وأصبح العمل حتماً وأصبح واجباً ••

ولم يكن هدف الثورة الاجتماعية مجرد انهاء الاقطاع والقضاء على السيطرة الأجنبية وسيطرة رأس المال وتحرير لقمة العيش •• انما كانت هذه وسائل لهدف أكبر وأسمى •• كان الهدف الكبير رفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل •

وكان عبد الناصر حريصاً على التنمية الاقتصادية والاجتماعية وضرورتها •• وكان حريصاً على أن تهتم الخطط بتوسيع قاعدة الخدمات بنفس القدر الذي تهتم فيه بزيادة الانتاج •

وتحققت لعبد الناصر ولثورته الاجتماعية كل ما أراد ، ونجح القائد والزعيم في خلق مجتمع جديد بثورة فذة رائدة تجنبت الصراع الدموي والصراع الطبقي •• ثورة صفت النفوذ وام تصفى الفرد •• قضت على السيطرة ، ولم تقض على الحقوق الانسانية •• ومضى عبد الناصر ولكن ثورته مستمرة وستظل مستمرة •• لأن أجيال عبد الناصر لن تتوقف عن المسير •• ستمضي رغم الصعاب •• ستكافح من أجل الحرية •• وتبنى من أجل المستقبل •• مسترشدة بخطى القائد المعلم باعث الثورة •

وفي مقال للأستاذ الصاوي محمد بجريدة الأخبار عام ١٩٦٥ جاء ما يلي :

« وقلما سمعت حديثاً أمتع وأعمق عن جمال عبد الناصر كالذي سمعته ، خلال هذه السنوات من أنور السادات على الرئيس .. وهو اذ يحدثك عن جمال تشعر ، وتكاد تسمع ، في كل كلمة خفقات قلبه الوفي النابض بحب الرئيس وتقديره الى أبعد حد .. وقد تحدث بالأمس أنور السادات ابن المنوفية في مؤتمر المحافظة ، وهو يرحب بالرئيس جمال عبد الناصر ويلمس شغاف القلوب وهو يقول :

ان جمال عبد الناصر في ايماننا ، وفي وعينا ، وفي قلوبنا قبلما يكون رئيسنا هو زعيم الثورة ، ومؤسس الدولة ، وصاحب رسالة .. ونحن نضعه من نفوسنا في مكانة أعز وأعظم من رئاسة جمهوريات العالم كله .

وأي قول أشد تأثيراً من قول أنور السادات وهو يخاطب المواطنين الذين جاءوا بعشرات الألوف لاستقبال الرئيس في المنوفية ..

أيها 'لاخوة' .. علمنا جمال عبد الناصر نحن زملاء .. أول ما قامت الثورة أن أروع مبدأ وأقوى دعامة يمكن أن تقوم عليها علاقاتنا .. هي علاقة الاخوة والصداقة والحب .. علمنا هذا ومن أجل ذلك وأنتم أهلي ومواطني أطلب اليكم وأنا أعلم ما في قلوبكم أن تحبوه أكثر ، فهو في حاجة الى حبنا » (١) .

ولي تجربة شخصية معه ، فقد مضت السنوات وأنا أفكر فيه وأقرأ عنه وأحلم به .. ولكني لا أراه عن قرب ..

وقرأت عنه كلاماً لا يكاد يصدق .. أناس أحبوه وأجلوه حتى رفعوه فوق مرتبة البشر .. وأناس صبوا كراهيتهم عليه حتى جعلوه مصدر كل شر ..

وفكرت فيه طويلاً .. فرضت على ظروف الحياة أن أطيل التسأمل والتفكير في هذا الرجل وفي عمله وفي آرائه وحلمت به كثيراً ، في اليقظة

(١) جريدة الأخبار (ما قل ودل) أحمد الصاوي محمد - بتاريخ ١٢/٣/١٩٦٥

والمنام .. كلما تجسعت السحب في السماء ، كنت أحلم به كلما أضغت الدنيا وانتشر بين الكائنات قدوم الربيع ، كنت أحلم به وحاولت كثيرا أن أراه عن قرب لكن الظروف دائما كانت تعاكسنى • الى أن كان يوم ٢٤/٢/١٩٧٠ وكنت منتدبا بمأمورية بأسوان بمناسبة زيارة الزعيم الراحل والرئيس تيتو • للسيد العالى وكانت خدمتى فى داخل محطة الكهرباء • وكان مهندسو المحطة قد اصطفوا لمصافحة الزعيم وصحبه وكنت أقم الى جوارهم وبعد انتظار ولهفة • أقبل الموكب العظيم • ونزل من سيارته وانتقلت عيناى اليه ذاك الذى طالما حلمت به ، فارتد الى الطرف مبهورا ان آلاف الصور التى رأيتها له لا تكفى للدلالة عليه • انى لم أر فى حياتى رجلا تجسد فيه شعبية لهذا الرجل • انه قطعة من تاريخنا • بل هو كل تاريخنا الحديث •

لقد فجر ثورة لا يزال صداها يدوى فى العالم كله • قارع الاستعمار والصهيونية ، والخيانة والتخلف والجهل • سجل لأمته وللانسانية جمعاء انتصارات رائعة أعترف بها العدو قبل الصديق •

ألهنا جميعا أسس ومبادئ العمل الثورى لأنه المعلم العبقري الفذ الذى علمنا السير فى طريق المبادئ السامية والأهداف النبيلة • ولم يتردد فى أى لحظة من اللحظات من الوقوف فى صلابة مساندا ومؤيدا للحركات الوطنية العالمية والعربية وتقديم العون المبادى والمعنوى لها • كان المثل الأعلى والأمل المنشود فى تحقيق حلم الأمة العربية فى اقامة دولة الوحدة • وبأدله ملايين العرب والأحرار فى كل مكان حبا بحب وتهان بتفان •

أبدا • • أبدا • • لم يمت عبد الناصر • • انما انتقل بجسده الى العالم الآخر مع الصديقين والأبرار • • ليقبى معنا فى كل شىء قاله • وكل شىء فعله • ونكم قل الكثير • وفعل الكثير من أجل حريتنا وكرامتنا • • من أجل مستقبلنا ومصيرنا • • من أجل بناء حياتنا على أسس من الحق والعدل والكرامة •

وكم كنا نتمنى لو افتديناه بالألوف منا • • بل بالملايين • •

الفصل الثاني

الثورة الاجتماعية

قبل أن نتكلم عن الثورة الاجتماعية فلا بد أن نتكلم عن الثورة :

((لقد اثبتت التجربة وهى ما زالت تؤكد كل يوم أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال العربى أن يعبر عليه من الماضى الى المستقبل)) .
(الميثاق)

يستخدم لفظ الثورة استخداما عاما وشائعا واستخداما علميا محددا واستخداما على الوجه الأول يعطى معنى يتلخص فى عدم الرضى عن وضع معين سواء كان وضعا اقتصاديا أو سياسيا أو ثقافيا .

واستخدامه على الوجه الثانى يعنى بالثورة .. التغيير الجذرى الشامل لكل ما فى المجتمع من أوضاع .. والتغيير بهذا المعنى عملية ضخمة واسعة تمس كل جوانب الحياة من صميمها أنها عملية تبدأ بالاستيلاء على السلطة .. ليس من أجلها فى ذاتها وإنما لتتطرق منها الى أحداث التغيير المنشود .

فالثورة فى كلمة ؟ « انهاء لنظام قائم مرفوض واقامة نظام آخر مكانه أكثر تقدما وأقدر منه وفاء بمطالب الجماهير وآمالها .. » .

ويقول الزعيم الخالد : « ان الثورة ليست عملية هدم أنقاض الماضى ولكن الثورة هى عملية بناء المستقبل » .

هذا وقد يستخدم لفظ الثورة استخداما ضيقا فيقال مثلا : ثورة ثقافية أو ثورة صناعية أو ثورة اقتصادية أو ثورة علمية .. مثل هذا الاستعمال يلجأ اليه عند القصد الى ابراز السمة الرئيسية لثورة ما ، أو عند القصد الى تحديد مجال التغيير المطلوب .. هذا التعدد فى استعمال لفظ الثورة يجعل من الضرورى أن يحدد معناه بدقة وتزداد أهمية هذا التحديد اذا لاحظنا ما يقع من خلط بين مفهوم الثورة ومفهوم الانقلاب . والثورة المضادة فما هى المعانى الدقيقة لهذه المصطلحات ؟

المبحث الأول الثورة والانقلاب

أولا - الثورة :

الثورة في المفهوم الناصري « هي علم تغيير المجتمع » ونرى الناصرية أن الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع أن تعبر عليه الشعوب من الماضي المظلم الى المستقبل المشرق لمغالبة التخلف والقهر والاستغلال .

فالثورة إذن هي تغيير المجتمع تغييرا جذريا شاملا وحاسما باقامة علاقات اجتماعية جديدة محل علاقات اجتماعية كانت قائمة .. بحيث نستطيع أن نقول : ان نظاما اجتماعيا قد انتهى وانتقل المجتمع الى نظام اجتماعي جديد متقدم .. فالمجتمع الاقطاعي مثلا حينما يتحول الى مجتمع رأسمالي (كما حدث في أوروبا ...) أو الى النظام الاشتراكي كما حدث في مصر .. يقال أن ثورة حدثت في هذا المجتمع .. أو ذاك ..

الثورة والسلطة :

يقول الزعيم الخالد : « كل ثورة في الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة .. وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبي (١) » .

فالثورة بهذا لا بد لها من الاستيلاء على السلطة فهي اداتها ووسيلتها لاجداث التغيير لصالح الجماهير وليس من المعقول أن تقوم ثورة بعملية التغيير الشامل لمصلحة جماهيرها وسلطة الحكم في يد قوى من مصلحتها ابقاء المجتمع ساكنا بأوضاعه وعلاقاته الاجتماعية القديمة التي ما قامت الثورة الا لتغييرها .

والميثاق الوطني يقول :

« أن التطلع الثوري بكل آماله .. ومثله العليا .. يهتم بالبناء الجديد أكثر من اهتمامه بالانقراض التي تداعت (٢) » .

(١) محاضر جلسات مباحثات الوحدة ١٧ ابريل سنة ١٩٦٢ ص ٢٠٤

(٢) الميثاق الوطني (الباب الرابع) .

ثانيا - الانقلاب :

يقول الزعيم الخالد :

« تبدو القيمة الحقيقية للثورة في مدى شعبيتها ومدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ومدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل ومدى ما يمكن أن توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة ونحن لن ننسى أنها كانت ثورة ولم تكن انقلابا .. كانت ثورة على الاستعمار والرجعية ، ثورة على الحقد والكراهية والبغضاء (١) »

يختلف الانقلاب عن الثورة اختلافا أساسيا .. فالثورة في جوهرها عملية تغيير شامل تتخذ من الاستيلاء على السلطة وسيلة لتحقيق مهمتها ، أما الانقلاب فيتخذ من الاستيلاء على السلطة هدفا وغاية .. دون أن يتخطى هذا الى اجراء تغييرات أساسية في أوضاع المجتمع وعلاقاته الاجتماعية ... فبينما الثورة تكون حافلة بمضمون اجتماعي تقدمي واضح .. نجد الانقلاب خاليا من مثل هذا المضمون وهو في غالب الأحيان لا يزيد عن تغيير في شكل السلطة واستبدال حكام بآخرين ومثل هذا القدر من التغيير حتى ولو تم بطريق العنف لا يعتبر ثورة ما دامت العلاقات الاجتماعية باقية على ما هي عليه .

وعند تحليل أى انقلاب نجد دائما أن الحكام الجدد يأتون دائما من داخل الطبقة أو الطبقات ذات المصلحة في بقاء الأوضاع والعلاقات السائدة وأنهم ليسوا من أبناء القوى الجديدة التي تطالب بالتغيير تناضل من أجل انجازه . ومن أمثلة الانقلاب ما حدث في سوريا (بقيادة أديب الشيشكلي وحسن الزعيم) .

هذا المعنى الذي حددنا به (مفهوم الثورة ينطبق بدقة على ما يعرف في الفكر السياسي بالثورة الاجتماعية .. لكننا نجد في الفكر السياسي أيضا استخدام مثل هذه المصطلحات : الثورة الوطنية .. الثورة الاجتماعية) فهل ثمة فروق بين بعضها وبعض ؟

(١) خطبة للزعيم الخالد في عيد النعم ١٤/١١/١٩٦٤

المبحث الثاني

الثورة الوطنية .. والثورة الاجتماعية

أولا - الثورة الوطنية :

وقد يطلق عليها اسم الثورة التحريرية أو السياسية .. وكلها بمعنى واحد ويقصد بها ذلك النوع من الثورات التي تقوم في بلد محتل وتستهدف تحرير الوطن من الحكم السياسي الأجنبي المباشر وغير المباشر واجلاء قوى الاحتلال التي تحتل أرض هذا البلد ومن أهداف تلك الثورة اقامة حكم وطنى ينتقل بالسلطة كاملة من يد الأجنبي الى يد أصحاب البلد ممن هم أصحاب الحق الشرعى فيها .. ومن النماذج التاريخية للثورة الوطنية ثورة الاستقلال الأمريكية عام ١٧٧٩ .. وغيرها وثورة لبنان التي انتهت باستقلاله عام ١٩٤٥ وثورة غانا بقيادة نكروما ...

ثانيا - الثورة الاجتماعية (الثورة الاشتراكية) :

يقول الزعيم الخالد : « سارت الثورة وهى ترسى مبادئ انسانية سارت الثورة نحو هدف كبير نحو هدف عظيم ، سارت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم ، تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية ولا مكان فيه لسيادة ، ولا مكان لعييد .. كلنا أحرار فى هذا الوطن ، كلنا نشعر بالحرية كلنا نشعر بالمساواة . وقامت الثورة وهى تعلن أهدافها حتى تحقق هذا الغرض (١) »

ويتضح من ذلك أن الزعيم الخالد لم يجد حلا للقضاء على الظلم الاجتماعى واقامة مجتمع الكفاية والعدل (المجتمع الاشتراكى) سوى الثورة الاجتماعية - الاشتراكية . وتتميز الثورة الاجتماعية فى مصر بما يلى :

- ❖ أنها تجذب الى صفوفها جميع القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى القضاء على الاستغلال ومعنى هذا أنها ثورة جماهيرية الطابع سرعان ما تلتقى بها الجماهير وتلتف حولها ..
- ❖ أن قيادة مثل هذه الثورة وطليعتها لا يمكن أن تكون غريبة عن الجماهير وانما تتبع عنها وتلتحم بها ..

الثورة الاجتماعية .. والاصلاح الاجتماعى :

ان كل ثورة اجتماعية ووفقا للمفهوم الذى اقتهينا اليه تحوى اصلاحا اجتماعيا . وليس الاصلاح الاجتماعى يعنى ثورة اجتماعية . وذلك لأن الثورة الاجتماعية تعنى تغيير المجتمع تغييرا جذريا شاملا باقامة علاقات اجتماعية جديدة محل علاقات اجتماعية كانت قائمة . أى اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية وليس ترميم أو اصلاح تلك العلاقات القديمة المتداعية . وهذا هو ما أكده الميثاق الوطنى « ان احتياجات الوطن لم تكن تكفى بترميم البناء القديم المتداعى وصلبه بقوائم تسنده واعادة طلائه .. وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب بناء جديدا ثبت الأساس صلبا شامخا » .

ومن أمثلة الثورات الاجتماعية الاشتراكية .. ثورة أكتوبر فى الاتحاد السوفيتى . وثورة كوبا وثورة الصين .. ونستطيع أن نقول أن هنالك نوعين أساسيين من الثورات :

الثورة الوطنية .. والثورة الاجتماعية أى الثورة الاشتراكية ...

المبحث الثالث

العلاقة بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية

من السهل أن نميز فى التاريخ البشرى ونرصده فى حركات الشعوب نماذج وأمثلة واضحة لكل من هذه الثورات .. فحرب الاستقلال الأمريكية مثلا نموذج للثورة الوطنية والثورة الروسية نموذج للثورة الاجتماعية الاشتراكية .. والوصف الأخير يعنى عن الأول فيكفى أن يقال الثورة الاشتراكية لأنها لا تكون الا اجتماعية فمن المهم أن يلاحظ أن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية طرأت عليه عوامل كان من نتيجتها ظاهرة جديدة . يشهدا التاريخ المعاصر وهى ما يعبر عنه فى الفكر السياسى بالتحام الثورة الوطنية والثورة الاشتراكية . فشعوب العالم التى خاضت تجربة الثورة بعد الحرب العالمية الثانية من أجل استقلالها وتحررها تجدها فى نفس الوقت تشور ضد الرأسمالية كتنظيم اجتماعى .. وتجدها التحاما واضحا بين الثورتين الوطنية والاجتماعية .

فالشعب الذى يثور من أجل استقلاله وحرية طمعا فى حياة أفضل يجد نفسه محوَّطاً بقيود التخلف التى كبله بها الاستعمار ولا سبيل أمامه لكسر هذه القيود الا بالتنمية وقد أثبتت التجربة لهذه الشعوب بأنه ليس أمامها سوى طريق وحيد للتنمية وهو طريق الاشتراكية .. أى اقامة مجتمع اشتراكى .

يقول الزعيم الخالد : « لكل شعب من شعوب الأرض ثورتان .. ثورة سياسية . يتردد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه . وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر فيها على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد (١) .

ولقد أثبت تاريخ معظم دول العالم أن الثورات السياسية صاحبة السبق فى الاندلاع على الثورات الاجتماعية ، وما من شعب وقع فريسة للاستعمار واستطاع أن يعالج مشاكل التخلف والتبعية الاقتصادية الا بعد تخلصه من براثن الاستعمار أولا :

وفى نظرة عابرة الى الدول الآسيوية والافريقية التى نالت استقلالها حديثا من براثن الاستعمار تجد أن الثورة الاجتماعية لم تبدأ فيها الا بعد أن نجحت الثورة السياسية فى الحصول على استقلالها السياسى ومن ثم تبدأ فى معالجة المشاكل الاقتصادية الناجمة عن التخلف والتبعية وأثر ذلك كله على الأوضاع الاجتماعية السائدة فى البلاد ومن المحقق أن التغيير الجذرى للأوضاع السائدة فى المجتمع لا يمكن تحقيقه الا بعد السيطرة على مقاليد السلطة السياسية .. ولهذا فانه فى كثير من الحالات تسبق الثورة السياسية الاجتماعية .. الا أن الزعيم الخالد بمنهجه الجديد وبثورته الاجتماعية عاش التجريبتين معا . ففى الوقت الذى خلع فيه فاروق عن العرش . صدر قانون اصلاح الزراعى للقضاء على الاقطاع وتحديد الملكية . وكانت مشروعات الثورة الاجتماعية تسير على قدم وساق فكانت تبنى المدارس والمستشفيات فى الوقت الذى كانت المعارك دائرة فى القنال ضد الاحتلال البريطانى لاجبارها على الجلاء .

وفي هذا المعنى يقول الزعيم الخالد : « هذه الثورة كما كانت وطنية للقضاء على الاستعمار وأعوانه • ثورة اجتماعية للقضاء على الظلم الاجتماعي وتقريب الفوارق بين الطبقات • هذه الثورة فريدة في نوعها • كانت الثورة الاجتماعية تحتاج منا الى تألف وحنو من الغنى على الفقير وعطف من القوى على الضعيف ، وكانت الثورة السياسية تحتاج منا الى أن نحارب في جبهات متعددة (١) •

كما أننا نجد أن من الأسباب الأساسية في انتكاس الثورات هو اغفال جانب التغيير الاجتماعي « فمثلا ثورة ١٩١٩ أغفلت قياداتها اغفالا يكاد يكون تاما مطالب التغيير الاجتماعي وإن كانت قد قامت لتحقيق أغراض سياسية تمثلت في الاستقلال والحكم النيابي وما يتصل بهما من إعادة النظر في الأوضاع الاقتصادية الناجمة عن الوضع القديم سبب الثورة • ولما كان النظام السياسي في بلد ما ليس سوى انعكاس مباشر للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ذلك البلد ، فانه كان على قيادات ثورة ١٩١٩ أن تدرك أن الإصلاح يجب أن يتجه أساسا ومباشرة بدون تلكؤ الى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي ستظهر النتائج في الصورة السياسية ولكن يبدو أن هذه القيادات قد فعلت العكس متصورة أن تحقيق الاستقلال والحكم الدستوري النيابي سيؤدي الى تحقيق العدالة الاجتماعية ولم يكن ذلك بمستطاع لأن الاستقلال وفقا لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ كان مقيدا والحكم الدستوري نفسه جعل السلطة موزعة بين ممثلي الاحتلال في مصر والسراي ورجالها المستهدفين جمع الثروات • وفي هذا يقول الزعيم الخالد :

« الثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترباطها وتساندها وفكراتها لذاتها في سبيل الوطن كله • الثورة الاجتماعية من أول مظاهرها تزلزل القيم وتخلخل العقائد • تصارع المواطنين مع أنفسهم أفرادا وطبقات • وتحكم الفساد والشك والكراهية • والأناية ••

وبين شقى الرحى هذين قدر لنا أن نعيش اليوم ثورتين • وبين شقى الرحى هذين مثلاً ضاعت ثورة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن يحققها (١) •

وهكذا تصبح الثورة الوطنية جزءاً من الثورة الاشتراكية مقدمة لها أو مرحلة من مراحلها وهى ظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة لكل الدول النامية وكأنها قانون الثورة العام بعد الحرب العالمية الثانية ••

والسؤال هنا ؟ •• ماذا طرأ على العالم بعد الحرب العالمية الثانية حتى يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ •• يلخص الميثاق فى الباب الثانى هذه التفسيرات فى :

* تعاضم قوى الحركات الوطنية فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية حتى لقد استطاعت هذه الحركات أن تقود معارك عديدة ومنتصرة ضد القوى الاستعمارية ومن ثم أصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير عالمى وفعال •

* ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يزداد وزنها المادى والمعنوى يوماً بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى •

* التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاقاً غير محدودة أمام محاولات التطوير •• كما أنه حقق طفرة فى أسلحة الحرب بلغت خطورتها الى أنها أصبحت رادعاً يحول دون نشوبها بسبب ما تقدر على إلحاقه من الأهوال بجميع الأطراف فى أى معركة •

هذا فضلاً عن التغير الأساسى المذهل الذى حققه هذا التقدم العلمى فى وسائل المواصلات لدرجة أن تلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل ما بين الأمم فعلياً وفكرياً •

* نتائج هذا كله فى محيط العلاقات الدولية وأهمها زيادة تأثير القوى المعنوية فى العالم كالأمم المتحدة والدول غير المنحازة وقوى الرأى العالمى •

المبحث الرابع

الثورة الاجتماعية والثورة المضادة

قال الزعيم الخالد : « ان كل الثورات التي قامت في العالم قابلتها ثورات مضادة ، ان الثورة المضادة هي مجرد عناصر (ضد الثورة) ووصفها أكبر من مضمونها وأتفه من أن توصف . العناصر التي تؤلف الثورة المضادة هي عملاء أمريكا وبريطانيا وبقايا الاقطاع والرأسماليين والانتهازيون والذين يتظاهرون بتأييد الثورة (١) »

فالثورة المضادة اذن . . انما تقوم بها طبقة أو طبقات ترى في حركة المجتمع خطرا عليها وعلى مصالحها ، فتحاول الانقضاء عليها وتصفية منجزاتها والقضاء على ما حققت من مكاسب شعبية . وتحطيم آمال الجماهير التي التفت حولها .

يقول الزعيم الخالد : « في أي حكم تقدمي وفي أي حكم اشتراكي أما تيجي تحقق العدل اللي هو أحد طرفي الاشتراكية — لازم تتأثر طبقة . . اللي هي تحالف الرأسمالي والرجعي . . أنت لما بتقول اشتراكية معناها أنك بتنف ضد لاستعمار العالمي وضد الرأسمالية العالمية . . اذن سيكون هناك تحالف شئت أم أيت بين الرجعية والاستعمار العالمي (٢) »

وتمارس الثورة المضادة نشاطها على صعيدين داخلي وخارجي .

أولا — الصعيد الداخلي :

ويتمثل نشاط الثورة المضادة في مواجهة النظام الثوري التقدمي في مصر بقيام ثورة ٢٣ يوليو في بعض الحركات التي ما قصد منها الا الى الرجوع لسيطرة التحالف بين الرجعية ورأس المال المستغل وفساد الحكم والظلم الاجتماعي . ودخلت الثورة معها في معارك انتصرت فيها جميعا .

(١) خطبة للزعيم الخالد (عيد العمال) ٢ مايو ١٩٦٧

(٢) محاضرات جلسات الوحدة . أبريل سنة ١٩٦٣ ص ٤٥٥

ثانيا - الصعيد الخارجى :

وتمارس فيه الثورة المضادة نشاطها فى محاولة القضاء على الثورة أو محاصرتها قامة تجعلها قاصرة فى اشعاعها على النطاق المحلى خوفا من انتقال التحرر الى أبعد من الحدود الاقليمية مما يدفع الى تشجيع الجماعات المغلوبة على أمرها فى الدول الأخرى لتحذو حذو الثورة الناجحة فتقلدها فى أسلوبها بل وقد تستجدى العون منها (مثلما حدث بالنسبة لليمن واليمن الجنوبية والجزائر وتونس والعراق وليبيا والسودان ..) وذلك لأن كل نجاح لثورة جديدة هو تلقيم وتثبيت للثورة الأم .. وأضعاف للثورة المضادة .

وتتمثل الثورة المضادة من الخارج فى الاستعمار وما يقوم به ضد ثورتنا التحررية .

لن أتناول فى بحثى الحديث عن الثورة المضادة من الداخل لأنها لا تعدو عن بعض الحركات التى لا يتسع المجال لها فى هذا البحث نظرا لعدم أهميتها فانها قد باءت جميعها بالفشل . ولكنى سوف ألقى الضوء على الاستعمار الذى كان وما زال يشكل الثورة المضادة من الخارج .

أن أول أهداف الثورة التى أعلنتها هو القضاء على الاستعمار وأعوانه فبدأت الثورة بأعوان الاستعمار .

— طردت الملك فاروق فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢

— ألغت الرتب والألقاب فى ٣٠ يوليو ١٩٥٢

— بدأت فى القضاء على الاقطاع فى ٨ سبتمبر ١٩٥٢

— حلت الأحزاب فى ١٨ يناير ١٩٥٣

وبعد ذلك أعلن الزعيم الخالد كلمته المشهورة : « يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده (١) » .

(١) خطبة للزميم فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣

وبدأت أول مفاوضات بين الثورة وقوات الاحتلال البريطاني في القاهرة يوم ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٣ وتوقفت المباحثات في مايو سنة ١٩٥٣

وكانت قد عنيت حكومة الثورة منذ اللحظة الأولى لقيامها بتنظيم الكفاح المسلح وأشتدت هجمات الفدائيين وبدأت القوات الانجليزية في التهديد والافذار • الا أن ذلك كان يزيد قيادة الثورة اصرارا على جلاء القوات لانجليزية • ولم تجد بريطانيا بدا تجاه هذا الكفاح المنظم وتلك المقاومة من استئناف المباحثات مع حكومة الثورة في مصر في يوليو ١٩٥٤ وكان من بين من تولاه من الجانب المصرى الزعيم الخالد •

وفي ٢٧ يوليو ١٩٥٤ تم التوقيع بالحروف الأولى على اتفاقية الجلاء • ويقول الزعيم الخالد : « انا نقف الآن على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا • لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى (١) •

وبدأت فعلا القوات الانجليزية في الجلاء عن أرض مصر حتى يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ • حيث غادرت آخر قوة بريطانية المياه المصرية في بور سعيد •

وفي الوقت الذى كانت تجرى فيه بريطانيا المفاوضات مع حكومة الثورة على الجلاء كانت تتآمر على هذا النظام التحررى الجديد في مصر •

وظهر دور اسرائيل ولا تنسى قصة اسرائيل مع انجلترا والعرب • وبدأت تتحرش بقواتنا وقامت بسلسلة من الاعتداءات الاستفزازية منذ سبتمبر سنة ١٩٥٣ عندما اعتدت على منطقة العوجة واحتلتها • وكان واضحا من هذا الاعتداء أنه كان متفقا عليه بين اسرائيل وبريطانيا للضغط على مصر أثناء مباحثات الجلاء •

وفي ٥ أكتوبر اكتشفت مؤامرة صهيونية هدفها اثارة القلاقل لعرقل توقيع اتفاقية الجلاء وضبط في حوزة أعضائها كميات كبيرة من المتفجعات أرادوا استخدامها في أعمال النسف والتدمير والتخريب وكان هدف الشبكة

(١) خطبة للزميم في ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣

هو محاربة الثورة • واتضح من محاكماتهم أن المركز الرئيسي للجاسوسية الصهيونية التي كانت تحرك الشبكة وتخطط أعمالها في باريس • وأن الحكومة الفرنسية كانت ضليعة في أعمال الشبكة •

حاولت انجلترا أن تربط مصر بأحلاف معها إلا أن الزعيم الخالد رفض ذلك • فاتجهت الى محاولة لعزل النظام الثوري في مصر ونجحت في ذلك • وبتاريخ ٢٩ يناير أعلن نوري السعيد اصراره على عقد حلف عسكري بين العراق وتركيا وآخر مع إيران وباكستان وثالث من بريطانيا والولايات المتحدة • وبتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ عقد ميثاق حلف بغداد •

ونتيجة لذلك فبتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٥ شن اليهود هجوما غادرا مفاجئا على غزة وهو أخطر اعتداء وقع من اليهود منذ توقيع اتفاقية الهدنة وتكشفت حقيقة هذا الاعتداء بأنه كان مدبرا بالاتفاق مع الاستعمار الغربي للضغط على مصر والدول العربية للانضمام الى حلف بغداد •

وترتب على هذا الهجوم ونتيجة لموقف الجمود الذي اتخذته مجلس الأمن حياله • حفز مصر الى التزود بالسلاح •

وقصة السلاح تكس في أن الزعيم الخالد كان قد أوفد على صبرى على رأس بعثة في نهاية عام ١٩٥٢ لشراء السلاح من أمريكا وكان يساعد على صبرى ، اللواء عبد الحسيد غالب الملحق العسكري في واشنطن ولكن لم تتم الصفقة ورجع على صبرى الى مصر •

وتكرر طلب الزعيم الراحل السلاح من أمريكا • ورفض أمريكا لتسليح مصر وفي الوقت نفسه استمر تدفق المساعدات الأمريكية على اسرائيل وحكومة اسرائيل •

وفي منتصف عام ١٩٥٥ استدعى جمال عبد الناصر السفير الأمريكى (بايرون) وقدم اليه تحذيرا •

« اما أن تلبى الحكومة الأمريكية رغبتى في شراء السلاح .. وأما أن اشتريه من الروس » •

وبدأ الزعيم الخالد في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥ يتعاقد مع تشيكوسلوفاكيا على صفقة أسلحة وبدون شروط — وكان لهذه الصفقة أثرها البعيد على المحيط العربي والدولى وقد ظهر جمال عبد الناصر بأنه القائد الذى يحطم الاغلال ولا يتراجع أمام تهديدات الدول الكبرى وقوبلت الصفقة بانزعاج شديد فى دوائر الغرب وخاصة فى لندن وواشنطن وباريس كما قوبلت بالوجوم فى اسرائيل .

وخرج عبد الناصر من معركة التسليح ليدخل فى معركة انشاء السد العالى . تأكيداً لسياسته فى الثورة الاجتماعية . وبدأ منذ عام ١٩٥٥ فى مفاوضة البنك الدولى للانشاء والتعمير وحكومتى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بشأن توفير المبالغ اللازمة بالعملات الأجنبية لتنفيذ المشروع ، وفى مايو من نفس العام صدر بيان فى القاهرة أعلنت فيه حكومة الثورة عزمها على توفير المبالغ اللازمة للمشروع من العملات المحلية باصدار سندات وأذون على الخزانة المصرية . وفى ديسمبر سنة ١٩٥٥ أعلنت كل من الولايات المتحدة رسمياً أنها وبريطانيا قد عرضنا مساعدات مالية على حكومة الجمهورية المصرية لتيسير البدء فى مشروع السد العالى واجتمع جمال عبد الناصر بالمستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى للانشاء والتعمير لاستكمال مباحثات تمويل المشروع التى كانت قد بدأت فى واشنطن وضغطت أمريكا وانجلترا فى محاولة أن تضع شروط واعتراضات للتمويل تمس استقلال مصر الاقتصادى ورفض عبد الناصر . وفجأة فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن البنك الدولى سحب عرض تمويل مشروع السد العالى بعد أن أعلنت كل من أمريكا وبريطانيا تخليهما عن المساهمة فى المشروع . وكان رد عبد الناصر حاسماً . وبعد أسبوع واحد . أعلن تأميم قناة السويس .

وقبل معركة تأميم القناة دخل عبد الناصر معركة الحصار الاقتصادى ورفضت الدول الغربية شراء القطن المصرى طويل التيلة وتعاقد مع الصين الشعبية عليه . وقام عبد الناصر بتحدى الدول الاستعمارية والامبريالية العالمية متمثلة فى الولايات المتحدة الامريكية فبتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٥٦ اعترفت مصر بجمهورية الصين الشعبية وأعلنت أن أسباب هذا الاعتراف هى :

— أن حكومة الصين الشعبية تمثل ٦٠٠ مليون نسمة .

— أن الصين الشعبية احدى دول مؤتمر بانفونج ولأن ٢٣ دولة اعترفت بها .

— ولأنها اشترت من مصر قطنًا بمبلغ ١٥ مليونًا من الجنيهات .

وأثار هذا الاعتراف ثائرة جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الذي أعلن أن بلاده آسفة لاعتراف مصر بالصين الشعبية . وبدأت محاولات تضغط من جديد لتحويل حكومة الثورة عن سياستها المستقلة ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل .

✽ معركة تأمين شركة قناة السويس . . بعد أن سحب البنك الدولي عرضه في تمويل مشروع السد العالي في ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن الزعيم الخالد في خطاب ألقاه بمدينة الاسكندرية القرار التاريخي رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦ الذي يقضى بتأميم (الشركة العالمية لقناة السويس البحرية) « شركة مساهمة مصرية » وانتقال جميع مالها من أموال وحقوق ره عليها من التزامات الى الدولة . وفي ٢٧ يوليو أى في اليوم التالى للتأميم ، أعلنت بريطانيا وفرنسا أنهما ترفضان الاعتراف بتأميم القناة . وأنهما سيتخذان جميع التدابير اللازمة لسلامة رعاياهما واحترام مصالحهما . واحتجا على قرار التأميم ورفضت مصر مذكرة الاحتجاج البريطانية التى أرسلت اليها بواسطة السفارة الانجليزية فى القاهرة وردتها الى السفارة . ورفض سفير مصر فى باريس أن يتسلم من كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا قرار الاحتجاج . اذ رأى فى ملاساته خروجًا على قواعد اللياقة وتهديدا ووعيدا وصمدت مصر لتحديات الاستعمار .

✽ معركة تجميد الأرصدة المصرية فى البنوك الأجنبية . . وجمدت بريطانيا منذ ٢٨ يوليو مبلغ ١١٢ مليون جنيه ووضعت (تحت الرقابة جميع رؤوس الأموال المصرية لديها) وحجزت فرنسا جميع أرصدة مصر وأموالها لديها . وكذلك فعلت الولايات المتحدة الأمريكية فجمدت أرصدة مصر فى بنوكها وقدرها ٦٠ مليون دولار كانت مصر جعلتها وديعة لديها لسداد ما تشتريه منها .

* يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٥٦ صدرت الأوامر الى الجيش البريطاني بالاستعداد والى الأسطول بأن يكون قريبا من القنال . وصدر بيان ثلاثي عن إنجلترا وفرنسا وأمريكا بمعارضة التأميم وقرروا أن القناة ذات صفة دولية .

* أول أغسطس سنة ١٩٥٦ وجه الزعيم الخالد انذارا لإنجلترا وقال : « أننا نعرف كيف ندافع عن وطننا وكيف نرد الغاصبين » .

١- تعهدت بريطانيا وفرنسا بعدم استخدام القوة ضد مصر يوم ٢ أغسطس .

— يوم ٢ أغسطس ١٩٥٦ أصدرت بريطانيا الأوامر لرعاياها بمغادرة مصر ومنعت السباحين المصريين من الاشتراك في سباق المانش .
ويوم ٤ أغسطس طلبت فرنسا من رعاياها مغادرة مصر .

— يوم ٨ أغسطس حرضت إنجلترا وفرنسا المرشدين الأجانب على الاضراب عن العمل لكي تتعطل الملاحة في قناة السويس وتعجز الدولتان معاذير للتدخل .

— يوم ١٢ أغسطس عقد مؤتمر في لندن لبحث فكرة تدويل القناة . ورفضت مصر حضور المؤتمر وأعلن جمال عبد الناصر أن مصر ستحارب اذا لجأ الغرب الى استخدام القوة . ورفضت مصر فكرة تدويل القناة .

— يوم ٥ سبتمبر حشدت بريطانيا وفرنسا قوات كبيرة في قبرص ، وهدد سلوين لويد ووينو بالحرب يوم ٨ سبتمبر سحبت إنجلترا وفرنسا وبعض الدول الغربية مرشديها من قناة السويس لتعطيل الملاحة فيها . وطلبت بريطانيا من شركات الملاحة العالمية مقاطعة قناة السويس .

— يوم ١٥ سبتمبر أعلن جمال عبد الناصر فشل مؤامرة سحب المرشدين وانتظام الملاحة في القناة .

- دخل عبد الناصر معركة حرب التجويع والحصار الاقتصادي والحرب النفسية ورفضت الولايات المتحدة أن تبيع لمصر القمح واشترت مصر ٢٠٠ ألف طن قمح من الاتحاد السوفيتي ودفعت ثمنها على أساس الجنيه المصري .

* يوم ٢٨ أكتوبر أعلنت اسرائيل التعبئة العامة في قواتها العسكرية . وفي نفس اليوم أمرت أمريكا رعاياها في الشرق الأوسط بمغادرة المنطقة .

* يوم ٢٩ أكتوبر وقع العدوان الاسرائيلي على مصر ، يوم ٣٠ أكتوبر وجهت بريطانيا وفرنسا انذار الى مصر تطلبان فيه انسحاب القوات المصرية الى مساحة عشرة أميال من قناة السويس وأن تقبل مصر احتلال أراضيها بواسطة القوات الفرنسية والبريطانية وطلب الانذار الاجابة عليه في الساعة ٦ر٣٠ ص يوم ٣١ أكتوبر وهدد الانذار بأن بريطانيا وفرنسا ستتدخلان بالقوة بالقدر الذي ستريانه .

- يوم ٣١ أكتوبر بدأت القوات البريطانية والفرنسية العدوان على مصر .

- يوم ٩ نوفمبر ألقى الزعيم الخالد خطابا في الأزهر الشريف قال فيه : « أن الاستعمارين المعتدين فرضوا علينا القتال ولكنهم لن يفرضوا علينا الاستسلام » .

- يوم ٤ ديسمبر بدأت القوات المعتدية تنفيذ قرار مجلس الأمن بالانسحاب من بور سعيد حتى يوم ٢٣ ديسمبر وحطم الأهالي تمثال فرديناند دليسبس ، ويوم ٢٦ ديسمبر بدأت اسرائيل تنسحب من سيناء .

- أول يناير سنة ١٩٥٧ قام الزعيم الخالد بإصدار ثلاثة قوانين لتحرير الاقتصاد الوطني من السيطرة الأجنبية منها قانون بتمصير تسعة بنوك وهي : باركليز ، كريدي ليونيه ، العقارى المصرى والشرقى ، بنيون بنك والعثمانى والرهونات المصرى والأراضى المصرى والخصم الأهلى الباريسى .

— يوم ١٩ يوليو ١٩٥٧ صدر قانون بتمصير بورصات الأوراق المالية وقانون بجعل البنك الأهلى المصرى هو البنك المركزى للدولة .

* ولم تنته المعارك مع الاستعمار عند هذا الحد الى أن تأمر الاستعمار العالمى لضرب التحول الاشتراكى فى مصر التى تقف أمام سيطرته وتقوده فى العالم . وقد أوضح ذلك الزعيم الخالد حين قال أن من بين أهداف العدوان الاسرائيلى فى سنة ١٩٦٧ هو ضرب الاشتراكية فى مصر وأنه يؤدى هذا الدور لحسابه ولحساب الاستعمار العالمى .

وأنا يجب أن نضع دائما فى حساباتنا التناقض بين ثورتنا والاستعمار الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد صاحب التطور فى مسار ثورتنا الاجتماعية خطوطا نضالية على المستوى العربى والعالمى الذى وضع الثورة المصرية فى مركز من مراكز الصدارة فى حركة النضال العالمى ضد الامبريالية .. وهذه حقيقة فى حد ذاتها ضاعفت من التناقضات بين ثورتنا والمصالح الاستعمارية والرجعية فى المنطقة المحيطة بنا وفى العالم أجمع . ولا سيما أن الثورة استطاعت استقطاب عددا من حركات النضال الثورى فى العالم العربى والأفريقى .. وكان آخرها ثورتى : ليبيا والسودان .

وفى هذا المعنى يقول الزعيم الخالد : « أنت لما تقول اشتراكية معناها أنك بتقف ضد الاستعمار العالمى وضد الرأسمالية العالمية » (١) .

* وعند نقطة الغليان فى التناقض بين ثورتنا والثورة المضادة كان القائمون لمهمة توجيه الأخيرة فى واشنجتون يخططون لضرب الثورة المصرية وتصفيتها .. اعتقادا منهم أنه بهذا سوف تتساقط كافة المواقع النضالية فى العالم العربى والأفريقى وتصاب حركة النضال العالمى بضربة قاضية ، وليس غلق مضائق تيران هو السبب المباشر لعدوان ١٩٦٧ الذى استهدف أساسا لتصفية التجربة الثورية الاشتراكية فى ج.ع.م وما سترتب عليها من نتائج فى العالم العربى وحركة النضال العالمى .

✽ وفي هذا المعنى يقول الزعيم الخالد :

« أن الغرض الحقيقي لعملية العدوان علينا كان هو القضاء على الثورة الاشتراكية في مصر .. هذه الثورة تصدوا لها بكل الوسائل لمحاولات الاغتيال والاخوان المسلمين بالمؤامرات وبقطع المعونات(١) .. »

المبحث الخامس

خصائص الثورة

نستطيع ان نستنتج الآن أهم ما يميز الثورة من خصائص في الآتى :

أولاً — ان الثورة في طبيعتها حركة نحو التقدم ، ذلك أنها تقوم لتصفية واقع متخلف واقامة واقع جديد تسوده علاقات اجتماعية تستطيع الجماهير في ظلها أن تحيا حياة أفضل متخلصة من رواسب الاستغلال والقهر الطبقي ... الخ .

ثانياً — ان الثورة في طبيعتها أيضا حركة بالجماهير تقوم بها وتستند عليها وتنجز أهدافها بواسطتها ومن أجلها .. فالجماهير غايتها ووسيلتها في كل ما تحاوله وتنجزه وقد لا تبدو جماهيرية الثورة واضحة في بدايتها الأولى فقد تفرض ظروف بلد ما أن يضطلع بمبء الاعداد للثورة والتمهيد لها طليعة معينة تحيطها ظروف تتطلب نوعا من سرية الحركة والعمل والبدء في نطاق ضيق حفاظا على سلامة الخطط وتجنبا لتنبيه القوى الحاكمة أو القوى المضادة التي ان تتوانى عن القيام بمحاولات قد تفسد كل خط وتقضى على كل جهد في سبيل انجاز الثورة خاصة اذا كان البلد محتلا أو واقعا تحت سيطرة مباشرة أو غير مباشرة للاستعمار وهذا يفسر ما يبدو من غموض في اتجاه بعض الثورات في مراحلها الأولى ، ولكن برغم هذا فمن السهل التنبؤ بمسار الثورة من خلال قرائن جيدة الدلالة ، فالمنايات الشعبية للقائمين بها من طليعتها وما يعلنون من أهداف وشعارات تساعد

(١) من خطاب الزعيم الخالد في ١٢/٧/١٩٦٧

على تعرف اتجاه الحركة ومداهما وأهم من هذا تتبع منجزاتها وفهم دلالتها فقد لا تكفى الشعارات وحدها ريثما يستقر الأمر للسلطة الجديدة ثم تكشف الحقيقة بصدمة مروعة لآمال من خدعوا بها .

تتميز الثورة اذن بسمتين أساسيتين (شعبيتها ، تقدميتها) ...
وشعبية الثورة تقاس بحجم ونوع القوى التى تقوم بها وتلتف من حولها وكلما تزايد حجم الجماهير التى تلتحم بها اندفاعا ذبعا من احساس حقيقى بأنها تحقق مطالبها وترتبط بآمالها كان ذلك دليلا على أن الثورة تسير فى مسار صحيح .

وتقدمية الثورة تقاس بمضمونها الاجتماعى وبمدى ما تنجزه فى تغيير العلاقات الاجتماعية غير العادلة وفى مقدمتها ضرب العلاقات الاستغلالية واحلال اساس جديد فى علاقات الملكية وقواعد توزيع الدخل القومى بما يقضى على الاستغلال ويضيق الفوارق بين الطبقات الى أقصى مدى ممكن .

وفى تحديد خصائص الثورة يقول الميثاق فى الباب الخامس :

« ان الثورة بالطبيعة عمل شعبى وتقدمى ، انها حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيد لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته كما يتصورها وكما يريد ، كما أنها قفزة عبر مسافة التخلف الاقتصادى والاجتماعى تعويضا لما فات ، ووصولا الى الآمل الكبرى التى تبدو من خلال المثل العليا لما يريده للأجيال القادمة » .

ويستخلص الميثاق من خصائص الثورة خصائص العمل الثورى فيقول عقب الفقرة السابقة مباشرة : « من هنا فان العمل الثورى الصادق لا يمكن بغير سمتين أساسيتين : أولهما شعبيته وثانيهما تقدميته ، ان الثورة ليست عمل فرد والا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع بأكمله .. والثورة ليست عمل فئة واحدة والا كانت تصادما مع الأغلبية وانما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها ومدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ومدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل ومدى ما يمكن أن توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة ، والثورة

تقدم بالطبيعة أن الجماهير لا تطالب بالتغير ولا تسعى إليه وتفرضه لمجرد التغير نفسه خلاصا من الملل وانسا تطلبا وتسعى إليه وتفرضه تحقيقا لحياة أفضل وتحاول بها أن ترتفع بمواقعها الى مستوى أمانها .. ان التقدم هو غاية الثورة والتخلف المادى والاجتماعى هو المفجر الحقيقى لارادة التغير والاندفاع بكل قوة وتصميم مما كان قائما بالفعل الى ما ينبغى ان يقوم بالأمل » •

والعمل الثورى يرفض المنهج الاصلاحى الذى يقوم على ترقيع الأوضاع القائمة ويكتفى بعملية التصحيح دون اجراء تغيير أساسى فى هذه الأوضاع المتخلفة •

المبحث السادس

قدرات الثورة

جوهر الثورة هو عملية التغير الاجتماعى والتغير الجذرى للأوضاع فى المجتمع وعلاقاته بما يتفق وصالح الجماهير وآمالها ، واذا كانت الثورة تبدأ مسيرتها بالاستيلاء على السلطة فان مسيرة التغير بعد هذه الخطوة تستند وتستمر ولا تتوقف فهي عملية معقدة ومتشابكة تتأثر بالعديد من العوامل المتمثلة فى واقعها المحلى وفى الواقع الدولى من حولها •

والثورة وهى تمارس التغير وتنجز تحوله الى صور من العمل اليومى يمتد الى كل جوانب الحياة يهزها وينير فيها وفقا لتصور واضح ومنهج محدد وهى تعبر عن نفسها بهذه الحركة اليومية الساعية الى التغير المنشود وهذا ما يطلق عليه (العمل الثورى) واذا كانت الثورة بأهدافها الكبرى تتخذ من العمل الثورى اليومى أدواتها لتحقيق هذه الأهداف وهى معرضة للمخاطر من الداخل والخارج على السواء كانت فى حاجة الى أن تتسلح بالوسائل التى تكفل لها سلامة الحركة وأمانها حتى تخوض معركة التغير الاجتماعى بتحقيق أهدافها لصالح جماهيرها •

ويحدد الميثاق أسلحة الثورة وقدراتها التى لا بد لها منها حتى تضمن لنفسها النجاح •• (فى الباب الثانى من الميثاق — ضرورة الثورة) •

وهذه القدرات هي :

أولاً - الوعي القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير
والناجم من المناقشة الحرة التى تتمرد على سياط التعصب والارهاب .

ثانياً - الحركة السريعة الطليقة التى تستجيب للظروف المتغيرة التى
يجابهها النضال العربى على أن تلتزم هذه الحركة بأهداف النضال وبمثله
الأخلاقية .

ثالثاً - الوضوح فى رؤية الأهداف ومتابعتها باستمرار وتجنب
الانسياق الاندمالى الى الدروب الفرعية التى تبعد بالنضال الوطنى عن
طريقه وتهدر جزءا كبيرا من طاقته . وحينما يتوفر للثورة هذه القدرات
ويتسلح بها العمل الثورى يصدق عليها ما قيل بحق (الثورة هى علم
تغيير المجتمع) .

المبحث السابع

عوامل قيام الثورة

الثورة كما وضع الآن - عمل كبير وضخم - تغيير مجتمع بأسره
لا يكفى لانجازه مجموعة من العواطف تتراوح بين الانفعال والغضب
والسخط على الأوضاع القائمة فى مجتمع ما ... صحيح أنه يسبق كل
ثورة مرحلة من مراحل الغليان الشعبى تكون مظاهرها هذه الانفعالات
الغاضبة الساخطة وارتفاع الأصوات بضرورة التغيير . ومع هذا لا تقوم
الثورة لمجرد هذه الغضبات الفردية مهما اتسع مداها فهى مرحلة تمهد
للثورة وتهىء لقيامها الذى لا بد لحدوثه من توفر شروط أساسية بدونها
يصبح قيام ثورة احتمالا بعيدا أو بفرض قيامها فان نجاحها يصبح أمرا
أبعد احتمالا ... ويقول الميثاق فى وصف أمثال تلك المراحل التى تسبق
الثورة . (فى الباب الرابع) :

(لم تكن تلك هى الثورة وإنما كان ذلك هو التمهيد لها ، كانت تلك
هى مرحلة الغضب التى تمهد لاحتلالات الثورة ، إن الغضب مرحلة
سلبية . إن الثورة عمل ايجابى يستهدف إقامة أوضاع جديدة) .

المبحث الثامن

متى تقوم الثورة اذن؟؟

تقوم الثورة متى توفرت العوامل الآتية :

١ — أن يثبت للشعب فشل النظام القائم وأنه أصبح عاجزا عن حل مشاكله وأنه بهذا العجز يتعرض من جانب الحكم للضغط والقهر بمعنى أن يحدث انفصال كامل بين الجماهير وبين النظام القائم (كما حدث قبل ثورة يوليو ١٩٥٢) •

٢ — أن تؤمن الجماهير بضرورة اسقاط النظام القائم وأن تؤمن بأن الثورة هي الطريق الوحيد لذلك •

٣ — أن يترجم هذا الايمان عمليا في تحركات جماهيرية وفي معارك جزئية متفرقة •

٤ — وأهم من كل هذا — لأنه بدونها لا قيمة لبقية العوامل — أن تكون هناك طليعة ثورية تعمل للثورة وتعد لها — سرا وعلانية — عن طريق تنظيم سياسى أو شعبى يجمع حركة الجماهير ويوجهها فى اتجاه انجاز الثورة •

ويمكن تلخيص هذه العوامل فى أمرين :

(أ) أن تنشأ فى المجتمع ارادة جماهيرية للتغيير •

(ب) أن يوجد تنظيم طليعى أو جماهيرى يعنى هذه الارادة ويحصلها ويحاول أن يفرضها بالثورة على الواقع القائم •

وحديثنا حتى الآن أقرب الى أن يكون حديثا عن الثورة بوجه عام ••
وضح من خلاله مفهوم الثورة وما بينها وبين الانقلاب والحركة المضادة من اختلاف •• وتبين كذلك أماننا أنواع الثورات (وطنية واجتماعية) ثم ركزنا على الثورة الاجتماعية الاشتراكية وأشرنا الى ظاهرة تلاحم الثورة

الوطنية بالثورة الاشتراكية في تجارب الشعوب بعد الحرب العالمية الثانية وذكرنا ما طرأ على العالم من تغييرات تفسر هذه الظاهرة وشرحها .

وانتقلنا بعد هذا الى خصائص الثورة وذكرنا خاصيتين أساسيتين : شعبية الثورة وتقدميتها متجاوزين هاتين السمتين الى قدرات الثورة أو شروط العمل الثورى الناجح وانهينا بتلخيص أهم العوامل أو الشروط التى لا بد منها لقيام الثورة . وتكلم فى الصفحات التالية عن الظلم الاجتماعى والطبقية ..

المبحث التاسع الظلم الاجتماعى

يقوم الزعيم الخالد :

« هذه الثورة التى قامت عام ١٩٥٢ هى ثورة اجتماعية وثورة سياسية وهى التى ستحقق الأهداف الاجتماعية والسياسية ولن نسمح للظلم الاجتماعى ولا للاستبداد السياسى أن يعود ولكننا سنعمل على اقامة حياة ديمقراطية سليمة وحياة اجتماعية نظيفة » (١)

ويثور السؤال التالى : ما هو الظلم الاجتماعى فى فكر الزعيم ؟

وللاجابة على هذا التساؤل نجد أنه من العسير أن تتفق على مفهوم عام للظلم الاجتماعى أو أن نخرج بتعريف جامع مانع له . ولكن فى نظرنا أن الظلم الاجتماعى هو استئثار أقلية من الأفراد بالجزء الأكبر من الثروة ومن الدخل القومى وترك الجزء الباقى للأغلبية الأفراد على الرغم من أن هذه الأغلبية هى التى عملت وكسحت وتعمل دائماً من أجل انتاج تلك الثروة وهذا الدخل مع ما يترتب على هذا من قدرة الأقلية على اشباع حاجاتها كافة مهما كانت كمالية .. والحكم على الأغلبية بالبقاء على الدوام عند مستوى الكفاف .. وفى أسفل السلم الاجتماعى .. وقد كان هذا الحال هو الواقع الحزين الذى عاشه مجتمعنا قبل الثورة ، ولم تكن تلك الفئة

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢١ يناير عام ١٩٥٦

القليلة من المصريين فقط بل كان بينها نسبة كبيرة من الأجانب والمتصرين الذين لم يروا في مصر سوى .. أرض للاستغلال .. وللمزيد من هذا الاستغلال ، وقد وصلت قيمة ما تملكه ١٠٠ أسرة فقط من المصريين والأجانب أو ما استرد منها عن طريق الاصلاح الزراعى والتأمين حوالى (١٠٠٠ مليون جنيه) ، ولو نظرنا الى توزيع الملكية في مصر قبل الثورة لرأينا عجباً .. وأدركنا أى ظلم كان يرزح تحت أعبائه الفلاح في العهد البائد ، وأى اهدار لكرامة الانسان ، وبعد عن العدالة الاجتماعية كانا يسودان المجتمع المصرى فى تلك الأيام ، فلم يكن عدد الذين يملكون الأرض الزراعية فى مصر يزيد عن المليونين والنصف ، أما بقية المصريين الذين كان يربو عددهم فى ذلك الوقت على الثمانية عشر مليوناً فلم يكن لهم شئ من الأرض — أرض الله .. وليس هذا فقط فان الاقطاع كان يتجلى فى مصر فى تلك الفترة بأشنع معانيه ، وبكل ما يحمله بين طياته من ظلم وغدر وجشع .. فقد كان ٧٠٪ من الملاك يمتلكون ٣٥٪ من الأراضى الزراعية فى حين أن حوالى ٢٢٪ منهم يملكون فداناً فأقل ..

وتحت ظلال هذا الظلم الاجتماعى وجدت المبادئ الهدامة مجالا للتغلغل والانتشار وكان لا بد للطبقات المستغلة والحاكمة ، أن تغرس القيم والأخلاقيات والعادات التى تستطيع أن تدعم بها استغلالها واضطهادها للشعب . وكانت تلجأ فى ذلك الى كل الأدوات التى تقع تحت سيطرتها من جهاز الدولة ، الى أجهزة الاعلام والنشر ، الى الآداب والفنون وليس من المستغرب فى ذلك الوقت أن نجد سيادة للمفاهيم والتقاليد ، التى تعمل على اتلاف النفوس البشرية واخضاعها لحكم الاستغلال والمستغلين .

هذا وكان يساق الفلاحون كالسوائم الى صناديق الانتخاب لينتخبوا رجلاً فرض عليهم .. وكيف كان الحكم والسلطان محصورين فى نطاق الأقلية .. من الملاك . وانتشر المرض . والجهل والحرمان حتى من ضروريات الحياة وانقضت عرى الثقة والتآلف بين الحاكم والمحكوم .

ومن خلف هذه الصورة الأليمة ، كانت هناك مظالم تبدو فى أقصى صورها ، فقد تميز النظام الحاكم بالحرص على جمع المال والتنافس فى الحصول عليه . فتحول الانسان فى ظله الى عبد يقدر المال ، ولم يكن

للمساواة الاجتماعية وجود في نطقه ، وكيف تتحقق المساواة في ظل نظام شعاره « اعمل لنفسك وليذهب الشيطان بالآخرين » .

ولقد وصف أحد الكتاب العالمين عدم المساواة الاجتماعية في مصر في ذلك الوقت حين قال :

« أنه كان في ناحية من نواحي القرية ولائم دون شهية وفي الناحية الأخرى شهية ولكن بدون وليمة » .

وصدق من قال : « كان هناك ناس يأكلون أكثر مما ينبغي أن يأكلوا ، ويرغدون أكثر مما ينبغي أن يرغدوا ويجلسون فوق أهرامات من الذهب ، بينما بقية أفراد المجتمع تقف من آلامها وحرمانها » .

وقد استطاع جمال عبد الناصر بصدق حسه الثوري أن يلمس الصراع الطبقي الحاد في مصر ، وأن يكتشف قوانين الصراع في معركة المجتمع وأن يتبين العلاقة الوثيقة بين الديمقراطية السياسية والاجتماعية . فبحث عن السبيل الى العزل الاجتماعي وفلسف نظريته الثورية في بحث هذه المشكلة التي تمثل عدة مشاكل مرتبطة ومعقدة .

ورأى أنه بالقضاء على مصادر هذه المشكلة (مشكلة التناقض في المجتمع) التي أوضحها من خلال مبادئ الثورة الستة فظهرت فلسفته الجديدة العامة التي لا تبالي بالنفوذ الأجني ولا تعتمد عليه ، ولا تبالي بالاستغلال ولا تهاب المستغلين ولا تبالي بالرتب والألقاب ولا ترتب عليها مكافئة اجتماعية ، وبالتالي لا ترتب المجتمع قرتيا طبقيًا عازلا بين الناس عزلا يحرك الأنانية في النفوس ، وكان من شأن هذه الفلسفة أن مهدت لاسقاط الحكم الفاسد في مصر سقوطا تلقائيا ، وأمكن التمهيد لزحف العدل الاجتماعي زحفا قصاعديا حتى يصل الى غاية قمته في خلق مجتمع عبد الناصر المنشود مجتمع الرفاهية ، مجتمع الكفاية والعدل .

ورأى الزعيم أن الثورة الاجتماعية هي الطريق الى الاشتراكية وبدأ السير على الدرب منذ اليوم الأول لقيام الثورة . فيقول سيادته : « سارت الثورة وهي ترسي مبادئ الانسانية ، سارت الثورة نحو هدف كبير ،

نحو هدف عظيم ، سارت الثورة وهي تهدف الى اقامة مجتمع وطني سليم .
تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية لا مكان فيه لسيادة ، ولا مكان لعبيد
كلنا أحرار في هذا الوطن ، كلنا نشعر بالحرية ، كلنا نشعر بالمساواة .
وقامت الثورة وهي تعلن أهدافها حتى تحقق هذا الغرض » (١) .

ويتضح من ذلك أن السيد الرئيس لم يجد حلا للقضاء على الظلم
الاجتماعي واقامة مجتمع الكفاية والعدل (المجتمع الاشتراكي) سوى
الثورة الاجتماعية وبهذا المفهوم نستطيع القول بأن بداية الثورة الاجتماعية
هي بداية مرحلة التحول الاشتراكي .

وفي هذا المعنى يقول الزعيم الخالد :

« كان الظلم الاجتماعي يتجسم في كابوس الاقطاع البغيض . فقد
ورثنا طبقة الحكام والأشراف ترفعوا عن الشعب ، وراحوا يستمتعون
بنفوذهم وأموالهم . وانقسمت البلاد الى فئتين كل منهما تكره الأخرى ،
وهم من طينة واحدة : معسكر العبيد ، وطائفة الأسياد ورأينا الاستبداد
السياسي يتجسم في ماردن هدامين : الاحتلال الأجنبي البغيض والتاج
المستهتر العرييد ، وبين هذا وذاك استغل النفوذ واستبيحت الحرمات
وأثرى من أثرى على حساب الضعفاء والمظلومين . وعمت الرشوة ، ومن
كل مكان جاءت أصوات الشعب المغلوب على أمره بالشكوى ولا من
مجيب . فهل من الممكن أن تظل الأوضاع على هذا الحال ؟ » (٢) .

الطبقة :

لقد أدى هذا كله الى وجود طبقتين متباعدتين في مجتمعنا . طبقة اقطاعية
رأسمالية وطبقة الفلاحين والعمال . ولم يقتصر التفاوت بين الطبقات على
مجرد الفروق الشاسعة في دخول أفرادها ، بل امتد الى مستوياتها التعليمية
والثقافية ومظاهر حياتها الاجتماعية ، واستمتعها بالخدمات الصحية
والترويحية ، وليس من المبالغة في شيء أن نقول أن فئة قليلة من الشعب

(١) خطبة للسيد الرئيس جمال عبد الناصر القيت في الاحتفال باعلان الدستور

بتاريخ ١٦/١/١٩٥٦

(٢) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٣

لم تكن لتعيش حياة شعبها أو تشعر بآلامه أو تبادلها التعاطف والمشاعر ، بل يمكن أن نقول أنها كانت تعيش عيشة غريبة عليه • فاختلفت الطبقات اختلافا كبيرا في الدخل وفي السكن وفي الملبس وفي تربية الأطفال وفي فرص التعليم والصحة ، وفي طمأنينتها النفسية على يومها وغدها •

ويمكن أن نعزى هذه الفوارق الطبقيّة الواضحة التي كانت في مجتمعنا الى عاملين أساسيين هما عدم تكافؤ الفرص والحرية المطلقة في استغلال الأرض ورؤوس الأموال • يولد الغنى بالوراثة ويستمر في غناه وتتفتح أمامه كل الفرص حتى ولو أساء الاستفادة منها • ويزداد ثراء حين يبحث عن زوجة وارثة ، ويستمتع بخيرات الأرض والثروة ولو لم يبذل جهدا أو يتعب في عمل • ولذلك أطلق عليهم الزعيم الخالد « المتعطلون بالوراثة » وهم الطبقة التي تراث ولا تعمل ، وانما تستفيد من استغلالها لجهود غيرها • ومن الناحية المقابلة يولد الفقير فقيرا بالوراثة • ويجد فرص التعليم والصحة والعمل محدودة أمامه ، ويزداد فقرا اذا تعطل أبوه عن العمل أو أصابته كارثة وبذلك كان الثراء في طبقة واحدة تراث بعضها بعضا • وتتميز على غيرها بالحسب والنسب والأصل العريق • والفقير في طبقة واحدة تراث بعضها بعضا • وبذلك حافظ المجتمع على تلك الفروق • وعلى هذا التناقض الطبقي الكبير وفي هذا المعنى يقول الزعيم الخالد :

« كان ابن الباشا يطلع بيه ، وابن الخولى يطلع فلاح » •

وأما عن حرية استغلال الأرض ورأس المال ، فإن صاحب الأرض أو رأس المال ازداد غنى لأنه مجرد مالك • والأرض قليلة والراغبون في استئجارها كثيرون مما كان يؤدي الى ارتفاع قيمة الايجار ، وبذلك يزيد دخل المالك وبالتالي ينقص محصول المستأجر من عمله • أو يستطيع مالك الأرض أن يتحكم في العمال الزراعيين ويملي عليهم شروط العمل وأجره • وصاحب رأس المال يوظف رأس ماله في المصارف أو الشركات

أو الصناعة » وتأتى اليه الأرباح فى آخر العام دون تعب أو مجهود وإنما نتيجة استغلاله لمجهود العمال الذين يشتغلون بتلك المؤسسات •

ويقول الزعيم الخالد :

« كان المجتمع منقسم الى قسين ، أو منقسم الى طبقتين : طبقة الملاك والمستغلين وطبقة الأجراء • والملاك المستغلين الذين أقصدهم هنا ليس كل الملاك ولكن المالك الذى يستغل ملكيته حتى يحقق أكبر قدر من الانتاج على حساب الشعب ، وكان فيه طبقة الأجراء اللى هى تمثل العامل وتمثل الفلاح وتمثل الموظف وتمثل كل واحد يأخذ أجر ليعيش • كل واحد يعمل من أجل أن يعيش •

والاقطاع والطبقة الرأسمالية جعلت من الحكم دائما أداة فى يدها لتحقيق أغراضها لحماية مصالحها ، ولاستغلال الأجراء ومنعهم من المطالبة بحقوقهم » (١) •

وكان من مظاهر الفوارق الشاسعة بين الناس فى المجال الاجتماعى قبل الثورة الرتب والألقاب •

الفصل الثالث

حتمية الحل الاشتراكي

المبحث الأول

حتمية الحل الاشتراكي

* جاء بالميثاق الوطني : « ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا قائما على الالتقاء الاختياري وانما كان الحل الاشتراكي حتمية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين » .

« ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم . ان أى منهج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود » .

« والذين ينادون بترك الحرية لرأس المال ويتصورون أن ذلك طريق الى التقدم يقعون في خطأ فادح » .

* ويشور السؤال التالي : لماذا كان الحل الاشتراكي في مصر حتميا ؟

* للرد على هذا السؤال فانه من الضروري أن تبين ماهي الظروف الموضوعية التي كانت سائدة في مصر عند قيام الثورة في يوليو ١٩٥٢ وما هي الأهداف التي استهدفتها الثورة وكيف حتمت الظروف الموضوعية أن يتم الوصول الى هذه الأهداف عن طريق الحل الاشتراكي .

* ان المجتمع المصري في ظل أوضاعه القديمة من التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي كانت السبب المباشر في قيام الثورة التي أعلن قادتها أثر تحقيقها الأهداف الستة التي تضمنت القضاء على

الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على سيطرة رأس المال على الحكم ، وتحقيق ديمقراطية سليمة وتحقيق العدالة الاجتماعية وخلق جيش وطنى قوى .. وفى سبيل تحقيق هذه الأهداف عملت الثورة على تحقيق النمو الاقتصادى عن طريق تنفيذ المشروعات المختلفة التى عطلتها الرجعية خلال العهود الماضية .. ويمكن أن تلخص الأهداف الرئيسية للثورة فى المجال الداخلى بأنها قد تضمنت منذ اليوم الأول لها هدفين رئيسيين :

— التنمية الاقتصادية — أو زيادة الانتاج والدخل القومى •

— عدالة توزيع هذا الدخل بين فئات الشعب المختلفة •

✽ وقد تحددت هذه الأهداف نفسها كنتيجة للظروف الموضوعية التى كانت تسود مصر فى ذلك الوقت فالوضع الاقتصادى الذى كان قائما عند حدوث الثورة كان يتصف بالصفات الآتية :

— ان الدخل القومى فى مصر بالنسبة للفرد الواحد يقل كثيرا عنه فى الدول المتقدمة •

— اعتماد الاقتصاد المصرى اعتمادا رئيسيا على الزراعة التى وصات الى مرحلة من الركود وعدم التقدم •

— ان معدل النمو الاقتصادى كان منخفضا اذا ما قورن بمعدل نمو السكان وبمعنى آخر فان متوسط دخل الفرد كان يميل الى الانخفاض سنة بعد أخرى •

— انه على الرغم من أن متوسط الدخل للفرد فى مصر كان منخفضا فان توزيع الدخل كان يتصف بتركيز شديد للجزء الأكبر من الدخل فى يد عدد قليل من الأفراد يقابله مستوى معيشة منخفض جدا بين الغالبية العظمى للشعب •

— ان التوزيع السابق الاشارة اليه للدخل قد أدى الى خنق السوق المحلية وبالتالي الى عدم وجود فرص حقيقية للتنمية على أساس من الاستثمارات الفردية للمالكين والذين يهدفون الى الربح •

— ان فترة الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها قد استنزفت جزءا كبيرا من اثروة القومية وأضعفت من القدرة الانتاجية للاقتصاد المصرى .. فقد أدى استخدام الآلات القائمة فى مصر وأدوات النقل فى خلال الحرب دون امكان استبدالها كما أدت زراعة الأرض دون امكان مدها بالأسمدة اللازمة الى ضعف القدرة الانتاجية لمصر نظير تراكم أرصدة من الجنيهات الاسترلينية كدين على بريطانيا .. ولكن الدين المذكور استنزف فى الفترة التالية للحرب والسابقة للشورة فى امداد البلاد بسلع استهلاكية ترفهية دون تعويض للثروة المفقودة .

— ان الرأسمالية فى مصر فى هذه المرحلة كانت تتصف بعدد من الصفات التى يجعلها أعجز من أن تقوم بعملية التنمية المطلوبة ، فقد كان النشاط المالى والتجارى فى البلاد خاضعا تماما للاشراف الاحتكارى الأجنبى أو لبعض الأفراد المتمصرين الذين يهدفون الى الحصول على أكبر ربح ممكن فى أقل فترة تاريخية ممكنة ، وكان جزء كبير من أرباح الاستثمارات الأجنبية يرحل الى الخارج دون اعادة استثماره فيما يزيد الثروة القومية والقدرة الانتاجية للبلاد ، ورغم ذلك فقد كانت الصناعات تتمتع بالحماية الجمركية التى تؤدى الى القاء عبء متزايد على المستهلكين وذلك فى سبيل تحقيق الأرباح السريعة والكبيرة لعدد قليل من المغامرين .

— زيادة حدة الصراع الاجتماعى فى الداخل بين الفئات المحدودة من المالكين التى يسندها الاستعمار من جهة وبين باقى طبقات وفئات الشعب من جهة أخرى .

وفى ظل هذه الظروف حاول الزعيم الخالد أن تشق الثورة طريقها لتحقيق هدفها فى زيادة الانتاج .. وعدالة التوزيع . وقد مرت الثورة بتجارب متعددة وخطت خطوات مختلفة انتهت الى وضوح ضرورة الانتقال الى الاشتراكية باعتبارها الحل الصحيح لمشاكل التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى كان سائدا .

— وكان الاجراء الاقتصادي الأول للثورة في طريق التحول الاشتراكي هو الاصلاح الزراعي الذي هدف الى تحرير الفلاح واعادة توزيع الثروة كما هدف من ناحية أخرى الى القضاء على المضاربة في الأراضي الزراعية حتى يمكن أن تتجه الأموال المتراكمة الى الاستثمار الصناعي من أجل التنمية • وفي سبيل دفع الاستثمار الصناعي الى الأمام اتخذت الثورة عدة اجراءات لتوفير الجو الملائم لتشجيع الاستثمار الأجنبي والمحلي •

* فمن ناحية تم تعديل قانون الشركات بحيث يسمح للرأسمال الأجنبي بامتلاك ٥٠٪ من الأسهم كما سمح له بإرسال الأرباح للخارج ، كما تم تعديل قوانين الضرائب بحيث تستثنى من الضرائب الأرباح الناتجة عن الاستثمارات الصناعية الجديدة •

والى جانب ذلك قامت الحكومة عن طريق مجلس الاقتاج الذي يحدد من الدراسات للمشروعات التي تهدف الى التصنيع ، وحاولت وضع هذه المشروعات موضع التنفيذ عن طريق مشاركة رأس المال الأجنبي والمحلي على أن هذه الفترة لم تدم طويلا ، فسرعان ما أصبح من الواضح أن ما يستنزف من الأرباح المحلية بواسطة رأس المال الأجنبي لا يقبل الا على هذه المشروعات التي تدر ربحا سريعا • والتي تعتبر امتدادا لمشروعات أجنبية أو التي تمد البلاد الأجنبية بالخامات اللازمة لها • • وأن الرأسمال الأجنبي لا يهتم أساسا بمشروعات التنمية ولا بأهداف الاقتصاد القومي • ومن ناحية أخرى فقد استخدم الرأسمال الأجنبي من أجل المخطط السياسي •

وقد ترتب على ذلك سحب الدول الأجنبية تمويل مشروع السد العالي أن تغير الموقف تجاه الرأسمال الأجنبي وتم تأمين قناة السويس • وترتب على ذلك الموقف العدائي الذي وقفته الدول الاستعمارية من مصر وكان من نتيجته عدوان ١٩٥٦ الذي أوضح وضوحا لا يقبل الشك كيف تستخدم الاحتكارات الأجنبية مركزها الممتاز في تخريب ذلك الاقتصاد في ابان العدوان • ويشور السؤال التالي : متى بدأت الثورة الاجتماعية ؟

المبحث الثانى

متى بدأ الزعيم ثورته الاجتماعية ؟ (التحول الاشتراكى)

ان الثورة الاجتماعية وكما أوضحنا آنفا هى بداية التحول الاشتراكى فى مصر قد بدأت منذ قيام الثورة فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . ويعنى هذا أن ٢٣ يوليو هو ميلاد الاشتراكية فى مصر فعندما قامت الثورة قامت من أجل القضاء على الظلم الاجتماعى واقامة مجتمع الكفاية والعدل فطردت الملك رأس الاقطاع يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، وألغت الألقاب الهالة المقدسة ومظهر الطبقة يوم ٣٠ يوليو ١٩٥٢ ، وأصدرت قانون الاصلاح الزراعى الأول يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وحلت الأحزاب السياسية أداة سلب الحرية فى ١٨ يناير ١٩٥٣ . كل هذا كان تعبيرا عن رغبة الثورة فى تعديل البناء الاقتصادى والاجتماعى وسيرا حثيثا على طريق الاشتراكية وفى عام ١٩٥٥ أنشأت الثورة لجنة التخطيط وفى عام ١٩٥٦ تأسست وزارة الصناعة ووضعت أول برنامج للتصنيع على مدى خمس سنوات وكان هذا البرنامج يفترض أن تقدم الدولة ٦١٪ من التمويل للاستثمارات ، وكان أغلبها مشروعات التصنيع الثقيل الذى يحجم عنه رأس المال الخاص . وفى عام ١٩٥٨ صدر أول قانون للتنظيم الصناعى الغرض منه تدخل الدولة لتحديد نوع الاستثمارات الجديدة فى الصناعة . وواضح أن كل تلك القوانين والاجراءات هى سير فى طريق الاشتراكية والتحول الاشتراكى — ويقول الزعيم « كان لابد أن تسير فى طريق الثورتين معا ، ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه ، سرنا خطوة مماثلة فى طريق الثورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية » (١) .

الا أننا نجد أن بعض الشراح والباحثين يرون أن التحول الاشتراكى قد بدأ فى عام ١٩٦١ أى بعد قيام الثورة فى ٢٣ يوليو بفترة طويلة ويقول الدكتور العطيفى فى كتابه أيام خالدة :

(١) كتاب فلسفة الثورة — الجزء الأول .

« في يوم ١٩ يوليو ١٩٦١ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر عدة قوانين ثورية كانت ايدانا ببدء تحول مجتمعا مع الاشتراكية » (١) ويقول عبد الخالق الشهاوى في الديمقراطية في الريف :

« ان ثورة ٢٣ يوليو لم تولد اشتراكية .. ولكنها من خلال مسيرتها واستمرارها قد اختارت الطريق الاشتراكي بعد سنوات من المعاناة والبحث عن طريق التطور ، وقبل أن تخط الثورة على أعلامها أهداف الاشتراكية » (٢) وفي تقرير لمنظمة الشباب الاشتراكي (دراسة حول عبد الناصر والشباب) .

« الزعيم والشباب منذ بدء مرحلة التحول الاشتراكي عام ١٩٦١ حتى بناء منظمة الشباب الاشتراكي عام ١٩٦٦ » (١) .

واعتقد أنه لا يمكن أن يستقيم القول بأن الثورة الاجتماعية أو بدء مرحلة التحول الاشتراكي تمت في يوليو ١٩٦١ — أو أن ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ لم تولد اشتراكية ولكن الحقيقة أن ثورة ٢٣ يوليو ولدت اشتراكية ، والاشتراكية كانت في فكر الزعيم وفي تطبيقه لكل مبدأ من مبادئ العدالة الاجتماعية وفي كل معركة من المعارك التي خاضها ضد الظلم الاجتماعي وضد تحالف الرأسمالية والرجعية منذ اليوم الأول للثورة .

ويؤكد الزعيم الخالد هذا المفهوم فيقول :

« فيه نقطة هامة جدا وهي كيف تم التطبيق الاشتراكي في مصر . احنا في الأسلوب بتاعنا طبقناه بعد أن استطعنا أن ننزع السلطة أو ننتزع الحكم بثورة ٢٣ يوليو . واحنا اشتراكيتنا مبنية على مبادئ الستة التي أعلنت أول يوم في الثورة اللي هم : القضاء على الاستعمار وأعوانه والقضاء على الاحتكار ورأس المال المستغل ، إقامة عدالة اجتماعية ، إقامة جيش وطني قوى ، إقامة ديمقراطية سليمة .

(١) أيام خالدة — الدكتور جمال العطيى ص ٩٢

(٢) مجلة الكاتب العدد ١١٧ الديمقراطية في الريف — عبد الخالق الشهاوى ص ٥٨

(٣) تقرير منظمة الشباب الاشتراكي (دراسة حول عبد الناصر .. والشباب) اسبوع

الصداقة السوفيتي من ٨ — ١٨/١٢/١٩٧٠ ص ٣

بمجرد انتزاعنا السلطة من تحالف الرجعية مع رأس المال كان يجب أن نبدأ في التطبيق باعتبار الثوريين هم الطليعة .. طليعة الشعب العامل .. احنا ما طلعنش أبدا فمثل الاقطاع .. ما طلعنش نمثل الرأسمالية .. وباعتبارنا نمثل الثوريين اللي أسقطوا الاستعمار وتحالف رأس المال مع الاقطاع .. فيبقى فيه غلط كبير لو تقول احنا عايزين ناس يطلعوا يمثلوا الطلائع الثورية ليطلبونا بالثورة ..

ولو كنا احنا انتظرنا بعد ثورة ٢٣ يوليو حتى نطالب بالتحويل الاشتراكي نأخذ مثل على هذا أيضا من الثورات الاشتراكية كلها اللي حصلت في العالم .. بعد نجاح الثورة يبدأ في التطبيق ولا أظن أبدا أن حد عمل ثورة اشتراكية ثم انتظر ما عملش حاجة وانتظر الناس تطالب .. وده من عام ١٩١٧ لوقتنا هذا» (١) *

المبحث الثالث

ملامح التحول الاشتراكي

* أن التحول الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة جاء امتدادا للثورة الوطنية التي ابتدأت في مصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتي قضت على سيطرة الاستعمار والاقطاع وفتحت بذلك الطريق لأن يتم التحول الثوري الى الاشتراكية دون حدوث ثورة دموية *

* أن التحول الاشتراكي في مصر قد تم عن طريق :

(أ) القضاء على الملكية الاقطاعية وتوزيع الأرض على الفلاحين وأنه باستثناء مديرية التحرير التي تملكها الدولة لم تلجأ الى تأميم الأرض الزراعية أو تكوين التعاونيات وإنما ملكت الأرض

للفلاحين مع عمل الدولة • على نشر وتشجيع التعاون والتجميع الزراعى وعمل تجارب مختلفة للتطوير العلمى للزراعة مع محاولة المحافظة على قاعدة الملكية الفردية فى هذا القطاع •

(ب) وجود قطاع عام كبير يسيطر سيطرة كاملة على البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية وسيطرة شبه كاملة على الصناعة وأعمال المقاولات وتجارة الجملة ويشارك فى تجارة التجزئة بنسبة هامة ، وقد تكون هذا القطاع تدريجيا كما سبق وأشرنا ، وقد أدى هذا بجانب طبيعة التحول غير الدموى الى الاشتراكية الى امكانية الاستفادة من الفنين من بين طبقات الأمة المختلفة دون أى اشراف أو تفريط فى ادارة المشروعات التى يتكون منها القطاع العام وتسييرها •

(ج) مشاركة العاملين فى المشروعات المختلفة فى ادارة مشروعاتهم الى جانب مشاركتهم فى أرباح هذه المشروعات وذلك تذويبا للفوارق بين الطبقات ودفعاً للانتاج الى الأمام •

* أنه الى جانب القطاع العام لم يزل فى الجمهورية العربية المتحدة قطاع خاص نشط فى مجال تجارة التجزئة وفى الزراعة وفى بعض النواحي الأخرى •• على أن القطاع الخاص يعمل تحت اشراف القطاع العام وفى حدود القوانين واللوائح التى يسنها والتى تحدد الأجور وساعات العمل وحقوق العاملين وغير ذلك من التشريعات التى تحدد من القدرة الاستغلالية للقطاع الخاص •

* وجود تخطيط شامل للنشاط الاجتماعى والاقتصادى فى مصر — وقد نشأ التخطيط فى واقع الأمر قبل اتمام الانتقال الى الاشتراكية •• ولكن تنفيذ الخطة استدعى اتمام التحول الى النظام الاشتراكى كما سبق وبيننا •

* وتهدف الخطة القومية الى تعبئة كافة الموارد القومية من أجل زيادة قدرة المجتمع الانتاجية وبالتالي زيادة الدخل القومى ومحاولة مضاعفته مرة كل عشر سنوات . . وذلك عن طريق التصنيع السريع وزيادة انتاج الأرض الزراعية وزيادة المساحة المزروعة من الأراضى ، ويهدف التخطيط فى نفس الوقت الى السماح بزيادة حجم الاستهلاك سنة بعد أخرى دون أن يخل ذلك بإمكانية المجتمع على زيادة قدرته الانتاجية وبالتالي مضاعفة دخله فى الأجل المحدد ، ويهدف التخطيط أيضا الى إعادة توزيع الدخل القومى عن طريق الخدمات التى تقدمها الدولة مجانا الى مجموع الشعب .

* تجميع قوى الشعب العاملة فى اتحاد اشتراكى ينظم حركتها ويعتبر السلطة السياسية العليا فى البلاد وتمثيل هذه القوى بواسطة مجالس شعبية لها حق محاسبة الأجهزة التنفيذية فى كافة مستوياتها وتتكون من ٥٠٪ على الأقل من ممثلى العمال والفلاحين .

* الايمان بالدين والروحانيات باعتبارها من أساسيات المجتمع العربى . هذه هى بعض السمات الأساسية التى تميز التجربة الاشتراكية والتى تبرزها عن غيرها من التطبيقات للأسس العامة للاشتراكية فى المجتمعات الأخرى .

الفصل الرابع

بعض انجازات الثورة الاجتماعية

انبثقت الثورة من ضمير الشعب وقامت معبرة عن آماله في تحقيق حياة يتخلص فيها من الظلم الاجتماعي الذي اكتوى بناره ردحا طويلا من الزمن وتوارثه أبا عن جد .. كما يتوارث غرائزه وعاداته وتقاليده حتى غمض عليه فهم نقطة بدايته وأن بدت آثاره واضحة ملموسة يعاني منها في صمت يأس بدا ذلك في التفاوت الكبير في مستوى المعيشة بينه وبين غيره من الأقلية التي تتمتع بالنفوذ والسلطان وكأن الله قد خلق الأرض وما عليها من خيرات لتتمتع بها هذه الأقلية وحدها دون سائر خلقه وبدا أيضا في عدم تكافؤ فرص الرزق أمام المواطنين مما لم يدع فرصة لأحد من أفراد الشعب لكي يطمئن على مستقبله أو يأمن لمصير أولاده — كأن المجتمع في تلك الفترة الحالكة يشل قاع بحر أو محيط أحالته الرياح والأعاصير الى مكان مظلم يهدد بالخوف والقلق يتربص السمك الكبير فيه القرص لينقض على السمك الصغير ويلتهمه ويشبع بتأله شهواته ورغباته .

فكان من الطبيعي وقد نبعت الثورة من وجدان الشعب وحسب لواءها فتية من بين صفوفه آمنوا بربهم وبوضعهم وعاشوا فترات الظلم وعانوا من غدر الطغاة وأحسوا بصائب قومهم وآلامهم وما يجيش في صدورهم من آمال مكبوتة لا تجد سبيلا الى الظهور أو التعبير .

كان من الطبيعي أن تضع الثورة في قبة أهدافها ارساء دعائم الوطن على أسس قوية تحقق له العزة والمهابة والاحترام وتضع حدا للظلم الاجتماعي بشتى مظاهره وتردع الاستغلاليين ومصاصي الدماء وتوفر الطمأنينة والأمان والاستقرار لأفراد الشعب الذين طالموا قاسوا من مرارة اليأس والقلق والحرمان — ولقد عملت الثورة منذ البداية على أن تحقق للشعب مستوى من العيش يليق بكرامة الانسان ولن تتمكن في هذه الوريقات المحدودة أن نحص انجازات التحول الاشتراكي في مصر بل سنورد بعضا منها في الصفحات التالية :

* معركة تحرير الفلاح *

- * معركة تحرير العمل والعمال *
- * مديرية التحرير *
- * سد ناصر *
- * الكهرباء *
- * التقدم الصناعى *
- * التعليم *
- * الاسكان *
- * الخدمات الصحية *
- * النقل والمواصلات *
- * السياحة *
- * الاعلام *
- * التنظيم السياسى *

المبحث الاول

معركة تحرير الفلاح

* لقد كانت الثورة منذ أول يوم من قيامها ثورة ضد الاقطاع والاحتكار والاستغلال ودكتاتورية رأس المال المستغل ، ثورة من أجل تحقيق العدالة والقضاء على الظلم الاجتماعى ومن أجل اقامة المجتمع المتحرر من الاستغلال الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، وكان السبيل لذلك هو القضاء على الاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال *

* قال الزعيم الخالد : « اتجهنا الى القضاء على الاقطاع واستطعنا بعد معركة طويلة شاقة أن نقضى على الاقطاع واستطاع أبناء هذا الوطن .. جميع أبنائه جميع الأفراد أن يقرروا بأنهم أحرار ليسوا ملكا لأحد ، ليسوا ملكا لإقطاعى ، ليسوا ملكا لصاحب أرض ، ليسوا ملكا لصاحب جاه لن يهددوا فى رزقهم * لن يهددوا فى قوت يومهم ولن يهددوا فى عيشهم » (١) *

(١) خطبة للزعيم الخالد بتاريخ ١٦ يناير ١٩٥٦

* وقبل قيام الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان توزيع الأراضي على النحو التالي: (١) .

أفدنه	عدد المزارعين	ما يملكه الواحد
٦٠٠,٠٠٠	٨٥,٦٢٢	يملكون من ٥ أفدنه إلى ١٠ ف
٦٠٠,٠٠٠	٤١,٤٥٥	» » ١٠ » » ٢٠ ف
٣٠٠,٠٠٠	١١,٩٠٧	» » ٢٠ » » ٣٠ ف
٣٥٠,٠٠٠	٩,١٧٩	» » ٣٠ » » ٥٠ فدان
٤٥٠,٠٠٠	٦,٧٧٣	» » ٥٠ » » ١٠٠ ف
٥٠٠,٠٠٠	٣,١٤٨	» » ١٠٠ » » ٢٠٠ ف
٣٠٠,٠٠٠	١,٤٤٨	» » ٢٠٠ » » ٤٠٠ ف
١٠٠,٠٠٠	٤١٢	» » ٤٠٠ » » ٦٠٠ ف
١٠٠,٠٠٠	١٦١	» » ٦٠٠ » » ٨٠٠ ف
٨٠,٠٠٠	٩٢	» » ٨٠٠ » » ١٠٠٠ ف
١٠٠,٠٠٠	٩٠	» » ١٠٠٠ » » ١٥٠٠ ف
٧٠,٠٠٠	٤٠	» » ١٥٠٠ » » ٢٠٠٠ ف
٣٠٠,٠٠٠	٦٨	يملكون أكثر من ٢٠٠٠ فدان

ووراء ذلك يوجد ٨٣٠٠٨٩٤٠١٦ من المواطنين لا يملكون شيئا ..

* كانت القرية محرومة من جميع الخدمات الصحية والاجتماعية ، ولم يكن الفلاح يعرف الحكومة الا عن طريق نقطة البوليس وعن طريق الصراف حينما يحضر الى القرية ليحجز على ماشيته ومحصولاته وكان يعرف موظف وزارة الزراعة الذي يوقع عليه المخالفات . كل هذا دون تفهم لمشاكل الفلاحين ودون بذل أية محاولة لكسب ثقتهم أو حتى اقناعهم بضرورة التعاون مع موظفي السلطة التنفيذية .

(١) القرية المصرية بين ماض وحاضر - محمود الشرفاوى ص ٩

* ولم تكن هناك عدالة اجتماعية ، لأن الاقطاع في حد ذاته ظلم اجتماعي يمكن فئة قليلة من التحكم في أرزاق الغالبية العظمى من الشعب كما يمكنها من السيطرة السياسية فتتعدم بذلك الأسس الديمقراطية الحقه ، فضلا عن أن الاقطاع هو العون الأكبر للاستعمار كلاهما يهدف الى السيطرة على الشعب والوقوف ضد آماليه ومصالحه .

* كان المالك الكبير يطرد عائلات بأسرها من أرضه ويحرمها لقمة العيش ، وكان هؤلاء الاقطاعيون يمتلكون القرى بأكملها . أرضها ومبانيها وماشيتها ، بل وما فيها من بشر ، فاندمت القيم الانسانية وانهارت الروح المعنوية للفلاحين وأصبح لا حكم لقانون أو دستور وتلاشت القيم الخلقية والدينية .

* (ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد) « جمال عبد الناصر »

* عندما قامت الثورة كانت تؤمن بأن للفلاح حقا في الحياة يجب أن يحصل عليه وأنه لا معنى لأية حركة من حركات التحرر أن لم يكن الفلاح محورا من محاورها الرئيسية .

* ان صيحة الزعيم الخالد في جموع الفلاحين وهو يوزع عليهم أراضي الاقطاع بأنه (فلاح) وأن أفرادا كثيرين من أهله يحملون القأس ويعملون في الأرض ، كانت رد القدر على آلام هذه الفئة الصامتة الصابرة العاملة .

* ان الاصلاح الزراعي هو أول خطوة في طريق الثورة الاجتماعية التي قضت على الاقطاع وأعادت الأرض الى أصحابها الأصليين . . وهو بذلك حجر الأساس في بناء المجتمع الجديد الذي يقوم على العدالة والحرية والمساواة والذي يشعر فيه جميع أبناء الشعب أنهم أحرار وأنهم يعيشون في مجتمع تتكافأ فيه الفرص وتتوافر فيه الامكانيات ليعلم الرخاء والرفاهية جميع المواطنين .

* ويستهدف قانون الاصلاح الزراعى (عندما صدر فى ٩ من سبتمبر ١٩٥٢ وكذلك قانون الاصلاح الزراعى عندما صدر فى ٢٥ من يوليو ١٩٦١) خدمة السواد الأعظم من الشعب • وهم الفلاحين وذلك عن طريق توزيع الملكيات الزراعية وتحديد العلاقة بين المالك والمستأجر بما يكفل عدم طغيان أحدهما على الآخر •

* وسياستنا الاشتراكية فى التملك تتضح فى نظامنا فى توزيع أراضى الاصلاح الزراعى التى تم الاستيلاء عليها من كبار الملاك نظير التعويض بسندات واننى تبلغ مساحتها حوالى ثلاثة أرباع المليون فدان بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى الأول والثانى • وقد تم التوزيع منها على ١٣٥ ألف أسرة وبلغ عدد المستفيدين من هذا التوزيع والتأجير مليوناً من الأفراد •

* وقد صدر قانون الاصلاح الزراعى متضمناً تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر فوضع حداً أعلى للقيمة النقدية الايجارية وهو سبعة أمثال الضريبة وأعطى المستأجر حق الحصول على نصف المحصول الناتج من الأرض عند الايجار بالمشاركة ، وبذلك حقق العدالة فى توزيع ريع الأرض بين المالك والمستأجر كما حقق المستأجر استقراراً فى الأرض التى يزرعها لآجال طويلة • يستطيع خلالها أن يبذل فيها مجهودات ترفع من إنتاجه وتزيد من دخله ويقدر صافى زيادة الدخل التى عادت على الفلاحين نتيجة لذلك بما لا يقل عن ٤ مليون جنيه •

* وقد عملت الدولة الى تخصيص المساحات المضافة الى الرقعة الزراعية حالياً للتوزيع على صغار الزراع بالتمليك لهم •

* وينبغى أن تذكر هنا أن متوسط المساحة التى كان يجرى استصلاحها فى خلال الفترة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٥٢ كانت لا تتجاوز ٥٨٠٠ فدان سنوياً ، بينما ارتفع هذا المتوسط فى الفترة من ١٩٥٣ الى ١٩٦٠ الى ١٥ ألف فدان سنوياً •

* وإذا استعرضنا بعد ذلك التوسع الأفقى فيما بعد سنة ١٩٦٠ وجدنا أن خطة التنمية قد عالجت هذا الأمر ببرنامجى الاصلاح الزراعى العاجل والآجل أما العاجل فيتضمن استصلاح وزراعة مساحة جديدة مقدارها ٥٨٥٠٠٠ فدان فى خمس سنوات منها ١٠٠٠٠٠ فدان تروى بالرش من المياه الارتوازية ومياه الفيضان و ٤٨٥٠٠٠ فدان تروى بمياه عادية . وقد بلغت المبالغ الاستثمارية المطلوبة لمشروعات التوسع الأفقى ١١١٣ مليون جنيه فى سنوات الخطة الخمسية . وسيترتب على تنفيذ التوسع العاجل استفادة نحو مائة ألف أسرة تضم نحو ٦٠٠٠٠٠ فرد .

* أما برنامج التوسع الآجل فقد تضمن اضافة مساحات جديدة من الأرض بعد اتمام تنفيذ مشروع السد العالى وتبلغ فى مجموعها نحو مليون فدان ، علاوة على ٧٠٠ ألف فدان سيتم تحويلها من رى الحياض الى رى مستديم . وسيستفيد من هذه المساحة المضافة الى الرقعة المزروعة نحو ٢٥٠ ألف أسرة تضم نحو مليون ونصف مليون من الأفراد .

* أما عن اشتراكيتنا لزيادة الانتاج ، فان سبيلنا اليها هو تملك صغار الزراع الأرض ملكية حرة على أن تشكل جمعيات تعاونية زراعية تضم هؤلاء الزراع . وأن تملكنا الأرض لصغار الزراع يهدف الى رفع مستوى معيشة هذه الطائفة وهو ما لم يمكن تحقيقه الا بزيادة الانتاج والوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف هى تنظيم الجمعيات التعاونية . وقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية الآن فى الريف ٤٠٨ جمعية تضم ١٨٠٠٠٠ عضو تعاونى . وقد بلغت التوريدات التى قامت بها الجمعيات الزراعية من تقاوى وأسمدة ومبيدات وآلات مقاومة وغيرها فى سنة ١٩٦٢ مبلغ ٢٩٧٣٠٢ ر٥ جنيه بينما كانت فى سنة ١٩٥٧ مبلغ ٢٩٩٢٠١ ر٤ جنيه .

* كما زادت الخدمات الزراعية من رى وحرث ودراسة ومقاومة اذ بلغت فى سنة ١٩٦٠ مبلغ ٢٨٨٢٥١٢ ر٢ جنيه مقابل ٣٥٠٠٠٠ ر٣ جنيه فى سنة ١٩٥٣ .

* كما سار التسويق التعاوني للقطن على هذا المنوال فبدأ في سنة ١٩٥٣ بتسويق ٢٧٧٠٠ قنطار حتى وصل في سنة ١٩٦٠ الى ٤٥٥٠٠٠ قنطار .

* وليس من شك في أن كل مواطن شمله قانون الاصلاح الزراعي يتذكر يتذكر قول الزعيم الخالد :

« احرصوا على ما ردت به الثورة لكم .. هذه الأرض ليست للتمليك فقط ولكنها ضمان لتحريركم وتحرير أبنائكم وأحفادكم من بعدكم، وهذه الأراضي ليست وسيلة لرفع مستواكم فحسب بل لخلق العزة والكرامة وشعور الفرد بالمساواة والحرية » .

* لم تتوان الثورة عن تقديم خدماتها ووضع امكانياتها لرفع المستوى المعيشي للفلاح بزيادة دخله عن طريق خفض قيمة أقساط الأراضي الموزعة فقضى القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٦١ بخفض ما لم يرد من ثمن الأراضي الموزعة أو التي توزع مستقبلاً على المنتفعين عملاً بأحكام المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ بالاصلاح الزراعي الى النصف وخفض الفوائد المستحقة أيضاً بهذا القدر .

* وتقف الثورة دائماً الى جانب الفلاح خاصة في حالة حدوث كوارث تنال من دخله وتعني به في حالة اصابته حاصلاته فبالإضافة الى الاعانات التي تم صرفها للفلاحين نتيجة الاصابة الشديدة لمحصول القطن وتعديل نظم التحصيل المختلفة ثم تأجيل تحصيل السلف الخاصة بالقطن بنسبة ١٠٠٪ حتى نهاية عام ١٩٦١ على أن تقسط على ثلاث سنوات ابتداء من عام ١٩٦٢ وتبلغ قيمة هذه السلف ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جم .

مشروع ناصر :

* قضى قانون الاصلاح الزراعي على نوع آخر من الاقطاع كان يتمثل في المشاركة على ماشية الفلاح . فعمل القانون على القضاء على هذا الاستغلال بين المنتفعين بتوزيع العجول وتربيتها وتوزيع الدواجن ذات الكفاية الانتاجية .

* وقد تم انشاء ١١ مزرعة متخصصة في الانتاج الحيواني تربي بها الحيوانات بلغت مساحتها حوالي ألفي فدان .

* ومنذ بداية المشروع حتى سنة ١٩٦١ تم شراء ٣٥٧٠ عجلة زودت بها مزارع المشروع كنواة للتربية والتوزيع وتم توزيع ٤٠٩٢ عجلة عشراء على المنتفعين تسدد أثمانها على أقساط بلا فوائد في مدة سبع سنوات . وفي مناطق الاصلاح وزعت بمنطقتي ادكو وأيس الهيئة الدائمة لاستصلاح الأراضي ٢٢٥٧ عجلة عشراء .

* ويقوم المشروع بتوزيع اللواجن المعروفة بالانتاج العالي في البيض واللحم فتم توزيع حوالي مليون ونصف مليون من الكتاكيت على المنتفعين بأرض الاصلاح الزراعي .

* ويهدف المشروع الى انشاء خمس محطات للتفريخ والتربية بقدر انتاجها عند التشغيل بأربعة ملايين كتكوت كل موسم . وتم انشاء المحطة الأولى سنة ١٩٥٥ لتغطية احتياجات محافظة القليوبية والشرقية . والمحطة الثانية لتغطية احتياجات محافظة كفر الشيخ والبحيرة والمحطة الثالثة لتغطية احتياجات محافظة الغربية والدقهلية .

الخدمات في القرى :

مياه الشرب :

* الملايين من الفلاحين الذين عاشوا في القرى كانوا محرومين من أبسط ما يتمتع به الانسان المتمدين — الماء النقي — فتعرضوا لفتك الأمراض نتيجة لشرب المياه الملوثة .

* وصرع المرض الألوف من المواطنين على مر السنين ، وأسلم آلافا أخرى الى حياة مريضة عيلة وتنتج عن ذلك أن أصيب الاقتصاد القومي بخسارة كبيرة بسبب الضرر الكبير الذي أصاب القوى العاملة وخاصة في الريف وكن هذا هو التراث الذي تسلمته الثورة .. فماذا فعلت الثورة لمواجهة هذا الموقف ؟

* بدأ التفكير في ضرورة تعميم مياه الشرب وقامت الثورة بعمل دراسات شاملة لتنفيذ هذا المشروع الحيوى واتضح بعد الدراسة أن عدد سكان الريف الذين يتمتعون بشرب المياه النقية لا يتجاوز ١٧٣٠٠٠٠ نسمة من مجموع عدد الفلاحين الذين يزيد على ١٣٥ مليون نسمة .

* وفي سنة ١٩٥٥ تم تنفيذ مشروع تعميم مياه الشرب بالريف المصرى بمبلغ ١٥ مليون جنيه على أن ينتهى العمل منه فى أوائل سنة ١٩٥٩ وقد تم هذا المشروع .

* ويستهدف هذا المشروع توزيع المياه مجانيا على الفلاحين عن طريق مجموعات من الحفريات توضع فى مكان متوسط فى القرية ، كما توصل الى بعض المنازل بواسطة مواسير داخل خنادق مغطاة ويشترط فى المنازل التى توصل اليها المياه أن تشتمل على دورات مياه تتوافر فيها الشروط الصحية . وكذلك تغذى دورات المياه فى المساجد والحمامات والمغاسل الشعبية والمجموعات الصحية والمدارس والوحدات المجهزة والمنشآت الحكومية والمباني العامة فى القرية .

— وفيما يلى بيان عن حالة الريف قبل عام ١٩٥٢ وبعده :

الفترة	عدد المتفعين من عمليات المياه الكبرى	عدد المتفعين من عمليات المياه الصغرى الجوفية	مجموع عدد المتفعين
٣٦—٥٢	٣٥٠,٠٠٠	١,٣٨٠,٠٠٠	١,٧٣٠,٠٠٠
٥٢—٦٣	٤,٥٠,٠٠٠	٧,٦٥٠,٠٠٠	١١,٧٠٠,٠٠٠

* ويغذى الريف المصرى بعمليات ميكانيكية حيث تصلح المياه الجوفية أما مناطق شمال وشرق الدلتا والفيوم وغرب محافظة بنى سويف وهى المناطق التى لا تصلح بها المياه الجوفية فتغذى من محطات المياه الكبرى الرئيسية .

اولا — محطات المياه الكبرى المرشحة :

* بالجمهورية العربية المتحدة ست محطات كبرى لترشيح المياه لخدمة الريف وبعض المدن بشمال الدلتا والفيوم والجزء الغربى من محافظتى بنى سويف ويبلغ عدد المتفعين منها حاليا ٤٠٥٠٠٠٠ و ٤٠٥٠٠٠٠ نسمة موزعة على ١٠٨٥ قرية ومدينة و ١٣٣ عزبة .

ثانياً - عمليات المياه الصغرى :

بالريف المصرى ١١٨١ عملية ميكانيكية ينتفع منها حالياً حوالى ٧٣٥٠٠٠٠ نسمة فى ٢٧٠٩ قرية وعزبة و ٦٥٠ عملية مياه يدوية ينتفع منها حالياً حوالى ٣٠٠٠٠٠ نسمة أى أن مجموع ما سبق أن ذكرنا من ١٣٠٠٠٠٠ نسمة الى ١١٧٠٠٠٠٠ نسمة .

* ان ما تم تشغيله من محطات المياه الكبرى والعمليات الجوفية فى خلال الخمسة عشر عاماً السابقة للثورة يعتبر جزءاً ضئيلاً بالنسبة لما تم تشغيله فى عهد الثورة . فقد ارتفع عدد المنتفعين كما سبق أن ذكرنا من ١٣٠٠٠٠٠ نسمة الى ١١٧٠٠٠٠٠ نسمة وبلغ مجموع ما انتقصته الحكومات السابقة لعهد الثورة فى الخمس عشرة سنة السابقة لعام ١٩٥٢ - ٧ مليون جنيه بينما بلغ ما اتفقته حكومة الثورة ما يقرب من ٢٨ مليون جنيه .

- وليس من شك فى أن هذا المشروع له نتائج ايجابية فى حياة الريف ولا شك أن نتائج هذا المشروع فى النواحي الصحية والثقافية والاجتماعية والاتاجية سيظهر أثره فى حياة الفلاح وارتقاء به الى المستوى اللائق به فى المجتمع الجديد .

٢ - الكهرباء :

كانت القرية المصرية محرومة من الكهرباء فى الماضى . . وعندما قامت الثورة ساوت بين المدينة والقرية ، فوجهت عنايتها لرفع مستوى المعيشة بين القرى بنشر الصناعات الريفيه وتحسين مواردها المالية والاقتصادية .

* وقد رأتى أن أنسب القرى التى تبدأ الانارة الكهربائية بها هى القرى المنشأ بها وحدات مجمعة وعددها ٢٠٠ وحدة ومركب بكل منها مجموعة كهربائية وبإضافة مجموعة أخرى يمكن انارة الشارع الرئيسى بالقرية والطريق الموصل بين القرية والوحدة المجمع ، كما يمكن امداد المباني الرئيسية أو الحكومية بالتيار الكهربائى وقد بدىء فى تنفيذ ذلك بعمل تجربة عملية بناحتى اسطال وبنى هلال ونجحت التجربة

ويجرى تعميم انارة القرى فى الوحدات المجمعـة أو فى خطوط -نقل
الضغط المتوسط الواقعة بالقرب من القرى وسيستمر برنامج انارة
القرى حتى تتم انارتها جميعا .

٣ - الوحدات المجمعـة :

يستهدف مشروع الوحدات المجمعـة تحقيق الرعاية الاجتماعية والتنمية
الاقتصادية للريف بحيث يصبح الأهالى قادرين على خدمة أنفسهم وتحمل
المسئوليات التى يستلزمها النهوض بمجتمعهم المحلى . ويقتضى هذا اعداد
الريف للحكم المحلى الديمقراطى السليم باشتراكهم فى مجلس ادارة الوحدة
ولجانها المختلفة . . كما يتطلب ذلك تجميع الخدمات وتقديمها الى مكان
منطقة كل وحدة بطريقة منسقة شاملة طبقا لبرنامج مدروس ومناسب
لاحتياجات البيئة .

* ومن أجل تحقيق هذا الهدف أتبعـت الوحدات المجمعـة الخطوات التالية :

- اجراء المسح الاجتماعى الشامل لقرى منطقة الوحدة المشتـمل على
جميع مقومات المجتمع المحلى .

- تكوين اللجان المختلفة من الأهالى وخاصة من انتخبوا فى لجان
الاتحاد الاشتراكى العربى والعمل على مساعدتهم فى الندوات
الارشادية المختلفة التى تعقد دوريا فى مقر الوحدة ويوجهها
الموظفون المختصون سواء من الوحدة أو من رجال الوزارت
الأخرى بالمنطقة .

- وضع برامج النشاط المختلفة لمشروعات عامة اقتصادية واجتماعية
على أسس ثابتة ، واقناع الأهالى عن طريق اجراء تنفيذ نماذج
فاجحة للمشروعات المستحدثة والتى يراد أن يتبناها الأهالى
فيما بعد .

- تنسيق جهود المنظمات القائمة كالجمعيات التعاونية والأندية
الريفية والجمعيات والمؤسسات الخاصة ولجان الاتحاد الاشتراكى
العربى وذلك رغبة فى قيامها بالعمل المشترك وتحسين نوع الخدمة
وتقديم الخدمات المتبادلة .

* هذا وقد أقر الرئيس جمال عبد الناصر مشروع الوحدات المجمعـة في ٧ أبريل ١٩٥٤ ضمن برنامج ضخـم للرعاية الاجتماعية أعدـه المجلس الدائم للخدمات العامة ويقضى المشروع بأن يقسم الريف الى مناطق تضم كل منطقة حوالى ١٥٠٠٠ من السكان تقوم بخدمتها وحدة مجمعة ، وقد بلغ عدد الوحدات اللازمة ٨٦٨ وحدة منها ٢٦٨ منطقة يضمها مجموعات صحية ومراكز اجتماعية والخطة الموضوعـة لتعميم المشروع تتضمن انشاء ٦٠٠ وحدة جديدة وتم استكمال المراكز الاجتماعية والمجموعات الصحية لتحويلها الى وحدات مجمعة .

٤ - الصناعات الريفية :

أصبح المفهوم الجديد للصناعات الريفية بعد الميثاق يرمى الى اعتبار هذه الصناعات صناعات أساسية تقوم في القرية لاستغلال خاماتها على أفضل وجه وتستوعب الطاقات البشرية المعطلة عطلة دائمة أو موسمية في عمل يؤدي الى زيادة دخل الفرد وتحسين مستواه (١) .

* والصناعات الريفية وان كانت توصف بأنها صناعات صغيرة الا أنها في مجموعها تمثل اقتصاديات كبيرة ، وانعاش هذه الصناعات بجانب ماله من آثار اقتصادية له آثار اجتماعية فهو يتجه بالتفكير الريفى المنحصر في العمل الزراعى الى أفق الصناعة ، وبذلك ينمو الوعى الصناعى بين الريفيين مما يساعد على تقبل لاتجاهات الصناعية الجديدة .

* وقد اقتضت خدمات الدولة في ميدان الصناعات الريفية قبل الثورة على عمليتين .

الأولى : ارشاد الصناع الريفيين وتوجيههم .

والثانية : تدريب بعض النشء على الصناعات الريفية .

* وكانت امكانيات الريفيين المادية والفنية غشيلة للغاية ولا تمكنهم من مزاولة النشاط الصناعى على وجه يحقق ازدهار هذه الصناعات والتوسع فيها للدرجة التى تسمح بأن يكون لها أثر فعال فى الارتفاع بمستوى المعيشة لسكان الريف .

(١) القرية المصرية بين ماضى وحاضر - محمود الشرقاوى ص ٢٩ ، ٢٠

* وكانت الجهود المبذولة لرعاية الصناعات الريفية موزعة بين أكثر من جهة حكومية ، وكان أول عمل قامت به الثورة في ميدان الصناعات الريفية والبيئة أن وحدت الأجهزة التي تعمل في هذا الميدان .

* وقد وضعت سياسة ثابتة للنهوض بالصناعات الريفية تشمل مختلف المقومات بهذه الصناعات وخصوصا أن المشتغلين بها يزيد عددهم على مليون نسمة بين صانع منقطع لهذه الصناعة وآخر يأخذ من الصناعة الريفية عملا اضافيا يزيد من دخله .

* وفيما يلي أهم ما قامت به الثورة في هذا الميدان .

(١) قامت بإجراء التجارب لتحسين صناعة البلح والعجوة وعاونت الجمعية التعاونية الانتاجية برشيد على استكمال مصنعها كما منحت الجمعيات المتخصصة في صناعة البلح قروضا من صندوق دعم الصناعات الريفية والبيئة .

(٢) عقدت دراسة تدريبية لتدريب العمال على أعمال تربية النحل بمحافظة المنيا لمدة موسم كامل وذلك لنشر هذه الصناعات بالمنيا ومحافظات الوجه القبلي .

(٣) اقامة معارض للصناعات الريفية .

(٤) النهوض بصناعة نسيج السمار واستعماله في صناعة الشنط الحریمی والستائر وغيرها .

(٥) اجراء التجارب على تجفيف الأخشاب المحلية والافادة منها في صنع الأثاث الشعبي ، ودراسة الأنواع المختلفة من الطفيليات للافادة منها في ترقية صناعة الفخار واقامة مركز للتدريب الصناعي الريفى بالمنيا .

(٦) اعداد فرق لتدريب البنات بالمراكز الاجتماعية على الصناعات النسوية وأشغال الأبرة ، وقد بلغ عدد هذه الفرق ٢٥٠ فرقة درست أكثر من ١٠٠٠٠ فتاة على أعمال الحياكة والتطريز .

(٧) تم انشاء صندوق لدعم الصناعات الريفية والبيئية بموجب القانون رقم ١٦٧ لسنة ١٩٥٦ وبذلك وجد الجهاز الذى يمول الصناعات الريفية والذى يتولى اقراض المشتغلين بهذه الصناعة دون أن يطالبهم بتقديم الضمانات التى يعجزون عنها • ويقدم هذا الصندوق للجمعيات التعاونية والهيئات المشتغلة بالصناعات الريفية الخدمات التالية :

أولا - يمنح الجمعيات والهيئات المشتغلة بالصناعات الريفية قروضا بلا فوائد وبضمان أعضاء مجالس اداراتها على نوعين :

(أ) قروض قصيرة الأجل للأغراض السريعة مثل عمليات تمويل أو التسويق وتسدد هذه القروض فى مدة أقصاها سنة واحدة •

(ب) قروض متوسطة الأجل لعمليات الانشاء أو التوسع فى الصناعة وتسدد على أقساط سنوية تصل الى عشر سنوات •

ثانيا - ينفق الصندوق على التجارب التى من شأنها تحسين الآلات المستعملة فى الانتاج الصناعى الريفى والارتقاء بالمنتجات •

ثالثا - يمنح الصندوق الهيئات المشتغلة بالصناعات الريفية اعانات للتدريب وللأغراض الأخرى غير الانتاجية •

رابعا - أقام الصندوق معرضا دائما للصناعات الريفية بالقاهرة يتولى تسويق المنتجات الريفية نظير عمولة اسمية قدرها ٢٪ من قيمة المبيعات •

* وفيما يلى جدول يبين القروض والاعانات التى منحها صندوق دعم الصناعات الريفية والبيئية :

١٩٦٠	١٩٥٩	١٩٥١	
٧٢٦٥٠	٤٠٢٩٠	١٨٤٧٥	— إعانات
٢٠١٧	١٠٠٨٥	٢٠٤٣	— قروض
٧٤٦٦٧	٥٠٣٧٥	٢٠٥١٨	المجموع

* ان الصناعات الريفية اليدوية هي الأساس الطبيعي لمرحلة تالية لتصنيع الريف . وكما حدث في مدينة المحلة الكبرى من تطور النسيج اليدوي الى مصانع نسيج عالمية ، فسيحدث أيضا في هذه الخلايا الصناعية اليدوية التي تنشئها الثورة في كل ركن من أركان الريف . . . وسيأتي اليوم القريب الذي تحقق فيه هذه النواة الصغيرة ثورة كاملة في حياة أبناء الريف الذين تعمل الثورة على رفع مستواهم لتحقيق التوازن بين اللخل في القرية واللخل في المدينة .

* وقد جاء في لميثاق ما يلي : « ان تصنيع الريف اتصالا بالزراعة يفتح فيه أبعدا هائلة لفرص العمل وينبغي أن نذكر دائما أن الصناعة بالتقدم الآلى ليست في مركز يسمح لها بامتصاص كل فائض الأيدي العاملة على الأرض الزراعية وذلك في الوقت الذي لم يعد فيه جدال في حق العمل في حد ذاته هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعي لوجود الانسان وقيمه » ولذلك فان مشكلة العمالة يجب أن تجد جزءا من حلولها في الريف ذاته وتصنيع الريف فضلا عن قدرته على رفع قيمة الانتاج الزراعي ليعزز العناصر العاملة في الحقول بقوى جديدة من العمال الفنيين العاملين في خدمة الانتاج الزراعي في جميع مراحله .

* ان تطوير عملية الانتاج في الريف يساعد في نفس الوقت على ايجاد القوى البشرية المنظمة التي تستطيع بدورها تغيير شكل الحياة فيه تغييرا حاسما .

ثالثا - حقوق العامل الزراعي :

* لم يكن للعامل الزراعي في عهد ما قبل الثورة حقوق اذ كان الاقطاعي صاحب الأرض يعتبر العامل الزراعي عبدا له . . . ولكن عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ردت للعامل الزراعي اعتباره كسواطن حر شريف .

* وقد نص الميثاق في الباب السابع على ما يلي :

« أن التعاون سوف يخلق المنظمات التعاونية الفاعلة على تحديد الجهود الإنسانية في الريف لمواجهة مشاكله » .

كذلك نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجديد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة وأهدرت بانفسلية طاقتهم .

ان هذه القوى هي الخلايا التي تستطيع أن تنسج خيوط الحياة في الريف من جديد وتصنع منها قماشاً مضارباً يقرب القرية الى مستوى المدينة .

ان وصول القرية الى المستوى الحضارى ليس ضرورة عدل فقط ولكنه ضرورة أساسية من ضرورات التنمية من غير تعال عليها ومن غير خيلاء .

ان المدينة مسئولة مسئولية كبرى عن العمل الجاد في القرية .

* وقد نصت المادة ٣٨ من قانون الاصلاح الزراعى على تحديد أجر العامل الزراعى في المناطق الزراعية المختلفة بواسطة لجنة يشكلها وزير الزراعة برئاسة أحد كبار موظفى الوزارة وعضوية ستة يختارهم الوزير : ثلاثة يمثلون ملاك الأراضي الزراعية ومستأجريها وثلاثة يمثلون العمال الزراعيين ولا يكون قرار هذه اللجنة نافذا الا بعد تصديق وزير الزراعة وقد أجازت المادة ٣٩ من قانون الاصلاح الزراعى للعمال الزراعيين تكوين نقابات للدفاع عن مصالحهم المشتركة .

* وجاء بالميثاق ما يلي :

« ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى في رفع الكفاية الفكرية الفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هي تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى ويدخل في ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى وتنظيم الاستفادة الجدية حتميا ونفسيا وفكريا في اوقات الفراغ والأجازات بما يساهم في تحقيق الرفاهية للجموع العاملة » .

* ان الميثاق يحرص كل الحرص على وجود الضمانات لحماية حقوق الفلاحين والعمال التي حققتهم لهم الثورة ، والتي حستهم من الاقطاع وسيطرة رأس المال والاستغلال والاحتكار . فقد تحول آلاف من الفلاحين الى ملاك نتيجة توزيع الأرض الزراعية عليهم بمقتضى قانون الاصلاح الزراعى ، وضمت قوانين يوليو المنجيدة للعمال حق المشاركة فى الأرباح والادارة وأصبح الحد الأدنى للأجور ٢٥ قرشا فى المؤسسات الصناعية التابعة للقطاع العام والمؤسسات التى يزيد رأس مالها عن ألف جنيه فى القطاع الخاص ، وأصبح الحد الأقصى لساعات العمل فى الشركات الصناعية ٤٠ ساعة فى الأسبوع وهذه الحقوق التى اكتسبها العمال عن طريق القوانين الاشتراكية لم تكن نتيجة المطالبة بها ، بل نتيجة أن الدولة أصبحت اليوم تعمل على اقامة المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى وفى سبيل ذلك تحاول ايجاد فرص العمل أمام الذين لا يملكون العمل ، وتتيح لجميع المواطنين حياة ترفرف عليها الرفاهية .

المبحث الثانى

معركة تحرير العمل والعمال فى ظل الثورة

(العمل شرف ... العمل حق ... العمل واجب ... العمل حياه)

(جمال عبد الناصر)

* كان قيام الثورة بداية مرحلة جديدة فى تاريخ شعبنا ونضاله من أجل حياة حرة طليقة من قيود الاستغلال والتخلف .

* وفى مواجهة سيطرة الرأسماليين المستغلين على نظام الحكم وتسخيرهم موارد الثورة فى مجتمعنا لخدمة مصالحهم على حساب الشعب . وكد العمال وعرقهم . أعلنت الثورة ضرورة القضاء على الاحتكار وضرورة اقامة عدالة اجتماعية .

وعملت الثورة مبادئ الاشتراكية وسعت الى تدعيم الديمقراطية السياسية والاجتماعية وأعادت لكل مواطن حقه الطبيعى فى مجتمع اشتراكى حر .

لذلك كان من أهم ما عنيت به الثورة أن ترد للعمل اعتباره وقيسته وأن تصون القوى العاملة وأن ترفع مستواهم وأن تولي شئونها أكبر قسط من الاهتمام . لذلك فقد تم تشكيل أول لجنة لاعادة النظر في القوانين العمالية بعد ثلاثة شهور من قيام الثورة .

وكانت القوانين التي تنظم حقوق العمال وواجباتهم قبل الثورة تصدر طبقا لظروف طارئة ونتيجة كفاح العمال ومحاولاتهم المختلفة ، أو اجتذابا للأنصار واسترضائهم (١) .

* ومنذ قيام الثورة أسهمت بطريقة — فعالة في تحقيق اطمئنان العمال واستقرارهم ، فكفلت لهم حقوقا واضحة المعالم ورعاية اجتماعية

* ولكي تؤمن الثورة العامل على يومه أصدرت القانون رقم ٣١٧ لعام ١٩٥٢ المنظم لعقد العمل الفردي ليحل محل القانون الصادر في عام ١٩٤٤ وليمنح العمال الطمأنينة والاستقرار في عملهم فحماهم مما كانوا يقاسونه من تهديد في ضمان لقمة العيش من جراء الفصل التعسفي ، فأصبح العامل حسب نص المادة ٣٩ مكرر من القانون الجديد محميا من الفصل التعسفي الذي كان سائدا في الماضي وأصبح لا يجوز فصله الا بمبرر أو للأسباب الواردة بالنص في القانون أو تطبيقا للائحة الجزاءات . ولقد اعتبر العمال هذه المادة تحررا كاملا من كل قيد ، ومنح القانون المذكور للعمال المزيد من المزايا فحقق له زيادة في عدد أيام الاجازات الرسمية ، كما رفع من عدد أيام الاجازات السنوية بالأجر الكامل والاجازات المرضية ، واحتفظ للعامل المستقيل بنصف المكافأة المستحقة بشرط مضي خمس سنوات في العمل كما رفع الحد الأدنى لمكافأة نهاية الخدمة ، ذلك فضلا عما حققه القانون للعامل من رعاية طبية .

* ولكي تؤمن الثورة العامل على غده ، صدر القانون رقم ٤١٩ للتأمين والادخار للعمل الذي بدأ تطبيقه عمليا من أبريل عام ١٩٥٦ في برنامج واسع .

(١) العامل يصبح وزيرا في مجتمعنا الاشتراكي — عطيه عبد الجواد ص ١٤

❖ ولضمان حقوق الانتاج فلا يتعدى جانب على آخر . صدر القانون رقم ٣١٨ لعام ١٩٥٢ للتوفيق والتحكيم في منازعات العمل فقد كان لزاما أن توضع العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال على أسس العدالة الاجتماعية ، ونظمت أداة المفاوضة والصلح والتحكيم بين طرفي الانتاج على أساس يضمن السرعة وتحقيق الاستقرار في ميدان الاقتصاد ويستند الى مبادئ العدالة مع مراعاة الحالة الاقتصادية والاجتماعية في كل منطقة صناعية وكان من أثر هذا القانون اختزال اجراءات التوفيق والتحكيم وتحديد مواعيد يلتزم بها الموظفون واللجان للتصرف في منازعات العمل ، ونظم القانون حالات التوقف عن العمل فلم يتركها في يد أصحاب الأعمال دون تنظيم ضمانة لاستقرار العامل في عمله وضمانة لاستقرار الحالة الاقتصادية .

❖ وأرادت الثورة أن تضع مفهوما أوسع لمعنى الحرية النقابية فأصدرت القانون رقم ٣١٩ لعام ١٩٥٢ الخاص بتكوين النقابات والاتحادات العمالية وراعت أن تتفادى الاخطاء وأن ترفع القيود التي كانت مفروضة في القانون القديم ولتعطى مجالا أوسع للحركة النقابية في اطار يتمشى والاتجاه الثوري الجديد .

❖ وقد حقق هذا القانون كثيرا من المزايا اذ خول لأول مرة لعمال الزراعة حق تكوين النقابات وجعل القضاء هو المرجع في حالة الاعتراض على تكوين أية نقابة ، كما كفل للحركة النقابية حرية تامة ينعم بها النقائيون . وشجع القانون الجديد العضوية النقابية ، ويسر للنقابات مزاولة نشاطها ورفع الحد الأدنى والنسبة المئوية المخصصة للخدمة الاجتماعية والصحية .

❖ وقامت حكومة الثورة بجمع القوانين العمالية في قانون موحد هو القانون رقم ٩١ لعام ١٩٥٩ .

❖ وكان هذا القانون فرصة للتخلص من العيوب التي لازمت كثيرا من التشريعات القديمة ، وأكد حق العمل والعمال في حياة كريمة مطمئنة في حدود توصيات الجامعة العربية واتفاقيات العمل الدولية .

✱ واستخدمت هذا القانون مبادئ جديدة لتشريعات العمل والعلاقات الصناعية وكثيرا من التحسينات على شروط العمل لصالح العمال كان من أهمها أنه ساوى بين العمال جميعا فيما يتعلق بأحكام عقد العمل وخفض مدة الاختبار الى ثلاثة شهور مع الالتزام بتجديدها في عقد العمل ، ومنح حق الحصول على إجازة بأجر كامل في إجازة المواسم . وفي حدود ٧٠٪ في الثلاثة شهور الأولى من المرض و ٨٠٪ في الثلاثة شهور التالية في حالة المرض ، ومساواة العمال الذين يتقاضون أجورهم باليوم أو بالأسبوع أو بالساعة أو بالقطعة بالعمال الذين يتقاضون أجورهم بالشهر في كيفية احتساب مكافأة نهاية الخدمة ثم إلغاء الحد الأقصى للمكافآت .

✱ كما بسط هذا القانون إجراءات النظر في منازعات العمل وترتب عليه إحالة منازعات العمل الى لجان التوفيق أو هيئات التحكيم مباشرة طالما أن النزاع يتناول أكثر من ٥ عاملا . وكان بفضل هذا التنظيم أن استقرت القواعد العرفية في مجال الصناعات المختلفة فقلت المنازعات الجماعية .

أولا - قرارات يوليو الاشتراكية المجيدة ومكاسب العمال :

« ان هذه الحقوق الثورية جعلت الآلات ملكا للعامل ولم تجعل العامل ملكا للآلات . . لقد أصبح العامل هو سيد الآلة ولم يعد أحد التروس في جهاز الإنتاج .

ان هذه الحقوق الثورية كفلت حدا أدنى للأجور ، واشتركا إيجابيا في الإدارة ليصاحبه اشتراك حقيقى في أرباح الإنتاج وذلك في ظل ظروف للعمل تكفل الكرامة للإنسان العامل وعلى هذا الأساس فقد أصبح يوم العامل سبع ساعات .

« الميثاق »

* تعد القوانين الاشتراكية التي صدرت في يوليو عام ١٩٦١ ذات أثر كبير في حياة العمال وتدعيم حقوقهم الأساسية ، ويتضح ذلك على النحو التالي :

١ - القانون رقم ١١١ الخاص باشتراك العمال في ارباح الشركات :

أولا - وبمقتضاه أصبحت أرباح الشركات المساهمة وشركات التوصية بالاسهم توزع كما يلي :

- ٢٠٪ من صافي الأرباح لتكوين احتياطي .
- ٥٠٪ من صافي الأرباح لشراء سندات حكومية .
- ويوزع الباقي بواقع ٧٥٪ للمساهمين ، ٢٥٪ للموظفين والعمال .

٢ - القانون رقم ١١٤ الخاص باشتراك العمال والموظفين في ادارة الشركات والمؤسسات :

وبمقتضاه يجب ألا يزيد أعضاء مجلس ادارة أى شركة أو مؤسسة على ٧ أعضاء ومن بينهم عضوان ينتخبان عن الموظفين والعمال فيها على أن يكون أحدهما عن الموظفين وآخر عن العمال .

٢ - القانون رقم ١١٣ الخاص بوضع حد أقصى للمرتب أو المكافاة في الشركات والمؤسسات :

وبمقتضاه أصبح مجموع ما يتقاضه رئيس مجلس الادارة أو عضو مجلس الادارة المنتدب أو عضو مجلس الادارة أو أى شخص يعمل في هيئة أو مؤسسة أو شركة أو جمعية بصفته موظفا أو مستشارا أو بأى صفة أخرى لا يجوز أن يزيد عن ٥٠٠٠ رة جنيه سنويا .

ثانيا - في ٣١ يوليو ١٩٦١ صدر قرار الزعيم الخالد بالقانون رقم ١٢٥ وهو الخاص بقصر التعيين على وظيفة واحدة سواء في الحكومة أو المؤسسات العامة أو الشركات أو الجمعيات أو المنشآت الأخرى .

ثالثاً - في ٢٨ يوليو ١٩٦١ صدر قرار الزعيم الخالد بالقانون رقم ١٣٣ الخاص بتخفيض الحد الأقصى لساعات العمل في الصناعة الى ٤٢ ساعة في الأسبوع .

* وهكذا كانت قرارات يوليو الاشتراكية قمة المكاسب العمالية فقد أتاحت للعمال الاشتراك في مجالس ادارات الشركات التي يعملون بها لأول مرة في تاريخهم وأصبحوا شركاء في الأرباح التي تحققها مؤسساتهم بحصصهم على ٢٥٪ منها وخفضت ساعات العمل اليومية للعامل الى سبع ساعات ثم صدر قانون يجعل الحد الأدنى للأجور ٢٥ قرشا .

* لقد كان وضع حد أدنى للأجور خطوة واسعة على طريق العدالة الاجتماعية وتقليل الفوارق بين الطبقات ، ففي ظل النظام الرأسمالي الذي كان سائدا قبل الثورة ، كان المشرع يؤمن بأن العقد شريعة المتعاقدين حتى ولو كان بين قوى مستغل وضعيف يبحث عن لقمة العيش ، لذلك لم يتدخل القانون في أجور العمال حتى أصبح الظلم صارخا نتيجة اشتداد موجات الغلاء وحرص رأس المال على دفع أجور هزيلة لعمالهم سعيا وراء المزيد من الأرباح .

* وجعلت الثورة من العامل مديرا ومنتجا ومالكا حين أشركته في ادارة الشركة والمصنع والمؤسسة وأشركته في الأرباح .

* ويذكر عمالنا كيف كان الوضع قبل الثورة ، فقد كان هناك مجموعة محدودة من الأفراد يملكون مصادر الإنتاج ، وكان هناك مجموعة كبيرة من الأفراد لا يملكون سوى قوة عملهم ، وكان العمل سلعة يعرضها صاحبها ، كما يعرض صاحب أى سلعة سلعته في السوق ، ويذكر عمالنا أن صاحب المصنع مثلا يهتم أن يدفع أقل أجر ممكن للعامل ، وكان صاحب المصنع في مركز يستطيع معه أن يملأ رأيه وكان العامل هو الجانب الضعيف الذي يرضخ لشروط الرأسمالي واستغلاله .

* لذلك فإن الثورة حين قررت اشراك العمال في مجالس ادارة الشركات والمصانع التي يعملون بها وفي الأرباح التي تحققها الشركات ، فانها تكون قد كشفت عن نظرة جديدة الى قوة العمل ترتفع بها من مرتبة السلعة الى مرتبة رأس المال .

ولما كان رأس المال يمثل صاحبه ، لذلك كان لابد أن يمثل العمل صاحبه ، ورأس المال والعمل لا غنى لأحدهما عن الآخر .

* ويذكر عمالنا أن الزعيم الخالد وصف الاشتراكية بأنها ديمقراطية الاقتصاد .

* والديمقراطية معناها اشتراك الشعب في ادارة المجتمع من كل نواحيه لذلك فالى جانب حق الانتخاب العام الذى يتبع لأفراد الشعب اختيار ممثلهم في التنظيمات السياسية ، لابد لكى يكون النظام ديمقراطيا أن يمارس المواطن حقه في الاشتراك في ادارة المرافق أو المجال الذى يعمل به .

* ولابد أيضا أن يعيش المواطن في جو يسمح له بأن يعبر عن آرائه بحرية في كل أمر يتصل بحياته .

* ومن شأن ذلك أن تنتهى النظرة السابقة التى كانت تحكم تصرفاتنا حين كان المجتمع مقسما الى درجات ، في أعلاها المال والجاه والحسب . وفي أسفلها العمل الشريف .

* ومن شأن ذلك أيضا أن يقوم نوع ضرورى من التعاون بين رأس المال والعمل ، داخل المصنع والشركة ، فلا تنقسم عملية الانتاج بين رأس المال والعمل ، لأن هذه العملية متكاملة ، وهذا هو معنى ايمان الاشتراكية بضرورة القضاء على الانقسام في عملية الانتاج .

ثانيا - التأمينات الاجتماعية :

* لم يكن في بلادنا قبل عام ١٩٣٦ أية نظم للتأمينات الاجتماعية للعمال حتى صدر القانون رقم ٦٤ لعام ١٩٣٦ الذى نظم تعويض العمال عن اصابات العمل ، وظل العمال ١٤ عاما بعد ذلك حتى صدر القانون رقم ١١٧ لعام ١٩٥٠ بالتعويض عن أمراض المهنة .

* وحينما قامت الثورة ، جعلت التأمينات الاجتماعية أساسا يحقق دورا كبيرا في مجال العدالة الاجتماعية .

* وفي عام ١٩٥٥ صدر القانون رقم ١٩٤ بإنشاء صندوق للتأمين وآخر للإدخار وكان من أبرز مزاياه إنشاء أول جهاز لإدارة التأمينات الاجتماعية على أسس غير تجارية ولا تستهدف الربح .

* وفي عام ١٩٥٨ صدر القانون رقم ٢٠٢ الخاص بالتأمينات ضد مخاطر العمل بنوعيتها ، الحوادث وأمراض المهنة ، وكان من أهم مزاياه الأخذ الأول مرة بنظام التعويض وبالمعاش .

* وفي عام ١٩٥٩ صدر القانون رقم ١٢ لعام ١٩٥٩ الخاص بالتأمينات الاجتماعية وهو أساس بناء صرح التأمينات في بلادنا ونقطة تحول في تاريخ الرعاية الاجتماعية وتأمين العمال من مخاطر الحياة .

* وفي عام ١٩٦١ صدر القانون رقم ١٤٣ ضمن القرارات الاشتراكية وبمقتضاه أقر حق العمال في المعاش في حالات العجز والشيخوخة والوفاة وبذلك يكون العمال قد آمنوا ضد مخاطر الحياة كافة وعن طريق تقرير معاش .

* وهكذا حققت التأمينات الاجتماعية في مجتمعنا مستوى عاليا خلال فترة قصيرة ، وأصبح أكثر من مليون عامل يتمتعون بمعاشات دائمة ، وتقرر لأول مرة الحاق ميزانية التأمينات الاجتماعية بميزانية الدولة ورصد لها مبلغ ٢٣٦٠٠٠٠٠٠ جنيه في العام الحالي لمواجهة المصروفات الفعلية لمؤسسة التأمينات الاجتماعية .

ثالثا - التنظيمات النقابية :

* آمنت الثورة بأن النقابات من الدعائم الهامة في بناء المجتمع الاشتراكي فحرصت على إعادة تنظيمها على أساس ديمقراطي متكامل وتحول التنظيم النقابي للمؤسسات الى التنظيم النقابي الصناعي . وأصبح لكل صناعة نقابة تمثلها ، وتبدأ من اللجنة النقابية في المصنع ثم النقابة الفرعية في المحافظة ثم النقابة العامة للصناعة ، وكان التطبيق الجديد بناء على رغبة المؤتمر العام للاتحاد العام للعمال ، وبذلك تخلصت الحركة النقابية من التفتت النقابي ، وقوى الجهاز النقابي وسائر التطور الصناعي في مجتمعنا (١) .

(١) المرجع السابق ص ٢٦

* لقد اعترف بشخصية النقابة بمجرد ايداع الأوراق في مكتب العمل ثم أنشئ أول معهد للتدريب النقابي ثم وضعت القيود حول فصل العمال من المصانع بإضافة المادة (٣٩) مكررة لقانون العمل الفردى ثم أنشئ المجلس الاستشارى للعمل ويضم ممثلين عن العمال وأصحاب الأعمال والحكومة وتعرض جميع القوانين العمالية على المجلس قبل تنفيذها ، ثم أنشئ الاتحاد العام للعمال .

* وأثبتت الحركة العمالية وجودها وتفاعلها مع الأحداث منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ولم تعد هذه الحركة معزولة عن المنطقة العربية والعالم .

* وفى عام ١٩٥٤ زار وفد العمال المصرى البلاد العربية ، وفى مارس ١٩٥٥ أعلن تكوين أول اتحاد للعمال العرب لعب دورا حاسما فى الممارك العربية ، وقد كشفت لنا معركة بور سعيد عن تجاوب عربى حقيقى كان هو الاعلان الواقعى لهذا الاتحاد الذى أظهره الكفاح وكشفت عنه وحدة الهدف وأصبح قاعدة نضالية تنبض بالايمان بالقومية العربية .

* وما زلنا نذكر الدور المشرف الذى وقفه العمال العرب للقضاء على المؤامرة الصهيونية الاستعمارية حول الباكسة كليبواترا وقد سلم الرئيس جمال عبد الناصر أعضاء مجلس الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب أرفع وسام فى الجمهورية العربية المتحدة وهو الوسام المخصص للملوك ورؤساء الجمهوريات وقال لهم : « أتم كطليعة العالم العربى ، والعمال العرب ، الذين تعملون على التنمية والتطور عليكم الواجب الكبير ، وقد أثبتتم فى هذه المناسبة كيف قمتم بواجبكم ، وأثبت الشعب العربى كيف قدر لكم هذه المبادرة ، وأنا اذ أهديكم أعلى وسام فى الجمهورية العربية المتحدة فانى أعبر عن تقديرى وتقدير الشعب العربى للعامل العربى الذى انبرى يكافح عن استقلال وطنه العربى وعن قوميته العربية وعن كرامته .

* وقد وقف الاتحاد فى وجه اضطهاد عمال عدن ، ولعب دورا كبيرا فى حرب الجزائر ، وساهم فى الحركة العمالية الدولية باسم العمال العرب . وأصبح عمالنا أعضاء فى الاتحاد الدولى لعمال البترول ، والاتحاد الدولى لعمال النسيج ، والاتحاد الدولى لعمال النقل .

* واشترك عمالنا في تكوين أول اتحاد عام لعمال أفريقيا ، وافضمت الجمهورية العربية المتحدة الى الاتفاقية الدولية للجنة النقابية ، وكانت أول دولة تنضم لهذه اتفاقية .

* وهكذا فتحت الثورة جسيع النوافذ أمام الحركة العمالية في بلادنا لتتفاعل فعلا مع حركات التحرر لجميع عمال العالم .

رابعا - مركز العمال في الميثاق الوطني :

* في ٢١ مايو ١٩٦٢ قدم الزعيم الخالد مشروع الميثاق الوطني الى أعضاء المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، وفي ٣٠ يونيو أعلن أعضاء المؤتمر ذلك الميثاق بعد مناقشات مستفيضة ، اطارا لحياتنا وطريق ثورتنا مرسيا المبادئ والأسس التي يقوم عليها مجتسنا .

* وكان من الطبيعي أن يكون للعمال في الميثاق نصيب كبير من الاهتمام فان اشتراكيتنا تقوم على قاعدة أساسية تتمثل في احترام العمل وحمايته باعتباره القوة الدافعة للتقدم .

* وقد ردت اشتراكيتنا الى العامل حقوقه الطبيعية وأعادت اليه احترامه بعد طول اهمال وظلم في الماضي .

* وقد أشار الميثاق الى ذلك في أكثر من موضع : ففي الباب الخامس ، قال الميثاق أن « الملايين من العمال الزراعيين عاشوا في ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الأجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما أن عملهم كان يجري خلوا من أى ضمان للمستقبل ، لم يكن في طاقتهم الا أن يعيشوا منى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة . كذلك فان مئات الألوف من عمال الصناعة والتجارة لم تكن في قدرتهم أية طاقة على تصدى ارادة الرأسمالية المتحكمة المتحالفة مع الاقطاع والسيطرة على أجهزة الدولة وعلى سلطة التشريع ، وأصبح العمل سلعة من السلع في عملية الانتاج يشتريها رأس المال المستغل تحت أحسن الشروط موافقة لمصالحه . ولقد واجهت الحركة النقابية التي كان في يدها قيادة هذه الطبقة المناضلة من العمال صعوبات شديدة حاولت عرقلة طريقها كما حاولت افسادها .

* ووضع الميثاق العمل فى مكانه الحقيقى حين قال : ان العمل الانسانى الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكى يحقق أهدافه ، العمل شرف • والعمل حق • والعمل واجب • والعمل حياة • ان العمل الانسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم ، ان طبيعة العصر ، لم تعد تقبل وسيلة للأمل غير العمل الانسانى •

* وحرص الميثاق على أن يضمن لقوى العمال والفلاحين فى الوحدة الوطنية بأشكالها التنظيمية والسياسية المختلفة نصف قوة النفوذ السياسى والاجتماعى ، ومن هنا فإن الدستور الجديد يجب أن يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنها الأغلبية التى طال حرمانها من حقها الأساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه •

* والعمال بالمعنى الذى ذهبت اليه لجنة تقرير الميثاق هم كل من تتوافر فيه شروط العضوية للنقابات العمالية • كما يدخل ضمنهم الحرفيون الذين يعملون بأنفسهم ولا يستخدمون الغير ويخرج من هذا المجال مديرو الشركات والمؤسسات ومن فى حكمهم والمفوضون وأعضاء مجالس ادارة الشركات والمؤسسات عدا المنتجين منهم من العمال والموظفين •

المبحث الثالث

مديرية التحرير

مضى اليوم ثمانية عشر عاما على مديرية التحرير الأرض التى كانت بحرا من الرمال الصفراء أن بعث الحياة فى الرمال الصفراء يتطلب جهودا لا يمكن وصفها ويتطلب فترة طويلة من الزمن •

* لقد كان مشروع مديرية التحرير فى الواقع أول مشروع تحاول الثورة التى تحركت طلائعها فجر الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ وضعه

موضع التنفيذ ، أن تحويل اللون الأصفر لون العدم والفناء — الى اللون الأخضر — لون الأمل والحياة — تحتاج فوق كل شيء الى الصبر والمصابرة •

✽ تحمل المشروع منذ اللحظة الأولى التي بدأ فيها العمل أكثر من هجوم •• وواجه أكثر من انتقاد وبرغم ذلك كله مضت عجالات العمل في معركة التحدى وأصبحت مديرية التحرير فخرا لكل مواطن •

بدأ العمل في ٥٠٠ فدان وكان ذلك عام ١٩٥٣ وصلت اليوم الى حوالي ٥٠٠٠ فدان في القطاع الجنوبي (١) •

والشجرة التي غرسها منذ أحد عشر عاما أصبح اليوم في المديرية ٢٥ مليون شجرة مثلها •

✽ ولكن كيف تطورت المديرية بهذا الشكل خلال السنوات التي مضت من عمرها ؟ كيف تحول السراب الى واقع والأمل الى حقيقة والعدم الى حياة •

وقال الزعيم الخالد عند زيارته لمديرية التحرير : « ان ما شاهدته اليوم من نتائج تمت في وقت قصير في مديرية التحرير •• لخير دليل على أن يفعل الكثير •• ولقد حمدت الله حينما رأيت جميع الرجال أسرة واحدة تجمع الكبير والصغير •• وهذا يدعو الى الأمل في المستقبل •• والله ولى التوفيق •

✽ لقد جاءت الثورة والبلاد تفيض بسكانها ساعة بعد ساعة دون أن تقابل الزيادة زيادة أخرى في مساحة الأرض المزروعة •

✽ ولا شك أن عدد السكان ونسبة زيادتهم عاملان مهمان من مجموع العوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة التي تؤثر في رفاهية الشعب في أية منطقة من مناطق العالم •

(١) الاصلاح الزراعى لى ١٢ عاما .. محمد عبد المجيد مرعى ص ٥٩

لذلك راعت الدولة السعى بجميع أجهزتها وامكانياتها الى زيادة الرقعة المنزرعة لمواجهة الزيادة المطردة في عدد السكان ولرفع المستوى المعيشى وزيادة الدخل القومى نظرا لما تبين من أن ازدياد الدخل الزراعى بالقدر الكفيل بتحقيق مستوى معقول يستوجب التوسع فى الاستصلاح والاستزراع لمزيد من الأراضى البور بمعدل مرتفع يعوض ما فات ويقابل الزيادة المتضاعفة عاما بعد آخر .

واتخذت الثورة طريقها دون تردد وكانت مديرية التحرير فى الواقع أول عمل ثورى وقد تبعه التفكير فى سلسلة المشروعات الضخمة وعلى رأسها مشروع السد العالى الكبير الذى سيقوم بتدبير المياه اللازمة لرى أراضى مديرية التحرير وهذه حقيقة لا يعرفها كثير من الناس .

ومع بداية وضع مشروع مديرية التحرير موضع التنفيذ اصطدم المشروع بالصحراء من جانب وبالعزم والصلابة والعلم والمعدات الحديثة من جانب آخر .

❖ وصرفت بضعة ملايين من الجنيهات ظننا بعض الناس أنها ذهبت هباء .

❖ والآن : بعد مضى ثمانية عشر سنة على انشاء مديرية التحرير أصبحت معجزة الثورة وأنها تجربة من التجارب العظيمة . خرجنا منها مؤمنين بأقنا أقوىاء بعزيمتنا أشداء بارادتنا واثقين بقدرتنا على تحقيق معجزات كثيرة أخرى .

❖ ان مديرية التحرير : هى مشروع الملايين .. ملايين الأرض القاحلة التى تحيلها الى أرض مزروعة والتى ستبقى مزروعة آلاف السنين القادمة .

❖ انها ستحقق الأجيال المقبلة السعادة والرفاهية ويومئذ سيتغنى أبناءنا بأن مديرية التحرير كانت حجرا من الأحجار الأولى الراسخة التى قامت عليها (مصر العظمى) .

المبحث الرابع سد ناصر

في ٩ يناير ١٩٦٠ قال الزعيم الخالد :

« هذا هو السد العالي الذي دارت من حوله المعارك وحارب من أجله الأبطال . هذا هو السد العالي الذي شهد كل هذا الكفاح واستحق كل هذا الكفاح لا لسبب قيمته الذاتية فحسب بل لأنه أصبح كرمز لتصميم الأمة العربية عليها على أن تسير في بناء وطنها الكبير المتحرر . . . أن الذين حاربوا ليحققوا الأمل والذين كافحوا ليحولوا الأمل إلى حقيقة والذين لم ترهبهم النار والحديد لم يفعلوا ذلك كله لمجرد استخلاص مليون أو مليوني فدان من برائن الصحراء فحسب ولا لمجرد الحصول على عشرة ملايين كيلوات من الكهرباء فحسب وإنما فعلوا ذلك تحقيقاً لأرادتهم المستقلة التي انتزعوها انتزاعاً من قبضة الطغيان والاحتلال والاستبداد والسيطرة » .

ويعتبر مشروع السد العالي بمثابة العمود الفقري لخطط التنمية الاقتصادية لمضاعفة الدخل القومي في الجمهورية العربية المتحدة إذ يحقق للبلاد :

- * إضافة ١٣ مليون فدان جديدة إلى الرقعة الزراعية .
- * تحويل ٧٠٠٠٠٠ فدان من نظام ري الحياض إلى نظام الري الدائم مما يضاعف غلة هذه المساحة .
- * ضمان توفير المياه اللازمة لري الأراضي المزروعة والتي تستطيع مستقبلاً مع وقاية البلاد من أخطار الفيضانات العالية .
- * توفير المياه اللازمة لزراعة مليون فدان أرز سنوياً لأغراض التصدير .
- * تحسين حالة الملاحة النيلية وجعلها صالحة على مدار السنة .
- ∴ توليد طاقة كهربائية تصل إلى عشرة مليار كيلو وات ساعة سنوياً لتوفير الطاقة اللازمة للتوسع الصناعي .

✽ تقدر الزيادة المباشرة في الدخل القومي للجمهورية المترتبة على تنفيذ المشروع بحوالى ٢٣٤ مليون جنيه سنويا • ويجدر الإشارة الى أنه بجانب هذا المجهود الضخم استعدت الجمهورية لاستقبال مياه السد العالى التى تزيد من مساحة الأراضى المزروعة ما يقرب من ١٣ مليون فدان • تشمل التوسع فى مديرية التحرير وادكو ومريوط وصحراء الصالحية وشرق قناة السويس وغربها ينفذ على مراحل بحيث ينتهى الاستصلاح والاستزراع حوالى عام ١٩٧٢ (١) •

✽ كما أن السد العالى يرتبط بأضخم مشروعات التوسع الزراعى الرأسى وهو تحويل حياض الوجه القبلى الى رى مستديم • فقد اتبع نظام الرى الحوضى فى مناطق الصعيد آلاف من السنين لم تختلف خلالها أساليبه ووسائله حتى أثر فى سمات وملامح هذه المنطقة وكان السبب الرئيسى لتخلفها الاجتماعى والاقتصادى • فالزراعة فى ظل هذا النظام مقيدة بموعد فيضان النيل وتخضع لأهوائه وسيتيح تحويل هذه المناطق الى نظام الرى المستديم مضاعفة غلة الأرض وزراعة ما لا يقل عن ١٢٥ ألف فدان من قصب السكر لسد حاجة البلاد المتزايدة من السكر والتصدير •

المبحث الخامس

الكهرباء

أدركت الثورة منذ قيامها أهمية الكهرباء كعنصر أساسى فى تطوير الاقتصاد والمجتمع وتحقيق رفاهية أبناء الشعب •

ولذلك وجلت الثورة أنه من غير الطبيعى أن تبقى أدوات إنتاج هذه الطاقة الأساسية فى يد بعض الشركات الأجنبية المستغلة تبتز أموال الشعب دون أن يكون فى مقدورها ولا فى نواياها أن تصون هذا المرفق أو تعدد لمواجهة أهداف الإنتاج حسبما رسمتها ثورتنا الاشتراكية •

(١) كتاب الجيب السنوى للإحصاءات العامة (ج.ع.م) ١٩٥٢ - ١٩٦٨ ص ٢٥٤

لذلك تست سيطرة الشعب على انتاج الكهرباء وانتقلت أدواتها جميعا الى يد القطاع العام الذى أثبت قدرته الفائقة على تحقيق طفرة بالغة فى مجال هذا النشاط .

ان مدى تقدم الأمم يقاس اليوم بمعايير أساسية من أهمها متوسط نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء وكانت التجربة الاشتراكية فى هذا الميدان تجربة رائدة حيث وصل التقدم حتى الآن الى أربعة أضعاف ما كان عليه الحال سنة ١٩٥٢ وهذا التطور قلما يحدث بمثل هذه الدرجة من السرعة فى أى بلد يقطع مرحلة النمو والتطور .

لقد سجلت السنوات الأربع الماضية جهاد شعبنا المجيد فى تنفيذ الخطة الخمسية الأولى واليوم نستعد للانطلاق فى سبيل تنفيذ الخطة الخمسية الثانية وتحقيق مضاعفة الدخل القومى وبناء المجتمع الاشتراكى بناء يرتكز على الكفاية والعدل .

وعلى طريق الكفاية يواجه قطاع الكهرباء مسئولية توفير احتياج الجهاز الاتاجى فى الصناعة والزراعة والخدمات ، ويتحمل مسئولية الاستجابة الى التطور الضخم فى احتياجات انلاياج الى القوى الكهربائىة وليس أدل على هذا التطور الكبير من أن الطاقة المولدة ارتفعت من حوالى ٩٩٠ مليون ك. و. س. فى عام ١٩٥٢ الى ٤٥٠٠ مليون ك. و. س. فى عام ١٩٦٤ . وأنه من المنتظر أن يصل الطلب على الطاقة المولدة الى أكثر من ١٤٠٠٠ مليون ك. و. س. عام ١٩٧٠

ويرتبط لتحقيق ذلك اقامة العديد من المحطات المائية والحرارية تقف بينها محطة السد العالى كرمز للانطلاق الكبير ، كما تقوم على عاتق قطاع الكهرباء مسئولية الاعداد لمشروعات أخرى تمثل تطورا حتميا يقتضيه التطور للجهاز الاتاجى ، وفى هذا السبيل نذكر مشروعات منخفض القطاره وقناطر النيل وغيرها من المشروعات المائية الكبيرة .

* ثم يرتبط بتحقيق كل هذا أيضا استكمال شبكة الربط وشبكة التوزيع على الجهات المختلفة وسوف تمتد شبكات الجهد العالى والجهد المتوسط الى أكثر من ٦٠٠ كيلو متر تغذى العديد للمحطات المحولات فى كل ركن من أركان الجمهورية • ويجرى الآن تنفيذ ٣ محطات جهد ٥٠٠ كيلو فولت بواسطة هيئة السد العالى ، و ٦ محطات جهد ٢٢٠ كيلو فولت وأربع محطات جهد ١٣٢ كيلو فولت ويجرى أيضا تنفيذ ٦ محطات ٢٢٠ كيلو فولت بواسطة وزارة القوى الكهربائية ، وأربع محطات محولات جهد ١٣٢ كيلو فولت وحوالى ٣٠ محطة جهد ٦٦ وجهد ٣٣ كيلو فولت ، وذلك بخلاف ١٩ محطة تم تنفيذها حتى الآن (١) •

* ومن هذه المحطات ستنتشر شبكة الكهرباء لتغذى المصانع ومحطات الطلمبات والمرافق المختلفة وتدخل مساكن العاملين من أبناء الشعب فى المدن والقرى وفى كل ركن من أركان الجمهورية •

* ان الكهرباء بحق هى القاعدة التى بها يتحقق الانطلاق العظيم وينتهى النمو الاقتصادى والاجتماعى •

* وتعبيرا عن ذلك قرر الميثاق : « ان وصول القوى المحركة الى كل مكان فى مصر هو شرارة الثورة القادرة على تحريك طاقات التغيير الجذرى اقتصاديا واجتماعيا من التخلف الذى كان الى التقدم الذى يتطلع اليه النضال الوطنى •

* وقد سار فى هذا الطريق عمليا السيد الزعيم الخالد منذ اليوم الأول لثورة ٢٣ يوليو الخالدة حين وضع كل الامكانيات لكهربة خزان أسوان العالى ، ثم تحقق مزيد من الانطلاق عندما قاد الشعب فى سبيل بناء السد العالى العظيم •

المبحث السادس

التقدم الصناعي

* منذ أن قامت الثورة في عام ١٩٥٢ وحتى اليوم ، حظيت الصناعة باهتمام كبير من الدولة باعتبار أنها المجال الواسع الذي يتيح لاقتصادنا أن يخطو خطوات سريعة نحو القوة والنمو .

* وقد كان القصور في ميدان الصناعة حتى ١٩٥٢ بعكس أوضاع اقتصاد متخلف يعتمد أساسا على الانتاج الزراعى ، ويعتمد فى سد الجزء الأعظم من احتياجات الشعب من السلع المصنوعة على الاستيراد من الخارج فى حدود ما تسمح به امكانيات الدولة المحدودة لتحقيق ذلك .

* وكانت هذه الاحتياجات تتزايد بسرعة واستمرار نتيجة لزيادة السكان بنسبة كبيرة سنويا ، وكذلك نتيجة التطور الطبيعى نحو التقدم مما يضيف جديدا كل يوم الى قائمة السلع التى يستهلكها الشعب ، ولم يكن لدينا ما تقابل به هذه الاحتياجات الا حصيلة ما صدره من منتجات الزراعة التقليدية وهذه الحصيلة لم تكن تحقق الزيادة المطلوبة لمقابلة هذا النمو السريع فى متطلبات الاستهلاك .

* ولذلك كان طبيعيا أن تنفذ فى الصناعة — بما فيها الكهرباء — استثمارات تبلغ حتى عام ١٩٧٠/٦٩ نحو ١٢٠٠ مليون جنيه ، وأن يحدد لتلك الاستثمارات الأهداف التالية :

(أ) ننتج محليا كل ما نحتاج الى استيراده من الخارج — كلما أمكن ذلك اقتصاديا — وبذلك نوفر تدريجيا ما نضطر الى اتفائه فى سبيل استيراد احتياجات البلاد من السلع المصنوعة .

(ب) أن نحقق فائضا فى الانتاج الصناعى عن حاجة الاستهلاك المحلى نوجهه للتصدير ، وبذلك نساعد فى تدبير مورد جديد للنقد الأجنبى يمكن بزيادته تدريجيا أن يسهم فى موازنة ميزان المدفوعات .

(ج) أن تقيم قاعدة من الصناعات الأساسية لتكون ضمانا لاستمرار الانطلاق في الصناعة على أساس اقتصادي سليم .

(د) أن نعطى أولوية للصناعات التي تتوفر الخامات اللازمة لها محليا .

(هـ) أن نعطى أولوية للصناعات التي تحتاج الى نسبة كبيرة من الأيدي العاملة .

* ونسأل اليوم : هل حققت سياسة التصنيع وبرامجه التي بدأت بأول تخطيط مدروس في سنة ١٩٥٦/١٩٥٧ ، ما سعت اليه من أهداف ؟

* ونجد في الحال أن أصدق ما نجيب به على هذا السؤال ، هو أن نوضح المعايير التالية :

أولا — كيف تطور الانتاج الصناعي ، وكيف أصبح دعامة أساسية رغم كل الظروف التي تعرضت لها البلاد .

ثانيا — كيف تطورت الصادرات الصناعية وأثر ذلك على ميزان المدفوعات .

ثالثا — الى أي مدى نمضي في اقامة الصناعات الثقيلة والوسيلة التي تمثل — بكل تأكيد — القاعدة الثابتة للكيان الصناعي ، والى أي مدى نجحنا في ذلك ؟

رابعا — كيف كانت الصناعة السبيل الحقيقي لخلق الفرص المتجددة للعمل أمام أبناء الوطن ، وكيف كانت رائدة في تطبيق القوانين الاشتراكية .

اولا — تطور الانتاج الصناعي :

* ان الانتاج الصناعي الذي لم يكن في سنة ١٩٥٢ يزيد عن ٣١٣ر٨ مليون جنيه — بما في ذلك انتاج الكهرباء — قد قفز نتيجة الجهود التي بذلت في تنفيذ برامج التنمية الصناعية قفزات قوية وسريعة مما جعل الصناعة اليوم تحتل مكانها الهام بالنسبة لاقتصادنا القومي .

✳ وتوضع تقارير المتابعة التي أعدها وزارة التخطيط هذه الحقيقة .

✳ فقد بلغ الانتاج الصناعى « بدون الكهرباء » فى ٦٠/٥٩ :
١٠٨٦ر٧ مليون جنيه ارتفع فى سنة ٦٠/٦١ الى ١١٥٢ر٣ مليون جنيه
بمعدل زيادة ٦٠٪ .

وفى سنة ٦١/٦٢ الى ١١٩٨ر٢ مليون جنيه بمعدل زيادة ٦٠٪ .
وفى سنة ٦٢/٦٣ الى ١٣٧٥ر٥ مليون جنيه بمعدل زيادة ١٤ر٧٪ .
وفى سنة ٦٣/٦٤ الى ١٥٠٤ر٢ مليون جنيه بمعدل زيادة ٩ر٤٪ .
وفى سنة ٦٤/٦٥ الى ١٦٢٣ر٦ مليون جنيه بمعدل زيادة ٧ر٩٪ .
وفى سنة ٦٥/٦٦ محسوبا بأسعار ٦٤/٦٥ الى ١٧١٦ر٢ مليون جنيه
بمعدل زيادة ٥ر٧٪ .

وفى سنة ٦٦/٦٧ محسوبا بأسعار ٦٤/٦٥ الى ١٧١٦ر٩ مليون جنيه
بدون زيادة .

✳ ولقد أوضحت الزيادة التى تحققت فى ٦٧/١٩٦٨ ، والنصف الأول
من ٦٨/١٩٦٩ فى شركات المؤسسات العامة التابعة لوزارة الصناعة
والبتروى والثروة المعدنية وفى شركات القطاع الخاص وهى الشركات
التي تم حصر بياناتها ما يلى :

— ان الزيادة التى تحققت فى ٦٧/١٩٦٨ — وهى السنة التى أعقبت
النكسة — عن سنة ٦٦/١٩٦٧ قد بلغت نسبتها ٨٪ ولولا ظروف
البتروى فى تلك السنة بالذات لبلغت الزيادة ١١٪ .

— وان الزيادة التى تحققت فى النصف الأول من ٦٨/١٩٦٩ بالمقارنة
بالنصف الأول ٦٧/١٩٦٨ قد بلغت نسبتها ١٣ر٦٪ الأمر الذى
يدل على أن خطة الانتاج الصناعى فى ٦٨/١٩٦٩ والتي تستهدف
تحقيق معدل نمو قدره ١٣٪ عن السنة الماضية سيتحقق
بالكامل .

وحتى نبين النمو الحقيقي نورد فيما يلي تطور الإنتاج بالكمية لبعض السلع الرئيسية : (١)

النسبة المئوية	٦٨/٦٧	١٩٥٢	الوحدة	الصف
%				
٢٨٧	١٦٠,٠٠٠	٥٥,٧٠٠	طن	غزل قطن
٢٢٦	٧٠٧	٣١٢	مليون متر	نسيج قطن
٣٦٥	٧٣٠٧	٢٠٠٠	طن	غزل صوف
٣٢٦	٢٩٠٠	٨٩٠	»	نسيج صوف
٣٤٥٥	٣٨٠٠	١١٠	»	بطاطين وباريهات وسجاد وكليم
٢٠١	٣٧٨٩٧٥	١٨٨٥٠٠	»	سكر
٣٢٧	٣٩,٢٧٥	١٢,٠٠٠	»	مسل صناعي
١٧٩	١١٢,٩٩٢	٦٣,٠٠٠	»	الصابون
١٣١	١٢,٣٤٤	٩٣٩٠	مليون سيجارة	السجائر
١٥٦١	٦٢٤٥	٤٠٠	طن	منظفات صناعية
٣٧١٥	٧٤٣٠	٢٠٠	»	الومنيوم مدرقل أو مسحوب
٩٨٤	١٩٦٨٦	٢٠٠٠	»	صودا كاوية
٨٥١	٩٤٢,٧٢١	١١٠,٠٠٠	»	أسمدة آزوتية ١٥,٥ %
٣٠٥	٢٩٠٣٩٩٦	٩٥١٠٠٠	»	أسمت
٢٧٤	٦,٥٣٨,٠٠٠	٢,٣٧٩,٠٠٠	»	بتروك خام
	١,٤٦١,٢٦٨	—	عدد	اطارات كاوتشوك مختلفة

(١) بيان من الصناعة والبتروك للعرض على مجلس الأمة — وزارة الصناعة — فبراير

النسبة المئوية	٦٨/٦٧	١٩٥٢	الوحدة	الصنف
—	٢٩,٠٧٧	—	عدد	ثلاجات كهربائية ...
—	١٠٨,٤٤٤	—	»	راديو عادى وترايستور ...
—	٢٩٩١	—	طن	كابلات كهربائية مسلحة ...
—	١٧٢٥٦	—	عدد	عربات سكة حديد وبضائع
—	١٧٢٥٦	—	طن	المواسير الصلب ولوازمها
—	٥٠٧٢٣	—	عدد	دراجات
—	٤٠٢٠٠	—		الواح صاج مسحوقة
—	٣٥٤	—	طن	على الساخن
—	٣٩	—	عدد	أتوبيسات
—	١١٨	—	»	لوارى
—	٧٥٧	—	»	مقطورات
—	٧٧٢	—	»	جرارات
—	—	—	»	سيارات ركوب

* وهذا الانتاج الضخم الذى تحقق وكله انتاج ضروريا بأى مقياس تتخذه هو الذى مكنا من سد احتياجات الاستهلاك من السلع المصنوعة والتي بلغت قيمتها مئات الملايين من الجنيهات ، وهو الذى مكنا كذلك من توفير احتياجات قطاعات الاقتصاد القومى الأخرى من السماد ، والأسمت ، وسيارات النقل والبترول وغيرها من مئات المواد التى لو لم يوفرها الانتاج المحلى وبالقدر الذى تحقق لانعكس ذلك على قدرة البلاد على التنمية بصورة عامة ، حيث لم يكن مكنا لاقتصادنا أن يتحمل فى أى سنة من سنوات النمو حتى الآن — عبء استيراد هذه السلع الضرورية بالنقد الأجنبى من الخارج .

ثانيا - كيف تطورت الصادرات الصناعية وأثر ذلك على ميزان المدفوعات :

❖ لقد أوضحنا فيما سبق كيف ساهم الانتاج الصناعى بنصيب كبير فى سد مطالب خطة التنمية فى القطاعات المختلفة مثل التسمين والزراعة والمواصلات والاسكان وغيرها ، وبلغ من الكفاية الى أن سد احتياجات الاستهلاك المحلى بالكامل من بعض السلع الهامة فأمكن الاستغناء عن استيرادها فأزاح عن كاهل ميزان المدفوعات عبئا ما كان يستطيع أن يتحمله .

❖ وبالإضافة الى ذلك فإن فائض الانتاج الذى تم تصديره للخارج أصبح لا يغطى أعباء احتياجات الصناعة من مستلزمات مستوردة فحسب ، بل انه زاد فى قيمته عما يحتاج الانتاج الصناعى كله الى استيراد من الخارج وبدأ قطاع الصناعة يحقق فائضا من النقد الأجنبى يساهم به فى تمويل غيره من القطاعات .

❖ فقد اضطرت الصادرات الصناعية فى الزيادة ، حيث بلغت فى سنة ١٩٦٥/١٩٦٦ - بدون البترول - ٥٦ر٥ مليون جنيه ، ارتفعت من ١٩٦٦/٦٦ الى ٦٥ر٨ مليون جنيه ففزت فى ١٩٦٨/٦٧ فى اعقاب النكسة الى ٩٨ر٢ مليون جنيه فى السنة الحالية ١٩٦٩/٦٨

❖ ولو أضفنا الصادرات البترولية فانه رغم فقدان حقول سيناء فان الصادرات الصناعية والبترول قد ارتفعت من ٨٢ر١ مليون جنيه فى ١٩٦٦/٦٦ الى ٨٧ر٤ مليون جنيه فى ١٩٨/٦٧ ثم الى ١١١ر٦ مليون جنيه فى عام ١٩٦٩/٦٨ .

❖ و انعكست تلك الزيادة المضطردة فى التصدير على ميزان المدفوعات فى شكل فائض من النقد الأجنبى هذا العام . فلقد كانت الواردات من مستلزمات الانتاج وقطع الغيار تزيد فى السنوات السابقة عن الصادرات الصناعية - الأمر الذى كان يحقق عجزا بلغ فى سنة ١٩٦٦/٦٥ - ٤٤ر٨ مليون جنيه .

❖ وبلغ فى سنة ١٩٦٧/٦٦ - ٢٣ر٧ مليون جنيه .

* وفي سنة ١٩٦٨/٦٧ - ٢٥٢٢ مليون جنيه (نظرا لظروف البترول في تلك السنة والتي لم يعوضها الفائض من الصادرات الصناعية الأخرى وقدره ٧٣٣ مليون جنيه) .

* أما في عام ١٩٦٩ فقد تحقق فائض قدره ٧ مليون جنيه .

* وتوضح نتائج المتابعة لما تم تنفيذه في النصف الأول من ١٩٦٩/٦٨ أن خطة التصدير ستتحقق بالكامل حيث زادت الصادرات في تلك الفترة بنسبة ٢٧٥٪ عن صادرات الفترة المماثلة من السنة السابقة .

* ولو قارنا ما تحقق من صادرات فعلية ، بمجموع الاعتمادات المستندية التي تم فتحها خلال نفس الفترة والذي يمثل عبء ما استخدم من نقد أجنبي في استيراد مستلزمات إنتاج ، لتبين أن الفائض المتاح الذي حققته الصناعة بالنسبة لميزان المدفوعات خلال تلك الفترة قد بلغ ٧٥ مليون جنيه .

* كما تشير الدلائل - وأبرزها الدفعة القوية والسريعة في الكشف عن البترول وزيادة معدل إنتاجه - إلى أن هذا الفائض سيتضاعف في السنوات المقبلة .

* ومما يجدر الإشارة إليه أن النجاح المضطرب في التصدير لم يقتصر على قطاع معين ، بل كان هو السمة الغالبة للقطاعات الصناعية عموما خاصة لو أخذنا في الاعتبار فقد حقول سيناء وأثرها على التعدين والبترول .

* ويكفي القول في هذا الصدد أن الصادرات الصناعية التي لم تزد في سنة ١٩٥٢ عن ١٣٢٦ مليون جنيه ارتفعت في ١٩٦٩/٦٨ إلى ١١١٢٦ مليون جنيه .

ثالثا - إلى أي مدى نجحنا في الصناعات الثقيلة ؟ :

* إن سياسة التصنيع التي نجحت إلى حد بعيد في إنتاج احتياجات الاستهلاك قد اهتمت أيضا بإقامة الصناعات الثقيلة والوسيلة ، فالزيادة المستمرة في الإنتاج الصناعي ، تتطلب باستمرار تزايد السلع

والمواد الوسيطة الداخلة في هذا الانتاج ، كما أن التوسع في القطاعات الأخرى كالزراعة والنقل والتشييد يتطلب بالضرورة سلعا وموادا وسيطة أكثر وبكميات أكبر .

* ولذلك كله كان لابد من انتاج هذه السلع والمواد كلما كان ذلك اقتصاديا وممكنا ، وبذلك يخفف العبء على ميزان المدفوعات وتتكامل برامج التصنيع لتخفيف عبء النمو الكبير في الانتاج .

* وفي هذا المجال فانه وان كنا لم نصل الى الهدف الذي تصبو اليه وخاصة من جهة توفير آلات ومعدات الانتاج ، الا أن الخطوات التي تمت حتى الآن تدل على أن التنمية الصناعية قد مضت في مسارها الصحيح وان كانت تتطلب مزيدا من الانطلاق .

* ومشروعات مجمع الحديد والصلب بحلوان ، والأسمدة الأزوتية ، والأسمنت وكربونات الصوديوم والفيروسيلكون والماء الأيدروجيني والزيوت المعدنية وغيرها هي بعض أمثلة لمشروعات الصناعات الثقيلة والوسيطة التي نفذت أو يجري تنفيذها في الوقت الحاضر ، لتوفير حاجات قطاعات الاقتصاد القومي من السلع والمواد اللازمة لها .

رابعا - دور الصناعة في خلق فرص العمل وفي تطبيق القوانين الاشتراكية :

* ان توفير العمل لكل راغب فيه وقادر عليه يعتبر مسئولية من مسئوليات الدولة في ظل الاشتراكية ، لأن العمل ليس واجبا على كل مواطن فحسب بل هو حق من حقوقه له أن يطالب به وذلك ما نص عليه الدستور المؤقت للبلاد .

* وقد أفسحت برامج التنمية الصناعية مجالات العمل الحر الشريف أمام أفواج من آلاف المواطنين .

* حيث بلغ عدد العاملين في الصناعة في سنة ١٩٥٢ - ٤٠١ ألف عامل ارتفع في سنة ١٩٦٠/٥٩ الى ٦٠١٨ ألف عامل .

- وفي سنة ١٩٦١/٦٠ الى ٦٢٥٠٦ ألف عامل بزيادة ٤ %.
- وفي سنة ١٩٦٢/٦١ الى ٦٧٩٠ ألف عامل بزيادة ٨.٥ %.
- وفي سنة ١٩٦٣/٦٢ الى ٧٢٥٠٩ ألف عامل بزيادة ٧ %.
- وفي سنة ١٩٦٤/٦٣ الى ٧٨٩٠٧ ألف عامل بزيادة ٩ %.
- وفي سنة ١٩٦٥/٦٤ الى ٨٢٥٠ ألف عامل بزيادة ٤.٥ %.
- وفي سنة ١٩٦٦/٦٥ الى ٨٤١٠٧ ألف عامل بزيادة ٢ %.
- وفي سنة ١٩٦٧/٦٦ الى ٨٤٦٠٧ ألف عامل بزيادة ٠.٦ %.

وهذا يعنى أنه خلال تلك الفترة قد تم تشغيل ما يقرب من ٤٥٠ ألف عامل جديد في الصناعة ، بالإضافة الى رفع مستوى العاملين القدامى فيها وتحسين حالهم بصورة لا تقبل المقارنة .

✽ فلقد بلغت أجور العاملين في الصناعة في ١٩٥٢ — ٤٧ مليون جنيه .

- ارتفعت في ١٩٦٠/٥٩ الى ٨٨٠٨ مليون جنيه .
- ارتفعت في ١٩٦٢/٦١ الى ٩٠١٠ مليون جنيه .
- ارتفعت في ١٩٦٣/٦٢ الى ١٢٥٠١ مليون جنيه .
- ارتفعت في ١٩٦٤/٦٣ الى ١٣٨٠١ مليون جنيه .
- ارتفعت في ١٩٦٥/٦٤ الى ١٤٩٠٦ مليون جنيه .
- ارتفعت في ١٩٦٦/٦٥ الى ١٥٤٠٢ مليون جنيه .
- ارتفعت في ١٩٦٧/٦٦ الى ١٥٥٠٢ مليون جنيه .

ولم يقتصر الأمر على إتاحة فرص أكثر للتشغيل أو زيادة ما يصرف من أجور بل كان النجاح العظيم الذي حققته الصناعة منذ بدأت برامجها المنظمة في مصر هو السند العملى لكافة الحقوق الثورية التي حصلت عليها الطبقة العاملة والتي كفلت للعامل :

- حدا أدنى للأجور .
- تحديدا لساعات العمل اليومي بسبع ساعات .
- اشتراكا ايجابيا في الادارة .

• اشتراكا حقيقيا في أرباح الانتاج •

• تهيئة لظروف العمل بما يكفل الكرامة للانسان العامل •

* وفي مقابل هذا فانه وان كنا ما زلنا نتظر الكثير من العاملين ، الا أنه يجدر القول أن انتاجية العامل قد زادت ، وأن نسبة الأجور الى الانتاج لم تتعد - على مستوى المؤسسات العامة التابعة لوزارة الصناعة ومن واقع ميزانيتها المعتمدة - ١٤٧٪ عام ١٩٦٦/٦٥ ، ١٤٢٪ عام ١٩٦٧/٦٦ ، وهذه نسب تعطى لانتاجنا الصناعى ميزة لا بأس بها بمقارنتها عالميا •

* وقد تحسنت تلك النسبة أكثر في مجموع الشركات التى اعتمدت ميزانيتها عن سنة ١٩٦٨/٦٧ (١) •

المبحث السابع التعليم

* لما كان التعليم حق أصيل للجماهير ولا يجوز حرمانها منه • كما أنه المدخل الطبيعى لنجاح كل نظام سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى ، لذلك فقد أخذت الدولة بأسلوب التخطيط العلمى كقاعدة للانطلاق بهدف اعداد قوة بشرية على درجة معينة من الكفاءة والمهارات العلمية لتواجه احتياجات المجتمع • وعملت على توسيع قاعدة التعليم وتعميق خطوطه ، فأصبح حق الالتحاق فى أى مدرسة أو جامعة مكفولا للجميع على أساس تكافؤ الفرص والكفاءة كما عملت على جعل التعليم بالمجان فى جميع مراحله ، والاهتمام بالتربية الى جانب الاهتمام بالتعليم وأيضا الاهتمام بالتربية الدينية والقومية وتوفير الخدمات الصحية لهم •

(١) بيان السيد وزير الصناعة والبتترول امام مجلس الامة يوم ٥ فبراير ١٩٦٩

* وربطت الدولة التعليم بسياستها في رفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل القومي ، فقامت بإنشاء العديد من المدارس وفتحت دور التعليم أمام الملايين من أبناء الشعب مع توفير المدرسين الاختصاصيين كما قامت بإنشاء الجامعات والمعاهد والكليات واستحدثت أنواعا جديدة من الدراسات لتساير التطور العلمي والتكنولوجي .

* هذا وقد توسعت الدولة في إرسال أبنائها الى الخارج لتدريب والحصول على دراسات عليا حتى تستفيد منهم عند عودتهم ، كما استقدمت الخبراء ليستفيد الوطن من خبراتهم التي تحتاجها وحتى يكتسب أبناء الوطن منهم الخبرة والمعرفة .

* وقال الزعيم الخالد :

« لم يعد التعليم بكل مراحله امتيازًا .. بل أصبح حقا مجانيا لكل مواطن من بداية مراحل التعليم الى نهايتها (١) » .

المبحث الثامن

الاسكان

* تعمل الدولة على الرغم من الزيادة المستمرة للسكان على توفير المسكن الملائم بالأجر المناسب لجميع أفراد الشعب في المدن والريف على السواء فقد تم وضع برنامجا للاسكان العام وأخذ القطاع العام يمارس نشاطه في السياسة الاسكانية حيث بلغ عدد المساكن التي أنشأها القطاع العام خلال الفترة ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٠ حوالي ٨٢ ألف مسكن بلغت تكاليفها حوالي ٢٢ مليون جنيه بخلاف ١٣٠٠ وحدة سكنية تعاونية وخصصت الدولة لأجلها ٢٥ مليون جنيه لتشجيع الأفراد والهيئات وعلى تكوين الجمعيات التعاونية لبناء المساكن .

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

* ولعل أهم مشروع اسكاني ريفي تم أخيرا هو مشروع اسكان أهالي النوبة بمنطقة كوم امبو وتقوم الدولة حاليا بتشجيع الاسكان في مناطق التجمع السكني وتخصص جانبا كبيرا من قروض الاسكان الحضري لاقامة مساكن للطلبة والمساكن التجريبية كما أنها تقوم بتشجيع الجمعيات التعاونية للبناء والاسكان وتقديم القروض لأعضائها مع تسهيلات كبيرة في الدفع وتخفيض أثمان أراضى البناء .

* ومن أبرز الأعمال التي تمت في عام ١٩٦٦/٦٥ هو مشروع قاصر للاسكان العاجل حيث اعتمد له مبلغ ٥ ملايين من الجنيهاات لتعزيز الاستثمارات في قطاع الاسكان .

* وقال الزعيم الخالد :

« في مجال الاسكان لم تترك علاقات السكان بالملك بغير تحديد وانما صدرت قوانين متلاحقة تخفض ايجارات المساكن .. وتضع الحدود لضمان مصالح الطرفين ، المستأجرين والملك معا في المستقبل (١) » .

المبحث التاسع

الخدمات الصحية

* قرر الميثاق أن أول الحقوق الأساسية لكل مواطن هي الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجاً ودواء مجرد سلعة تباع وتشتري وانما تصبح حقاً مكفولاً غير مشروط بثمن مادي ولا بد أن تكون هذه الرعاية في متناول كل مواطن في كل ركن من الوطن في ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة ولا بد من التوسع في التأمين الصحي حتى يظل بحمايته كل مجموع المواطنين .

(١) خطبة للزعيم الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

* بدأ الاهتمام بالسياسة الصحية للبلاد منذ فجر الثورة في يوليو ١٩٥٢ وبُنيت على أسس تخطيطية لرفع المستوى الصحي وتعميم الخدمات في أنحاء البلاد ثم أعيد رسم هذه السياسة في عام ١٩٦١/٦٠ في إطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية مع ربطها بباقي قطاعات الدولة ومنذ صدور القوانين الاشتراكية في يوليو ١٩٦١ أعيد للمرة الثانية النظر في الخطة الصحية وعدلت بحيث تلائم التطور الاشتراكي في البلاد .

* فأصدر الزعيم الخالد في يناير ١٩٦٢ قرار بتعميم الخدمات الصحية في الريف وذلك بإنشاء ٢٥٠٠ وحدة صحية في القرى والنجوع بحيث تخدم كل وحدة ٥٠٠٠ نسمة في قرية واحدة أو مجموعة من القرى المتجاورة كما عدلت مشروعات الخطة فتضمنت إنشاء مستشفيات عامة ومركزية جديدة وإعادة بناء المستشفيات القديمة وارتفعت بذلك تكاليف الانشاء والتجهيز للمشروعات الصحية الى ٢٨ مليون جنيه

* وتعمل الدولة على توفير الرعاية الصحية للمواطنين بحيث تكون في متناول الجميع وفي ظروف ميسرة وفي سبيل تحقيق ذلك خططت سياستها على :

— التوسع في الخدمات الصحية الريفية وزيادة عدد الوحدات العلاجية لقطاع الريف . وبذلك الجهود في مكافحة الأمراض المعدية والوبائية المتوطنة والدرن .

— توسيع قاعدة الخدمة الصحية المجانية في الريف والحضر .

— التوسع في خدمات رعاية الأمومة والطفولة وزيادة عدد المراكز التي تقدم هذه الخدمات .

— علاج المواطنين في المستشفيات الحكومية بأجور رمزية وزيادة عدد الأسرة بها .

— إنشاء المؤسسات العلاجية لمنع الاستغلال في مجال الخدمات العلاجية الخاصة .

— توفير الفنيين المدربين وذلك بإنشاء مراكز التدريب وتوفير
المعدات الطبية لمقابلة الطوارئ •

— التوسع في تصنيع الأدوية محليا وتوفيرها للمواطنين بأرخص
الأسعار •

— التأمين الصحى الذى سيشمل جميع المواطنين •

* وقال الزعيم الخالد :

« لقد زادت ميزانية الصحة بنسبة ٣٤٪ عما كانت سنة الثورة
في السنوات الثلاث الأخيرة وحدها وجهت الى الصحة مبالغ تصل الى ٩٣
مليون جنيه تزيد على مجموع ما صرف على الصحة في سبعين عاما قبل
الثورة (١) » •

المبحث العاشر

النقل والمواصلات

* تغطى الجمهورية العربية المتحدة شبكة واسعة من خطوط
السكك الحديدية وطرق النقل البرى على درجة عالية من الكفاءة
تربط بين أطراف البلاد فى سرعة وسهولة وتجرى عليها أحداث • أحداث
النقل السريعة •

* كما أن الخدمات البريدية أمكن تطويرها وتحسينها وعمت فى جميع
أنحاء البلاد بغرض توفير الوقت والجهد لجمهور الشعب فاستحدث
نظام الخدمة البريدية الأهلية وذلك لاشراك الشعب فى ادارة المرفق ،
كما تم انشاء شبكة من خطوط الطوافة تصل بالخدمة البريدية الى
كافة السكان دون مشقة •

* ولا جدال في أنه إذا كانت المواصلات عسوما طرقها وأدواتها ضرورية لنجاح أى نشاط في أوقات السلم والحرب فإن المواصلات السلوكية واللاسلكية تعتبر بحق أكثر من حيوية لنجاح النشاط الاقتصادي والحربي ففي مجال الخدمة التليفونية السلوكية في الداخل تم تعميم نظام النداء الآلى لخدمة الترنك على مشتركى السنترالات الآلية ، وفي مجال الخدمة التلغرافية السلوكية تم ادخال نظام (التلكس) الذى يسمح للمشاركين فيه بتبليغ اشارتهم البرقية مباشرة وآلية .

المبحث الحادى عشر السياحة

* تمتلك مصر مصادر سياحية تعتمد على امكانيات تاريخية وثقافية وعلمية ودينية وجغرافية وتعتبر السياحة من أهم مصادر الدخل القومى وادراكا للدور الذى يؤديه هذا القطاع عملت الدولة على :

— جعل تكاليف الاقامة في ج.ع.م أقل التكاليف بالنسبة لدول العالم السياحية الأخرى .

— تم عقد اتفاقيات مع كثير من الدول الأجنبية الهدف منها هو تنشيط السياحة ونقل الأفواج السياحية الى البلاد سواء عن طريق شركات السياحة والدعاية في الخارج أو عن طريق استقدام عدد من الشركات الفندقية لإدارة بعض الفنادق .

— الاهتمام بصناعة الفنادق باعتبارها قاعدة التوسع السياحى وانشاء الفنادق الضخمة تأكيداً لراحة السائحين وتوفير الخدمة لهم . كما افتتحت عددا من المعاهد المتخصصة لرفع مستوى الخدمات الفندقية وارسال البعثات الى الخارج لاكتساب الخبرات اللازمة .

— واستكمالا لمقومات هذا النشاط قامت الدولة بفتح كثير من المكاتب السياحية في كثير من البلاد السياحية لجذب الأعداد

الهائلة من السائحين والدعاية للبلاد وأبراز أظهر مفاتها وترغيبهم في مشاهدتها .

— ولذلك فقد ارتفع عدد السائحين من ٧٦ ألف سائح عام ١٩٥٢ الى ٢١٨ ألف سائح عام ١٩٦٧ كما ارتفع عدد الليالي السياحية التي يقضيها السائحون من ٧٩٠ ألف ليلة الى ٤٣٧٦٠٠٠ ليلة خلال نفس الفترة (١) .

المبحث الثاني عشر

الاعلام

* أولت الدولة الاذاعة عناية كبيرة لها من تأثير على الجماهير في الداخل والخارج وعلى ذلك فقد شهدت الاذاعة تطورا واسعا ، وأنشئت خدمات اذاعية جديدة تمثلت في اذاعة صوت العرب والبرامج الموجهة والبرنامج الثاني واذاعة مع الشعب واذاعة الاسكندرية واذاعة الشرق الأوسط وركن السودان واذاعة القرآن الكريم والبرنامج الموسيقى، هذا وقد تضاعف ساعات الارسل اليومية عشر مرات عام ١٩٦٨/٦٧ عما كانت عليه عام ١٩٥٢/٥١ .

* وفي ٢١ يوليو ١٩٦٠ بدأ التلفزيون العربي ارساله على قناة واحدة ثم واصل تطوره ووسعت دائرة ارساله حتى أصبحت تغطي جميع أنحاء الجمهورية ، هذا وقد تضاعفت ساعات الارسل اليومية مرتين تقريبا عام ١٩٦٨/٦٧ عما كانت عليه عام ١٩٦٢/٦١ .

* وفي أكتوبر عام ١٩٦٧ أنشئت الهيئة العامة للاستعلامات التي تقوم بالحصول على المعلومات عن شتى الموضوعات والأحداث التي تهم الرأي العام بالداخل والخارج وتعد وتنفذ البرامج الاعلامية الموجهة

(١) كتاب الجيب السنوي للاحصاءات العامة للجمهورية العربية المتحدة من

الى الرأى العام المحلى والعالمى وفقا لسياسة وخطط الاعلام بهدف تعريفه بأهداف الجمهورية العربية المتحدة ومجتمعها الاشتراكى واتجاهاتها ازاء المشكلات العالمية ومدى ما حققته من نهضة ، والرد على الدعايات المضادة وتنوير الرأى العام العالمى وذلك باستخدام وسائل الاتصال المباشرة والعامّة عن طريق ما تقوم به مراكز الاعلام وأجهزة الدولة بالخارج كما تمارس الهيئة نشاطها الاعلامى الداخلى من خلال مراكز الاعلام التابعة لها والمنتشرة فى كل محافظات الجمهورية .

* أما الصحافة فقد عسّلت الدولة على تحريرها من كل سيطرة عليها وأصبحت بعد التخطيط العلمى السليم لها ملكا للشعب وتعمل لصالحه .

* وقال الزعيم الخالد :

« فى مجال الثقافة والاعلام تقدمت الجهود الى مدى يبعث على الرضا تحت شعار الثقافة للشعب (٢) » .

المبحث الثالث عشر

التنظيم السياسى

* قال الزعيم الخالد : « ما هى العلاقة بين العمل السياسى ونظام الدولة ... نظام الدولة لا يمكن أن يقوم الا اذا كان هناك نظام سياسى يسنده » (١) .

* ونجد أن النظام السياسى كان ضروريا لحماية التطور الحتمى للثورة الاجتماعية . وقد مر النظام السياسى منذ قيام الثورة أى منذ بدء الثورة الاجتماعية ومرحلة التحول الاشتراكى بمراحل ثلاث :

(١) خطبة للرئيس الخالد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤

(٢) محاضرات محادثات الوحدة - أبريل ١٩٦٢ ص ٢٢٢

أولا - هيئة التحرير :

* تأسست هيئة التحرير في ديسمبر ١٩٥٢ ، واحتفل ببدء نشاطها في ٢٢/١/١٩٥٣ كأول محاولة للتنظيم السياسى الشعبى لسد الفراغ فى الجبهة المدنية وكانت مجرد تجمع جماهيرى شكل بسرعة لمواجهة مؤامرات الرجعية وللتوعية بأهداف ومبادئ الثورة وفى طليعتها اجلاء قوات الاحتلال وتمكين الشعب السودانى من تقرير مصيره وكفالة الحقوق والحريات الأساسية وتأمين المواطن ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة . ونص دستورها على تعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ودعم الصلات مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين كما أبرز فكرة توجيه النظام الاقتصادى الوجهة التى تحقق العدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروة .

* وقد ظلت هيئة التحرير تمارس نشاطها نحو خمس سنوات قامت خلالها بحماية مؤخرة الثورة فى فترة الانتقال السابقة للاعلان عن دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ الذى نص على تكوين تنظيم شعبى جديد باسم الاتحاد القومى حيث قضت المادة ١٩٢ من ذلك الدستور بأن يكون للوطن اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ولحت الجهود لبناء الأمة بناء سليما فى النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهكذا لم يكن حل هيئة التحرير ليعنى فشلها كتنظيم شعبى وانما جاء بمثابة تطوير هذا التنظيم بما يتلاءم مع الأوضاع التى استجدت بأنها فترة الانتقال أى بما يتماشى مع امكانيات الأوضاع الدستورية العادية .

ثانيا - الاتحاد القومى :

* تمت تصفية هيئة التحرير فى أوائل عام ١٩٥٨ ، بعد أن أصدر الزعيم الخالد قرارا بتشكيل اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى فى ٢٩ مايو ١٩٥٧ . وكانت اللجنة مؤلفة من أغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعض الوزراء المدنيين الذين تعاونوا مع الثورة لفترة طويلة ، وكانت

الفكرة الأساسية للاتحاد هي وحدة الصف الوطني لبناء المجتمع العربي الاشتراكي التعاوني ، وتوثيق الصلة بين القيادة والشعب وتهيئة وسائل تعاون الشعب مع الحكومة على بناء الأمة بناء سليما من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية على أن تكون الكلمة العليا للشعب ممثلا في اتحاده القومي الذي يتولى تخطيط السياسة العامة للبلاد .
بينما تلتزم الحكومة بتنفيذ هذا التخطيط .

* ويتضح مما سبق أن مبادئ الاتحاد القومي لم تكن تختلف في جوهرها عن مبادئ هيئة التحرير مع فارق أساسي هام وهو أخذ الاتحاد بمبدأ الرقابة الشعبية على الحكومة ، ليس على المستوى المركزي فحسب ، بل وعلى مستوى الادارة المحلية أيضا . ولكي تكون لهذه الرقابة سندها وفعاليتها جعلت عضوية لجان الاتحاد القومي بالانتخاب المباشر ، وليست بالاختيار أو التعيين كما كان الحال في هيئة التحرير إلا أنه رغم الأخذ بمبدأ الانتخاب تمكنت العناصر الوصولية والانتهازية بل والرجعية من التسرب الى لجان الاتحاد القومي ، وكاد هذا التسرب يجعل منه صورة طبق الأصل من الوضع الذي كان قائما في هيئة التحرير ، والذي كان أهم أسباب وقف نشاطها . وقد اتضح على ضوء التجربة العملية أن علاج مثل هذا الوضع لم يكن ليتحقق بمجرد توليه زمام التنظيم الى قيادة من مستوى أعلى . ولم تلبث أن وضعت هذه القيادة أصبعها على نقطة الضعف ، الا وهي افتقار التنظيم الى أهم دعامتين يمكن أن يقوم عليهما أي تنظيم شعبي ناجح ألا وهما الأساس العقائدي وكوادر الأعضاء العاملين . وهذا ما روعى في الاتحاد الاشتراكي العربي ، الذي روعى في نظامه أن يكون قائما على هاتين الدعامتين وأن تنهيا له المقومات والامكانيات الكفيلة بأن تقوم قوى الشعب العامل في اطواره بدورها الطبيعي في بناء المجتمع الاشتراكي وحيثيته وتطوره .

ثالثا - الاتحاد الاشتراكي العربي :

* أنشئ الاتحاد الاشتراكي العربي لمواجهة التزامات ومسئوليات العمل القومي في مرحلة التحول الاشتراكي عقب صدور قوانين يوليو ١٩٦١ الثورية الاشتراكية . وقد تشكلت لجنته التنفيذية العليا في أكتوبر

١٩٦٢ بعد دراسات للتنظيمات السياسية الشعبية في بعض الدول الأخرى وتقييم دقيق لتجربة التنظيمين السابقين وهما : هيئة التحرير والاتحاد القومي • وقد تولى الزعيم الخالد بنفسه رئاسة الاتحاد الاشتراكي ورئاسة اماتته العامة ولجنته التنفيذية العليا • والأساس العقائدي للاتحاد هو الميثاق الوطني الذي أعده الزعيم الخالد وأقره المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في يونيو ١٩٦٢ • أما الكوادر فيجري تكوينها عن طريق تكوين تنظيم سياسي داخل الاتحاد واعداده عقائديا ونضاليا ليكون الجهاز العامل والمنشط للاتحاد •

* والاتحاد الاشتراكي العربي هو كما جاء في مقدمة قانونه « الطليعة الاشتراكية التي تقود الجماهير وتعبّر عن ارادتها ، وتوجه العمل الوطني وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادئ الميثاق » •

* ويضم الاتحاد الاشتراكي العربي قوى الشعب العاملة ويتمثل في تحالف هذه القوى في اطار الوحدة الوطنية ومعنى هذا أنه يستبعد من عضويته رواسب الرجعية والاقطاع ويقصر هذه العضوية على الاشتراكيين والذين يعربون بانضمامهم اليه عن قبولهم للنظام الاشتراكي •

* وتتلخص أهداف الاتحاد الاشتراكي العربي فيما يلي :

* تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب والاتحاد الاشتراكي يهدف أساسا الى حماية الثورة الاجتماعية والتصدي لتحالف الرجعية والرأسمالية ، وقد هدف تشكيل الاتحاد الاشتراكي الى عزل القوى الرجعية والرأسمالية حتى يمكن ضمان استمراره في أداء رسالته •

* ويوضح الزعيم الخالد ذلك بقوله : « ان الشعب العامل كله هو الذي يحكم .. ومعنى هذا أيضا أن لن تكون هناك فرصة لسيطرة الطبقة القوية .. الطبقة القوية زى ما قلنا التي هي الطبقة التي يتمثل فيها تحالف الاقطاع ورأس المال وعندها من الأسلحة وعندها من القوة بأن تشكل نفسها وتتسلل الى الحكم •

كيف نحمل تحالف قوى الشعب العامل ؟ كيف نحمل هذا التحالف من أن تنقض الطبقة البرجوازية التي أخذت فرصة التعليم وفي أيدها القلوس وعندها النفوذ وورثت السلطان من أن تنقض مرة ثانية على تحالف قوى الشعب العاملة لتسقطه وتحكم مرة أخرى ؟

صمام الأمان الوحيد أن يعطى العمال السنين وآلاف السنين ٥٠٪ على الأقل في الحكم في المجلس التشريعي ..

بهذا لن تتمكن البرجوازية القوية أن تنفذ إلى البرلمان وتأخذ أغلبية لتحكم وتأخذ السلطة ... وبهذا تعود سيطرة الطبقة أو سيطرة التحالف بين الاقطاع ورأس المال .. سيطرة الرجعية مرة أخرى .

كيف نضمن هذا ؟ كيف نضمن أن هذه الطبقة القوية التي عندها أسلحة واحنا ساعات نستهن بيها — ما تأخذش الدولة وتغتصب الدولة وتسخرها لخدمة مصالحها .

الضمان الوحيد أن الناس التي حرموا من حقوقهم وحرموا من كل شيء نديهم ٥٠٪ ..

اذن اذا قدرت الطبقة الرجعية المستغلة أن تأخذ عدد من كراسي البرلمان مش حقتدر أبدا تستولى على الحكم .. انها تستولى على الحكم بشيء واحد انها تأخذ أغلبية أو أكثر من نص أعضاء البرلمان .

وبهذه الطريقة يتضمن تحالف قوى الشعب العامل أنه يستمر .. يستمر بقوة بدون أن تتسلل البورجوازية لتأخذ السلطة من حيث لا ندرى (١) .

الفصل الخامس

الثورة الاجتماعية بعد رحيل عبد الناصر

* ان ثورة عبد الناصر مستمرة .. وستظل مستمرة .. طالما أن هناك ناصريين وثوريين يحمونها ولا يتصور أبدا أن يعود التاريخ الى الوراء أو أن تحدث ردة للتطور أو نكسة لثورة عبد الناصر الاجتماعية أو هدم للبناء الاشتراكي الشامخ الذي شيده الزعيم الخالد ، أو الثورة الاشتراكية التي تحققت ، وأن مجرد هذا التصور يضعنا أمام صورة يلزم أن تكون في أذهانتنا ، حتى لا ننسى أو تنهون ، أو نتوقف عن الاندفاع ، وحتى يزيد حرصنا على البناء الاشتراكي وحمائته والدفاع عنه والتمكين له .

* ان الترجمة الواقعية لأية نكسة هي حدوث مضاعفات ونتائج لاحصر لها .. ولا يمكن في صفحات محدودة أن أعددها ولكنني أذكر هنا لمحة عن بعضها فقط :

— عودة سيطرة الاقطاع ورأس المال المستغل على مقدرات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. وتحكم طبقة النصف في المائة من جديد في مصائر جموع الشعب . في صور أرباب وأقصى تشفيا وحقدا أو اشباعا للشهوة والاستغلال .

— عودة سيطرة الاقطاع ورأس المال المستغل على مقدرات الحياة وملكيته — وتدمير كل معالم التطور والخدمة والاصلاح الذي تحقق في القطاع الريفي ، حتى يعود الظلام والظلم الاجتماعي لا يرى فيه ملايين الفلاحين الا العذاب والسيطرة والحرمان .

— عودة العامل الى مستواه القديم : عبد للآلة وتعود لكي تكون أعلى منه عند صاحب رأس المال الذي يسيطر ويسود من جديد .. وسوف يلغى بالقطع الحياة الآمنة التي حققتها الثورة

الاشتراكية للعامل .. ويسخر من رفاهية العامل ومن تحديد ساعات عمله ، ويمنع كل امتياز أو حق حصل عليه العمال .. حتى يستحوذ هو على كل ذرة من ربح وكل درهم من مال ..

* يعود المجتمع الى صورة التخلف التي كان عليها من قبل ، وما تزال شعوب من حولنا تعيشها تحت قسوة السيطرة والاستغلال .. تعود البطالة ويعود الفقر وتغلق المدارس والمستشفيات .. فان ما ينفق على مثل هذه المؤسسات ، لن تقبله الرجعية التي كانت تصف العلم بأنه كفر وتخيف الناس منه ، وتصف الدواء بأنه سحر لا يرضى عنه الله ، فيأكلهم الموت .

— العودة الى سوء التوزيع ، بحيث يكون الغنى كله والصحة بأكملها والسعادة جميعها لفئة قليلة ، والقهر والحرمان كله للملايين من أبناء الشعب .

— هل يمكن أن يقبل صاحب رأس المال — في حالة حدوث نكسة لا قدر الله — أن يشارك العمال في الأرباح والادارة ؟ .. هو المستحيل نفسه ..

— هل يمكن أن تتحمل خزانة الدولة الاثاق على رصف الطرق واثارة الشوارع واقامة المساكن الشعبية وانشاء المصانع التي تفتح آفاق الحياة الرحبة الكريمة أمام العاملين ؟ ..

— هل يمكن أن تسعى الرجعية أو الاقطاع لاستصلاح أرض لملكها الشعب والفلاحين ؟ .. ان جهود الحرمان التي مضت استصلحت بعض الأرض بالسخرة وبعرق الفلاحين ولكن ملكيتها وكل خيراتها كانت للاقطاع والشركات الاحتكارية ..

* يعود تحالف الرجعية مع الاستعمار الذي ترتبط به مصيريا . . . فهل يظل الاستعمار حاملا في قلبه جمرة النار وهو يتطلع الى قناة السويس ليجدها مصرية ادارة ومُسؤولية وعائدا ؟ .. ومصر تحكم قنواتها وتسيطر عليها ؟ .. ألا يكون من جزاء الاستعمار أن يعود ولو الى قناة السويس التي كاد يجن يوم تأميمها ؟ ..

— هل تقبل الرجعية أن تعارض القوى الاستعمارية ، أو ترفض ادخال الشعب الى سجون الاحلاف ومناطق النفوذ ؟ .. ان الارتقاء في أحضان الاستعمار وأحلافه ومناطقه يضمن لها البقاء ضد القوى الشعبية ويحميها ضد الثورات التحررية .

— تعود مصائرنا وأقدارنا في يد الاستعمار ، ليقرر من قواعده في العواصم الاستعمارية أمورنا ولا توضع سياستنا وفق آمالنا ولا تتبع الا من مطحة الاستعمار والرجعية وحسب ..

— يعود الحديث عن قوى العاملين في الدولة ليكون جريمة ، ويعود الكلام عن الحرية ليصبح شيوعية أو الحادا ، وتضيع الحرية الاجتماعية والحرية السياسية .. ويأخذ الاقطاعيون أماكنهم في كل مقاعد الحكم والمجالس النيابية ، ليطرد العمال والفلاحين ، ومن كانوا يسمونهم الدهماء والغوغاء في عهودهم .. عهود السادة والعبيد ..

— يعود الجيش في صورته قبل الثورة .. فان الرجعية والسيطرة الاستغلالية لا تقبل وجود جيش وطنى قوى .. ولكنها تقبل فقط أن تذهب الأموال الى جيوبها أو حساباتها فى البنوك الخارجية ، وتفضل حماية الجيوش الأجنبية لها .. والصور من حولنا ليست ببعيدة عنا ، تنطق بالحقائق .

— تعود مصر الزراعية ، مزرعة لمصالح الاستعمار ، ويومها سيهب دعاة الرجعية والاستعمار من جديد ويحملوا الأبواق ليقسموا أن مصر جنة الله فى الزراعة وأن الصناعة والكهرباء والسدود شر مستطير .

✽ هذه بعض الصور والنتائج التى لا يمكن لى ولا لغيرى أن يحددها بالتحديد والحصص فى صفحات قليلة .. وهى فى الوقت نفسه تبين لنا نحن أصحاب المصلحة فى الثورة واستمرارها لماذا يجب أن نرتبط مصيرنا ومصالحنا بالثورة الاجتماعية (الاشتراكية) والبناء الاشتراكى الذى اقامه الزعيم الخالد فوق أرضنا بشريعة العدل شريعة الله ..

— وليس أشرف ولا أقل من الدفاع عن مجتمع تسود فيه العدالة الاجتماعية والكرامة الانسانية ويتحقق فيه التكافؤ في الفرص .. ويجب أن نحمل اشتراكتنا ضد الثورة المضادة في الداخل والخارج وأن نتيقظ للتحالف الفادر حتى لا يقوم ثانية بين الرجعية والرأسمالية المستغلة في الداخل وبين الامبريالية العالمية التي لا تهدف الا الى تحطيم ثورتنا ثورة عبد الناصر الاجتماعية — ولا يخفى على أحد منا أن عدوان ١٩٦٧ الاسرائيلي على البلاد العربية وعلى ج . ع . م . لم يكن يقصد الا الى ضرب التحول الاشتراكي في مصر حتى تستمر سيطرته وثقوذه في العالم . وقد أوضح الزعيم الخالد ذلك دائما « وبين أن من أهداف العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ هو ضرب الاشتراكية في مصر وأنه يؤدي هذا الدور لحسابه ولحساب الاستعمار العالمي » (١) .

* من أجل كل ذلك قال الشعب (صاحب المصلحة الحقيقية في الثورة) يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وما زال يؤكد « بالروح والدم حنكمل المشوار » نعم انه المشوار على طريق الحرية والاشتراكية لاقامة مجتمع عبد الناصر مجتمع الرفاهية والوحدة التي استشهد المناضل البطل في سبيلها .

* ويؤكد الزعيم الخالد حتمية استمرار الثورة الاجتماعية . نتيجة للأوضاع التي ثارت عليها الجماهير يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تلك الأوضاع التي كانت تحمل كل معاني التخلف وكل مظاهر الظلم الاجتماعي فيقول « من هذه الأوضاع ومن تفاعلها لظروف العصر .. فان الحل الاشتراكي فرض نفسه بغير بديل كطريق للتقدم الاجتماعي .. والاقتصادي .. » وذلك بعد أن أثبتت تجربتنا الثورية عجز الطريق الرأسمالي عن تحقيق العدالة والتقدم .. وكان الدليل الأكبر على الثورية المتجددة والمستمرة للزعيم الخالد ، هو قدرته على استخلاص هذه الحقيقة والتعبير عنها في جلاء في الميثاق الوطني حيث تحدث عن حتمية الحل الاشتراكي « ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا قائما على الاتقاء الاختياري وانما كان الحل الاشتراكي

(١) خطبة للزمهم الخالد يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ بجامعة القاهرة .

حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين» وإذا كان جوهر قضية استمرار الثورة قد تبلور في ضرورة استمرار التحول الاشتراكي كما علمنا الزعيم الملهم .. فمن الأهمية بمكان أن تناضل من أجل استمرارها . وقد حلل القائد الخالد في الميثاق الوطني السبيل إلى استمرار التحول واستمرار الثورة الاجتماعية .

وقال السيد أنور السادات لأعضاء مجلس الأمة وهو يقبل الترشيح لرئاسة الجمهورية :

« أنه قادم إليهم على طريق عبدالناصر وأنه يعتبر قول الجماهير في انتخابه (نعم) هو أمر بالسير على طريق عبدالناصر » ..

وقد أعلن السيد/ شعراوي جمعه في بيانه يوم اعلان نتيجة الاستفتاء: « ان عبدالناصر وان كان قد ذهب الا أن تنظيمات سياسية ومؤسسات دستورية رعاها ، وأرسى دعائمها وهياها .. لتواصل من بعده مسيرة الحرية والاشتراكية والوحدة » .

هذا وقد قدمت اللجنة التنفيذية العليا بيانها السياسي للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي الذي يؤكد استمرار مسيرة عبدالناصر واستمرار التحول الاجتماعي في الطريق الذي رسمه عبدالناصر .

« استمرار الثورة كما رسمها عبدالناصر ، والقضاء على كل العوامل التي يمكن أن تعوق هذا الاستمرار ، وأن هذا الاستمرار ، يبنى بالضرورة وبالفعل ، على التماسك الكامل بمبادئ عبد الناصر وعلى اعتبارها الأساس الذي يحكم كل العمل الوطني في المستقبل ، كما كان الأمر في الثورة منذ بدأت كما أن هذا الاستمرار مبنيا على التمسك بهذه المبادئ هو وحده الذي يجعلنا نشعر ويشعر العالم معنا بأن جمال عبدالناصر سيظل خالدا في شعبنا ، وخالدا في أمتنا ، وخالدا في الانسانية كلها (١) » .

(١) تقرير اللجنة التنفيذية العليا المقدم للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٧٠

وجاء في خطاب السيد/أنور السادات أمام مجلس الأمة حول ضرورة
وهمية استمرار الثورة الاجتماعية فقال :

« انتى جئت معى الى هذا المجلس بوثيقة واحدة أودعها فيه وأمشى
قائلا لكم هذا برنامجى وهو برنامجى أيضا لأنه ارادة الشعب .. »

انتى أودع فى هذا المجلس بيان ٣٠ مارس فذلك آخر برنامج متكامل
قدمه جمال عبدالناصر لأمتة وصدقت عليه جماهير شعبه فى استفتاء عام
حر واعتمدته طريقا للنضال وامتدادا عضويا للميثاق على ضوء الظروف
الطارئة التى واجهت نضالنا ابتداء من يونيو ١٩٦٧ .

ان بيان ٣٠ مارس يمثل فى هذه المرحلة وحدة أمتنا ونحن فى حاجة
الى هذه الوحدة بيان ٣٠ مارس يمثل فى هذه المرحلة أهدافنا الواضحة
ونحن فى حاجة الى وضوح .. وبيان ٣٠ مارس يمثل فى هذه المرحلة ارادة
شعب تعلقوا أى ارادة غيرها ..

وبيان ٣٠ مارس تجسيد لارادة شعبية لا يرقى اليها شك .

وفوق ذلك فان بيان ٣٠ مارس امتداد عضوى للميثاق وهو العلامة
التى كتبها جمال عبد الناصر على رأس طريقه (١) « .

* ان ايماننا برسالة زعيمنا وقائدنا ومعلمنا يفرض علينا أن نسير
الطريق الذى اختطه وأن نتابع النضال الذى قاده وسقط شهيدا
فى سبيله .. والله معنا ..

وان واجبنا كجهاز أمن وواجب الشعب كله أن ينشط الى عمل
مضاعف ووعى مضاعف وادراك مضاعف .

أما العمل المضاعف فلأن المرحلة القادمة يجب أن تتفق والمكانة التى
وضعها الزعيم لبلادنا . والعمل المضاعف فى هذه المرحلة ضرورة من

(١) خطاب للسيد أنور السادات أمام مجلس الأمة يوم ترشيح سيادته لرئاسة
الجمهورية .

ضروراتها • ولقد كبرت الآمال التي خلدها الزعيم وحيث تكبر الآمال يتحتم أن يتضاعف العمل • ثم إن طريقنا لا يزال تحف به المصاعب والتحديات ، والقوى التي اعترضت طريقنا في الماضي لا تزال تتحفر لكي تعترضه في هذه المرحلة ، بل لعلها أشد حرصا على ذلك مما كانت في أي وقت مضى ، فقد أوشكنا على النصر الحاسم وقبل النصر الحاسم يبلغ الصراع أشده •

أما الوعي المضاعف فواجب محتم لأن العمل من غير وعي جهنم ضائع • والوعي يتطلب الفهم والتخطيط ومعرفة الخصوم من الأصدقاء ودرس كل ما يحيط بنا وقياس أبعاده في الحاضر والمستقبل • ولئن كنا في حاجة إلى الوعي في حياة الزعيم الخالد ، فإنا في حاجة إلى وعي أعمق وأشمل •

وحاجتنا إلى الإدراك لازمة للوعي الصحيح ، فلا وعي من غير إدراك • والإدراك هو المعرفة الدقيقة المحددة • وكلاهما ، أعني الوعي والإدراك شرط أساسي للعمل المنتج •

ولئن تذرعنا بالعمل وجعلناه في تقديس الإيمان ولئن فهمناه على النحو الذي أوضحه الزعيم الخالد وسرنا فيه من غير تردد أو ملل أو تهاون فسنكسب المرحلة القادمة • • وكل المراحل باذن الله •

وأخيرا أقولها كلمة وهي أن كلمة (نعم) التي قالها الشعب لصديق الزعيم الخالد وزميل كفاحه تعني الكثير • • تعني أن الشعب يؤيد السير في الخط الذي بدأه الزعيم الخالد في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في انطلاق لم يتوقف ومعارك أفقدتنا الكثير وأعطينا الكثير • • وهي تعني أيضا أن سياستنا ستزداد صلابة وتصميما وستزداد مع الصلابة والتصميم فعالية ونفوذ • وإذا كانت بلادنا في الثمانية عشر عاما الماضية قد وطدت من استقلالها السياسي وثورتها الاجتماعية الاقتصادية ونهضتها الثقافية على الرغم من كل العقبات التي صادفتها وكانت مع ذلك عاملا مؤثرا في سياسة المنطقة العربية وفي السياسة العالمية فإنها أجدر أن تكون في السنوات القادمة أعظم تأثيرا • وإذا كانت قد استطاعت بفضل تصميمها وإيمانها أن تتخطى العقبات التي واجهتها في السنوات السابقة فإنها أقدر على مواجهة ما يمكن أن

يصادفها من عقبات في السنوات القادمة ، وأقدر على تحقيق نصر حاسم في المجال الداخلي وفي المجال الخارجي على السواء وذلك لما أرسى دعائمه الزعيم الخالد في الداخل من نظام مستقر متطور وبعد أن دخلت مرحلة التصنيع والتقدم وخلفت وراءها مرحلة الركود والتواكل .

وبعد فان خليفة عبدالناصر الذي وضعت الأمة على عاتقه مسئولية السنوات القادمة يستحق أن تقف جميعا نشد أزره وتقوى ظهره ، ولعله في حاجته وحاجتنا الى أن تقف معه ، يأخذ منا ونأخذ منه فتندمج القيادة في الشعب ، ويندمج الشعب في القيادة فيكون من هذا الاندماج قوة لا تقهر .

نعاهدك

يا قائدنا ... وزعيمنا ... وصديقنا ... وأخانا ...

نحن الشعب ...

نحن الملايين .. بأن نكون أضواءا ساطعة تكشف أعداءنا ...

ومتفجرات تنسف مواقعهم في الداخل والخارج ...

نعاهدك .. بأن نهب أرواحنا في سبيل الرسالة التي وهبت نفسك لها وروحك من أجلها وأن نتقدم بمبادئك على الطريق بقدم راسخة وقلب ثابت وعزم لا يلين ...

نعاهدك بأن نكشف عن كل الأخطاء التي يقع فيها كل منا .. والتي يقع فيها غيرنا .. وأن ندرب أنفسنا بصدق على ممارسة النقد والنقد الذاتي ..

نعاهدك بأن نعمل بحماس أكبر لكي نصل الى ما كنت تبتغي ، لا كموظفين .. بل كثوريين لكي نحقق أملك ، وأن تتجاوز عصر الكهرباء الى عصر الذرة والفضاء ..

نعاهدك من أجل هذا كله .. أن نقيّد احتياجاتنا في حدود إنتاجنا ، وأن نتطلق بأحلامنا أبعد من رغباتنا ..

لهذا نعاهدك .. نحن الطلبة بأن نستوعب أكثر وأكثر من علومنا ومعارفنا لنشارك في بناء مجتمعنا الأفضل . وأن نتوحد في تنظيمات طلابية تعبى جماهيرنا لتنفيذ سياسة الاتحاد الاشتراكي .

نعاهدك نحن المثقفين بأن نكون أكثر ايجابية وأكثر تفاعلا والتصاقا
بالشعب وأكثر تعبيرا عن مشاكله وآماله وأحلامه •

نعاهدك نحن العمال والفلاحين بأن نكون أكثر عملا وأن يكون
عملنا معا أكثر إنتاجية وأن نتضامن معا في نقاباتنا لنعبئ الجماهير من أجل
الاشتراكية ولندفع عجلة التطور بخطوات أسرع •

نعاهدك نحن الجنود ، بأن نكون كما كنا دائما أكثر يقظة من جيش
العدو ، وأن نلبى نداء حركات التحرر الوطنى فى كل مكان •• وأن تكون
قوانا فى خدمة السلام العالمى •• ومن أجل مجتمع انسانى ترفرف فيه
رايات الأخاء والمحبة ، ويزول فيه الاستغلال والاستعمار •

نحن الملايين سنكمل الطريق •• ومصاعب الطريق •• وأحلام
الطريق •• وانتصارات الطريق •

الخاتمة

والآن وقد انتهيت من عرض هذا البحث كمحاولة على الطريق لدراسة ثورة عبد الناصر الاجتماعية .. فاني أقدمه وكللى أمل في أن أكون قد وفقت في اللقاء الضوء على مفهوم الثورة الاجتماعية وبعض انجازاتها في مصر ومصيرها بعد رحيل الزعيم الخالد .

واني أسلم البحث الى أيد أمينة لها من الخبرة والعلم ما يمكنها أن تصل الى أعماق لم أتمكن من الخوض اليها وجوانب يمكن أن يكون قد فاتني الالمام بها .

فان كنت قد أصبت ... فمن الله

وان كنت قد أخطأت ... فمن نفسي

والله ولي التوفيق .

مصادر البحث

— فلسفة الثورة

جمال عبد الناصر

— الميثاق الوطنى

— برنامج ٣٠ مارس

— خطب واحاديث

للزعيم الراحل

— محاضر جلسات الوحدة ١٧ أبريل ١٩٦٣

— قصة الثورة كاملة

أنور السادات

— العامل يصبح وزيرا

عطيه عبد الجواد

— كيف نجح عبد الناصر

ر . ك . كارنجيا

— محاضرات فى ثورة ٢٣ يوليو

سمير المهندس

— الاصلاح الزراعى فى ١٥ عاما

محمد عبد المجيد مرعى

— البطولة والابطال

د . احمد محمد الحوفى

— ايام خالدة فى حياة عبد الناصر

د . جمال العطيفى

— عملاق من بنى مر

سليمان مظهر

— سنوات التحول الاشتراكى

على صبرى

— عبد الناصر — قصة البحث عن الكرامة

ويلتون واين

— ثورة ٢٣ يوليو

حمدى حافظ

— الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان فى مصر

سيد مرعى

— التنمية الاقتصادية ومشكلات السلوك الاجتماعى

المركز القومى للبحوث

— القرية المصرية من ماضى وحاضر

محمود الشرقاوى

— الكهرباء لكل الناس

وزارة القوى الكهربائية

النوريات :

مجلة العلوم السياسية

نشرات مصلحة الاستعلامات

الكتاب السنوى مصلحة الاحصاء



معهد تدريب ضباط الشرطة

البحث الثالث

جمال عبد الناصر
ومحاربة الاستعمار
القديم والجديد

بقلم:

المقدم عبد العظيم لاشين



أهداء:

الى كل من آمن بهذا الوطن ،

الى كل من خاض معركة من معارك استقلاله او تدعيم استقلاله ،

الى الشهداء والأحرار في كل مكان ،

الى شهيد الحرية والكرامة الزعيم الراحل

جمال عبد الناصر

أقدم هذا البحث .

عبد العظيم لاشين

مقدمة

- أرايت كيف يقوم من تحت التراب معذبون .
- ليثسيدوا المستقبل البسام في وجه التحدى والخطر .
- ويسيطرون على القدر .

عبد الرحمن الشرفاوى *

خاضت مصر والأمة العربية منذ قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ المجيدة معارك طاحنة ومستمرة ضد الاستعمار القديم والجديد . وكان انتصارها في معاركها انتصارا للحرية في كل مكان ، انتصارا للشعوب المتحررة والدول النامية . وقد أثرت نتائج الحروب التي خاضتها في غيرها وأثرت في نفس الوقت بالظروف المحيطة بها .

ولم تقصر مصر حربها للاستعمار على أرضها بل حاربت في كل مكان وأينما وجد وفي كل أشكاله وأساليبه ، ومدت يد الصداقة والعون لكل مقاتل شجاع يناضل في سبيل حريته واستقلاله أو يجاهد في مجال تدعيم هذه الحرية والاستقلال .

وهنا يجب أن نتساءل ما دور جمال عبد الناصر في ذلك الصراع . هل كان مجرد عضو في تنظيم أم كان زعيما وقائدا لتشكيل ؟ وأعتقد أن مكان الرئيس الراحل في الثورة وموقعه بالنسبة للأبطال الذين فجروها وشاركوه فيها واستمروا يناضلون معه هو الذى يقودنا للجواب .

وبعد الإجابة على السؤال الأول أجد أن هناك سؤالا يطرح نفسه . ما هو موقع مبدأ القضاء على الاستعمار من مبادئ الثورة الستة ؟ هل يحتل منها المكانة الأولى أم يتساوى أهمية مع غيره من المبادئ ؟ هل علاقة المبادئ الأخرى به علاقة التابع بالمتبوع أم هناك شيئا غير ذلك ؟

* قصيدة بعنوان رسالة الى جونسون .

أولا - مكان عبد الناصر في الثورة :

تتسبب الثورات في التاريخ عادة الى الدولة التي قامت فيها ، فيقال الثورة الروسية أو الثورة المصرية • وأحيانا تعرف الثورات وخاصة في المجتمع المحلي أو الاقليمي بتاريخ معين فيقال ثورة ١٩١٩ أو ثورة ١٩٥٢ في مصر • وتتسبب الثورات في بعض الأحيان الى الفرد الذي قادها والزعيم الذي نظمها ، فيقال ثورة أتاتورك أو ثورة موسوليني • فلمن تتسبب ثورة مصر • هل للمكان أم للزمان أم لشخص ؟ وقبل الاجابة على ذلك نستعرض مايلي :

١ - من المقطوع به أن جمال عبد الناصر كان عقل الثورة المفكر ورأسها المدبر وقائدها يوم الزحف • فقد كان هو الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية لتشكيل الضباط الأحرار في السنوات السابقة لقيام الثورة (١) وكان هو وحده الذي يعرف التشكيل الكامل للضباط الأحرار وهو الذي نظمهم وقادهم يوم الزحف • وقال في ذلك أنور السادات

« بعد مضي عدة سنوات على قيام الثورة فإن أحدا منا نحن الذين كنا في مجلس قيادة الثورة لا يعلم بالضبط عدد الضباط الأحرار ومن هم الذين خرجوا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟ ومن هم الذين لم يخرجوا ؟ الا فردا وحدا هو عمك جمال » (٢)

٢ - استمر الراحل العظيم يقود سفينة الثورة ويوجه دفتها وسط الأعاصير والعواصف بنجاح • وكان طوال الثمانية عشر عاما - بشهادة الجميع - ربانا ماهرا وقائدا ثوريا مخلصا ، أطلق مجموعة من الشعارات الجديدة في العالم • فأطلق شعار الوحدة لمواجهة واقع التجزئة ، وأطلق شعار الاشتراكية لمواجهة واقع الاستغلال الاجتماعي ، وأطلق شعار الحرية في مواجهة الاستعمار •

(١) أنور السادات • قصة الثورة الكاملة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ٦٠ •

(٢) أنور السادات • يا ولدي هذا عمك جمال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، أغسطس ١٩٦٥ ، ص ٦٤ •

واستطاع بشخصيته الفذة أن يرسب هذه الشعارات الصادقة في وجدانات الجماهير ، وكان في كل ما عمله ناجحا معلما باعتراف الأعداء قبل الأصدقاء . وفي ذلك يقول أنور السادات « اننى لا أريد أن أتكلم عن أخى وصديقى وأستاذى ومعلمى جمال عبد الناصر ... » (١) كما خاطبه السيد حسين الشافعى بقوله « زعيمى وأخى جمال » (٢) ومن هذا ظهر زعامته وقيادته للثورة بعد قيامها .

٣ - اكتسب الراحل العظيم شهرة لا تدانيها شهرة عن طريق نضاله وكفاحه وأسلوب قيادته وعمله وطهارته . ليس في مصر والأمة العربية وحدها بل في العالم أجمع حتى سميت القاهرة بقاهرة ناصر ، والثورة بثورة ناصر ، والأمة العربية بأمة ناصر . وأصبح الناس يتساءلون أنت من بلد ناصر . بدلا من أنت عربى ؟ والأدلة على هذه الشهرة كثيرة أذكر منها اعتراف كاسترو الزعيم الكوبى بقدوة عبد الناصر حتى لشعوب أمريكا اللاتينية في كفاحها بقوله « سأفعل بأمريكا كما فعل عبد الناصر ببريطانيا في حرب السويس » (٣) . وقال عنه جعفر نميرى « ان جمال عبد الناصر أعز سهم من سهام الله وأصلبها عودا وأبعدا مرمى وأنفذها أصابة مجدد شباب العرب ومحبي آمالهم ... الخ » (٤) .

٤ - شاع استخدام مفهوم ثورة عبد الناصر كتعبير عن ثورة يوليو ٥٢ في الكثير من الكتب الأجنبية التي تناولت الثورة المجيدة بالدراسة والتحليل . ويظهر ذلك على سبيل المثال في كتاب الصحفى الهندى ر . ل . كارنجيا (٥) وفي كتابات غيره مثل الكاتب الهندى ديوان برندرانان في كتابه « ناصر الرجل والمعجزة » .

(١) من كلمة السيد الرئيس أنور السادات في ذكرى الأربعين .

(٢) من كلمة للسيد حسين الشافعى في مؤتمر القاهرة في ١٢/١٠/١٩٧٠

(٣) روبرت سان جون « الرئيس » لأن أصلها الانجليزى The Boss (قصة حياة الرئيس جمال عبد الناصر) القسم الاول ، ادارة الثقافة السياسية ، مصلحة الاستعلامات (الطبعة الثانية) .

(٤) كلمة الرئيس جعفر نميرى في ذكرى الأربعين .

(٥) ر.ل. كارنجيا كيف نجح عبد الناصر ، دار المصارف بالقاهرة ، ١٩٦٥ ص ٤٠

وما بعدها .

٥ - كان للاتصال الايجابى الدائم للرئيس عبد الناصر ومشاكل الحرب والسلام ، واسهامه الفعال فيها - سواء فى الدوائر العربية أو الأفريقية أو العالمية ، ووقوفه فيها موقفا نال اعجاب وتأيد الشعوب الحرة فى العالم - أثر كبير فى اكتسابه شهرة عالمية حتى اعتبر تاريخ الثورة نقطة تحول فى تاريخ آسيا وأفريقيا وقال الكاتب الهندى Dewan Brindranatg فى كتابه Nasser, The man and the miracle فى هذا الصدد « صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والساعة تشير الى الساعة وبعد أن بدأ راديو القاهرة ارساله بإذاعة القرآن أذيع ذلك النبأ الذى كان نقطة تحول فى التاريخ الحديث لآسيا وأفريقيا » والدليل الآخر على عالمية شخصيته أنها استأثرت باهتمام عدد كبير من كتاب الغرب حتى بلغ ماكتبوه عنه أكثر بكثير مما كتب عن أى زعيم آخر من الزعماء المعاصرين • « وقد وصل مجموع ماكتب عنه حتى يوليو ١٩٦٧ ما يزيد على الثلاثمائة كتاب بسبع عشرة لغة » ^(١) وقد قال أنتونى ناتنج عن عالمية شخصيته « كان شخصية عالمية وقائدا معترفا به وبطلا للعالم العربى » ^(٢).

نتيجة :

نخلص من هذا العرض بأن عبد الناصر كان منظم الثورة وقائد زحفها بلا شك ، كما أن شهرته وعالمية شخصيته تقتضى أن تنتسب الثورة اليه أكثر من انتسابها للمكان والزمان •

ثانيا - موقع محاربة الاستعمار من ثورة عبد الناصر :

اتخذت ثورة عبد الناصر منذ فجرها مسارين واتجاهين يكمل أحدهما الآخر ويستند اليه • الاتجاه الأول هو مناهضة أشياء فى المجتمع بهدف اسقاطها واقتلاع جذورها وهى الاستعمار والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال • والاتجاه الثانى معاضدة أشياء أخرى وتدعيمها وتقويتها والسعى المتواصل لادراكها وجعلها حقيقة راسخة فى مجتمع ما بعد الثورة ، وهى اقامة العدالة الاجتماعية والجيش الوطنى القوى والحياة الديمقراطية السليمة • وقد تبلور هذان الاتجاهان فى المبادئ الستة التى أعلنتها الثورة يوم مولدها •

(١) حمدى الكنيسى ، عبد الناصر فى مكتبة التاريخ ، المجلة ، العدد ١٦٧ ، القاهرة ،

نوفمبر ١٩٧٠

(٢) الاهرام ١٩٧٠/١١/٧ (ص ٥) •

وأنى أعتقد أن وجود مبدأ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين على رأس هذه الأهداف واحتلاله المركز الأول منها لم يكن عفوا • وحتى أن كان كذلك فهو أهمها وهو الذى قامت الثورة أصلا من أجله كما يظهر من استقراء الحوادث السابقة للثورة واستقراء ما كان يدور فى ذهن وعقل زعيمها • والأسباب التالية تؤيد كون ثورة عبد الناصر ثورة على الاستعمار فى المقام الأول :

١ - كان للفترة التى عاصرت مولد عبد الناصر وطفولته وشبابه أثر كبير عليه وعلى غيره من المواطنين فى تعميق كراهيته للاستعمار حتى جعلت من قضية التحرير شغله الشاغل إذ أنه ولد مع بزوغ فجر ثورة ١٩١٩ والحركة الوطنية فى أشدها والمقاومة ضد الاستعمار فى عنفوانها وقد قيل فى هذا الصدد « ظهر جمال عبد الناصر الى الوجود فى ١٥ يناير ١٩١٨ وقيل عنه فيما بعد أنه يجيد التوقيت فلم يكن هناك أفضل من هذا التاريخ » (١) •

٢ - بلغ تيار الوطنية مداه فى الفترة من ١٩٢٠ الى ١٩٣٥ وقد أثرت هذه الفترة كثيرا عليه وتعاقت فيها أحداث كانت تعمق كراهيته للاستعمار مما جعله يعده عدوه الأول والهدف الذى يجب أن تطفئه ثورته أول ما تطفئ وقد كان دائم التفكير فى أحوال مصر والمصريين وقد قال عنه أحد أصدقائه فى هذا الصدد « كان زعيم المدرسة كلها وهو فى سن السابعة عشر وكانت وطنيته جارفة يقود المظاهرات ضد الانجليز دون أن يخشى شيئا بالمرة ، كان يكرههم لا كشعب ولكن كسلطة » •• كما أضاف أنه كان يجده أثناء المذاكرة سارحا غارقا فى التفكير فى القضية الوطنية ودور الشباب فيها » (٢) •

(١) Dewan Brindranatg, Nasser The Man and The Miracle, India, 1966; P. 17.

(٢) عبد الرؤوف جبريل مدير مكتب شكاوى رئاسة الجمهورية (الامرام
• ١٩٧٠/١١/١٨)

٣ - تأثره البالغ فى شبابه بالردائل التى اقترفها الاستعمار وكان معظم حديثه مع الضباط الشباب والأصدقاء يتناول هذه الناحية وقد كان لوقع انذار ٤ فبراير عام ١٩٤٢ أسوأ الأثر فى نفسه ونفوس زملائه الضباط فقد رأى عبد الناصر ورفاقه أن هذا الحادث فيه اهدار لكرامة مصر عامة وكرامة الجيش خاصة ، وأن فاروق - رغم عدم احساسهم نحوه بشعور ما سواه بالعطف أو الكراهية (فى ذلك الوقت) - كان بمثابة الرمز المصرى الذى بصق عليه الاستعمار وقد وضح أثر ذلك فى معظم كتاباته فيما بعد .

٤ - كان هدف تنظيم الضباط الاحرار قبل قيام الثورة هو جلاء القوات البريطانية عن مصر فقط ونستند فى ذلك الى الواقعة التى يرويها Robert ST. John فى كتابه The Boss ونصها « أعلن بعض الضباط الأحرار أنه بعد انسحاب البريطانيين من القاهرة يكون هدفهم قد تحقق ومن ثم يمكن حل تنظيمهم » ولكن ناصر أسكت مثل هذا الكلام وهو فى حالة غضب وقال عندما يغادر آخر جندى بريطانى أرضنا بما فى ذلك منطقة القناة فاننا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا » (١)

من هذا يظهر واضحا أن تفكير الضباط الأحرار كله كان منصبا قبل الثورة ولحظة قيامها على ضرب الاستعمار .

كان الرئيس الراحل يرى أن الثورة الاجتماعية شئ متمم للثورة السياسية ومكمل لها ومن ذلك قوله « ان شعوبنا لا تقنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة فحسب ولكنها تريد الى جانب ذلك أن يكون الاستقلال مضمونا اجتماعيا يصون الكرامة للبشر كما يصون الاستقلال كرامة أرضهم » (٢)

(١) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ، ص ١١٥

(٢) من خطاب السيد الرئيس فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الأفريقى ١٩٦٤/٧/١٧

كما قال سيادته بصدد اقامة جيش قوى « أن منطق هذا العصر - ولعله منطق كل العصور - أن الحق بغير القوة ضائع وان أمل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام وان المبادئ بغير مقدرة على حمايتها أحلام مثالية مكانها السماء وليس لها على الأرض مكان » • ويتضح من هذا ، الربط بين المبدأ الخامس والمبدأ الأول من مبادئ الثورة ، فالجيش القوى يحمى المبادئ ويصون السلام ويصد الاستعمار •

نتيجة :

نرى من كل ما سبق وما سيرد مستقبلا عند الحديث عن شخصية عبد الناصر أن ثورته كانت في المقام الأول ثورة على الاستعمار ولكنها لم تغفل غيره من الجوانب •

وسأحاول بعد هذا العرض وفي نطاق هذا البحث أن أوضح في الفصل الأول أشكال الاستعمار وصوره ثم أبين في الفصل التالى أثر ثورة عبد الناصر في حركة التحرير العالمية • وفي الفصل الثالث سأتناول وسائل عبد الناصر في حربه للاستعمار القديم والجديد • وفي الفصل الأخير سأظهر العوامل والظروف التى ساعدت عبد الناصر في حربه للاستعمار •

وفي خاتمة البحث سأعرض لأهم النتائج التى يمكن استخلاصها منه ثم سأحاول مناقشة قضية هامة راودت تفكير الكثير من الناس وهى مدى امكان مهاذنة الاستعمار كطريق لبناء القوة الذاتية وهل فى هذا مصلحة الوطن أم أن الحرب المتواصلة التى شنها عبد الناصر على الاستعمار فى كل مكان كانت أمرا لا مفر منه ثم سأعرض فى النهاية ما يؤكد استمرار المسيرة فى طريق عبد الناصر وخاصة فى مجال محاربة الاستعمار اذ أن الرئيس أنور السادات امتداد أصيل للرئيس الراحل جمال عبد الناصر اذ أنه توري بطبعه،عدو لدود للاستعمار منذ نشأته •

الفصل الأول

مذاهب الاستعمار وصوره

ان الله الذي وهبنا الحياة وهبنا معها الحرية في نفس
اللحظة ولنفس السبب .

جيفرسون

الاستعمار في العصر الحديث :

يبدو الاستعمار بصورة عامة حديث العهد ويرتبط كثيرا في أذهان الناس
وفي الكتابات الدارجة بالقرن التاسع عشر بصفة خاصة ، الا أن الحقيقة أنه
ظاهرة قديمة قدم التاريخ بعيدة جدا في أغواره . فقد كان التاريخ القديم
في حد ذاته بمثابة مجموعة متتالية متداخلة من الغزوات والهجرات ولكنها
كانت في مجوعها خالية من هدف الاستغلال أو الاستيطان الدائم . وكانت
معظم هذه الغزوات بعيدة عن التخطيط والتقنين وكثيرا ما كانت تهدف للتخريب
والسلب والنهب .

ومع تقدم الزمن واطراد نمو الدولة كشكل سياسي بدأت هذه الغزوات
والهجرات تتخذ شكل الاستعمار وصورته . فقد أسس الفينيقيون مستعمرات
مختلفة لهم في البحر الأبيض المتوسط كما استولى الأغريق على عدة مستعمرات
في سواحل الأناضول والبحر الأسود ومضيق البوسفور وفي صقلية وعلى
سواحل فرنسا وإسبانيا .

وقد شهد العالم القديم انشاء امبراطوريات ودولا ضخمة كامبراطورية
بابل وآشور والدولة الرومانية . كما قامت في العصور الوسطى الدولة العربية
الاسلامية الضخمة التي امتدت حتى شملت أجزاء كثيرة من القارة الأوروبية .

ويمكن أن نقول أن الاستعمار بدأ يطل على العالم بصورته القبيحة ويستشري منذ القرن الخامس عشر - وقد ابتدأ باستكشاف العوالم المجهولة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية • وما كاد القرن التاسع عشر ينتهي إلا وكان على كل شبر من أرض أفريقيا آثار أقدام الغزاة وعلى كل ظهر من ظهور بنينا سياط المستعمرين العتاة ، وقد استطاعت أوروبا الغربية وحدها والتي تبلغ مساحتها ٢٢ مليون ميل مربع أن تنشر نفوذها وظلمها وأن تفرض استعمارها على أكثر من ٥٧ مليون ميل مربع في أقل من خمسمائة عام ، (*) •

ولذلك فإن حديثي عن الاستعمار لن يكون سردا للتاريخ كله في العصور القديمة والوسطى والحديثة لأن هذا التاريخ الطويل جدير بأن يستوعب مجلدات ضخمة ويحتاج لجهود كبيرة لن يتسع لها هذا البحث ولن أقدر عليها •

ولذا سأكتفي في هذا الفصل بالتعريف بالاستعمار وكذلك سأعرض بعض صور الاستعمار الذي بدأ واضحا مع بداية القرن الخامس عشر ، مركزا الحديث بقدر ما استطيع على الاستعمار القديم والجديد •

تعريف الاستعمار :

إذا ما أردنا أن نحدد معنى الكلمة العربية الاستعمار لغة فانا لن نجد في معاجم أو كتب اللغة أو دوائر المعارف ما يشفي الغليل • رغم أننا سنجد في لسان العرب عددا كبيرا من الصفحات يتناول بالشرح والتفسير كلمة عمر ومشتقاتها يعمر ، العمار وال عمران •

والغريب أن الكلمة العربية « الاستعمار » مشتقة من العمار رغم الاختلاف البين بين مدلول الكلمتين ، فالأولى تعني السلب والنهب والاستغلال والتدمير والتخريب ، وهذا المعنى يناقض تماما مدلول الكلمة الثانية •

(*) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، كتاب الهلال ، دار الهلال

بالقاهرة ، أبريل ١٩٦٨

وأما كلمة Colonialism فقد عرفها قاموس لاروس بأنها الاسم المتصالح عليه للاستعمار المباشر ، وهو المذهب الاستغلالي الذي يعتبر أن الاستعمار هو المصدر الوحيد لرفاهية الأمم المستعمرة .

ويتضح من هذا التعريف وغيره من العقائد والايديولوجيات التي عاصرت الاستعمار أنها كانت توضع بغرض الدفاع عن المستعمرين وتبرير الاستعمار ولايهام الشعوب في المستعمرات بأنه من صالحهم . وقد قال بالمرستون رجل الاستعمار البريطاني في هذا الصدد « أن من الواجب على الشعوب المستعمرة أن تفرح الطبول وأن تهلل فرحا بقدم الاستعمار والترحيب به ، وكان يهيب بالشباب البريطاني لكي يعمل بالمستعمرات باعتبار أنهم سيكونون بمثابة الطليعة التي بعثها الله لتحقيق التقدم والمدنية » (*) .

كما أن البابا كان يبارك كل كشف أسبانيا والبرتغال خارج العالم المسيحي لنشر الدين المسيحي الكاثوليكي . كما وجدت عدة مدارس للاستعمار فكانت فرنسا صاحبة مدرسة الاستعمار حضارة ، وكانت إنجلترا صاحبة مدرسة الاستعمار سلام . وهكذا تعددت أكاذيب الاستعمار وأقنعت حتى وصل الأمر بالنازية أن أدعت في وقت ما أنها تهدف من وراء احتلالها للبلدان العربية حماية الاسلام .

ورغم هذه السلسلة من الأكاذيب والأقنعة التي لازمت الاستعمار ، ورغم الدقة في التخطيط لها — حتى تقنع الشعوب المستعمرة وتقودها للاستسلام — إلا أن ما حدث غير ذلك فلم تنخدع الشعوب بهذه الحيل ، وعرف الجميع حقيقة الاستعمار وكونه مجرد ضرب من ضروب القرصنة ، وسيلتها السلب والنهب ، وأسلوبها الغزو والقهر .

ورغم سهولة وصف آثار الاستعمار ونتائجه ، إلا أن الكتاب والمؤرخون قد اختلفوا في تعريفه وتحديد معناه .

(*) محمد على الفتيت ، الشرق والغرب ، دار النهضة ، القاهرة .

فقد عرفه دكتور ابراهيم العدوى بأنه « سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبي بقصد تمكينه من استغلال ثرواتها وجهدها مع الاعتداء على كرامتها وكبرياتها » (١) .

وعرفه د . جمال حمدان « بأنه سيطرة منظمة لجماعة على جماعة أخرى » (٢) . وعرفه كيلر بأنه « امتداد النفوذ السياسى لدولة ما الى دولة أخرى أو مساحة من الأرض لم تكن تابعة لها على أن يصحب ذلك هجرة واستغلال للأرض وما عليها وما فى بطنها واستغلال للسكان وذلك لمصلحة الدولة صاحبة النفوذ » (٣) .

وقد عرفه الدكتور محمد عوض محمد بقوله « هو العمل أو مجموعة الأعمال التى من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان فى آن واحد » (٤) .

ونرى أن التعريف الأخير أقرب التعاريف الى الصحة حيث يشمل الاستعمار بلونية القديم والجديد .

صور الاستعمار وأشكاله :

تعددت تقسيمات الاستعمار واختلفت اختلافاً بينا حتى التقسيم الذى ورد كعنوان لموضوع البحث والذى صنف الاستعمار الى « نوعين قديم وجديد » كان أيضاً موضع خلاف فقد اعتبر الدكتور محمد عوض محمد (٥) أن

(١) د. ابراهيم أحمد العدوى ، الصراع بين الأمة العربية والاستعمار الجديد ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٩

(٢) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ١٢ .

(٣) ملامح من الاستعمار الجديد ، سلسلة من حياتنا ٦ ، مرجع سابق ص ١١ .

(٤) د. محمد عوض محمد ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٤٠ .

(٥) د. محمد عوض محمد ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، مرجع سابق ص ٤٦ وما بعدها .

الاستعمار الحديث هو ذلك الذى بدأ بعصر الكشف الجغرافية فى القرن الخامس عشر ، أما الاستعمار القديم فى نظره فهو ذلك الاستعمار الذى حدث قبل ذلك ، وفى رأيه وإن كان الاستعماران يتشابهان فى الغرض (التوطن أو الاستغلال أو الموقع الاستراتيجى) إلا أنهما يختلفان فى عدة ملامح منها أن الاستعمار القديم كانت تباشره قبائل أن جماعات تتميز بالقسوة والوحشية منظمة الى حد ما ولها قوة حربية تهدف للسيطرة على سكان مناطق ذات حضارة مماثلة أو أعرق كغارات المغول على الصين ، بينما الاستعمار الحديث تباشره دول قطعت شوطا كبيرا فى التقدم ونالت حظا من الحضارة توجهه الى دول متأخرة فى النواحي السياسية أو الاقتصادية والثقافية . كما أضاف أن الامبراطوريات القديمة الناتجة عن الاستعمار القديم كانت كتلة مندمجة ومجموعة بلدان متلاصقة كالدولة الرومانية . أما الاستعمار الحديث فتتميز امبراطورياته بالانتشار والتبعثر ، فالبرتغال مثلا كانت تحتل معظم سواحل أفريقيا الشرقية والغربية والهند وجزر الهند الشرقية . كما أضاف أن الاستعمار القديم كان يتم بمعرفة الدول ويأمر من الحاكم بغرض زيادة عدد رعيته وموارده ، أما الاستعمار الجديد فهو يتم بمعرفة الشعوب .

ويرى الدكتور أحمد سويلم العمرى (١) أن الاستعمار الجديد نوع مغاير تماما للاستعمار القديم وأن ظهور الاستعمار الجديد لم يبدأ كما قال رأى السابق فى القرن الخامس عشر بل كانت بدايته فى الحرب العالمية الثانية .

ويفرق آخر (٢) بين الاستعمار المباشر Colonialism وبين الأمبريالية Imperialiam والاستعمار الجديد Neo-Colonialism ويعتبرها مراحل متتالية للاستعمار - ويقصرها كلها على استغلال الشعوب المستعمرة . كما يرى فى الاستعمار المباشر والأمبريالية علاقة استغلالية بين دولة استعمارية

(١) د. أحمد سويلم العمرى ، أفريقيا والاستعمار الجديد ، المجلة المصرية للعلوم السياسية ، أبريل ١٩٦٥ ، ص ٣١ .

(٢) الأستاذ محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، الاستعمار الجديد والدول النامية المجلس الأعلى لشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٨ وما بعدها .

ودولة مستعمرة أقيمت عن طريق القهر والقوة ويرى أن الاستعمار الجديد هو علاقة استغلالية بين دولة استعمارية ودولة مستغلة سياسيا بغير طريق القوة أى بغير اللجوء الى أسلوب القهر العسكرى والاحتلال المباشر •

وقد أيد الدكتور ابراهيم أحمد العدوى فى كتابه « الصراع بين الأمة العربية والاستعمار الجديد » الدكتور محمد عوض فى أن الاستعمار الحديث بدأ فى أيامه الأولى مع عصر الكشف الجغرافى وعلى يد نفر من المغامرين والرحالة والمكتشفين •

ومن هذا العرض يظهر مدى الاختلاف فى رأى بين من تعرضوا لتصنيف الاستعمار أو تقسيمه •

وقد وجدت أنه فى الامكان تصنيف الاستعمار عدة تصنيفات تبعا لوجهة النظر التى ننظر اليه منها وأذكر من هذه التقسيمات :

أولا - تصنيف الاستعمار من حيث تطور القوى الاستعمارية :

صنف الدكتور جمال حمدان القوى الاستعمارية فى هذا الصدد « الى ٤ طبقات أو فئات هى القوى العتيقة والعتيدة والوليدة والجديدة (١) ويمكن أن أضيف اليها قوة أخرى هى القوى الشريدة • وعلى ضوء ذلك يمكن تصنيف الاستعمار الى خمسة أقسام •

١ - استعمار القوى العتيقة وهى التى انطلقت مع عصر الكشف الجغرافى ويمثلها بشكل واضح الاستعمار البرتغالى والأسبانى والى حد ما الاستعمار الهولندى والبلجيكي • وتعد امبراطوريات هذه الدول من أقدم الامبراطوريات منذ قيام عصر النهضة الأوروبية ، وكان الدين قناعا لهذا الاستعمار حتى اعتبر امتدادا للحروب الصليبية •

(١) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٣٢

وقد انكشف هذا اللون من الاستعمار نتيجة تواجد الأنواع الأحدث وأصبحت على حد تعبير الدكتور جمال حمدان « امبراطوريات حفريّة Fossil Empire أو نوعا من الاستعمار المتخلف Redidual المفتت » (١) •

٢ - استعمار القوى العتيّدة : وتمثل هذه القوى بريطانيا وفرنسا وقد دخلا ميدان الاستعمار في فترة تاريخية لا حقة لاستعمار القوى العتيقة ومن المعروف أن هذا اللون من الاستعمار كان يفوق النوع الأول ضراوة وشراسة وكان سبب ظهور هذه القوى هي الثورة الصناعيّة الأولى وظلت بريطانيا حتى الحرب العالميّة الثانية أقوى وأكبر قوة استعماريّة في التاريخ وكانت امبراطوريّتها واسعة فسيحة منتشرة حتى قيل عنها « الأمبراطوريّة التي لا تغرب عنها الشمس » •

٣ - استعمار القوى الوليدة : وقد تلا هذا النوع من الاستعمار زمنيّا استعمار القوى العتيّدة ومارسته ألمانيا وإيطاليا اللتين تأخر دخولهما مجال الاستعمار لعدم اتّحاد أماراتهما إلا في وقت متأخر من جهة ولتخلفهما عن الدخول في الثورة الصناعيّة من جهة أخرى • ومن الملاحظ أن هذا النوع من الاستعمار لم يجد في العالم إلا أجزاء صغيرة اختطفها لنفسه ، لذا فهو يعد أضعف وأقل أثرا من سابقه •

٤ - استعمار القوى الجديد : وهو ذلك النوع من الاستعمار الذي ظهر متأخرا على المسرح السياسي في العالم ولكنه رغم ظهوره المتأخر هذا أصبح أقوى نوع من أنواع الاستعمار وأصبح وحده المسيطر على العالم سواء على الدول التي كانت محتلة أم مملوكة وسواء تلك التي تحررت أم لم تتحرر وهو الذي ظهر على يديه بشكل واضح وسافر ما سمي بالاستعمار الجديد • والقوى الجديدة التي ظهرت على المسرح العالمي بعد الحرب العالميّة الثانية بصفة خاصّة هي الولايات المتّحدة الأمريكيّة والاتّحاد السوفيتي •

(١) د. جمال حمدان ، استراتيجيّة الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٢٧١

ورغم الاختلاف بين الدولتين من حيث المذاهب الاقتصادية التي يعتنقها كل ، الا أن هناك أوجه كثيرة للشبه بينهما وهي أنهما ظلتا في عزلة طويلة اختيارية (الولايات المتحدة) أو جبرية (الاتحاد السوفيتي بعد ثورة لينين) ، كما أنهما متفقتان في كونهما من أدعاء المثالية السياسية، وكونهما لا تسعيان الى الاستعمار السياسي السافر وكذلك ارتباط نشاطهما فيما بعد بألوان مقنعة من النفوذ أو الاستعمار الجديد سواء الاقتصادي أو الايديولوجي •

٥ - استعمار القوى الشريفة : يعد هذا اللون من الاستعمار أدنى طبقات الاستعمار وأحقرها وتعد القوى التي قامت به أبعدا عن مفهوم القوى الحقيقي ، ويمثلها الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، وقد اعتبر استعمار من قوى شريفة لأن الذي باشرته ليست دولة من دول العالم بل مجموعة من الصهاينة المشردين والذين يحملون جنسيات دول مختلفة • وقد تم هذا اللون من الاستعمار بتدبير من الصهيونية العالمية وبتعاضيد من القوى الجديدة والعتيقة •

ثانيا - تصنيف الاستعمار من حيث الغرض منه :

لن أتعرض لهذا التقسيم بالتفصيل لأنني سأضطر للتعرض له عند تقسيم الاستعمار الى قديم وجديد وتكفي الإشارة الى أنه يمكن تقسيم الاستعمار حسب الغرض منه الى ثلاثة أقسام :

١ - الاستعمار الاستراتيجي •

٢ - الاستعمار الاستغلالي أو الاقتصادي •

٣ - الاستعمار السكني أو الاستيطاني •

ثالثا - تصنيف الاستعمار من حيث الشكل والتاريخ الى قديم وجديد :

شاع في الحوار السياسي منذ الحرب العالمية الثانية اصطلاح جديد هو « الاستعمار الجديد » Neo - Colonialism وأصبح هذا الاصطلاح

يستخدم اليوم بكثرة في جميع اللقاءات التي تناقش فيها الأمم والشعوب المتحررة قضايا استقلالها سواء داخل بلادها أو خارجها أو في أروقة المنظمات الدولية .

ومن هذا نرى أن الاستعمار الجديد ولد مع الحرب العالمية الثانية وطالما أن هذا المولود هو الجديد فأرى أن ما سبقه هو اللون القديم سواء ذلك الذي بدأ في ق ١٥ أو في العصور القديمة والوسطى السابقة لهذا التاريخ . وليس معنى هذا أن الاستعمار القديم قد انقضى نهائيا ولكن قل استخدامه واللجوء إليه فالتاريخ يشهد أن بعض الدول حاولت مباشرته في الخمسينات فقد قامت بريطانيا وفرنسا في سنة ١٩٥٦ بمحاولة احتلال قناة السويس بالقوة . كما أن حملة خليج الخنازير التي نظمتها الولايات المتحدة ضد كوبا عام ١٩٦١ ليست الا صورة بشعة من صور الاستعمار القديم .

١ - الاستعمار القديم :

يمكن أن نسمى هذا النوع من الاستعمار بالاستعمار التقليدي فهو يشمل الاستعمار المباشر والأمبريالية في نفس الوقت . ومن التعاريف السابقة يمكن أن أعرف الاستعمار القديم بأنه « امتداد النفوذ السياسي للدولة ما الى مساحة من الأرض (دولة أو أكثر أو أقل) لم تكن تابعة لها بشرط أن يصحب ذلك هجرة واستغلال للأرض وما عليها وما في بطنها أو استغلال للسكان أو استغلال للموقع الاستراتيجي أو استغلال بعض هذه الأشياء أو كلها لمصلحة الدولة صاحبة النفوذ . ويمكن أن نقسم هذا الاستعمار القديم الى ثلاثة أنواع .

(أ) الاستعمار الاستراتيجي : وهو المرتبط أساسا بالمواقع الاستراتيجية،

ويعنى التسلط على دولة أو جزء منها بغرض زيادة قدرة الدولة

المستعمرة العسكرية الدفاعية أو الهجومية وتأمين طرق مواصلاتها

البرية أو البحرية أو الجوية اذا كانت هذه الدولة أو هذه المنطقة

مهددة بالخطر من قبل قوى استعمارية أخرى أو غير ذلك من

أسباب وهذه المناطق ذات الأهمية العسكرية قد تكون متاخمة

لحدود الدولة التي يرى الاستعمار أنها لازمة للدفاع عن أرضه

ومثال ذلك عندما اقتطعت إيطاليا منطقة التيرول الجنوبي من النمسا لكي تحمي أرضها وتدافع عنها من الناحية الشمالية ، وقد تكون المنطقة المحتلة مناطق مجاورة لممرات مائية - مثل احتلال بريطانيا لقناة السويس وجبل طارق ومالطة وعدن وسنغافورة - لتأمين خطوط مواصلات امبراطوريتها أو ما يسمى خط الحياة •

وقد يكون الموقع الاستراتيجي بقصد تأمين طريق مواصلات كاحتلال بريطانيا لفلسطين كخط دفاع أول عن قناة السويس • وقد فقدت هذه المواقع الاستراتيجية أهميتها كما سنرى فيما بعد عند الحديث عن أسباب ظهور الاستعمار الجديد •

(ب) الاستعمار الاستغلالي أو الاقتصادي : وهو يعنى اتخاذ المستعمرة ميدانا لكسب المال وجمعه بمختلف الطرق لصالح المستعمرين ، ويستهدف سلب خيرات هذه المستعمرات واستغلال مواردها وخاماتها وجعلها أسواقا مفتوحة لمنتجاته • ويحاول المستعمرون دائما ابقاء هذه المستعمرات فى حالة من التخلف الاقتصادى بصورة تجعلها دائما مرتبطة باقتصاد الدولة الأجنبية تسير فى فلكها ولا تستطيع التمرد عليها. وقد كانت مصر والهند مزرعتين لانتاج القطن لمصانع بريطانيا التى تعيد تصديره اليهما كمنسوجات، تحقق من ذلك رواجاً لتجارتها وتجنى منه أرباحا كبيرة تتدفق الى خزائنها • وكذلك كانت غانا مزرعة للككاو وساحل العاج مزرعة للبن وفنزويلا مصدرا للنفط وشيلي مصدرا للنحاس •

(ج) الاستعمار السكنى : وهذا الاستعمار يهدف الى الاستيلاء على أقطار جديدة لسكنى رعاياه واقامتهم على حساب السكان الوطنيين وهو ما يسمى بالاستعمار الكامل • ولكن هذا النوع من الاستعمار مقصور على الأماكن التى تصلح لاقامة المواطن بالدولة المستعمرة من حيث اعتدال مناخها أو تشابهه مع مناخ الوطن الأم ووفرة الموارد الانتاجية •

ويمر الاستعمار السكنى - عادة - بثلاث مراحل: الأولى الابتلاع السكنى ويعنى اقتطاع المنطقة تماما وضمها كجزء لا يتجزأ من الوطن الأم وكواحد من أقاليمه ، حتى اعتبرت الجزائر فى فترة ما كمقاطعة السين أو الرون بالنسبة لفرنسا عبر البحار • كما أن إيطاليا عند ما استعمرت ليبيا ضمتها اليها واعتبرتها جزءا لا يتجزأ منها وأطلقت عليها اسم الشاطىء الرابع • وتلى مرحلة الابتلاع السكنى مرحلة اغتصاب الأرض بانتزاعها قسرا من الوطنيين بشرائها منهم أو بآبادة سكانها ، ثم تلى ذلك مرحلة التعمير وهى تشمل تقاطر أفواج المستعمرين على المستعمرة بقصد الإقامة الدائمة واستبدال الوطن الجديد بالوطن الأم •

٢ - الاستعمار الجديد :

ظهر هذا النوع من الاستعمار مع الحرب العالمية الثانية ، اذ تحول الاستعمار بعدها لتصبح له معان جديدة منها نهب المواد الخام وتصدير رؤوس الأموال واستثمارها فى البلاد النامية وربط اقتصاديات هذه البلاد باقتصاديات الأمبريالية والاستعمار وبالتالي تبعيتها لها •

وقد عرف محمد فائق الاستعمار الجديد بقوله « هو استمرار سياسة استغلال الشعوب فى ظل استقلال سياسى » (١) •

وعرفه اسماعيل صبرى بأنه « الأسلوب الذى يفرض الاستغلال الاقتصادى دون حاجة الى احتلال عسكري اكتفاء بتنصيب حكومات عملية والتهديد بالقوة واستخدامها أحيانا واحكام السيطرة الاقتصادية » (٢) •

(١) محمد فائق وزير الاشاد القومى ، الشرطة فى مجال العمل السياسى ، ادارة الشؤون العامة بوزارة الداخلية •

(٢) مجلة الطليعة يوليو ١٩٦٧

وقد شرح نكروما الرئيس الغاني السابق الاستعمار الجديد بقوله :
« يتلخص جوهر هذا الاستعمار في أن الدولة الخاضعة له تكون من الناحية
النظرية مستقلة تمام الاستقلال وتمتعة بجميع الزخارف الشكلية للسيادة
الدولية أما في الواقع فإن نظامها الاقتصادي وبالتالي سياستها الخارجية يكونان
خاضعين للتوجيه من الخارج » (١)

كما فرق محمد حسنين هيكل بين الاستعمار الجديد والقديم بقوله :

« كان الاستعمار التقليدي القديم يتمثل في استغلال للشعوب تحميهِ
القواعد العسكرية الأجنبية أما الاستعمار الجديد فهو استغلال للشعوب بغير
قواعد احتلال، أسلحة الاستعمار الجديد بالدرجة الأولى هي الحرب الاقتصادية
والحرب النفسية ورسم المؤامرات وتدير الأغتالات والاعتماد أصلاً وأساساً
على النشاط السري والخفي »

معنى ذلك أن الاستعمار القديم كان يمكن أن يطال مباشرة وأن الاستعمار
الجديد لا يطال مباشرة ، (٢) .

وقد تحدث الميثاق عن الاستعمار الجديد كأحد التغيرات البارزة التي
طرأت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية فقد جاء به « اضطر الاستعمار ...
الى الاتجاه نحو وسائل العمل غير المباشر عن طريق غزو الشعوب والسيطرة
عليها من الداخل وعن التكتلات الاقتصادية الاحتكارية ، وعن طريق الحرب
الباردة التي تدخل في نطاقها محاولة تشكيك الأمم الصغيرة في قدرتها على
تطوير نفسها وعلى الاسهام الايجابي المتكافئ في خدمة المجتمع الانساني » (٣)

(١) ملامح من الاستعمار الجديد ، سلسلة في حياتنا ، إدارة الشؤون العامة للقوات
المسلحة .

(٢) محمد حسنين هيكل ، نحن وأمريكا ، دار العصر الحديث ، القاهرة ص ٩

(٣) الميثاق الباب الثاني « ضرورة الثورة » .

ولن أحاول بعد هذا الايضاح أن أضع تعريفا آخر لمعنى الاستعمار الجديد ولكن يمكن أن أحدد ملامح الاستعمار الجديد على ضوء التعاريف السابقة فيما يلي :

— لا يستند الى الأساليب المباشرة كاستخدام القوة لا سيما الغزو العسكرى كخاصة من خواصه وانما قد يلجأ الى التهديد باستخدام القوة فى بعض الأحيان وفى حالات نادرة وذلك اذا ما فشلت جميع وسائله الأخرى لفرض سيطرته الاقتصادية والتبعية السياسية على منطقة يرى أهميتها الاستراتيجية •

— يرمى الى الاستغلال الاقتصادى أساسا •

— يترقب عن الاستغلال الاقتصادى عادة تبعية سياسية •

— عادة ما يمهّد الاستعمار القديم الأرض والظروف لتثبيت دعائم الاستعمار الجديد قبل رحيله من المستعمرات •

— تتعدد طرق وأساليب ووسائل الاستعمار الجديد حتى أصبح من الصعب حصرها •

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية هى الدولة التى تتزعم هذه السياسة الاستعمارية فى العالم وقد لوح دكتور وتش أمين صندوق شركة ستاندرد أويل الأمريكية بهذه الزعامة الايجابية القوية فى شئون العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى خطاب ألقاه عام ١٩٤٦ بقوله « ان من واجبنا أن نحققها — أى الزعامة الأمريكية — بأوسع ما يتحمله الكلمة من معنى ... ان علينا بوصفنا أكثر الدول انتاجا ومالا وصناعة أن نحزم أمرنا ونتحمل المسئولية التى يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الأسهم فى هذه الشركة التى يسمونها العالم » (١)

(١) فتحى الرملى ، الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨

أسباب تحول الاستعمار من لونه القديم للونه الجديد :

اضطر الاستعمار الى تغيير أسلوبه ولونه تحت مجموعة ظروف أورد معظمها الميثاق فى الباب الثانى منه وهى (١) :

١ - تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية حتى لقد استطاعت هذه الحركات أن تقود معارك عديدة ومنتصرة ضد القوى الاستعمارية ومن ثم أصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير عالمى فعال اضطر الاستعمار القديم أن يمنح الاستقلال السياسى لشعوبه طمعا فى امتداد استغلاله للشعوب التى استقلت سياسيا •

٢ - ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى وأصبح العالم بذلك نصفى كرة تقاسمه القوتان العالميتان الكبيرتان الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى • بعد أن ظل العالم قرونا طويلة وهو يمثل نظاما واحدا مغلقا هو النظام الرأسمالى يبتلع الكرة الأرضية بأسرها • وبعد حدوث هذا التوازن اضطر الاستعمار مرغما أن يغير شكله ، كذلك ترتب عن ظهور القوتين الكبيرتين القضاء الى الآن على عنصر القوى الكبيرة الأخرى التى كانت تنزع الاستعمار القديم والتى تدور أحجامها بين « الخمسين والتسعين مليون » •

٣ - التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاق غير محدودة أمام محاولات التطوير كما حقق طفرة فى أسلحة الحرب بلغت خطورتها الى حد أنها أصبحت رادعا يحول دون نشوبها بسبب قدرتها على إلحاق الأضرار بجميع الأطراف فى أية معركة مما دعم بدوره التوازن الذى استتبع بالضرورة حتمية تغير شكل الاستعمار •

كما أن التقدم العلمى فى وسائل المواصلات بلغ درجة تلاشت معها المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل ما بين الأمم فعليا بالاضافة الى

(١) بعضها من الميثاق « الباب الثانى » مع بعض الإيضاحات والاضافات •

تطوير أسلحة الحرب من أسلحة تقليدية الى ذرية ومن مدافع الى صواريخ عابرة للقارات أدى كل ذلك الى عدم الحاجة الى القواعد العسكرية وبالتالي الى الاستعمار الاستراتيجى •

٤ - عدم تلاؤم أسلوب الاستعمار القديم مع ظروف العصر الذى نعيشه نتيجة تنوير الرأى العام العالمى وزيادة تأثير القوى المعنوية فى العالم ووقوف الدول والشعوب المتحررة ضد قوى البغى والعدوان والتشهير بها فى المحافل والمنظمات الدولية ، وتأييدها المعنوى والمادى للشعوب التى تناضل من أجل حريتها واستقلالها •

٥ - اضطراب الامبريالية والاستعمار لمسايرة التطور الفكرى للشعوب السوداء والمظلومة على أمرها وارضاء شعور السخط الذى تفشى فى شعوبهم •

٦ - ظهور قوة جديدة على مسرح السياسة العالمية وهى الدول غير المنحازة أو العالم الثالث ، وكان ظهور هذه القوة بمثابة اعادة جديدة لتوزيع الأتقال والقوى السياسية فوق الأرض وأصبحت هذه القوة الجديدة السند القوى للدول المتحررة وحديثة الاستقلال والدول التى تناضل من أجل استقلالها •

٧ - الفشل الذى واجهه الاستعمار عندما اضطر الى استخدام الوسائل التقليدية القديمة قضى تماما على عصر المغامرات الاستعمارية القديمة وجعل الاستعمار يشعر أن الوسائل الجديدة أكثر ملاءمة لروح العصر • فقد كان لمقاومة الشعب المصرى بقيادة عبد الناصر ضد العدوان الثلاثى الذى شنته قوى الاستعمار والامبريالية العتيدة انجلترا وفرنسا على مصر عام ١٩٥٦ أكبر درس لهذه الدول لتفهم أن أساليب القهر لم تعد تتماشى مع روح العصر وأن مقاومة الشعوب سلاح أمضى من طائراتهم وبوارجهم ومدمراتهم •

٨ - زاد من حدة هذا النوع من الاستعمار احساس الولايات المتحدة بقوتها ورغبتها في ملء ما تسميه بالفراغ في العالم ورغبتها في السيطرة على الشعوب وخوفها مما تسميه بخطر انتشار الشيوعية في العالم الثالث كما أن نضج قوة الولايات المتحدة سبق نضج خبرتها وحكمتها السياسية مما جعلها تتصرف بحماقة كالشخص الجاهل الذي يسبق عمله دائما تفكيره . وقد أصبح دور أمريكا في الاستعمار الجديد خطرا يهدد البشرية كالخطر الذي سبق أن وصف بالخطر الأصفر أو الخطر السلافي وقد نبه ديجول لهذه الخطورة بقوله « ان أخطر ما يواجهه العالم في القرن العشرين هو تضخم قوة أمريكا خارج حدودها » (١) .

طرق ووسائل واساليب الاستعمار الجديد :

من استعراض التعاريف التي سبق أن ذكرناها للاستعمار نجد أنها تتضمن عدة صور وأساليب للاستعمار منها الضغط الاقتصادي والتكتلات الاقتصادية والاحتكارية ، الحرب الباردة والتشكيك في قدرة الأمم الصغيرة على تطوير نفسها ، تنصيب حكومات عميلة ، التهديد بالقوة واستخدامها أحيانا .

وما سبق عرضه ليس الا مجرد أمثلة لهذه الوسائل والحقيقة أني أرى ان الاستعمار الجديد ما هو الا محاولة من الاستعمار القديم بكل شروبه وآثامه للتخفي وتغيير ثوبه فبدلا من كونه كان يرتدى بزة عسكرية مدججة بالسلاح أصبح يرتدى مسوح رجال الدين أو ملابس المصلحين أو زي رجال الشرطة . وتكمن خطورته في هذه الصور الجديدة التي يتخذها ، وصدق القائل اللهم احمني من أصدقائي أما أعدائي فأنا كفيل بهم .

وصور الاستعمار الجديد متعددة ووسائله كثيرة للحد الذي دعا البعض للقول تعبيرا عن كثرة هذه الطرق « أينما تكونوا تدرككم الولايات المتحدة » (٢) .

(١) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٢٥١

(٢) د. جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق ص ٢٦٨

ويمكن عرض بعض هذه الصور فيما يلي :

١ - الضغط الاقتصادي :

ان الضغط الاقتصادي هو احدى الوسائل التي يستخدمها الاستعمار لاختضاع الشعوب المستقلة حديثا والسائرة في طريق التحرر حتى يتمكن من نهب ثرواتها دون أن يقع في مصادمات ثورية تفوت عليه هذه الفرصة أو تقلل منها .

وكثيرا ما يمهّد الاستعمار القديم لهذا الضغط الاقتصادي عن طريق التجزئة والتفتيت للمستعمرات قبل استقلالها بالصورة التي لا تمكنها من تحقيق التكامل الاقتصادي وكذلك عن طريق عقد اتفاقيات تمنح الشركات الاستعمارية والامبريالية امتيازات تكفل السيطرة على اقتصاديات الدولة بعد استقلالها السياسي وتجعلها دائما تابعة اليه . ويسيطر المليونير اوبنهايمر وحده على مائة شركة تعمل في أغراض مختلفة بجنوب وشرق ووسط أفريقيا .

وكذلك يعتمد الاستعمار في الضغط الاقتصادي على تدفق رؤوس الأموال الأجنبية على الدول المستقلة حديثا وكذلك وضع نظام مصرفي تسيطر عليه الدول الاستعمارية .

ويلجأ الاستعمار لتقديم المعونات المشروطة للبلاد المستقلة حديثا كوسيلة للتسلل الاقتصادي وسرعان ما تؤدي هذه المعونات المشروطة الى فرض شروط واملاء سياسات تحت التهديد بمنعها أو تقليلها . وقد نجحت الولايات المتحدة بهذه الوسيلة في اقتطاع بعض دول القارتين الأفريقية والآسيوية من فلك دول عدم الانحياز .

ويلجأ الاستعمار الجديد أيضا الى خفض أسعار الخامات والموا الأولية عن طريق سوقه الذي تتحدد فيه الأسعار العالمية بالرغم من أن السعر العالمي الذي يحدده للمواد المصنعة يتزايد باستمرار .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة التكتلات الاقتصادية كوسيلة من وسائل الاستعمار الجديد وقد نادى ونستون تشرشل فى عام ٤٨ بذلك وتم بالفعل تنفيذ عدة تكتلات اقتصادية استعمارية منها السوق الأوروبية المشتركة ، منطقة التجارة الحرة ، الاتحاد الملاجشى • وعن طريق هذه التكتلات استطاع الاستعمار ربط الدول حديثة الاستقلال بها فجعل منها سوقا لمنتجاته ومصدرا للخامات والمواد الأولية التى تحتاجها صناعته • وتمثل السوق الأوروبية اليوم استعمارا جديدا •

٢ - حجب أسباب القوة عن الشعوب المتحررة :

يضغط الاستعمار الجديد على الدول المتحررة عن طريق حجب كل أسباب القوة عنها - وخاصة القوة العسكرية حتى تظل فى حاجة لحمايته وحتى لا تقدر على مجابهته أو مجابهة حلفائها وعملائه فى المنطقة • وقد واجهت مصر ذلك بعد قيام الثورة حين رفضت الدول الاستعمارية والامبريالية مدها بالسلاح ولكن مصر حاربت هذا السلاح وانتصرت فى هذه المعركة عن طريق تحطيم احتكار السلاح الى الأبد عام ١٩٥٥ حين عقدت صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا •

كما يلجأ الاستعمار أحيانا الى حجب العلم والتكنولوجيا عن الدول النامية حتى تظل فى تخلفها العلمى والفنى وحتى يتسع الفارق وتزداد الهوة اتساعا بين الدول المتقدمة والنامية ولم يكتفى الاستعمار بسلب ونهب أموال وثروات الدول النامية بل لجأ فى الأيام الأخيرة الى سلب القوى البشرية وذلك عن طريق سرقة علماء الدول النامية الذين ينتظر أن يساهموا فى خطط التطور والتنمية فمثلا احتفظت فرنسا وانجلترا بتسعين فى المائة ٩٠٪ من المعلمين الذين درسوا بالبلدين من جمهوريات غرب أفريقيا كما بلغ عدد الأطباء الأجانب الذين تستخدمهم أمريكا فى بلادها حاليا ٢٠٠٠٠ طبيب على الرغم من كثرة جامعاتها ومعاهدها (١) •

(١) محمد عبد الفتاح ، الاستعمار الجديد والدول النامية ، مرجع سابق ، ص ٤١

ويحاول كذلك الاستعمار الجديد في مجال الضغط الاقتصادي على الدول النامية اعاقه خططها في التنمية عن طريق اجبارها على تخصيص جزء كبير من ميزانياتها للانفاق العسكري عن طريق التهديد الدائم لها من دول عميلة ، واسرائيل بالنسبة للوطن العربي مثال على ذلك ، فهي من أكبر المعوقات التي تقف في سبيل التطور السريع للدول العربية وبطء خطط التنمية بها . وقد اعترف باكارد مساعد وزير الدفاع الأمريكي بذلك بقوله « ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد اعتمادا كاملا على اسرائيل كأداة لارهاب العالم العربي (*) » .

٣ - خلق عوامل التفكك والانقسام في الدول المستقلة حديثا :

يعد تفتت الوحدة الوطنية وشغل الدول المستقلة بالمشاكل والصراعات الداخلية مانعا ومعتلا لها من بناء اقتصادها بالسرعة المطلوبة . وبذور هذه الصراعات عادة ما تكون من تدبير الاستعمار القديم في فترات سابقة للتحرر السياسي ، فلاستعمار يشجع قيام الخلافات الطائفية والتغيرات الإقليمية ويكون دور الاستعمار الجديد بعد ذلك مجرد اثارة هذه الخلافات أو الثغرات لقيام حروب أهلية تضر باقتصاد البلاد . وأوضح مثال على ذلك ما حدث في نيجيريا أخيرا فقد قام الاستعمار الجديد باثارة الفروق الحضارية والثقافية بين شمال نيجيريا وجنوبها وابرأز الخلافات بين القبائل وخلق فئات ترتبط بالاستعمار وتستفيد من وجوده . كل هذه الأعمال أدت الى نشوب الحرب الأهلية في عام ١٩٦٦ التي انهكت اقتصاد نيجيريا وكان الغرض من كل ذلك هو أن يظل استقلال البلاد شكليا وأن يجعلها ضعيفة مهلهلة وحتى يظل شعبها ممزقا نتيجة المنازعات والانقسامات الداخلية حتى يستطيع الاستعمار عن طريق كل هذه النتائج أن يفرض سيطرته على اقتصاد البلاد .

كما يظهر هذا الأسلوب بشكل واضح أيضا - للاستعمار الجديد - في مشكلة الأكراد ومشكلة جنوب السودان ومحاولة فصل الفئة الأولى عن العراقيين وفصل جنوب السودان عن شماله .

وقد أدى التفتت الذى نظمته الاستعمار للدول المستعمرة قبل استقلالها الى تسهيل مهمة الاستعمار الجديد لأن فى التفتت ضمانا لبقاء هذه الدول فى ضعف لا تستطيع معه أن تعيش دون الاعتماد على الاستعمار والامبريالية • وعلى سبيل المثال قام الاستعمار الفرنسى بتفتت وحدتين سياسيتين فى أفريقيا الاستوائية والغربية الى ست عشرة وحدة سياسية عند منحها الاستقلال (*) •

٤ - تدبير الثورات المضادة :

تواجه الدول المستقلة حديثا - وخاصة تلك التى يظهر انتهاجها لسياسة متحررة - أسلوبا وحربا شعواء من الاستعمار ، تتخلص فى تدبير الثورات المضادة للإطاحة بالحكومات الوطنية وحتى يتولى الحكم عملاء • ويتم تجنيد خونة للقيام بهذه الثورات المضادة اما من القوات المسلحة أو القوى الرجعية بالداخل • وقد تتخذ هذه الثورات صورة انقلابات منظمة أو اثاره اضطرابات أو قلاقل أو القيام باغتيال المواطنين ... الخ •

وقد نجحت الولايات المتحدة بالفعل فى أن تصدر الثورة المضادة الى العالم بالجملة ، فبلغ عدد الانقلابات فى افريقيا ١٢ انقلابا فى عام ١٩٦٦ وحده حتى اعتبر هذا العام فى نظر الافريقين عام نكسة افريقيا •

ويظهر فى انقلاب غانا الذى وقع فى ٢٤/٢/١٩٦٦ ضد الرئيس الغانى الوطنى كوامى نكروما استخدام الاستعمار الجديد لهذه الوسيلة بشكل واضح مع التمهيد لها بضغط اقتصادى شديد •

٥ - اتاحة الفرصة لحكومات عميلة لتولى الحكم :

ويتم تحقيق هذه السياسة من جانب الاستعمار الجديد اما بالاستعانة بأساليب التزوير والغش والرشوة فى الانتخابات للوصول بحزب معين عميل الى الحكم كما يحدث أحيانا فى لبنان ، واما بمساعدة حكم عنصرى على تولى

(*) دكتور جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، مرجع سابق •

مقاليد الأمور في البلاد كما حدث في روديسيا إذ تم بمساعدة المصالح الاقتصادية الأجنبية سيطرة الأقلية العنصرية البيضاء فيها على الحكم وذلك لخدمة قوى الاستعمار الجديد ومما يؤيد ذلك أن ٨٠ ٪ من مجموع الأموال المستثمرة في روديسيا هي أموال شركات استعمارية امبريالية • (١)

٦ - الغزو العسكري غير المباشر :

نظرا لأن اللجوء الى الغزو العسكري من قبل قوات الدول الاستعمارية والامبريالية أصبح أمرا كريها يستنكره العالم كله حكومات وشعوب ، فقد قل الاعتماد عليه الى حد بعيد ، ولكن كثيرا ما يجد الاستعمار الجديد نفسه عاجزا عن تحقيق سيطرة على دولة ما بالرغم من قيامه بتجربة كافة الأساليب السابقة • ويضطر في ظل هذه الظروف الى اللجوء الى الغزو العسكري بطريقة غير مباشرة وذلك بأن يتفق مع دولة عميلة على مهاجمة وغزو دولة أخرى مجاورة، كما حدث في الشرق الأوسط في حربي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ويتج عن هذا الهجوم العسكري أضرارا كبيرة باقتصاد الدول المناهضة للاستعمار •

ويلجأ الاستعمار الجديد في بعض الأحيان الى تجنيد قوات من المرتزقة لمهاجمة حكم وطني تحرري في دولة مجاورة وخير مثال على ذلك ما حدث أخيرا في غينيا حيث حاولت قوات المرتزقة التي جندها الاستعمار والامبريالية غزوها ولكن يقظة الشعب الغيني أحبطت هذه المحاولة •

كما لجأت إنجلترا الى استخدام المرتزقة وتحريكهم لمهاجمة اليمن من امانة بيجاز الواقعة على الحدود الشرقية عقب قيام ثورة اليمن التحررية • وقد ذكرت جميع صحف العالم في ذلك الوقت أن الكولونيل كونريه هو الذي قاد غارة قوات المرتزقة على حريب في اليمن (٢) •

(١) المصالح الاقتصادية الأجنبية والاستعمار ، الأمم المتحدة ، مكتب الاعلام ، ١٩٧٠

(٢) محمد حسنين هيكل ، الاستعمار لعبته الملك ، دار العصر الحديث ، القاهرة

٧ - شن الحروب التى تختفى وراء « صبغة شرعية » بحجة صد تيار الشيوعية :

استطاعت الثورة الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية أن تخلق بيئة ومناخا جديدين وأن تدفع بالاتحاد السوفيتى من المؤخرة الى المقدمة وأن تحوله من دولة متخلفة الى دولة تناطح حاليا أقوى دولة رأسمالية فى العالم وذلك خلال فترة وجيزة نسبيا .

وقد كان هذا التقدم بمثابة مثال يحتذى من جانب الدول المتخلفة التى تحررت أخيرا . وما المحاولة المستميتة من جانب ثورة عبد الناصر لبناء السد العالى الا اقتداء مقصود أو غير مقصود بما قاله لينين « ان الشيوعية هى كهربية الاتحاد » .

ويلاحظ أن أكثر الدول التى استقلت أخيرا فى العالم تتجه اليوم الى الشيوعية والاشتراكية كسبيل تنتهجه للتطوير والتنمية . وقد اعتبرت الولايات المتحدة هذا الميل للشيوعية والاشتراكية خطرا يهددها واعتبرته غزوا شيوعيا لدول العالم وبالتالي قامت لمواجهة ووقف تياره حتى ولو عن طريق شن الحروب التى نراها اليوم فى الدول والوحدات الواقعة على طول جبهة الالتحام بين المعسكرين « والتى اخضعها الاستقطاب الثنائى لقسمته السليمانية فى الشرق على محور عرضى وفى الغرب على محور طولى (*) » مثل كوريا الشمالية والجنوبية وفيتنام الشمالية والجنوبية ، ألمانيا الشرقية والغربية وغيرها .

وقد استخدمت الولايات المتحدة التدخل العسكرى وشن الحروب كوسيلة لمواجهة هذا الخطر الذى توهمته ولكن هذا التدخل وهذه الحروب لا يمكن أن تتخذ صورة الغزو العسكرى المباشر فى العصر الحالى بل يجب أن تتخذ صورة ملائمة لروح هذا العصر . ولذا فإن التدخل عسكريا يتم بناء على طلب حكومات عميلة تقوم هى بتعيينها عن طريق مخابراتها المركزية ،

(*) د. جمال حمدان (استراتيجية الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٢٢٢)

وذلك يضيف صفة الشرعية على التدخل • وأحدث الصور لذلك النوع من الاستعمار الجديد هو تدخل الولايات المتحدة لمساندة الجنرال لون نول والذي أدى الى الاطاحة بحكم الأمير نوردوم سيهانوك الوطنى فى كمبوديا • ورغم هذه المساندة فلم يستطع الجنرال وانقلابه والقوات التى تعضده أن تسمى نفسها فى عاصمة كمبوديا وحدها •

وأحيانا يبلغ الغرور الأمريكى بالقوة مداه وتتدخل دون حاجة الى صفة شرعية ومثال ذلك قيام الولايات المتحدة بارسال ١٩ ألف جندى أمريكى مسلح الى أرض الدومنيكان عقب اغتيال تروجيلو حاكم الدومنيكان وأحد عملاء الاستعمار عام ١٩٦١ بحجة حماية تسليح الشيوعية وخشيتها من قيام حكم وطنى مستندة فى هذا الغزو العسكرى الى قرار من الكونجرس الأمريكى كأنه أصبح برلمانا لدول العالم •

كما أن الولايات المتحدة ترى أن العالم خارج المعسكر الشرقى فراغا ضخما وأن عليها ملء هذا الفراغ بالفعل والقوة • وقد ظهرت هذه السياسة فى صورة مبادئ عديدة أولها مبدأ مونرو وآخرها مبدأ نيكسون وكلها تحذر من الخطر الشيوعى وتقضى باتخاذ اجراءات لمواجهة •

ورغم هذا التوهم الأمريكى للخطر الشيوعى الا أن معظم الدول النامية وخاصة دول العالم الثالث والأحرار فى كل مكان يرون أن الخطر الحقيقى هو أمريكا وسياستها وليس الخطر الشيوعى ، وقد قال أحد السياسات البريطانيين فى هذا الصدد « اننا مستسلمون لوهم الخطر الروسى الى حد العجز عن ملاحظة الاتجاهات الأشد خطرا فى السياسة الأمريكية (١) » •

(١) د. جمال حمدان استراتيجىة الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٣٦١

٨ — الأحلاف والقواعد العسكرية :

قامت استراتيجية الغرب منذ الحرب العالمية الثانية على الاحتواء Containment والاحاطة Encirclement وجوهر تلك الاستراتيجية هو اقامة حلقة أو سلسلة متصلة الحلقات من الأحلاف حول الكتلة الشرقية باعتبارها جزيرة ضخمة وسط بحر الكتلة الغربية وذلك بقصد اكتساب أرض جديدة للعمل على منعها من التوغل جنوبا حتى بأفكاره ومبادئه واحكام الحلقة حول عنقه •

وقد أقام المعسكر الغربى فى هذا الصدد عدة أحلاف جماعية وثنائية أهمها حلف شمال الأطلسي (ناتو) ، حلف جنوب شرق آسيا (سيتو) ، الحلف المركزى (حلف بغداد سابقا) ستو ، حلف الباسفيك ، وحلف ريو وغيرها •

والأحلاف قد تكون فى شكل استعمار قديم أو استعمار جديد فالأولى تظهر فى معاهدة الحماية التى تبرم بين الدولة الحامية والدولة المحمية وتتعهد بموجبها الدولة الأولى بمساعدة الدولة الثانية والدفاع عنها ضد أى اعتداء خارجى ومثلها اتفاقية الحماية التى أبرمت بين باى تونس ورئيس الجمهورية الفرنسية فى ١٢ مايو ١٨٨١ واتفاقية الحماية التى أبرمت بين ملك المغرب وفرنسا فى ٣٠/٣/١٩١٢ •

أما الأحلاف كصورة من صور الاستعمار الجديد « فهى تلك التى تبرمها الدولة الاستعمارية مع دولة كانت تحت حمايتها أو داخله فى دائرة نفوذها ثم منحت استقلالها سواء أكان ذلك الاستعمار مباشرا أم فى صورة حماية أو فى صورة انتداب ، (★) •

(★) د. بطرس بطرس غالى ، الأحلاف العسكرية ، ملحق الأهرام الاقتصادى ، أول نوفمبر ١٩٦٥ ص ١٩

وقد حاول الاستعمار مرارا جر العالم العربى الى أحلافه كما سنوضحه
تفصيلا فيما بعد •

وأما بالنسبة للقواعد العسكرية فهى عادة تقام فى نطاق الأحلاف وفى غير
ذلك تتم عن طريق جديد هو الشراء أو الاستئجار •

٩ - الضغط على دول العالم فى المنظمات الدولية :

لا يشعر بالجوع الا من ذاق ألمه ولا يشعر بالظلم الا من قاساه • ولذلك
فان الدولة النامية تعلم أكثر من غيرها مدى ضراوة الاستعمار وشروعه • ورغم
هذا العلم الا أن بعضها يقف فى المنظمات الدولية موقفا غريبا من القضايا التى
تتعلق بالاستعمار الجديد أو القديم فى المنظمات الدولية ، موقفا منحازا للاستعمار
والامبريالية وبعيدا عن الحق • وهذا يرجع الى الضغط الكبير الذى تمارسه
الدول الاستعمارية والامبريالية وخاصة الولايات المتحدة على الدول الأعضاء
بالمنظمات الدولية ، مما يؤدى الى وقوفها الى جانب المعتدى وفى جانب الباطل
أو امتناعها عن التصويت فى الموضوع ، أو تشجيع دولة تابعة باصدار قرارات
ذات صياغة غامضة تعطل تنفيذها وهذا ينتج عنه تشجيع الاستعمار على ممارسة
أفعالا اجرامية دون أن يكون هناك رقيب عليه وقد قال جون هادوين فى هذا
الصدد « وبدون الاعتماد على دولة كبرى فى الأمم المتحدة من أجل تأييد
مشروع فإن الموافقة عليه أمر محفوف بالصعاب (*) » •

ويكفى للتدليل على تأثير الولايات المتحدة فى المنظمة الدولية عدم قدرة
الصين الشعبية .. تلك الكتلة الضخمة من اليابس التى تضم $\frac{1}{3}$ سكان الأرض -
على الانضمام لهيئة الأمم المتحدة حتى اليوم •

(*) جون هادوين ، جوهان كوفمان ، اتخاذ القرارات فى الأمم المتحدة - ترجمة د. محمد

١٠ - الغزو الفكرى :

عادة ما يلجأ الاستعمار والامبريالية الى هذه الوسيلة عندما يعجز عن تحقيق أهدافه عن طريق الضغط الاقتصادى أو الانقلابات أو التخويف والارهاب • والغزو الفكرى يعنى شن حملة من الأكاذيب أو الحقائق المحرفة بغرض نشر اليأس فى نفوس شعوب الدول النامية والتشكيك فى خط السير والمنهج الذى اختارته وإشاعة الوهم فى نفوس أبناء البلاد وإشعارهم بالعجز عن الأخذ بأسباب ووسائل التقدم الحديث وتخريب المقومات العلمية والحضارية للبلاد المتحررة •

كما يعتمد الغزو الفكرى الى اتخاذ صورة النصائح كالتحذير من شرور الصناعة أو عدم القدرة على النجاح فى ميدان التصنيع الثقيل وغيرها •

الفصل الثاني

أثر ثورة عبد الناصر في موجات التحرير في العالم

ان الهزيمة المريرة التي منى بها الاستعمار في حرب السويس أنهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة .
ان نهاية هذا العهد البقيض بالنسبة لكل شعوب العالم قد تحققت بفضل نضال شعبنا .

الميثاق « الباب العاشر »

يظهر من استقراء التاريخ أن التحرير مر بثلاث موجات ، الأولى الموجة الآسيوية التي بدأت في منتصف الأربعينات ، والثانية الموجة العربية التي بدأت في الخمسينات ، والثالثة الموجة الأفريقية التي بدأت في الستينات . ويدل ذلك على أن ما بناه الاستعمار في خمسة قرون من بداية القرن الخامس عشر حتى القرن العشرين قد انهار كله في عقدين من الزمان وفي الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٥

ولم يتبق في العالم كله بعد هذه الموجات العاتية من التحرير الا بعض الجيوب الاستعمارية والكتل المتخلفة والتي لا تزيد مساحتها عن ٤٪ من مساحة العالم بعد أن كان الاستعمار المباشر يغطي ٣٥ ٪ من مساحة العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية (*) .

ومن هذا نستطيع أن نقول أن الاستعمار القديم مازال يعيش في بعض أنحاء العالم مما يتطلب مواصلة تأييد جهود الشعوب التي تعاني من الاحتلال وامتدادها بالعون المادي والمعنوي من جانب الشعوب المتحررة وخاصة شعوب العالم الثالث حتى تحصل على استقلالها وتنتهي تماما صورة الاستعمار القديم

(*) د. جمال حمدان استراتيجيات الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٢٣٧

بكل ما يعنيه من اهدار للآدمية والانسانية • وتظهر الدراسة في هذا الفصل الارتباط بين ثورة عبد الناصر ومعارك التحرير في العالم كله ومدى هذا الارتباط •

أولا - موجات التحرير الثلاثة

رغم حداثة تاريخ التحرير الذي بدأ عام ١٩٤٥ إلا أن ثورات الشعوب قديمة قدم التاريخ الذي وطأ فيه الاستعمار أرض تلك البلدان والأقطار • وقد كانت الشعوب المغلوبة على أمرها في المستعمرات تتخذ في حربها للاستعمار طرقا عديدة تتفاوت في شدتها بين المقاومة السلمية المشهورة في الهند والتي نادى بها وقادها الزعيم الهندي غاندى ، وبين النضال المسلح العنيف وحرب العصابات كما حدث في الجزائر والذي راح ضحيته مليون شهيد جزائري •

وانغريب أن هناك أمثلة قليلة في التاريخ يبدو فيها الاستعمار مسالما مطيعا ، يهب البلدان استقلالها دون حاجة لمطالبة من جانب الشعوب المغلوبة على أمرها • فهو يبدو أحيانا في مظهر من يسلم البلدان وثائق استقلالها طواعية واختيارا ، كما حدث في استقلال ليبيا عام ١٩٥١ • ولكن الحقيقة عادة ما تكون غير ذلك ، فليبيا مثلا لم تنل استقلالها الا نتيجة مناورات استعمارية ناتجة عن خوف الاستعمار الغربى من تسلل الاتحاد السوفيتى الى الشرق الأوسط •

ونسستعرض هنا موجات التحرير الثلاثة في آسيا والعالم العربى وأفريقيا ويجب أن ننوه أن ترتيب هذه الموجات وتسلسلها يرجع الى تاريخ بداية كل موجة • والملاحظ أنه حيث انتهت موجة التحرير الآسيوية بدأت موجة التحرير فى العالم العربى ، وحيث انتهت الموجة الثانية بدأت الموجة الثالثة •

١ - موجة التحرير فى آسيا :

بدأت موجة تحرير آسيا مع استقلال الفلبين عام ١٩٤٦ • وقد استقلت الفلبين دون حرب تخوضها ضد الاستعمار الأمريكى ، بل قامت الولايات

المتحدة بمنح الفلين استقلالها بمحض اختيارها محاولة منها للظهور أمام العالم بمظهر خادع ، مظهر الدولة الحرة التي لا تبغى استعمار غيرها من الشعوب أو الدول .

وبعد الفلين بسنوات قليلة حصلت الهند على استقلالها في ١٥/٨/١٩٤٧ بعد مقاومة سلبية وإيجابية طويلة . وقام الاستعمار بتفتيت الدولة الى دولتين هما الهند وباكستان قبل أن يرحل كسياسته دائما لاضفاف الشعوب ولضمان استمرار السيطرة عليها ، كما استطاع أيضا أن يشطر إحدى الدولتين وهي باكستان الى شطرين (الشرقية والغربية) رغم بعد أحدهما عن الآخر بآلاف الأميال .

وأرى أن استقلال الهند يعد بداية التحرير الآسيوية وليس استقلال الفلين ، لأن تحرير الهند كان نتيجة للمقاومة من جانب الشعب المستعمر ولم يكن الا تسليما من المستعمر ذاته بالهزيمة . أما استقلال الفلين فكان نتيجة للمزايدات في حلبة الاستعمار والامبريالية .

ومع الهند استقلت بورما ، وبعدها استقلت سيلان ثم جنوب شرق آسيا ثم اندونيسيا . أما ايرلان الغربية فقد تأخر تحريرها الى نهاية الستينات أي ما بعد موجة التحرير في العالم العربي فجاء معاصرا لموجة التحرير في أفريقيا .

٢ - تحرير العالم العربي :

كانت بريطانيا هي القوة الاستعمارية الكبرى في الوطن العربي وقد كانت تحتل وحدها ٤٨٪ (*) من مساحته بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت الدول المستقلة لا تزيد مساحتها عن ١٥ر٤٪ . أما باقي المساحة فكانت موزعة بين فرنسا (٣٤٪) ، إيطاليا (١٢٪) وأسبانيا (١٤٪) .

وبدأ التحرير في عام ١٩٤٥ بتحرير سوريا ولبنان وانتهى في عام ١٩٦٧ بتحرير عدن والمحميات (الجنوب اليمني) ولم يتبق مستعمرا من العالم العربي

(*) د. جمال حمدان الاستعمار والتحرير في العالم العربي . المكتبة الثقافية .

الا فلسطين حيث يتركز الاستعمار الصهيوني ، وجيوب متخلفة في سبته
ومليلة وأفنى في المغرب حيث يعيش الاستعمار الأسباني ، والجنوب العربي من
البحرين حتى نفاار حيث يقيم الاستعمار البريطاني الذي أعلن عزمه على
الانسحاب قبل عام ١٩٧١

وبتبع حركة التحرير مرحليا نجد أنه لم يسبق مصر في استقلالها
الا سوريا ولبنان (١٩٤٥) وليبيا (١٩٥٠) فمنذ ابرام معاهدة استقلال مصر
سنة ١٩٥٣ وجلاء آخر جنود بريطانيا سنة ١٩٥٦ ، بدأت موجة التحرير
تزايد في العالم العربي . فقد استقلت تونس والمغرب والسودان والعراق
عام ١٩٥٦ ، ثم الكويت عام ١٩٦١ وبعد ذلك الجزائر عام ١٩٦٢ ،
وجلت القوات الفرنسية عن بنزرت في تونس في عام ١٩٦٣ ثم استقلت
عدن والمحميات وأقيمت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وانضمت الى
ركب التحرر العربي .

٣ - تحرر العالم الإفريقي :

كانت أفريقيا حتى الخمسينات هي القارة الوحيدة المستعمرة بأكملها
ماعدا دولتين هما أثيوبيا وليبيريا اللتين يرجع عدم استعمارهما الى ظروف
خاصة لا داعي للخوض فيها الآن .

وقد بدأ استعمار أفريقيا منذ عصر الكشف الجغرافية واستمرت الدول
الاستعمارية والامبريالية في نهب ثروات القارة واستعباد شعوبها حتى بدأت
موجة التحرير الأفريقية في الستينات . وقد استقلت غانا في مارس ١٩٥٧
وغينيا في ديسمبر ١٩٥٨ ثم استمرت حركة التحرير تسير ببطء نسبي حتى
عام ١٩٦٠ اذ استقلت في هذه الفترة ٦ دول فقط . ثم وصلت حركة التحرير
الأفريقية ذروتها في عام ١٩٦٠ فبلغ عدد الدول التي استقلت في هذا العام
وحده ١٧ دولة جديدة . وواصل التحرير زحفه بعد ذلك وحقت ١٢ دولة
جديدة استقلالها حتى اليوم . ولم يبق في القارة الأفريقية غير قلة من الدول
المستعمرة هي غينيا البرتغالية والصومال الفرنسي وبعض الجيوب التي تحتلها
أسبانيا .

ثانياً - أثر ثورة عبد الناصر في حركات التحرير

١ - تلت ثورة عبد الناصر تاريخياً بداية موجة التحرير الآسيوية ولذلك لا يمكن القول أن هناك أثراً لثورة عبد الناصر في تحرير الهند من الاستعمار القديم . ولكن لا شك أن ثورة عبد الناصر قد ساعدت إلى حد كبير في حماية الشعوب والدول الآسيوية من الوقوع تحت وطأة الاستعمار الجديد . فمن المؤكد أن ثورة عبد الناصر هي أول من نادى بالحياد الإيجابي وعدم الانحياز في عام ١٩٥٦ والتي ترتب عليها تخفيف حدة الحرب الباردة وخلق أداة لمحاربة الاستعمار ومكافحة التمييز العنصري ومحاولة لتضييق الشقة بين العالم الفقير والعالم الغني وقد قال الميثاق في ذلك « ان الدعوة الأولى لأول مؤتمر لدول عدم الانحياز - هذه الدعوة التي صدرت من القاهرة ولقيت استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب ... » (١)

٢ - كانت ثورة عبد الناصر بالمرصاد دائماً لكل محاولات الاستعمار الجديد في التكرار والتخفي ، وواصلت دائماً مطاردتها لها وتجميع قوى الشعوب ضدها . وأثرت هذه السياسة تأثيراً واضحاً على تنبيه الشعوب في آسيا لهذه المحاولات والتحذير من الوقوع فيها . وهكذا حدثت من قدرة الاستعمار الجديد على التغلغل في آسيا أو العالم العربي أو أفريقيا على السواء .

٣ - رغم أن موجة التحرير الآسيوية سبقت موجة التحرير العربية إلا أن مقاومة الاحتلال الأجنبي في مصر سبقت مثيلتها في آسيا وكانت مثلاً احتدته آسيا في معركتها ضد الاستعمار . فقد أثرت ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ على حركة التحرير في آسيا عامة وفي الهند خاصة . والدليل على هذا الأثر « أنه عندما ذاعت أنباء الثورة العرابية في كل قطر وشغلت أذهان الشرقيين قاطبة ولا سيما الشعب الهندي اشترت السفارة الانجليزية في الأستنة

من صاحب جريدة الجوائب التي كانت تصدر باللغة العربية مليون نسخة من العدد الذي نشرت فيه ترجمة الارادة السلطانية بعصيان عرابي لكي توزعها في الهند وتستعين بالأثر الذي تحدثه على اخماد حركة التشيع للعرابين وكانت قد انتشرت هناك بشكل ينذر انجلترا بشر العواقب (١) » •

كما ذكر غاندى لأحد المصريين « اننى تتبعت سيرة هذا الرجل القدير - يقصد سعد زغلول - من عام ١٩١٩ ولا يزال له أثر عظيم فى نفسى • وأنا أعدّه قدوة وأراه بمثابة أستاذ • وثق أن الحركة الهندية سارت على أعقاب الحركة المصرية وقد اقتديت بسعد فى اعداد طبقة بعد طبقة من العاملين فى القضية الهندية فاذا اعتقلت طبقة خلفتها غيرها على الأثر • ان سعد ليس لكم وحدكم ولكنه لنا أجمعين (٢) » •

٤ - تلت الموجة الثانية للتحرر العربى قيام ثورة عبد الناصر وهذا يدعونا للبحث عن مدى أثرها على حركة التحرير فيه • وباستعراض ما حدث بعد قيام الثورة نرى الكثير من الشواهد التى تدل على أنها تركت فيها أثرا بالغا وهذه الشواهد هى :

- تجاوبت القاهرة مع امامة عمان فى عام ١٩٥٣ وأرسلت المساعدات لشد أزر المناضلين وقدمت قضية عمان فى الميادين الدولية وأيدتها ماديا ومعنويا •

- كانت مصر الثورة العامل الحاسم فى تحقيق استقلال السودان بالمعاهدة التى وقعتها ثورة عبد الناصر مع بريطانيا سنة ١٩٥٣ ايمانا منها بأن وجود السودان الحر بجانبها يعد سندا قويا ودعما للنضال والتضامن العربى •

(١) أحمد شفيق ، مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الأول ، مطبعة مصر ، ١٩٢٤ ،

ص ١٨٥

(٢) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، مطبعة مصر ، القاهرة ص ٥٠٦

— عاونت مصر ثورة الجزائر منذ اعلان أبطال جبال الأوراس في الجزائر ثورتهم في نوفمبر عام ١٩٥٤ معاونة معنوية ومادية كبيرة حتى تحقق لها النصر ضد الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٦٢ • وقال أحمد بن بيلا في هذا الصدد « ان ثورة الجزائر مدينة بنجاحها الى درجة كبيرة الى العون المادي والأدبي الذي قدمته لها القاهرة(*) » •

— آذرت مصر حركات المغرب التحريرية فأيدت في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ وفي المحافل الدولية قضايا استقلال المغرب العربي وقدمت للمناضلين في المغرب العربي عونا ماديا كما اتخذ زعماء النضال المغربي من القاهرة مقرا لنشاطهم ومن اذاعة صوت العرب بها أداة لفضح الاستعمار وحث المواطنين على الالتفاف حول زعمائه • واستمر هذا العون حتى استقلت المملكة المغربية والجمهورية التونسية عام ١٩٥٦ وعاد الملك الراحل محمد الخامس لبلاده من المنفى منتصرا ظافرا ، كما واصلت مساعدتها لتونس حتى استردت قاعدة بنزرت من الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٦٣ •

— مد ثوار عدن بالمساعدات المادية لتمكينهم من الاستمرار في الثورة ضد الاحتلال البريطاني الذي انتهى بالاستقلال •

— أيدت ثورة عبد الناصر الثورات التحريرية في العالم العربي وساعدتها على الوقوف والصمود أمام قوى الاستعمار والامبريالية والرجعية التي كانت تقربص بها في العراق (١٩٥٨) واليمن (١٩٦٢) ، والسودان (١٩٥٨ ، ١٩٦٤) وليبيا (١٩٦٧) • وقد كن التدخل العسكري لحماية الثورة اليمنية عندما تعرضت لقوى الاستعمار والامبريالية التي بدت في صورة غزو خارجي لحدودها عملا راثيا من جانب ثورة عبد الناصر وقرارا خالدا أذهل الاستعمار وقضى على امكان استباحة وانتهاك آمال الأمة العربية في المستقبل • وقد قال السيد

(*) خطاب أحمد بن بيلا في مايو عام ١٩٦٤ أثناء زيارة الرئيس الراحل جمال

الرئيس الراحل في هذا الصدد « ان السماح بضرب ثورة عربية بقوة السلاح الأجنبي كان سابقة خطيرة اذا تركت بغير مراجعة فان كل الآمال العربية سوف تستباح وتنتهك (١) » .

من كل ما سبق يتضح أن ثورة عبد الناصر لم تأل جهدا في حماية وتأنييد الثورات العربية التحريرية في العالم العربي وكان لها فضل كبير في تحقيق استقلال جميع البلاد العربية أو معظمها والتي أعقبت قيامها .

٥ - ان أثر ثورة عبد الناصر على حركة التحرير في أفريقيا واضحة جلية ، فقد كانت بعثا لحركات التحرير في أهدافها وأسلوبها في قارة أفريقيا . وقد ورد بالميثاق في هذا الصدد « ان شعبنا يعيش على الباب الشمالي لأفريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن تطورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي (٢) » .

ويظهر دور مصر في حركة التحرير الأفريقية التي بدأت موجتها عقب قيام ثورة عبد الناصر فيما يلي :

- ظهر أثر مصر كمركز اشعاع فكري وقومي للقارة الأفريقية بعد ثورة عبد الناصر بشكل أوضح وأظهر مما سبق ، فان ما يجرى على أرض أفريقيا يؤثر على كيان مصر باعتبارها جزءا من هذه القارة . وقد خصصت ثورة عبد الناصر اذاعة موجهة لجميع شعوب قارة أفريقيا بلغاتهم المحلية لحث الشعوب المغلولة المغلوبة ، على التحرير وطلب الحرية ، ومطالبة الثورات بالصمود وكشف الأعياب الاستعمار في القارة . وقد هب الكثير من شعوب القارة في وجه الاستعمار في كينيا وغانا ومالي والصومال وغيرها .

(١) من خطاب السيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في مجلس الأمة بتاريخ

١٩٦٥/١١/٢٥

(٢) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية .

— قامت ثورة عبد الناصر بتقديم كل تأييد معنوى ومادى مستطاع لهذه الثورات التحريرية لتدعيم استمرارها حتى تحقق النصر والحرية •

— حاربت ثورة عبد الناصر الاستعمار الجديد فى القارة بكافة أشكاله ونهت الدول حديثة الاستقلال اليه وخاصة ذلك المستر وراء اسرائيل • ولم تبخل بمعوناتها الفنية والمادية للدول فى سبيل تدعيم استقلالها وتطوير شعوبها وتحقيق التنمية •

— ضربت للشعوب الأفريقية المثل فى قدرة الرجل الأفريقى وهدمت خرافة تفوق الرجل الأبيض تلك الأسطورة التى غرسها الاستعمار فى نفوس المواطنين بأفريقيا زمانا طويلا بتحقيقها النصر على انجلترا وفرنسا فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ واجبارهما على الانسحاب مما جعل الشعوب الأفريقية تشعر بقدرتها على التحرير والنجاح فى تحقيق أهدافها وقد كان لانتصار مصر أثر مماثل لانتصار اليابان على الاستعمار والامبريالية فى جنوب شرق آسيا الذى هدم خرافة تفوق الرجل الأبيض على الجنس الأصفر والذى جعل الشعوب فى آسيا تناضل باستماتة من أجل تحقيق حريتها وهى متأكدة من النصر بعد أن زالت عقدة تفوق الرجل الأبيض وامكان انتصار الجنس الأصفر عليه •

٦ — أثرت ثورة عبد الناصر على جميع حركات التحرير فى المناطق الأخرى من العالم فى غير قارتي آسيا وأفريقيا فامتد اشعاعها الى أمريكا اللاتينية ويكفى للتدليل على ذلك قول كاسترو « سأفعل بأمريكا كما فعل عبد الناصر ببريطانيا فى السويس (*) » •

(*) ملامح من الاستعمار الجديد سلسلة من حياتنا (٦) القيادة العليا للقوات المسلحة.

وقد كانت ثورة عبد الناصر وأفعاله قدوة ومثلاً يحتذى وقد أوضح السيد الرئيس الراحل دور ثورته في المجال العربي والأفريقي والدولي بقوله : ان الشعب المصري الذي لم يكن صوته يسمع عالياً بنير الظلم والشكوى قد أصبح سيداً بين الطلائع في قارته الأفريقية وبين الطلائع الأولى في التضامن الآسيوي والأفريقي وبين الطلائع الأولى في حركة مقاومة الأوضاع السائدة الاحتكارية في التجارة الدولية ، بين الطلائع الأولى في مقاومة سياسات القوة وبين الطلائع الأولى في العمل من أجل السلام . قوة ينتظر رأيها ويسمع صوتها ويحسب حسابها في مراكز التحقيقات الدولية وفي عواصم العالم المختلفة على حد سواء .

ولقد كنت أشعر برضاء غامر خلال المؤتمر الأفريقي الأخير وأنا أجد التقدير لنضال الشعب المصري ... دليلاً على القدر الكبير للاخلاص النضالي للشعب المصري من أجل أهداف الحرية والسلام والتقدم (*) ، .

(*) من خطاب السيد الرئيس الراحل في مجلس الأمة بتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٥

الفصل الثالث

وسائل عبد الناصر في محاربة الاستعمار القديم والجديد

ان جمال عبد الناصر ايقظ امة بأسرها ودفمها الى
مجرى التاريخ ، وحركها بالثورة الى معان وقيم والى
اهداف وآمال لم تكن هناك من قبله (*)

أنور السادات

اتضح من العرض فى الفصول السابقة أن ثورة عبد الناصر كانت ثورة
على الاستعمار فى المقام الأول بكافة أشكاله وصوره سواء القديم منها والجديد ،
وقد عرضنا تلك الصور بشئ من التفصيل ثم بينا أثر ثورة عبد الناصر
فى حركة التحرير التى عمت العالم عقب الحرب العالمية الثانية • وفى هذا
الفصل سنحاول أن نوضح الوسائل والطرق والأساليب التى اتبعها جمال
عبد الناصر والتزم بها فى حربه للاستعمار القديم والجديد •

ومن الملاحظ أن الوسائل التى استخدمها عبد الناصر فى حربه للاستعمار
كانت متفاوتة فى شدتها ، فتصل لذروتها فى صورة خوض المارك الحربية مع
القوى العسكرية والامبريالية دفاعا عن أرض مصر أو حماية للثورات العربية،
وتبلغ أدناها فى شكل اتباع الطرق الدبلوماسية أو تأييد قضايا التحرير
فى المحافل الدولية •

وقد اختلفت هذه الوسائل أيضا من حيث الغاية منها ، فبعضها كان وقائيا
أى أن تنفيذه واتباعه أمر ضرورى لخلق مانع وحاجز يكون قادرا على صد
وتحطيم محاولات ومؤامرات الاستعمار والرجعية مثل العمل على دعم وحدة

(*) خطاب السيد الرئيس انور السادات الامراء ١١/٧/١٩٧٠ ص ٣

القوى الثورية فى العالم ، وخلق جبهة داخلية متماسكة ، والاهتمام ببناء القوة الذاتية العسكرية والاقتصادية للدولة وغير ذلك • والبعض الآخر يمكن اعتباره وسائل علاجية كالمواجهة العسكرية للاستعمار عند محاولته السيطرة الاقتصادية أو السياسية على الوطن أو ضرب إحدى الثورات التحريرية العربية أو لتقديم العون المادى لدولة تناضل من أجل استقلالها •

وسأعرض فيما يلى هذه الوسائل دون أن أحاول إخضاعها لتقسيمات محددة ولكن سأبدأ بقدر المستطاع بالوسائل الوقائية ثم انتهى الى الوسائل العلاجية •

أولاً — العمل المتواصل لدعم وحدة القوى الثورية فى العالم

كان جمال عبد الناصر هو أحد النماذج النادرة للعبقريّة السياسية ، ملك العبقريّة التى تجلت فى التأثير والتغيير الكبير الذى أحدثه فى الظروف التى يعيشها فقد تجاوز تأثيره الفكرى والسياسى حدود وطنه وأمتة العربية ليصبح رمزاً عالمياً للنضال من أجل الحرية والسلام • وفى سبيل أداء هذه الرسالة رأى عبد الناصر بنظره الثاقب أن وحدة القوى الثورية فى العالم ستكون بمثابة الحائط المنيع القادر على مواجهة مؤامرات الاستعمار الجديد والرجعية العميلة التى تهدف الى ضرب المكاسب الثورية • كما أن هذه الوحدة هى الطريق الصحيح لاستعادة الأرض التى فقدت واسترداد الحقوق التى سلبت واستكمال تحرير المناطق التى لا تزال خاضعة لسيطرة الاحتكارات وأطماع الامبريالية العالمية •

وهذا التجمع أو الوحدة المنشودة كما رآها عبد الناصر ليست تكتسب جديداً يضاف للكتلتين الرأسمالية والشيوعية • بل هى قوة تساعد على حفظ التوازن فى العالم ويؤدى تجمعها ووجودها الى خلق رأى عالمى قوى يساعد فى اقرار السلام •

وقد شمل فكر عبد الناصر عندما نظر الى وحدة القوى الثورية شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بوجه خاص لأنها هي الشعوب التي تجمعها وحدة الأمانى والآمال والآلام والأهداف المشتركة ، وهذه الوحدة المشتركة تساعد على تضامنها وتضافرها •

وسنستعرض جهود عبد الناصر فى توحيد القوى الثورية بآسيا وأفريقيا والعالم العربى وذلك فيما يتعلق بما يلى :

- - التضامن الآسيوى الأفريقى
- - الوحدة الأفريقية
- - الوحدة العربية
- - مؤتمرات دول عدم الانحياز

دور عبد الناصر فى التضامن الآسيوى الأفريقى :

أيقن الرئيس جمال عبد الناصر أن التجربة التى مرت بها شعوب العالم المتحررة عامة وشعوب آسيا وأفريقيا خاصة - والتى ظهر منها بجلاء خطورة وشراسة المؤامرات التى يدبرها الاستعمار الجديد والرجعية العميلة • والتى وقعت ضد الحكومات الوطنية المتحررة بغرض ضرب المكاسب الثورية والسيطرة على اقتصاديات الدول النامية - تحتم بالضرورة وحدة القوى الثورية فى قارتى آسيا وأفريقيا ، حتى تكون بمثابة تضامن أخوى انسانى • يهدف الى مواجهة الاستعمار فى كافة صوره وأشكاله ، ولتدعيم التعاون والتضامن وتبادل الخبرات والمعرفة العلمية من أجل رفاهية الشعوب وتحقيق السلام العالمى • كما يهدف الى تدعيم استقلال الدولة المتحررة حديثا ، وتقديم كافة المساعدات اللازمة للتنمية الاقتصادية اليها •

ومما سبق يظهر أن عبارة تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية قد بدأت من القاهرة وإيمانا من عبد الناصر - كما جاء على لسانه فى الميثاق بانتماء شعبنا الى القارتين (أى آسيا وأفريقيا) اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهى أبرز سمات القرن العشرين - تولى الزعيم الخالد تنفيذ الفكرة

عملية بالدعوة الى عقد أول مؤتمر بباندونج وقد تم عقد هذا المؤتمر فعلا فى أبريل عام ١٩٥٥ واشترك فيه عدد كبير من شعوب آسيا وأفريقيا وقد اعتبر هذا المؤتمر بمثابة ميلاد لتضامن شعوب القارتين العريقتين ، وعقد بعد ذلك عدة مؤتمرات للشعوب والحكومات التحريرية بالقارتين أهمها المؤتمر الثانى الذى عقد فى ديسمبر ١٩٥٧ بالقاهرة • ثم عقد المؤتمر الثالث لتضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية فى فبراير ١٩٦٣ بتنزانيا ثم عقد المؤتمر الرابع فى هافانا بكوبا وقد ضم هذا المؤتمر اليه شعوب أمريكا اللاتينية باعتبارها قارة تتشابه مع قارتى أفريقيا وآسيا فى الآمال والأمانى والآلام والأهداف • وكان ذلك استجابة لطلب الزعيم الكوبى فيدل كاسترو •

وقد جاءت جميع هذه المؤتمرات محققة لأهداف التضامن ساعية بقدر المستطاع لاقرار السلام العالمى ومحاربة الاستعمار وتأييد نضال الشعوب التى تسعى للتحرير •

من هذا العرض نلاحظ أن مؤتمرات التضامن بدأت بشعوب ودول قليلة ولكن خلال عقد واحد اكتسبت أرضا جديدة وشعوبا وحكومات أكثر •

جهود عبد الناصر فى اقامة الوحدة الأفريقية :

تقع مصر فى الشمال الشرقى للقارة الأفريقية ، ولهذا رأى عبد الناصر أن مصر يجب ألا تنفصل عن القارة التى تعد جزءا لا يتجزأ منها كما رأى أن القارة بامكانياتها الضخمة وثرواتها الهائلة - التى استغلها الاستعمار أبشع استغلال والتى يتربص لنهبها مرة أخرى تحت ستار الاستعمار الجديد - يمكن أن تمنع كل ذلك وتصد كل هذه المؤامرات وتصنع أمة عظيمة تشكل مكانا مرموقا بين دول العالم القوية لو اتحدت وتضافرت جهودها وتعاونت • فمشكلة القارة الكبرى كما سبق القول هى تفتيتها الى دول وممالك صغيرة وقد ظلت هذه الفكرة شغل عبد الناصر الشاغل دائما ورغم ذلك لم تر النور الا بعد أن نجح الاستعمار الجديد فى الاطاحة بالكثير من النظم التقدمية فى أفريقيا بفرض تنصيب حكومات عميلة بها أو تعطيل نموها وتقدمها •

نادى عبد الناصر بالوحدة ودعا إليها بعد أن وجد المناخ المناسب وبعد أن شعرت الدول المتحررة بأفريقيا بالخطر الذي أطاح بغيرها ويقف اليوم على بابها يهددها بالفناء والزوال •

وقد سعى السيد الرئيس جمال عبد الناصر لعقد مؤتمر يضم الدول المتحررة في أفريقيا وقد لبّت الدعوة وفود غينيا وغانا ومالي والمغرب والجزائر والجمهورية العربية المتحدة وقد عقد الاجتماع في الدار البيضاء وتم خلال هذا المؤتمر تشكيل منظمة الوحدة الأفريقية ، ثم وضع ميثاقها في الاجتماع التالي لها الذي عقد في أديس أبابا في مايو سنة ١٩٦٣ وتضمن هذا الميثاق تقوية الوحدة والتضامن بين الدول الأفريقية ، وتنسيق وتدعيم تعاونها لرفع مستوى معيشة شعوبها ، والدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها واستقلالها ، والقضاء على كافة أشكال الاستعمار في أفريقيا ، وتشجيع التعاون الدولي مع وضع ميثاق الأمم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان في الاعتبار مع اعتبار الحيادة بين الكتل الكبرى أحد المبادئ الأساسية التي تتبعها الدول الأعضاء • وقد وقع هذا الميثاق ٣٢ دولة من بينها ج.ع.م. • وقد شاركت معظم دول الوحدة الأفريقية في اقرار السلام أو تقديم العون المادي والمعنوي في قضايا كثيرة من قضايا القارة •

نضال عبد الناصر في سبيل الوحدة العربية :

أن نضال عبد الناصر من أجل الوحدة العربية دور رائع ومجيد ويكفي قولاً أنه استشهد في سبيل وحدة العرب وجمع كلمتهم وتركيز جهودهم على الأهداف التي تسعى الشعوب العربية لتحقيقها • وتعد الوحدة أحد الأسلحة الناجحة لحرب الاستعمار القديم والجديد • فالوحدة قوة والدليل على ذلك ما سبق ذكره من أن القوى الاستعمارية الجديدة (ألمانيا وإيطاليا) لم تظهر في المجال الدولي كقوة لها كيان ورأى إلا بعد توحيدهما • وقد رأى جمال عبد الناصر أن عزل الشعوب العربية بعضها عن بعض ومنع اتصال دولها بعضها البعض يسهل على الاستعمار وربيبته إسرائيل أن تواجه جبهات عربية ممزقة ومتباعدة ، ويكفي لتحقيق الوحدة وحدة الهدف لا وحدة الصف •

وقد أدت هذه الجهود الى تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ تحت علم واحد واسم واحد ، وقامت بذلك الجمهورية العربية المتحدة كدولة قوية •

ونظرا لأن سياسة الاستعمار التفتيت وأكثر ما يرهبه الكتل البشرية والامكانيات المادية الضخمة الناتجة عن قيام الوحدة أو الاتحاد ، فقد سعى سعيًا متواصلًا لضرب هذه الوحدة عن طريق الرجعيين والخونة في سوريا ، وتحقيق له مأربة في عام ١٩٦١ • ولكن الصدمة القاسية لم تكن جمال عن الاستمرار في الدعوة لمبدئه •

وقد تم بناء على جهوده الكثير من الدلائل والعلامات التي تقرب العرب بعضهم لبعض وتوحد هدفهم وهو « أى وحدة الهدف » في رأى جمال عبد الناصر كما سبق القول كاف لتحقيق أمل الوحدة • وقد قال عن وحدة الهدف وعن مزايا الوحدة « أن الثورة هي الطريق لوحدة الهدف العربى وهى الحالة الوحيدة التى تتمكن فيها شعوب الأمة العربية من أن تفرض ارادتها على أرضها ،(*) » •

كما تم عقد عدة مؤتمرات للقيمة بناء على دعوته ضمت ملوك ورؤساء الدول العربية عقد أولها فى القاهرة فى يناير سنة ١٩٦٤ وعقد المؤتمر الثانى بالقاهرة فى سبتمبر من نفس العام ، وتوالت بعد ذلك المؤتمرات وقد أسفرت عن تعزيز الدفاع العربى وكفالة حرية العمل داخل الأرض العربية والعمل على تحرير فلسطين •

وفى طريق الوحدة أيضا تم توقيع اتفاق للتضامن العربى بين مصر وسوريا والمملكة السعودية يقضى ببناء قيادة عربية مشتركة بين الدول الثلاث انضمت اليها المملكة الأردنية فى يناير سنة ١٩٥٧ وقد تضمن الاتفاق الأخير النص على مساعدة الأردن ماليا لتعزيز قواتها المسلحة •

(*) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة بتاريخ ١٩٦٥/١/٢٠

وقد انضم الى هذا التضامن العربى فى عام ١٩٦٤ أربع دول جديدة
هى ليبيا وتونس والجزائر والسودان •

وقد توجت جهود عبد الناصر بتوقيع ميثاق طرابلس الذى ينص على
اقامة اتحاد بين جمهورية ليبيا والسودان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة
فى عام ١٩٧٠ عقب وفاة السيد الرئيس جمال عبد الناصر •

دور عبد الناصر فى نشأة وانتشار مبدأ الحياد الايجابى :

يعتبر مبدأ الحياد الايجابى الذى كان عبد الناصر أول من نادى به أقوى
تعبير عن فلسفة ثورته التى حددتها ورسمتها موقع مصر الفذ من العالم فهى
قلب العالم العربى بل مركز العالم أجمع •

ويعتبر الجميع — الأعداء والأصدقاء — أن نشأة سياسة عدم الانحياز
وتدعيمها فى العالم ترتبط اجمالا وتفصيلا بثلاثة أقطاب كبار هم جمال
عبد الناصر وتيتو ونهرو •

والحياد الايجابى لا يعنى عدم الاسهام فى كل المواقف التى تتعلق
بالحرب والسلام بل هو المشاركة الحقيقية فى جميع قضايا الحرب والسلام
برأى حر نابع عن عقيدة وايمان وناتج عن دراسة كاملة للموقف وللقضية •

وقد نشأت هذه السياسة نتيجة ادراك بعض الشعوب المستقلة حديثا ،
من أن قدرتها على تنمية ثرواتها وتطوير اقتصادياتها لن تتجح ما لم يستقر
السلام فى العالم حيث أن قيام الحرب بين الكتلتين أو مجرد الاستعداد لها
يعيب الدول النامية بأضرار جسيمة ويعوقها عن التنمية • ولذلك فهى ترغب
فى السلام وعليها فى سبيل تحقيق هذه الرغبة أن تلتزم بسياسة الحياد الايجابى
حتى تبعد نفسها عن الصراع وفى نفس الوقت تتدخل كقوة لها وزنها فى العالم
لمنع الحرب الباردة بين الكتلتين التى يمكن أن تنقلب الى حرب ذرية طاحنة
لا تبقى ولا تذر •

وقد كان لمؤتمر باندونج فضل كبير فى تحديد بعض المعالم الأساسية لسياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى كما كان للاتصالات والاجتماعات بين الدول التى شاركت فى المؤتمر أثر فى تدعيم هذه السياسة وارساء قواعدها •

وقد عقد أول مؤتمر للدول والحكومات غير المنحازة فى بلجراد فى سبتمبر سنة ١٩٦١ عقب التدهور السريع فى الموقف الدولى بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والذى كان من آثاره أو من بوادره فشل مؤتمر القمة فى باريس فى مايو سنة ١٩٦٠

ثم عقد المؤتمر الثانى للدول غير المنحازة فى القاهرة فى شهر أكتوبر عام ١٩٦٤ وقد ارتفع عدد الأعضاء فى المؤتمر الثانى من ٢٨ دولة فى مؤتمر بلجراد الى ٥٧ دولة فى مؤتمر القاهرة •

ثانيا - خلق جيل جديد ووضع تنظيم سياسى فى مصر

يحمى مكاسب الثورة من الخونة والاستعمار

آمن السيد الرئيس الراحل بالشعب ايمانه بربه وبنفسه ، وآمن به كقوة تقف كالسد المنيع فى وجه مؤامرات الاستعمار الجديد ولحماية مكاسب الثورة • وآمن كذلك بأن خلق هذا الجيل وتنظيم الجماهير سيكفل لثورة الشعب القدرة السريعة على الحركة فى الوقت المناسب تجاه المؤامرات التى قد يدبرها الاستعمار الجديد •

وقد كان جمال عبد الناصر يصف الشعب دائما فى كافة أحاديثه وأقواله وكتبه وفلسفته بالعظيمة وكان دائما يعترف بدوره الطليعى العظيم فيها ، حتى أنه نسب الثورة اليه فقد قال فى هذا الصدد « أن أعظم ما فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها لم تكن صانعة الثورة وإنما كانت أداة شعبية لها » (*) •

(*) الميثاق - الباب العاشر •

وقد حدد جمال عبد الناصر دور الشعب تحديدا واضحا فى مجالين •
الأول تلقين طلائع الثورية أسرار آماله الكبرى أولا بأول حتى يمكن لهذه
الطلائع أن تحقق له آماله وكذا تطوير المبادئ الست التى وضعتها حتى تصبح
برنامجا تفصيليا تسير على هديه الثورة •

كما اعتبر جمال عبد الناصر هذا الشعب العظيم القوى بمثابة الدرع
الواقى للثورة والوطن من مؤامرات الاستعمار والامبريالية ، وقدرته على صد
وهزيمة أى محاولة للنيل من طلائع الثورية ، ومقاومة كل الانحرافات التى قد
قرتكب من القيادات نتيجة النسيان أو الغرور •

وقد قام جمال عبد الناصر فى سبيل تدعيم قوى الشعب وتنظيمه بعدة
وسائل منها :

١ - شل فاعلية عملاء الاستعمار والمستفيدين من وجوده والتى كانت
تتظاهر أحيانا باشتراكها مع الشعب فى حرب الاستعمار والامبريالية وذلك
لتأمين الثورة من أى طعنة فى الظهر سواء من تدبير الرجعية أو بتعاونها مع
الاستعمار •

٢ - توفير الحرية السياسية للمواطنين ايمانا بأن الانسان الحر هو
أساس المجتمع الحر •

٣ - ألغى السيد الرئيس الأحزاب ورفض فكرة تعددها باعتبارها خطرا
يهدد كيان الوطن ولأنها لا هم لها الا التنافس على مقاعد الحكم وكرسى الوزارة
مهما كان الثمن حتى ولو كان عن طريق الخيانة والسير على طريق يخالف
الشعارات التى أعلنتها ، وأصدق مثال على ذلك فى مصر ، استعانة حزب الوفد
بالانجليز لكى يتولى الحكم وما يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ علينا بغريب • كذلك
يوضح موقف الأحزاب ماورد بالتعميم السرى الموزع على قيادات الأقطار
والفروع والشعب لحزب البعث بالعراق بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ٧٠ والذى يعتبر
أن اسرائيل ليست هى عدوه الأول ولكنه يعتبر جمال عبد الناصر عدوه الأول
فقد قال : انه اذا استطاع أن يستوعب الظروف الجديدة سأتى قبول عبد الناصر

للمبادرة الأمريكية - فانه سيكون قد أزاح من طريقه أقوى عدوله وهو عبد الناصر وجماهير الناصرية ورائه •

بعد إلغاء الأحزاب كان لا بد من قيام تنظيم يكون بمثابة اطار لوحدة القنات الوطنية فأسس عبد الناصر هيئة التحرير في ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ • ولما ثبت عدم قدرتها على تحقيق أهدافها طرح عبد الناصر فكرة الاتحاد القومي ليكون اطار لتنظيم الجماهير في مرحلة تدعيم الاستقلال وبناء الاقتصاد • وبعد فترة من التطبيق رأى أن الاتحاد القومي لا يكفل حشد كل الطاقات العربية الرسمية والشعبية لصالح المعركة ولذا اتجه فكر عبد الناصر الى الاتحاد الاشتراكي العربي كاطار لتحالف قوى الشعب العاملة وهي الفلاحين والعمال والمتقنين والجنود والرأسمالية الوطنية •

وقد تحددت أهدافه بحيث تضمنت تحقيق الديمقراطية السليمة وحماية مكاسب الشعب الاشتراكية وحماية الضمانات التي قررها الميثاق ودفع امكانيات التقدم • وفرض قانونه الأساسي عليه عدة واجبات لتحقيق أهدافه منها النضال ضد تسلل النفوذ الأجنبي والرجعية والانتهازية وتصفية آثار تحكم الرأسمالية والاقطاع •

وقد كفل الميثاق لهذا التنظيم المنتخب من الشعب من السلطات ما يجعله باستمرار فوق أجهزة الدولة التنفيذية وهذا يعنى أن يكون الشعب دائما هو القائد للعمل الوطني في كافة المجالات حتى نضمن استمرار الثورة واندفاعها •

وقد ضمن الدستور للفلاحين والعمال تلك القوى المكونة للأغلبية والتي طال استغلالها نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على مختلف مستوياتهم •

٤ - أهتم بالتربية الدينية كأساس لخلق المواطن الصالح وبايمان منه أن الطاقات الروحية تستطيع أن تقدم للثورة أفرادا مسلحين بالصبر والشجاعة قادرين على مواجهة جميع الاحتمالات وقهر جميع المصاعب والعقبات مما يساعد على سرعة تحقيق آمال الشعوب في الحرية والتقدم •

ثالثا - تكريس كل الجهود لبناء القوة الناتية

كان العمل لبناء القوة الذاتية فى نظر عبد الناصر أمر يمثل القوة المؤثرة لحماية الدولة من مؤامرات الاستعمار والامبريالية ودرعا يقيها من محاولات الرجعية والاستعمار الجديد . اذ أثبتت الحوادث أن الدول القوية فى هذا المجتمع ما زالت تتصرف بشريعة الغاب - وذلك بقيامها بعمل كل ما تراه دون حساب أو دون اهتمام بحساب . ولذلك فقد بذل جمال عبد الناصر جهودا مضنية فى سبيل تزويد البلاد بكل الأسلحة الاقتصادية والعسكرية والفكرية حتى تصبح قادرة على حماية نفسها وقمع أى محاولة لغزوها أو استغلال ثرواتها وهذه الحماية ترجع الى احساس الدول الاستعمارية بقوة الدول النامية وهذا الاحساس يدفعها للتفكير كثيرا قبل الاقدام على أى حماقة أو عن طريق مقاومة الغزو والانتصار على المستعمرين أو الثورات المضادة بالداخل .

وقد اهتم جمال عبد الناصر ببناء القوة الاقتصادية للدولة وبناء النظام الاشتراكى وتدعيم القوى العسكرية والاهتمام بالعلم والثقافة .

١ - التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة :

يوجه الاستعمار الجديد معظم ضرباته لتحطيم النظم الاقتصادية فى الدول النامية فهو يعرف تماما أنها نقطة الضعف فى الشعوب المستقلة حديثا والتي عانت من الاستعمار الكثير . ولذلك وضع جمال عبد الناصر خططا للتنمية تم تنفيذها بنجاح وقد عرف دكتور ابراهيم سعد الدين التنمية بقوله « انها محاولة ايجابية ومتعمدة بواسطة شعب ما من أجل اللحاق بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى لمستويات شعوب أخرى سبقته الى زيادة قدرتها الإنتاجية ومتوسط دخل أفرادها ورفاهيتهم^(١) » .

(١) د. ابراهيم سعد الدين ، التنمية الاقتصادية ، محاضرات المرحلة الثالثة لمنظمات الشباب الاشتراكى للاتحاد الاشتراكى العربى ، ص ٧٢ .

وقد استطاعت مصر أن ترفع من دخلها القومي ومستواها المعيشي رغم كل التحديات وكان ذلك ايمانا منه بأن قضية التنمية ترتفع الى مستوى قضية الوجود والتحرير بل هي لب الوجود والتحرير . ولذلك فقد روعى أن تتم التنمية وفق أسلوب علمي وقد اعترف بير جورج بنجاح مصر المنقطع النظير في هذا الصدد بقوله بأنها -أي مصر- « أول بلد في الشرقين الأدنى والأوسط قامت بتطبيق سياسة تصنيع منظمة يتطلبها الضغط الديموجرافي للسكان في وادي النيل بصورة محكمة ^(١) » .

وقد خاض في سبيل تدعيم الاقتصاد القومي معارك رائعة انتصر فيها جميعا كتأمين قناة السويس وبناء السد العالي الذي قال عنه رينا توبستوني الكاتب الايطالي « بأنه مفخرة لكل من عاش في عصر بنائه » ^(٢) ، والقضاء على النظام الرأسمالي المجحف بحقوق العدالة الانسانية وأقام على أنقاضه مجتمعا اشتراكيا يقوم هيكله على المساواة والاخاء الانساني وزمالة الحياة وبذلك حرر الانسان في مصر من الأغلال وعبودية لقمة العيش ، وقد استوحى الزعيم الخالد اشتراكيتنا من واقع المجتمع ونتيجة للتأمل الدقيق في أوضاعه . كما أقام قطاع عام قوى وقادر على النهوض والوفاء بمستلزمات الخطة في طريق تحرير الثروة الوطنية من الاحتكار المحلي والأجنبي وتم نقل الملكية فيها للشعب للعامل . وقد تم بناء القطاع العام في عدة خطوات ثورية تمتد في أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤

وايمانا منه بأهمية الصناعة كنصر حيوي في التطوير وأن قوة مصر تكمن في قوة تصنيعها فقد اهتم بها اهتماما كبيرا حتى أن منطقة واحدة من المناطق الصناعية الجديدة وهي حلوان أصبحت تضم في عام ١٩٦٥ من الطاقة الصناعية ما يماثل كل الطاقة الصناعية التي كانت قائمة يوم قيام الثورة ^(٣) وقد

(١) بير جورج ، عالمنا اليوم واقعة ومشاكله ، ترجمة كمال السيد ، دار المعارف

بمصر .

(٢) رينا توبستوني ، من أهرام الجيزة الى أهرام ناصر ، ملخص الكتاب بالطلبة .

(٣) خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في مجلس الأمة بتاريخ ١١/٢٥/١٩٦٥

تضمنت سياسة التصنيع توفير مطالب الانتاج واحتياجات الاستهلاك • كما تتكفل محطة كهرباء السد العالي وحدها بانتاج طاقة كهربية تعادل عشرة أمثال الطاقة التي كانت متاحة قبل الثورة •

وقد حدد الميثاق الشروط اللازمة لمواجهة التحدى الناتج عن وجود الهوة الكبيرة التي تفصل بين الدول النامية والدول المتقدمة وهي :

(أ) ضرورة تجميع المدخرات الوطنية •

(ب) استثمار هذه المدخرات بطرق علمية سليمة •

(ج) وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج •

وقد حققت السياسة التي وضعها عبد الناصر لتحقيق هذه الشروط الكثير من النجاح •

٢ - تطبيق وتدعيم الاشتراكية العلمية :

استطاع جمال عبد الناصر أن يدرك من تحليله لعناصر فشل ثورة ١٩١٩ أنها لم تهتم بالثورة الاجتماعية بجانب اهتمامها بإجلاء المستعمر ، ولذلك فقد اعتبر جمال أن الاشتراكية هي السمة الثانية لثورته فإن كانت السمة الأولى الديمقراطية وهي كما عرفها الميثاق « تأكيد سلطة الشعب ووضع السلطة كلها في يده وتكريسها لتحقيق أهدافه » (*) فإن السمة الثانية هي الاشتراكية التي ترجم كون الثورة عملاً تقدماً • وقد اعتبر جمال عبد الناصر كلا منهما جناحاً للحرية الحقيقية •

وقد اختار الرئيس جمال عبد الناصر الاشتراكية كطريق لتحقيق الحرية الاجتماعية تلك التي تضمن تحقيق الكفاية في الانتاج والعدالة في التوزيع ، وبالتالي ترفع من مستوى دخل قوى الشعب العاملة التي كما سبق القول تقوم بالدفاع عن الثورة وتملي عليها مطالبها وأمانها •

(*) الميثاق ، الفصل الخامس ، « من الديمقراطية السليمة » ص ٤٩ •

وقد أخذت مصر اشتراكيتها العلمية بعد تفكير طويل وبعد أن رأت أن الرأسمالية لم تحقق تقدمها الا على حساب نهب ثروات مستعمراتها وتسخير سكان هذه المستعمرات في اضافة مزيد من الأرباح اليها . وقد نبعت اشتراكيتنا العلمية من صميم بيئتنا ولم تكن اشتراكية مستوردة أو نظاما منقولاً من دولة أخرى وهي تختلف عن باقي النظم المماثلة في الأسس والمبادئ التي لا بد وأن تتلاءم مع طبيعة مجتمعنا وديننا وتقاليدها وعاداتنا .

٣ - اقامة جيش وطنى قوى :

آمن عبد الناصر بما قاله فى برنامج ٣٠ مارس عن القوة كدعامة للحق « ان منطق هذا العصر - ولعله منطق كل العصور - أن الحق بغير قوة ضائع وأن أمل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام وأن المبادئ بغير مقدرة على حمايتها أحلام مثالية مكانها السماء وليس لها على الأرض مكان » .

عن طريق هذا المفهوم وهذا المبدأ الذى آمن به عبد الناصر صمم منذ قيام الثورة على اقامة جيش وطنى قوى ونادى به كمبدأ من المبادئ الست المشهورة . وحاول أن يسلح الجيش كما يرغب ولكن الاستعمار والامبريالية حالت دون ذلك وأخذت تماطل وتساوم حتى تظل مصر فى موقف الضعيف الذى يحتاج دائما الى حماية الاستعمار والامبريالية والذى يخضع لرغبتها وسيطرتها الاقتصادية والسياسية . ولكن عبد الناصر حطم احتكار السلاح عام ١٩٥٥ عندما عقد صفقة السلاح التشيكوسلوفاكية مع الكتلة الشرقية وقام ببناء قوات مسلحة قادرة للدفاع ليس عن مصر فقط بل عن الوطن العربى كله فى كل زمان ضد أطماع الاستعمار والامبريالية ، وقد قال فى هذا الصدد « ان وجود مصر فى الوضع الأكثر ملاءمة لاستخدام قواها المادية والمعنوية هو أمر لا غنى عنه للنضال العربى العام كما أثبتت وقائع الحوادث فى المثلث العربى الضخم ما بين بغداد والجزائر وصنعاء أن وجود مصر ضعيفة ضعف للنضال العربى كله ، (*)

(*) أمين سامى الفمراوى ، العهد ، دار النهضة العربية ، عام ١٩٦٦ ص ١٨٣ ،

وقد أثبتت التجارب فعلا أن وجود مثل هذا الجيش القوي قد قضى على مغامرات القوى الاستعمارية والامبريالية في المنطقة العربية كما أنه أدى الى فشلها وهزيمتها عندما حاولت أن تعاود مغامراتها في المنطقة في عام ١٩٥٦ بفضل البطولة التي أبدتها الشعب والجيش والاعداد والتدريب الكامل لهما .

٤ - الاهتمام بالعلوم والثقافة كأساس للقوة والتقدم :

أدرك جمال عبد الناصر أن المعركة مع الاستعمار الجديد لن تكون باستخدام السلاح فقط بل يجب أن تكون بالعلم كما قال في مناسبات كثيرة أن العلم يمنح النضال الوطني فرصة أعظم للانطلاق ويضمن القدرة على اللحاق بالدول التي سبقتنا في هذا المضمار ، وقد قال عنه أيضا ان العلم هو السلاح الحقيقي للثورة . وقد شرح الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العلم سنة ١٩٥٨ أهمية العلم وضرورة التسليح به لتعويض أسباب التخلف في الماضي ومن أجل تحقيق النصر الكامل على الاستعمار والامبريالية بقوله : « ان المعرفة ستكون في العصر القادم هي القوة الحقيقية هي الحرية الحقيقية وأنتم تعرفون أننا من الناحية السياسية نقاوم احتكار المعرفة ولا بد أنكم تتابعون الجهود التي نقوم بها في الأمم المتحدة ومجالاتها بالاشتراك مع عدد من الدول التي تسير على طريقنا لتقاوم احتكار العلم ، ان العلم يتقدم بسرعة مذهلة وعلينا أن نسارع الى موكبه ونصنع لأنفسنا مكانا في موكبه » .

ولذا فقد أوصى عبد الناصر بوضع خطة للبحث العلمي كأساس للتقدم في شتى الميادين وقد عبر عن ذلك الرئيس جمال عبد الناصر بقوله « ان الاستقلال العلمي والفني هو البعد الثالث للاستقلالين السياسي والاقتصادي » (١)

وقد أنشأ جمال عبد الناصر مجموعة من مراكز البحوث في كافة المجالات الصناعية والزراعية والاجتماعية للنهوض بالحركة العلمية حتى يمكن أن تقف الدول النامية في مواجهة قوى الاستعمار والبغى وقد قيل « اذا كان القرن التاسع عشر هو قرن الذهن يملكون والذين لا يملكون فان القرن العشرين هو قرن الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

(١) خطاب السيد الرئيس امام مجلس الامة في ٢٥/٢/١٩٦٤

كما أحدث جمال عبد الناصر تطويرا جذريا فى نظم التعليم اذ أنه بدأ منجزاته فى هذا المجال بكسر احتكار التعليم لفئة محدودة من الناس وذلك عن طريق مجانية التعليم كما أنه أعاد دراسة مناهج التعليم حتى تتفق مع آخر تطورات العلم الحديث •

وقد اهتم جمال عبد الناصر بالثقافة كأساس لتوجيه حركة الأمة اذ يتم عن طريقها ممارسة التسلسل الفكرى المضاد للثورة عن طريق تنظيم حملات لايضاح الحقائق ووضع تخطيط لمكافحة أفكار الاستعمار ، وقد تم وضع خطة تكفل نمو ثقافتنا نموا طبيعيا فى اطار اشتراكيتنا ومبادئنا •

وقد عبر جوبلز وزير الدعاية النازى عن خطورة الثقافة كعامل حاسم وسلاح قوى ضد قوى الاستعمار بقوله « عندما أسمع كلمة ثقافة أتجسس مسدسى » (١) وهذا تعبير واضح عن مدى مقت الاستعمار والامبريالية للثقافة وللحضارة وللحرية ولجوهر وجود الانسان •

رابعا - العمل من أجل السلام

كان العمل من أجل السلام أحد الأهداف الرئيسية التى يسعى جمال عبد الناصر دائما لتحقيقها ، فما من قضية من قضاياها الا وكان له فيها دورا بارزا وبواضحا وكبيرا مما أدى الى جعله رجل سلام عالمى • ينظر العالم دائما اليه فى الشدائد ، ينتظر رأيه وحكمه وتدخله وقد قال الميثاق فى هذا الصدد « ان السعى نحو السلام قاد خطى شعبنا الى مراكز دولية أصبح لها الآن من قوة الاشعاع ما يضئ الطريق نحو السلام » (٢)

(١) د. جمال حمدان استراتيجية الاستعمار والتحرير مرجع سابق ص ٢٥٠

(٢) الميثاق الباب الماخر •

ويظهر دور عبد الناصر فى العمل من أجل السلام فيما يلى :

١ - المشاركة الايجابية فى كافة الجهود التى بذلت فى سبيل منع وتحريم التجارب الذرية ومنع انتشار الأسلحة الذرية بعدم السماح للدول غير النووية بالحصول على مثل هذه الأسلحة .

٢ - شارك فى السعى من أجل نزع السلاح لايمانه بأن السلام الدائم لا يمكن أن يتحقق على أساس التوازن الذرى أو الرعب النووى الحالى إذ أن هذا التوازن معرض الى أن يختل فى أى لحظة على أثر اكتشاف جديد وفى هذه الحالة سيكون مصير العالم كله فى خطر .

٣ - الالتزام والدعوة بمبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز كوسيلة لتحقيق السلام وتخفيف حدة التوتر بين الكتلتين اللتين تقسمان نصفى الكرة الأرضية حاليا . وقد جاء بالميثاق فى هذا المعنى « أن ارتفاع هذا الشعار - أى عدم الانحياز والحياد الايجابى - على قارات كثيرة من العالم هو تحية عظيمة لاخلاص شعبنا فى خدمة السلام » ومن أمثلة تدخل الدول غير المنحازة فى حل المنازعات الدولية ما قام به مؤتمر رؤساء الدول والحكومات غير المنحازة الذى عقد فى بلغراد فى سبتمبر سنة ١٩٦١ بمناشدة كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بوقف الاستعدادات الحربية والتفاوض للوصول الى تسوية سلمية للخلافات القائمة بينهما فى البحر الكاريبى وبرلين ، كما أوفد المؤتمر اثنين من الرؤساء المشتركين فيه لتسليم رسالة لكل من الرئيسين خروشوف وكيندى تطلب منهما استئناف المفاوضات المباشرة بين البلدين لابعاد خطر الحرب وتمكين الانسانية من التقدم فى طريق السلام .

٤ - رفع الرئيس جمال عبد الناصر فى كافة الظروف التى مر بها الوطن والتى أرغم فيها أحيانا على خوض معارك فرضت علينا شعاره الخالد « السلام لا الاستسلام » .

٥ - المطالبة بزيادة استخدام الطاقة الذرية والفضاء الخارجى فى الأغراض السلمية التى تحقق الرخاء الانسانى .

٦ - المنادة باحترام سيادة الدول وسلامة أراضيها وحقوقها في اختيار شكل الحكم الذي يناسبها والتحديد والوقوف في وجه أى تدخل في هذا الشأن .

٧ - حل المنازعات بالطرق السلمية بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة . مع محاولة بذل كافة الجهود بالتعاون مع الدول الحرة في العالم لايجاد حلول لكافة المواقف التي تهدد السلام العالمى أو تضر بالعلاقات الودية بين الأمم .

خامسا - اقرار مبادئ جديدة في السياسة الدولية

وضع جمال عبد الناصر في السياسة الدولية مبادئ جديدة تقوم على عدم الانحياز لأى كتلة من الكتل والوقوف دائما في جانب الحق مهما كانت علاقة الدولة بالطرفين المتنازعين والنظر في كافة المنازعات الدولية حسب ما يميله عليه ضميرها وولائها للمبادئ والأهداف التي تضمنتها نصوص ميثاق الأمم المتحدة وروحه مستهدفة في ذلك توثيق عرى الصداقة والتعاون مع جميع الدول ولقد كان لهذه المبادئ صدى واسع في جميع أنحاء العالم .

ولم يكن عبد الناصر يتشدد كثيرا من الساسة بشعارات بل كان يلتزم بكل ما يقول وقد ورد بالميثاق تحديد واضح لسياسة الدولية التي لا نحيد عنها أبدا وهي « أن السياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة هي انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى » ولم يكن ذلك الا نتيجة للمبادئ التي آمن بها عبد الناصر والتي عبر عنها الميثاق بقوله « ان أى سياسة خارجية لأى وطن من الأوطان لا تكون انعكاسا أميناً وصادقا لعمله الوطنى تصبح ادعاء يكشف نفسه

بنفسه وتصبح نقافة واتجارا بالتطلعات « وقد أدى الالتزام المطلق بهذه السياسة الى جعل عبد الناصر شخصية عالمية مرموقة بجانب كونه شخصية وزعيم عظيم في وطنه وأمة العربية • وقد عبر عبد الناصر عن ذلك ناسبا المركز المرموق لمصر وشعب مصر وكانت هذه عادته دائما في انكار ذاته وتعظيم شعبه ورغم أن الحقيقة أن كل ذلك تم به وبفضله وأن الكلام عنه متعلق به في المقام الأول • لست في حاجة الى أن أستفيض في شرح المركز الممتاز الذي تتمتع به الجمهورية العربية المتحدة دوليا والاحترام الذي تناله والتأثير الذي تصنعه من حولها ان هذا الشعب المصري تمكن بالمبادئ أن يعوض ما ينقصه في الموارد التي تجعله في وزن القوى الكبرى في عالمه • »

وقد قضى جمال عبد الناصر على القول بأن الممارسة السياسية تقوم على الصياغات النامضة وأثبت للدنيا كلها أن مصدر احترام الدولة وسياستها يرجع الى وضوح هذه السياسات لا غموضها كما أن سياسة عبد الناصر دلت على احتفاظه الدائم بحرية الوقوف على المبادئ سواء في الظروف التي يحكمها وجود كتلتين أو في ظروف أخرى تعدد فيها المراكز وكان دائما يرفض - على حد قوله (٢) - توقيع الصكوك على ياض يدعو التبعية أو المجاملة أو الخوف •

وقد بنى سياسته الخارجية على أساس الصداقة المخلصة مع جميع الدول والحركة الايجابية لتحقيق السلام وقراره والحكم في المنازعات الدولية على أساس من المبادئ والايمان بأن السلام والحرية والرخاء كل لا يقبل التجزئة •

وقد ظل عبد الناصر يمارس هذا الدور في السياسة الدولية بشرف وبالالتزام وبفعالية ناصرا المظلوم مؤيدا الحق مناهضا للظلم • وتشهد المحافل الدولية والعالم أجمع على جهوده البناءة التي بذلها في سبيل اقرار السلام بين المتنازعين في الدولة الواحدة أو في الدول المتجاورة •

(١) الميثاق ، الباب العاشر ، السياسة الخارجية ص ١٢٦

(١) الميثاق ، الباب العاشر ، السياسة الخارجية ، ص ١٢٦ •

سادسا - الايمان بالرأى العام العالمى وتجنيده لمحاربة الاستعمار

يحاول الاستعمار التأثير معنويا على الرأى العام العالمى وخذاعه لكسب تأييده فى صف قضاياہ ، وخير من استفاد من ذلك واستطاع لفترة طويلة أن يضلل الرأى العام العالمى اسرائيل بسبب سيطرتها وتسلطها على أجهزة الاعلام المختلفة فى عواصم الاستعمار وقد أدى نشاطها فى هذا المجال الى تعاطف الرأى العام العالمى معها على أساس الصورة التى أعطتها للعالم عن كونها دولة مسالمة تعدادها مليون فقط وأن هناك ١٠٠ مليون عربى يحيطون بها ويريدون أن يفتكوا بها • وقد كان نجاح اسرائيل فى هذا المجال معناه فشل العرب فى اكتساب الرأى العام العالمى •

وقد وجد جمال عبد الناصر أن الرأى العام العالمى منقسم الى قسمين الأول يساند اسرائيل مساندة ايجابية بتقديم السلاح والمتطوعين وأما النصف الثانى فيتعاطف مع اسرائيل ولكنه لا يقدم لها معونات •

ولذلك بدأ الرئيس الراحل - ايمانا منه بقدرة الرأى العام العالمى فى التأثير على مجريات الحوادث فى العالم - فى القيام بعدة اجراءات عرقلت تماما جهود اسرائيل والدول الاستعمارية والامبريالية وجعلت القضايا فى العالم العربى أو فى العالم الثالث تكسب ملايين من البشر فى صفها ، ويمكن أن أذكر من هذه الوسائل ما يلى :

١ - الاصرار على حضور كل المحافل والمؤتمرات والمنظمات الدولية والقيام بجهود لعرض وجهة النظر العربية فى القضية المعروضة وشرح كل جوانبها وخاصة القضايا التى تمس العالم العربى •

٢ - الجهود التي بذلها الرئيس في سبيل وحدة القوى الثورية التي أصبحت تشكل قوة لا يستهان بها والتي سبق الحديث عنها والتي تشمل مؤتمر دول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الأفريقية وغيرها والتي أصبحت تفهم الأوضاع على حقيقتها •

٣ - العمل على نشر مبدأ عدم الانحياز مما جعل الكثير من الدول التي تتبع هذه السياسة أكثر تفهما للقضايا وأكثر رغبة في التعرف على الحقائق كاملة •

٤ - السعى الدائم من جانب الرئيس جمال عبد الناصر للقاء وزيارة رؤساء الدول وخاصة المتحررة وعقد صداقات معهم ومع شعوبهم ، وقد كان لقوة اقناعه الخارقة وقوة تأثيره العظيمة وصدقه وإخلاصه ودفاعه الدائم عن الحق كسب صداقات جديدة ومتينة تعضد القضايا العربية العادلة وتعرف على جوانبها الحقيقية •

٥ - كان لوقوف جمال عبد الناصر الحازم والحاسم بجانب القضايا التي تهز الضمير الانساني العالمي كالتمييز العنصري وغيره أثرا كبيرا في جعله شخصية عالمية مما دفع الشعوب التي تتعرف عليه الى محاولة تفهم حقائق ما يشهده من قضايا • وقد أدت هذه السياسة الى كسب تعاطف العالم وكسب الرأي العام العالمي الى جانب الكثير من القضايا العادلة وقد عبر جمال عبد الناصر عن ذلك بقوله في حديثه عن العدوان الثلاثي « ان الشعب المناضل الذي كان يواجه الطفاة الكبار وحده - لم يعد وحيدا » كما أضاف « بأن الشعب المصري بشأته الرائع وقاتله المير ضد الغزو استطاع أن يهز الضمير العالمي ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل في التطور الدولي » (*)

(*) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية ص ١٢٩

سابعاً - التصدى للأحلاف العسكرية

الحرب بين الأمة العربية وأعدائها حرب ضارية وترجع أسباب هذه الحرب الى الثروات الضخمة الظاهرة والدفينة في الوطن العربي ولموقفها الحاكم وتأثيرها الانساني ولذلك رغم تسليم العدو بالاستقلال السياسي لمعظم الدول العربية الا أنه ظل يحاور ويداور للسيطرة عليها وجعلها تابعة له - وقد كانت احدى وسائله المشهورة محاولة ربط مصر ودول العالم العربي به بواسطة أحلاف عسكرية بحجة الدفاع عن المنطقة وحمايتها أو ملء الفراغ الذي تركه الاستعمار بعد تحقيق الاستقلال أو حماية المنطقة من الخطر الشيوعي الذي يهددها .

وتبني عبد الناصر لهذه الصورة الجديدة للاستعمار ورأى أن قيام الأحلاف والقواعد العسكرية تزيد من حدة التوتر الدولي وتزيد الحرب الباردة اشتعالا كما أنها تجعل علاقة الدول العربية بالدول القوية علاقة تابع بمتبوع أو علاقة خادم بسيده يأمره ويلمعه له فيستجيب ولذلك اتخذ حيالها سياسة تتلخص فيما يلي :

١ - الرفض الكامل للانضمام اليها .

٢ - توعية الدول العربية وتسيبها الى المخاطر الناجمة عنها .

٣ - الاتجاه الى بناء قيادة عربية مشتركة لكي يكون المسئول عن الدفاع عن المنطقة هم أبناءها وحدهم .

بدأت مصر حربها في معركة الأحلاف منذ قيام الثورة وفي ذلك يقول الرئيس جمال عبد الناصر منذ قيام الثورة بدأت بريطانيا وأمريكا تتصلان بنا من أجل محالفات واتفاقات ولكننا قلنا أننا لا نستطيع التحالف إلا في حلف واحد هو حلف الدول العربية وقلت لهم هل سيكون لمصر رأى على بريطانيا ؟

هل يحقق التحالف بين دولة كبيرة وأخرى صغيرة الا التبعية لا نقبل أبدا أن نكون أذيانا أو تابعين * كان جنرال روبرتسون موجودا وطلب منا عقد محالفة مدتها خمس وعشرون سنة ولكننا رفضنا ،^(١) .

ثم ازدادت حدة هذه الحرب بعد توقيع معاهدة الجلاء في عام ١٩٥٤ حيث كان الغرب يأمل أن يجرنا الى حلف عسكري كان قد رتب لاقامته في المنطقة في ذلك الوقت وهو حلف بغداد * وحضر نوري السعيد رئيس وزراء العراق وقتذاك للقاهرة في سبتمبر ١٩٥٤ وكان الغرض من حضوره هو مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر للتفاهم معه حول الوسائل التي تكفل تقوية ميثاق الضمان الجماعي ولكن بعد الحديث مع السيد الرئيس جمال عبد الناصر استطاع أن ينزع القناع العربي الذي كان يغطي نوري السعيد به وجهه الاستعماري وأخذ يعرض فكرة حلف بغداد ويحاول اقناع الرئيس جمال عبد الناصر بالتحالف مع أمريكا وبريطانيا ويمكن أن أعرض جزءا مما دار من نقاش حتى يظهر بوضوح المؤثرات الاستعمارية والرجعية العربية في ذلك الوقت فقد قال نوري السعيد للسيد الرئيس « احنا يجب أن نعمل تحالف مع من نوجدوننا حقا نتحالف مع أمريكا وانجلترا وايران وباكستان معهم جميعا * ونوسع ميثاق الضمان الجماعي * وبهذا نضمن التسليح ونكون عمليين ... ايش فكرة القومية العربية اللي بتكلم فيها هذا الكلام الكثير ! ايش الأردن .. و ايش سورية .. و ايش العرب - هذا كلام لا أومن به ،^(٢) »

وبالطبع رفض عبد الناصر كلام هذا الخائن الكافر بالقومية العربية وأصر على ضرورة أن لا ترتبط الدول العربية في أحلاف مع الدول الاستعمارية والامبريالية .

وعاد نوري السعيد بالخيبة لبلاده وللانستعمار الذي كلفه بهذه المهمة ، وبدأ تكوين حلف بغداد في نهاية ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ بعقد مجموعة

(١) من خطاب للسيد الرئيس في ١٩٥٦/٢/٢٦

(٢) د. ابراهيم احمد المدوي ، الصراع بين الامة العربية والاستعمار الجديد ،

مرجع سابق ص ٩٤

من الاتفاقات الثنائية بين دول المنطقة ودعا البيان المشترك الذى صدر عن عقد حلف دفاعى بين تركيا والعراق فى ١/٦/١٩٥٥ الدول العربية للاشتراك فى هذا الحلف ثم أعلن قيام الحلف رسميا فى ٢٤/٢/١٩٥٥ وضم الحلف انجلترا وتركيا والعراق وباكستان وايران وانضمت أمريكا الى الحلف كعضو مراقب • وهنا بدأ جمال عبد الناصر حربه ضد هذا الحلف ، وقاد حركة كفاح ضخمة ضد دخول الدول العربية فى الأحلاف الغربية ونادى بضرورة أن ينبثق الدفاع عن المنطقة من داخل المنطقة ذاتها وبشرط ألا يدخل فى أحلاف الدفاع العربية أية دولة كبرى ونادى بعقد معاهدة للضمان المشترك بين الدول العربية • وأن الحلف ما هو الا اضافة نوع جديد من أنواع الاستعمار للمنطقة تحت اسم جديد •

وكلما ازداد دور عبد الناصر فى محاربة الحلف كلما ازداد ضغط الاستعمار السياسى والاقتصادى على الدول العربية لجبرها الى الحلف • وكان مما قام به اعلان سلوين لويد فى فبراير ١٩٥٤ توقف انجلترا عن بيع السلاح لمصر وفى عام ١٩٥٥ اشترطوا ألا تعارض الأحلاف وألا تلعب دورا فعالا فى باندونج حتى يبيعوا لنا السلاح وضغط على الدول الأخرى حتى لا يبيعنا السلاح • ولكن عبد الناصر أصر على المقاومة ودفع الدول العربية الى اتخاذ نفس السيل والصبر واتخاذ الحيلة تجاه مؤامرات الاستعمار •

ولم يستطع الحلف أن يضم اليه - رغم كل الضغوط التى مارسها - أية دولة عربية أخرى اليه • وانهار الحلف تماما بعد ثورة العراق المجيدة فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ والتى ترتب عنها انسحاب العراق من الحلف وتغير اسمه الى الحلف المركزى •

وكان جمال عبد الناصر قد بدأ دعوته الى بناء قيادة عربية مشتركة لمحاربة الاستعمار الجديد ، وقد تم توقيع اتفاقية فى هذا الصدد فى مارس ١٩٥٦ بين القاهرة ودمشق والرياض ثم توسعت فيما بعد بانضمام أعضاء جدد اليها كما سبق أن أوضحنا •

وبعد تحطيم حلف بغداد عاد الاستعمار الجديد للتأثير على استقلال الشعوب العربية مرة أخرى وربطها في عجلته وذلك باختلاق لافتات جديدة وحمل شعارات مغرية ولكن جمال عبد الناصر كان لها جميعا بالمرصاد ، فتمت بفضلته وعلى يديه هزيمة مشروع ايزنهاور ثم شل فاعلية الحلف المركزي •

ثم اختار الاستعمار قناعا جديدا للتخفى وراءه وهذا القناع له في نفوس المسلمين وهم يشكلون نسبة كبيرة من أبناء الدول العربية مكانة خاصة وهو الدين الاسلامي فأوعز الى أحد عملائه بالمنطقة بالمناداة بالحلف الاسلامي ، ولكن عبد الناصر عارضه أيضا باعتباره صورة من صور الاستعمار الذي لا يخلف الا التبعية والاستغلال للدول العربية وقد استجابت جميع الدول العربية لنداء حبيبها عبد الناصر • ومما ساعد عبد الناصر في حربه للأحلاف واستجابة الدول العربية اليه أن الاستعمار نفسه أوضح للأمة العربية أن ما قاله عبد الناصر بشأن الأحلاف وكونها نوع من الاستعمار الجديد صحيح فقد صرح ايدن في مجلس العموم البريطاني عن الحلف بقوله « ان الهدف الذي تتوخاه من الانضمام للميثاق (بغداد) هو تعزيز نفوذنا ورفع صوتنا في شئون الشرق الأوسط ، ... » ثم قال « ان الغرض من هذا الحلف هو صرف نظر العراقيين الى اتجاه آخر - أي غير الحرب مع اسرائيل - ولما كان الاسرائيليون أناسا أذكاء فانهم سيرون أن هذا الميثاق سيجعلهم في أمن ودعة ، (*)

ومن هذا يتضح أن عبد الناصر حارب الأحلاف باعتبارها نوعا خطيرا من الاستعمار الجديد وقد نجح في حربه تماما •

(*) الدراسات الاشتراكية ، مقال بعنوان التحديات التي واجهتها الثورة ، د. ابراهيم صقر ، وزارة الشؤون الاجتماعية ص ١٥٢ •

ثامنا - تأييد الثورات التحريرية في العالم

إيماننا من جمال عبد الناصر بارتباط قوة العالم الثالث بحركة التحرير العالمي فانه يرى أن تحرير أى بلد يرتبط ارتباطا وثيقا بنضال شعوب العالم الثالث . وأن هذه الدولة التى تسمى لتحرير نفسها من نير الاستعمار ستشدد عضد مجموعة العالم الثالث ، اذا تمكنت من تحقيق النصر ، كما أن جمال عبد الناصر كان انسانا لأبعد حدود الانسانية يتعاطف مع الحق فى أى مكان وزمان ولذلك كان دوره فى تأييد وتعضيد الثورات التحريرية فى العالم كبير .

وكان هذا التأييد يتفاوت بين التدخل العسكرى للدفاع عنه أو امداد الثوار بالعدة والعتاد أو التأييد المعنوى لقضية التحرير عند عرضها فى المحافل والمنظمات الدولية .

وقد كان لجمال عبد الناصر فضل كبير فى نجاح الكثير من الثورات التحريرية التى وقعت فى العالم العربى وكذا فى مساندة بعض الثورات فى أن تقف على أقدامها وذلك بحمايتها من التدخل الأجنبى والأمثلة على ذلك كثيرة إكتفى بذكر بعض منها وهى :

١ - قدمت الجمهورية العربية المتحدة مساعدات مادية وعسكرية للثوار الجزائريين منذ بدء الثورة وطوال حرب التحرير التى خاضوها والتى انتهت بالنصر والاستقلال . وقال السيد الرئيس عن ذلك « أنى أذكر اليوم أول شحنة من الأسلحة وصلت الى الجزائر قبل بدء الثورة فى سنة ١٩٥٤ - وصلت هذه الشحنة - قامت من الاسكندرية على اليخت فخر البحار واتجهت الى الجزائر والتقى رجال فخر البحار برجال الثورة الجزائرية لأول مرة » (*) .

(*) خطاب السيد الرئيس فى ١٩٦٥/١/٢٥

٢ - قام الرئيس الراحل بتأييد ثورة العراق والاعتراف بها لحظة مولدها وعلان حمايتها وصد القوى الامبريالية التي تربصت بها لحظة قيامها في عام ١٩٥٨

٣ - أرسل الرئيس الراحل القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة للوقوف الى جانب شعب اليمن الحر في ثورته على الرجعية والتخلف والتي وقعت في عام ١٩٦٢

وظل الرئيس طوال حياته الحافلة بالأمجاد يساند كل حر في العالم سواء العربي أو الأفريقي أو الآسيوي باذلا كل جهد لمحاربة الاستعمار والعمل على تحرير الشعوب •

تاسعا - ضرب الاحتكارات الاستعمارية

ان الاستعمار الجديد كما سبق تعريفه ما هو الا استمرار استغلال ثروات الشعوب في ظل استقلالها السياسي واحدى صوره هي الاحتكارات الاستعمارية • وقد اتخذ الرئيس جمال عبد الناصر عدة اجراءات لضرب هذه الاحتكارات :

١ - ضرب عبد الناصر الاحتكارات الاستعمارية في الصميم عندما أمم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تلك التي أصبحت مصدرا هاما للنقد الأجنبي والذي بلغت حصيلته ما يعادل الحصيلة التي كانت تجنيها مصر من محصولها الاقتصادي الأول - القطن - قبل ثورة عبد الناصر •

٢ - قام جمال عبد الناصر كذلك في هذا الصدد بالدعوة الى ضرورة مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية باعتبارها وسيلة من الدول الاستعمارية والامبريالية المتقدمة لتحطيم المحاولات المستميتة التي تبذلها الدول النامية في تطوير وتنمية اقتصادياتها •

٣ - قام من أجل ضرب الاحتكارات الرأسمالية برفض أى معونات مشروطة مع ترحيبه بالمعونات والقروض غير المشروطة وكذلك فهو يقبل الاستثمارات الأجنبية فى الأحوال التى تحتاج لخبرات فنية وعالمية غير متوافرة فى البلاد •

٤ - نادى بالتعاون الدولى من أجل الرخاء وأعلن استعداد بلاده لمساعدة جميع الشعوب والأمم التى ترغب فى السلام العالمى والرخاء الإنسانى •

٥ - نبه مرارا الى عدم امكان استقرار السلام فى العالم طالما وجد التفاوت الصارخ المخيف فى مستويات الشعوب المتقدمة والمتخلفة وأعلن توقعه بأن هذا التفاوت قد يؤدى الى نشوب الحرب العالمية الثالثة •

٦ - طالب الدول المتقدمة والتى قامت مدنيتهما وتقديمها على نهب ثروات الشعوب بأن تكفر عما اقترفته فى حق الدول التى كانت تستعمرها وذلك بالمساهمة الجادة فى خطط التنمية بالدول حديثة الاستقلال •

٧ - عقدت الدول النامية أول مؤتمر لها فى القاهرة فى يوليو ١٩٦٢ لبحث التطور الاقتصادى كما عقد بعد ذلك فى مارس ١٩٦٤ المؤتمر الدولى للتجارة والتنمية فى جنيف •

٨ - كان جمال عبد الناصر يدعو الى اقامة سوق عربية مشتركة كما نادى بضرورة أن تقوم اللجنة الاقتصادية لأفريقيا واللجنة الاقتصادية لمنظمة الوحدة الأفريقية باصدار قرارات تكفل تنفيذ الوحدة الاقتصادية فى أفريقيا كخطوة فى سبيل تحقيق وحدة القارة السياسية •

٩ - توحيد الصفوف العربية ازاء الأطماع الاسرائيلية الرأسمالية الاستغلالية واحكام الحصار حولها بالمقاطعة العربية باعتبارها دولة استعمارية تهدف الى استغلال الشعوب •

عاشرا — مواجهة الحرب النفسية التي يشنها الاستعمار

تعرض الدول النامية والثورات التحريرية الى حرب نفسية من جانب الدول الاستعمارية والامبريالية . وقد تكون هذه الحملات مقصودة لذاتها أو مقدمة لتدبير مرسوم ومحدد تنفيذه فيما بعد ، سواء بمعرفة الرجعية العميلة أو قوى الاستعمار ذاتها .

والخطورة في هذه الوسيلة أنها قد تجعل من القوى الوطنية المخلصة قوى معادية ولذلك اهتم عبد الناصر اهتماما كبيرا بمواجهة الحرب النفسية التي ظل الاستعمار يشنها على مصر طوال الثمانية عشر عاما الماضية بغرض هدم معنويات الشعب واضطراره الى السير في ركب الاستعمار ومصالحته . ولغير ذلك من أسباب تبعا للظروف السائدة في كل وقت . فان أهداف ووسائل الحرب النفسية التي شنها الاستعمار في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ تختلف عن تلك التي قام بها ضد الوحدة عام ١٩٥٨

وقد اتخذ جمال عبد الناصر وسائل ناجحة لمواجهة هذا الأسلوب الاستعماري ويمكن عرض أهم طرق تصديه للحرب النفسية فيما يلي :

١ - كشف كل الأقنعة التي يحاول الاستعمار أن يتوارى خلفها بوسائل الاعلام الوطني والقومي والعالمي .

٢ - انتهاز أول لقاء له مع الجماهير لشرح فيه ما روجه الاستعمار من أكاذيب ويتولى الرد عليها بمنتهى الوضوح والصراحة وقد ساعده في حربه الثقة المطلقة به وبأمانته وصدقه مع أمته العربية الكبيرة .

٣ - وضع الحقائق جميعها أمام الجماهير بطريقة تؤدي للوعى الكامل والمستمر للجماهير بظروف المشاكل أو الأمور التي تعرض للبلاد وكان هذا الوعى خير عامل على دحض شائعات وأكاذيب الاستعمار والأساليب التي اتخذها لتنفيذ أغراضه •

٤ - التوعية السياسية كحاجز يقى الأفراد من الوقوع ضحية الشائعات •

حادى عشر - استخدام الوسائل السلمية والعسكرية لمواجهة الاستعمار فى مصر

سبق أن ذكرنا أن ثورة عبد الناصر كانت ثورة على الاستعمار فى مصر فى المقام الأول فكان طبيعيا أن يكون القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين أول مبادئ الثورة الست • وقد اتخذ جمال عبد الناصر لاجبار الاستعمار البريطانى على الجلاء عن مصر - التى ظل رابضا فيها طوال ٧٤ عاما - الوسائل التالية :

١ - تأمين الثورة من الانقضاض عليها من الخلف بواسطة الرجعية وقد اتخذ جمال عبد الناصر فى هذا المجال الخطوات التالية :

(أ) بدأ فى تقليص أظافر الاستعمار وذلك بالقضاء على أعوانه فطرد الملك الطاغية فى ٢٦/٧/١٩٥٢ ثم بدأ حربه مع الاقطاع فأصدر قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ وبذلك هدم بعض معاقل الرجعية وقلاعها وبدأت الثورة فى توفير جزء من الحماية لها فى حربها مع الاستعمار •

(ب) قام بحل الأحزاب فى ١٨/١/١٩٥٣ باعتبارها قد فقدت تماما شخصيتها ومبادئها وأصبحت أداة فى يد الاستعمار لاهم لها الا التكالب على الحكم •

(ج) قام بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في ١٨/٦/١٩٥٣ وظهر الجيش والحكومة من كل عنصر يشك في ولائه للشعب وبهذه الإجراءات تم تأمين ظهر الثورة وبدأت في مواجهة الاستعمار .

٢ - بدأ الإعداد للكفاح المسلح وذلك بتكوين كتائب الفدائيين وتدريبها وكان هذا الإعداد شيئاً ضرورياً في نظر عبد الناصر حتى يتلافى الأخطار التي وقعت في الكفاح المسلح في القنال قبل الثورة وبدأت المعركة ضد المستعمرين وأعوانهم حتى وصل الأمر إلى حد إعدام الخونة من عملاء الانجليز في المنطقة مثل « كنج صبرى » وبذلك شعر الاستعمار أن بقاءه أصبح مستحيلاً في وسط شعور معاد لهذا الوجود ومصمم على إزالته .

٣ - بدأت المفاوضات بين وفد مصر برئاسة جمال عبد الناصر والبريطانيين لعقد اتفاقية الجلاء واتفق على خطوطها الرئيسية في ٢٧/٧/١٩٥٤ ووقعت رسمياً في ١٩ أكتوبر من نفس العام على أن يتم جلاء جميع البريطانيين خلال عشرين شهراً من توقيع الاتفاقية . وكان جمال خلال المفاوضات لا يساوم ولا يقبل الحلول الوسط ورفض رفضاً باتاً المناورات السياسية وكان دائماً واضحاً صريحاً وقاطعاً ولا يقبل إلا الجلاء التام والغير مشروط .

٤ - بعد جلاء آخر جندي بريطاني عن مصر في يونيو ١٩٥٦ تطورت الأحداث على الوجه المعروف فقد رفضت الدول الغربية تمويل السد العالي فأعلن جمال عبد الناصر تأميم القناة في ٢٦/٧/١٩٥٦ وذهل الغرب واحتج واتخذ إجراءات اقتصادية كثيرة ضد مصر وأخيراً كان العدوان الثلاثي في نهاية عام ١٩٥٦ وقاد عبد الناصر شعبه وجيشه في تلاحم كامل رائع لمواجهة قوى العدوان والبغي - الاستعمار والامبريالية - حتى تحقق له ولأمته النصر وتم دحر العدوان . وقد تجلت في هذه المعركة أصالة الأمة العربية وظهر التضامن العربي الشعبي على أشده إبان المعركة مما جعلها تتحول من نطاقها المحلي المحدود في مصر إلى معركة عربية كبيرة شملت البلاد العربية من شرقها إلى مغربها ، أي كانت معركة بين القومية العربية والاستعمار .

٥ - كان لانتصار مصر على العدوان الثلاثى أثرا كبيرا على دول العالم الثالث جميعها التى استقلت أو التى مازالت تناضل من أجل استقلالها حيث أعطى هذا النصر لهذه الشعوب أملا فى انتصارها على الرجل الأبيض فى كل مكان ، وما أشبه اليوم بالبارحة حيث أثبت الشعب اليابانى خرافة قوة الرجل الأبيض التى لا تقهر عندما اجتاحت فى الحرب العالمية الثانية جنوب شرق آسيا محطما قوى فرنسا وغيرها من الدول الغربية التى كانت تستعمر تلك المناطق فى ذلك الوقت •

٦ - كان للعدوان نتائج عكسية غير ما توقعه المعتدون أنفسهم وقد وصف أحد الكتاب الأجانب مواجهة عبد الناصر لعدوان ١٩٥٦ وآثاره بقوله « كان الهجوم الانجليزى الفرنسى على مصر أعظم ضربة أصابت وكر الغرب فى الشرق الأوسط وهكذا أصبح الرئيس جمال عبد الناصر بطل السلام وقائد الشعوب المتطلعة الى الحرية الساعية الى تحرير نفسها من الغرب وما لبث العالم العربى أن أتجه بجوارحه اليه وبلغت مكاتته الشخصية الذروة وسرى الرعب فى أوصال حكام العراق اذ أدركوا أنه ليس فى استطاعتهم أن يستمروا طويلا فى السيطرة على البلاد ، (١٠) •

٧ - أوعز الاستعمار الى ربيته وصنيعته اسرائيل أن تهاجم الجمهورية العربية المتحدة فى يونيو ١٩٦٧ وحقت نصرا سريعا ساعد عليه الاستعمار والامبريالية وظل جمال يجاهد فى تدعيم الجيش وتسليحه واعداد الشعب لمعركة التحرير وتقديم كل عون مادى وأدبى للثورة الفلسطينية ، وقد ظل يعمل عملا متواصلا فى حربه للاستعمار الاسرائيلى ويجاهد لتحرير أرض الوطن حتى سقط شهيدا فى الميدان •

(١٠) الأهرام ١١/٨/١٩٦٦ ص ٢

الفصل الرابع

دعائم نجاح عبد الناصر في محاربته للاستعمار القديم والحديث

- انك تستحق لقب القائد العظيم
- اذا صفقت قواك بطريقة فنية
- اذا ركزتها بطريقة صحيحة
- اذا دفعتها للقتال في الوقت المناسب
- اذا أدبرتها بحكمة
- اذا كافأها بحق
- اذا حرصتها بعناية
- اذا وزنت الأمور بدقة

الحكيم الصيني ساما

حقق جمال عبد الناصر منذ قيام الثورة حتى اليوم من جلائل الأعمال ما جعله جديرا بأن يحتل من أمتة مكان الصدارة * وقد دخل عبد الناصر التاريخ حقا من أبواب فسيحة كثيرة ، كان كل باب منها يفتح على مصراعيه لاستقبال ذلك الرجل الذي قدم حياته كلها لخدمة أمتة العربية واحتسابا لخدمة المستضعفين من البشر في كل مكان من هذا العالم الفسيح *

وقد حمل عبد الناصر خلال فترة عمله أعباء ثقلا وخاض معارك عنيفة كان لا يقدر على حملها أو خوضها غيره وقد قال عن ذلك الرئيس أنور السادات « لقد كنا نحمل بالفعل عبئا ثقيلا في معركة أبسط ما يقال فيها أنها معركة مصير وكان ما يحمله جمال عبد الناصر فوق ما يطيق البشر ولكنه كان رجلا اتسعت همته لآمال أمتة وكان حرصه على الإوفاء أكثر من حرصه على البقاء» (*)

(*) من خطاب السيد الرئيس أنور السادات في ختام المؤتمر القومي العام الدورة الخامسة ١٩٧٠/١١/١٤

ورغم كثرة عدد المعارك التي خاضها فقد حقق النجاح والنصر في معظمها واستطاع في القلة القليلة منها أن يحول هزيمة الأمة ونكستها الى نصر مؤزر أو قوة دافعة هائلة تتضمن هذا النصر الحاسم .

ولو استعرضنا الوقت الذي خصصه جمال عبد الناصر لقضايا مصر والأمة العربية والعالم لوجدنا أن قضية الاستعمار ومحاربه قد شغلت معظم وقته لأن محاربة الاستعمار ارتبطت أساسا بمعظم قضايا التغير الاجتماعي بالدولة . فمثلا نلاحظ أن حرب الاستعمار النفسية ومخططاته مع الرجعية الداخلية في الوطن العربي تلازمت زمنا مع كل نصر أحرزه عبد الناصر في طريق تحقيق تقدم الدولة أو الأمة العربية أو بناء قوتها الذاتية . وهذا التلازم الزمني لا يعنى وقوعه مع بداية أى نصر ولكنه كان يبدأ عادة قبله أى مع بزوغ الأمل في تحقيق النصر . فالحرب النفسية ضد الوحدة بدأت قبل الوحدة واستمرت معها الى أن تم الانفصال . كما أن تأميم قناة السويس قادنا لمواجهة سافرة مع العدوان الاستعماري العسكري ، وكسر احتكار السلاح جعل الاستعمار يدفع اسرائيل للاعتداء على حدودنا ، ونجاحنا في بناء السد العالي قادنا الى حرب ضروس مع الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن اشتراكنا في مؤتمرات عدم الانحياز كان يؤلب علينا القوى الاستعمارية . فمثلا كما سبق أن ذكرت في فصل سابق أن الاستعمار اشترط كى يبيع لنا السلاح ألا نقوم بدور مؤثر في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ كذلك اشترطت فرنسا أن نتوقف عن مساعدة وتأييد ثورة التحرير الجزائرية كشرط أساسى لبيعها السلاح لنا .

من هذا العرض يظهر أن معارك عبد الناصر مع الاستعمار كانت كثيرة ومتواصلة وقد حقق في معظمها النجاح . وهنا يجب أن نتساءل كيف نجح عبد الناصر في حربه للاستعمار؟ أو ما هى الدعائم التي أدت لنجاح عبد الناصر في حربه مع الاستعمار؟

يختلف الكتاب والمحللون الذين تعرضوا لهذه القضية في تقسيم هذه الدعائم أو الخصائص التي مكنت عبد الناصر من النصر المتواصل في حربه ،

ولكنهم متفقون جميعا فى قضية أهم وأكبر هى أن عبد الناصر كان شخصية تاريخية فذة وابن مخلص لأمة عظيمة حمل منها أخص خصائصها وأخلص ميزاتها وأدق صفاتها وأعرق أسرارها • وما أجمل وصف محمود ربيع لميلاد الأمة العربية لعبد الناصر حيث قال « عملية ميلاد الأمة لمثل هذه الشخصية الفذة - أى عبد الناصر - أشبه ما تكون بالأرض حينما تضغط بآلاف الأجيال على بعض الفحم المطمور فى أعراقها ليتحول فيكون منه الماس الكريم المتألىء » ^(١) وهذه الخصائص هى التى مكنته من ارتياد مجالات لم يرتدها أحد من قبله وجعلته يضع مبادئ لم يسبق لغيره أن قررها •

فقد اعترف الجميع - أعدائه قبل أصدقائه - بزعامته وقيادته الحكيمة ودوره العظيم فى صنع التاريخ • وما أجمل وأصدق قول محمود فوزى رئيس الوزراء « أن جمال عبد الناصر لم يكن مجرد سائر فى ركب التاريخ ولكنه كان صانع تاريخ ولم يكن قائد أمة بل كان منقذ أمة أو أمم فى هذه المنطقة من العالم » ^(٢) •

ولذلك فأرى أنه كان يجمع بين صفات القائد الناجح والاداري الكفء والرئيس العسكرى العظيم ويتمتع بكل مميزات الشخصية الناضجة • وسأحاول فيما يلى أن أحدد بعض ملامح شخصيته والدعائم التى ساعدته فى تحقيق النجاح فى حربه للاستعمار خاصة •

أولا - وطنيته وثوريته

عرف عن الزعيم الراحل وتجسد فيه كل ما هو بطولى وعظيم ، وكان دائما كما أثبتت كافة الظروف - على استعداد تام لبذل الروح فى سبيل الدفاع

(١) محمود ربيع ، شخصية عبد الناصر أضواء جديدة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٦ ص ٩ •

(٢) من حديث للسيد محمود فوزى رئيس الوزراء ، الاهرام فى ١١/١/١٩٧٠ ص ٣ •

عن وطنه ضد محاولات المرتدين فى الداخل أو الاستعمار فى الخارج وذلك نتيجة ايمانه العميق بوطنه وبلده • وقد عبر السيد أنوار السادات عن ذلك بقوله « عمك جمال يابنى يمتاز بالأقدام والأيمان بمصر واستقلالها وكرامتها ايماننا صلبا عنيدا » ^(١) •

وقد كان هذا الايمان بالوطن نتيجة لعوامل عديدة أثرت عليه منذ مولده فقد ولد عبد الناصر فى الخامس عشر من شهر أبريل عام ١٩١٨ فى فترة من أخطر فترات المواجهة مع الاستعمار فقد عقدت اتفاقية سيكس بيكو لتزيق الوطن العربى ، وصدر وعد بلفور الذى سدد خنجرا خطيرا لقلب الوطن العربى كما قامت ثورة ١٩١٩

وترعرع جمال عبد الناصر وهو يسمع منذ مولده كلمة الحرية كهتاف للجميع والاستقلال كأمل يراود أحلام الكل •

كما تأثر عبد الناصر بكفاح عمه خليل حسين خليل ضد القوى الاستعمارية وقد كان يحلو له كثيرا وهو ما زال طالبا بالمرحلة الابتدائية أن يسمع الحوادث التى يرويها عمه عن محاربة الاستعمار ومعاملة البوليس السرى البريطانى له ، وقد كان للسنة التى قضاها جمال مع عمه فى القاهرة أثرا كبيرا على جعله ثوريا ، اذ أمدته بدروس وتجارب كثيرة فى هذا المجال ^(٢) •

ثم شارك جمال عبد الناصر بعد ذلك فى الكثير من المظاهرات التى قامت تطالب بالاستقلال والتحرر وهو مازال طالبا بنهاية المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية •

وقد كان فى فترة شبابه شابا مثاليا غير ما هو معروف ومألوف فيمن هم فى مثل عمره ، فقد كان يفكر دائما فى وطنه والقضية الوطنية والاستعمار

(١) أنوار السادات ، يا ولدى هذا عمك جمال ، مرجع سابق •

(٢) روبرت سان جون «المريس» ترجمة مصلحة الاستعلامات ، طبعة ثانية ص ٤٨٣ •

والتحريير ووسائله وظهر هذا فى الكثير من الخطابات التى أرسلها لأصدقائه فى تلك الفترة ومنها « ان حكم مصر قائم على الفساد والمحسوبية ، الدستور معلق والحماية ستعلن • من سيقول للاستعمار قف مكانك ••• أين ذلك الذى يستطيع أن يعيد بناء بلده • أين العزة ؟ أين الوطنية ؟ ••••• لقد قلنا مرارا أننا سنعمل معا لايقاظ الشعب من غفوته وبعث القوة الكامنة فى نفوس أبنائه ••••• » (١)

وقد دخل الرئيس الراحل السجن لأول مرة فى الاسكندرية عام ١٩٢٣ بسبب اشتراكه فى المظاهرات ضد الاستعمار ومنها عرف أن فى مصر حزب وطنى يحارب الاستعمار وهو الذى نظم المظاهرة التى قبض عليه فيها • فقرر أن ينضم الى هذا الحزب وهو حزب مصر الفتاة ^(٢) وبذل فى سبيل هذا الحزب الكثير من التضحيات وكان دائما على استعداد للقيام بكل عمل يكلف به من جانب الحزب وقد كان مسئولاً عن تنظيم المظاهرات بمدرسة النهضة الثانوية التى التحق بها وكذلك كان مندوبا للجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية • وفى عام ١٩٣٥ وكان وقتذاك قد ترك حزب مصر الفتاة لأسباب تتعلق بمبادئه وانضم لحزب الوفد وقد نظم مظاهرة خرجت عقب اجتماع للحزب بشارع الفلكى بعابدين تهتف بسقوط الاستعمار وعملائه وتطالب بعودة الدستور وقد أصيب فى هذه المظاهرة بجرح غائر فى جبهته ظل أثره ظاهرا طوال الوقت ^(٣) • وتعطلت الدراسة فى جميع المدارس حتى ١٠ ديسمبر ١٩٣٥ على أثر هذه المظاهرة وفى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ وافقت إنجلترا على عودة الدستور والموافقة على اجراء المفاوضات بين المصريين والبريطانيين ، وانتصر الشباب ولكن جمال عبد الناصر أعلن وقتذاك بصفته رئيسا للجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية استمرار الكفاح حتى يتحقق لمصر الاستقلال •

(١) العميد أمين سامى الغمراوى ، العهد ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٧ وما بعدها .

(٢) روبرت سان جون « الرئيس » مرجع سابق، ص ٥١

(٣) روبرت سان جون « الرئيس » مرجع سابق ص ٦٩

والتحق بعد ذلك بالكلية الحربية فى مارس ١٩٣٧ وتخرج منها فى يوليو ١٩٣٨ وفى منقباد تم لقاءه مع أنور السادات * ورغم أن داخله كان يميل بالثورة على الاستعمار إلا أنه فى أول عهده بالخدمة كان يستمع أكثر مما يتكلم . أخذ جمال يستمع بهدوء وروية الى أنور السادات وهو يحدثه وزملائه الضباط وهم جلوس حول نار المعسكر بمنقباد عما يقترفه الاستعمار وعن ضرورة خوض حرب ضروس لاجلائه عن البلاد ، يومها توطدت علاقة الضابط جمال عبد الناصر بزميله أنور السادات ووقتها تحول جمال فى حربه للاستعمار من أسلوب العمل المدنى «المظاهرات» الى أسلوب آخر وهو التنظيم والاعداد (*)

وفى خلال تلك الفترة كان قد كفر تماما بالأحزاب السياسية جميعها بعد أن رأى أن زعمائها محترفون للسياسة ، يساومون على الكفاح المسلح لاكتساب الشهرة فقط على حساب حرية الوطن وكرامته وآمال مواطنيه *

وأخذ جمال يختار من زملائه الضباط العناصر المخلصة الصادقة التى ارتبطت منذ نعومة أظفارها بالنضال الوطنى وينظمها ويشحنها دائما بكرهية الاستعمار وقد كانت سياسته قبل الثورة ونشاط الضباط الأحرار بجانب التنظيم للثورة بث كراهية الاستعمار فى نفوس المصريين والتديد دائما بما يرتكبونه من مبادئ ومساخر حتى كان من بين تعليماته لكل عضو جديد فى تنظيم الضباط الأحرار إثارة المشاعر ضد البريطانيين بكل طريقة ممكنة وفضح كل مذلة ينزلها الانجليز بالمصريين وتضخيم كل خطأ يرتكبونه ولا بد من تذكير رجال الجيش والمدنيين باستمرار بما حدث يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢

وقد تعدت وطنيته مصر وشملت الوطن العربى الكبير وأفريقيا التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار * وقد قال فى هذا الصدد فى كتاب فلسفة الثورة « وأذكر أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية اذ خرجت مع زملائى فى اضراب عام فى ٢ ديسمبر من

* روبرت سان جون « الرئيس » مرجع سابق ص ١٠١

كل سنة احتجاجاً على وعد بلفور . . . ، كما أشارت بعض منشورات الضباط
الأحرار الى أفريقيا وتحريرها (١) .

والأمثلة على وطنيته وعبقريته وعالميته تذخر بها أعماله بعد الثورة ،
ويكفى أن نقول أن جمال استشهد من أجل قضايا العروبة ، وجاد بأخر أنفاسه
وهو يناضل من أجل فلسطين ومن أجل حقن الدماء العربية .

ثانياً - كفايته الثقافية

يصف مارشال فايول « القائد القدير » بأنه ذلك الذي يجمع الى متانة
الخلق ، وسلامة الذوق ، كثيراً من التحصيل (٢) وقد كان الرئيس الراحل
ذو ثقافة واسعة ومعرفة عامة اكتسبها من كثرة اطلاعه . وقد أوضح Rocert
John في كتابه The Boss اهتمام السيد الرئيس الراحل طوال
حياته بالقراءة حيث قال في ذلك « كان اهتمامه بالقراءة شديد لدرجة أنه
غالباً ما كان يقرأ بعد اطفاء النور - في الكلية الحربية - على ضوء بطارية » كما
علل حبه للاطلاع بأنه شيء مورث عن والدته (٣) .

وقد قرر كل الكتاب أن معظم اهتماماته - أي جمال عبد الناصر - في
هذا المجال كانت منصبية على كتب التاريخ وسير العظماء والقادة والمشاهير سواء
في مصر أو في العالم . وقد قرأ الكثير من الأدب العربي والأجنبي وخاصة
القصص التي تتناول النواحي الوطنية مثل قصة عودة الروح لتوفيق الحكيم .

وقد ألهمت خيال عبد الناصر ثورات عرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول
وغاندي وسير هانيبال والاسكندر الأكبر ، ونابليون ، وروسو وغيرهم . وقد

(١) دكتور راشد البراوي ، حقيقة الانقلاب الأخير في مصر ، دار النهضة ، ١٩٥٢ .

(٢) السيد فرج ، أصول القيادة ومشاهير القادة ، كتاب الجمهورية ، عدد ٢٠
دار الجمهورية للصحافة ص ١٠ .

(٣) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ٧٦ ، ٣٤ .

قال روبرت جون أن مصطفى كامل كان البطل المثالي في نظر الرئيس جمال عبد الناصر حتى أنه أسف لأنه لم يكن معاصرا له حتى يؤمن بمبادئه التي نادى بها .

وقد أثرت الدراسات التاريخية في أعمال عبد الناصر أثرا كبيرا فقد كان لدراسته وتحليله لثورة ١٩١٩ أثرا في جعله يتفادى جميع الأخطاء التي أدت الى فشلها ، وكان من أثر ذلك اهتمامه بالثورة الاجتماعية وبالقومية العربية وغير ذلك من أهداف ، كما عرف من خلال تاريخ الأمة العربية أن الوحدة عامل هام وأساسي لخلق أمة عظيمة وأن العرب لم يكونوا عظماء وأقوياء عبر التاريخ الا بعد تحقيق وحدتهم تحت علم واحد ، كما استطاع من خلال دراسته لسير العظماء كعبد الله النديم وجمال الدين الأفغانى ومصطفى كامل وغيرهم معرفة بعض الأهداف التي يطالب بها الشعب والطريق لتحقيقها فقد عرف من عبد الله النديم أن فقراء المصريين يجب أن يكونوا دعامة كل ثورة ، ومن هنا ربما يكون قد جاء مبدأ القضاء على الاقطاع ، وعرف من جمال الدين الأفغانى أن الوحدة سبيل القوة .

كما نتج عن معرفته لدور وطنه في التاريخ القديم والحديث شعوره بالفخر والاعتزاز بكونه مصرية واصراراه على تحرير وطنه من الاستعمار الأجنبي .

ثالثا - انتماءه الطبقي

مما ساعد عبد الناصر على كراهية الاستعمار كونه من أبناء الطبقة التي لم تخدم الاستعمار وبالتالي لم يصدق عليها عطاياها حتى يجعلها بذلك أسيرة له ، ترتبط مصالحها به وبوجوده ، ولذلك ظل منذ مولده مصرية صميما مخلصا لوطنه بفكره ووجدانه .

ويرجع التمييز الذي خلقه الاستعمار بين أبناء الخونة المصريين الذين يعملون في خدمته ويتمسحون بأعبائه وبين الوطنيين من الشعب الكادح أمثال أسرة عبد الناصر الى جعله يشعر بالكراهية الشديدة للاستعمار والمستعمرين .

وكان يفخر دائما بانتسابه لهذه الفئة التي طال ظلمها أيام الاستعمار واستردت حقوقها عقب الثورة ومعركة التحرير فقد قال في أول لقاء له بالفلاحين بعد الثورة « أنا جمال عبد الناصر أفخر بأن عائلتي لا تزال في بنى مر ، مثلكم تعمل وتزرع وتقلع من أجل عزة هذا الوطن وحرية واذا قلت انى أشعر بشعوركم فلأن قلبى من قلبكم ودمى من دمكم واحساسى من احساسكم » .

ولكل هذا قامت فلسفة عبد الناصر على دعامتين : تحقيق الحرية السياسية ، والحرية الاجتماعية جنباً الى جنب والأخيرة تعنى تحرير العمال والفلاحين من البؤس والفاقة والاذلال أى تحريرهم من الاستعباد والاستغلال والسخرة وكان دائما يربط بين ذلك وبين الاستعمار ، اذ أن اقامة جبهة وطنية قوية عزيزة بالداخل تساعد على صد أى محاولات للاستعمار أو الرجعية .

وقد ظل انتماءؤه الطبقي سليماً حتى آخر يوم فى حياته وقد قال فى مناسبة ما « الشئ الذى لم آكله قبل الثورة أستطيع ويستطيع كل المصريين أن يستغنوا عنه » وقال أيضاً عندما طلب منه أن يخرج وألا يقفل على نفسه باب بيته « الى أين أذهب ؟ ومن أجالس ؟ ان الذين سأراهم بحكم أوضاع السلطة ليسوا بالضبط هم الطبقة التى أنتمى اليها » (*) .

رابعاً - شجاعته

كان الرئيس الراحل شجاعاً الى أبعد حدود الشجاعة وقد ظهرت هذه الصفة الحميدة فى كل مراحل حياته وكانت كل مواقفه من مولده حتى استشهاده دفاعاً عن كرامة أمته أو كرامة غيره أو كرامته . وكان رحمه الله شديد الاعتداد بنفسه وبأتمته مدافعاً عن المبادئ مجاهداً فى سبيلها بكل ما يملك ، بالدم وبالروح . كما يتمتع بالفضائل التى تقتضيها الشجاعة كالصدق والصراحة والعدل .

(*) محمد حسنين هيكل ، مقال بصراحة ، العدد ١١/١٣/١٩٧٠ ص ٣

وقد كان الرئيس الراحل يقابل الأخطار الشديدة والأزمات الطاحنة بشجاعة غريبة وكان ذلك من أهم أسباب انتصاره فى كل معاركه على الاستعمار .
اذ أن ذلك كان يشيع الثقة فى نفوس الشعب ويهون الأمر أمامهم ، كما أن القائد الشجاع يستطيع نقل روحه لجنوده . والتاريخ يروى مثلا صادقا عن ذلك فعندما ولى عقبة بن نافع قيادة الجيوش العربية لغزو أفريقيا وكان قائدا شجاعا قال التاريخ « ان هؤلاء العشرة آلاف مقاتل الذين نعموا بقيادته أحسوا روحا تغمرهم وتشحذ عزائمهم تحت لوائه حتى كان الواحد منهم بألف (١) » .

وسنعرض فيما يلى بعض النماذج التى توضح شجاعته منذ طفولته حتى آخر أيام حياته دفاعا عن حق أو مبدأ أو كرامة .

— سمع وهو فى مدرسة النهضة الثانوية أن تلميذا ضخما الجثة كبير السن اعتدى بالضرب على تلميذ صغير دون وجه حق فقام فى اليوم التالى أثناء وقوف المدرسة فى طابور الصباح بالخروج من الطابور أمام جميع المدرسين والتلاميذ حتى وصل لمكان الطالب الذى اعتدى على زميله الصغير وصفعه على وجهه وعاد الى مكانه وسط سكون كامل واحساس بالاحترام من الجميع وتقديس لشجاعته وفرح به من زملائه الطلبة (٢) .

— فى أحد الأيام بينما كان مدرس الجغرافيا يحاضر التلاميذ عن أهمية المناخ فى طابع الشعب قال المدرس « ان أولئك الذين يعيشون فى جو معتدل مثلا يتميزون بضبط النفس ولهذا السبب فهم مؤهلون لحكم شعب آخر وانجلترا مثال طيب لذلك » فنهض التلميذ جمال عبد الناصر وقال أنا لا أتفق معك يا أستاذ . انك تسميها — أى الاختلال — فضيلة ، وأنا أسميها رذيلة دامية (٣) .

(١) السيد فرج ، أصول القيادة ومشاهير القادة ، مرجع سابق ص ٢٤

(٢) عبد الرؤوف جبريل ، مدير مكتب شكاوى رئاسة الجمهورية ، اهرام ١٨/١١/١٩٧٠

(٣) روبرت جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ٦٤

— كان لحادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ الذى قُدم فيه السفير البريطانى
الذارا الى الملك مضمونه تعيين النحاس باشا الزعيم السياسى لحزب
الوفد المصرى رئيسا للوزارة فى خلال ٢٤ ساعة أو مغادرة البلاد —
أثرا سيئا للغاية على جمال عبد الناصر والضباط الأحرار فقد شعروا
فى هذا الوقت بأن كرامتهم وكرامة الوطن كله قد أهدرت وأن
موقف الجيش المصرى أمام العالم موقف مهين وضعيف • وكانت
هذه الطعنة لكرامة الوطن هى التى دفعت عبد الناصر الى البدء
فى التخطيط والتنظيم للثورة وكان مثل هذا العمل فى هذا الوقت
يتطلب شجاعة منقطعة النظير •

— روى روبرت سان جون فى كتابه الرئيس فى صفحتى ١٥٨ ، ١٥٩
ما يلى « فى ٢٨/١٢/١٩٤٨ قام الاسرائيليون بهجوم شامل على عراق
المنشية وفى وقت قصير استولوا على نصف القرية ولما حدث ذلك
اتصل ناصر بـ زكريا محيى الدين فى القالوجا لاسلكيا وسأله هل
مرمى مدفعيته يصل الى عراق المنشية بأسرها فرد عليه أجل يا جمال •
فشرح له الموقف والمنطقة التى احتلها الاسرائيليون وسأله زكريا
ماذا تريد منا أن نفعله فأجابه بقوله حاول أن تحاصر الموقع الذى
يحتله الاسرائيليون فى قريتنا بنيران المدفعية وبهذه الطريقة فأننا
سنخلق مصيدة يهودية داخل مصيدة مصرية ومن ثم فأننا نستطيع
أن نزلهم عن أى عون خارجى • فاعترض زكريا محيى الدين
قائلا ان اتباع ذلك يعد عملا متهورا فالقنابل المصرية قد تسقط على
المواقع المصرية وقد تقتلك وتقتل الكثير من رجالك فرد عليه ناصر
انها الفرصة • علينا أن ننتهزها يا زكريا ونجحت الخطة وقتل عدد
من الاسرائيليين أو أخذوا أسرى • •

من هذه القصة تتضح مدى شجاعة عبد الناصر العسكرية ومدى
بذله لروحه فى سبيل تحقيق هدفه العادل •

— وصلت بعثة منزيس الى مصر بعد تأميم قناة السويس بدعوى التفاوض مع مصر ولكن كان الغرض الحقيقي من حضور منزيس هو تهديد عبد الناصر . » حاول منزيس منطق الانذار والتخويف مع عبد الناصر ولكن عبد الناصر رفض هذا المنطق وتراجع منزيس ولم يجد فى مساء يوم وصوله الى مصر غير أن يسلى عبد الناصر ، جلس الى جانبه فى العشاء الرسمى الذى أقيم احتفاء بالبعثة فى قصر محمد على بالمنيل وقال له « هل تعرف أننى أستطيع أن أقلد أصوات الآخرين ولهجاتهم بامتياز . » وقال عبد الناصر دعنى أسمعك قبل أن أحكم واذا منزيس جالس فى الليل بجوار عبد الناصر الذى جاء فى الصباح لارهابه وتخويفه يقلد له تشرشل وبرنارد شو وسمطس بالصوت واللهجة وجمال عبد الناصر يضحك والوقت يمر (١) ، .

واختتم هذه الأمثلة من تلك المجموعة اللانهائية من قصص شجاعة عبد الناصر وصراحته وصبره وجلده ودفاعه عن كرامة وطنه ومبادئه ومثلثه العليا ومواطنيه ، تلك التى وصلت به فى وقت من الأوقات أن يثور لكرامة ملك مصر الذى يمثل فى الحقيقة استعمارا تركيا بكل ما فيه من استغلال وغلطسة وغرور — بقصة لا بد من سردها حيث انها تمثل قمة الشجاعة التى كان يتصف بها دائما وأبدا هذا البطل فقد ظهر جمال عبد الناصر مساء يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ فى خطاب التنحى المشهور وقال أمام الملايين من الخليج الى المحيط « اننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها » والغريب أن العبارة فى النص الأصلي لحديث جمال عبد الناصر الذى أعد ليلقيه كانت تقول « اننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية » ولكن جمال عبد الناصر شطب هذه الجملة وأضاف بدلها بخط يده « اننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها » هكذا كانت شجاعة القائد الذى أزهب الاستعمار فى مصر والعالم العربى وفى كل مكان .

(١) محمد حسين هيكى ، خبايا السويس ، دار العصر الحديث ، ص ١٣١ ، ١٣٧

خامسا - ارتباطه الوثيق بالشعب

ارتبط جمال عبد الناصر بالشعب أى بقواه العاملة منذ مولده برباط متين وصادق حتى أنه قضى جزءا كبيرا من حياته وسط الجماهير يتحدث اليها أو يسمع منها •

واعتبره الشعب زعيمه وقائده والتف حوله فى كل معاركه يؤيده ويعضده على طول الخط ويكفى شاهدا على ذلك أن الشعب حتى عندما طحنته النكسة وأعلن الزعيم الراحل تنحيه هب فجأة وبطريقة عفوية يطالب الزعيم بالبقاء • وقد فسر محمد حسنين هيكل (١) « هذه الصلة التى تربط بين الشعب وقائده بأنها ترجع الى أن الجماهير ترى أملها متجسدا فيه كما أن القائد جمال عبد الناصر يرى قوته متجسدة فيها » •

وأرى زيادة فى الايضاح أن الجماهير رأت أملها فى عبد الناصر لأنه حقق لها دائما كل ما ترجوه قبل أن تطالب به ، كان معبرا فى كل قراراته عن آمال هذا الشعب مخففا بها عن آلامه وهذا زاد من احساس الجماهير بأن جمال عبد الناصر هو الشعب وبأن الشعب هو جمال •

كما كان جمال دائما يتصل بجماهير الأمة العربية اتصالا مباشرا يصارحها فيه بكل كبيرة وصغيرة وكان دائما يمجّد الشعب ويقوى روحه المعنوية ويذكره بأمجاد ماضيه وبقدّراته على فعل المستحيل ويشعره بأنه هو الذى حقق كل انتصارات الثورة وكان دائما فى الميثاق وبيان ٣٠ مارس يصفه بالشعب المعلم والشعب القائد والشعب العظيم •

كما أن ثقة الشعب به ترجع الى نجاحه فى التحديات الكثيرة التى خاضتها الأمة العربية وكان لنجاحه فى تحديها وانتصاره أثرا هائلا فى نفوس الجماهير مما جعلها تقدسه وتنظر اليه كبطل تاريخى • ١

(١) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، أهرام ١٣/١١/١٩٧٠

ومن كل ذلك استطاع عبد الناصر أن يعبئ الجماهير ثوريا وقتما يشاء وأن يجعلها تقف مع الحق الذي يريده لاحتساس الجماهير بأن عبد الناصر ما هو الا الشعب ولذلك فقضيته قضية المواطنين جميعا ونضال الشعب نضاله وقدر الأمة قدره وقد مكنه هذا الاتصال كذلك على الهام الثقة للشعب . ولذلك فكان الشعب جريئا في مواجهة المصاعب ، قويا في تحديها ، لا يستسلم بل يقاوم ويقاوم ، وما ذلك الا نتيجة الثقة التي وهبها اليه الزعيم وبثها فيه .

ولم يكن تأثيره قاصرا على أفراد الشعب بمصر أو بالدول العربية الأخرى بل امتد تأثيره على حكام وملوك هذه المنطقة وقص محمد حسين هيكل قصة تدل على اعتراف الملك فيصل بقدرة الرئيس على ما لا يقدر أحد عليه « رأى هيكل الملك حسين وياسر عرفات ومعمار القذافي يطلقون مسدساتهم في وسطهم فوجه حديثه للملك فيصل - ألا تريد جلالتك أن تقوم بعملية نزع سلاح في هذه القاعة - فقال الملك فيصل لا أعرف في الحقيقة ... هل جئنا هنا لنتفاهم أو لنتقاتل ثم استطرد الملك ولكنى لا أستطيع أن أنزع سلاح أحد . ربما يستطيع فخامة الرئيس هو وحده الذي يستطيع وأشار الملك الى باب القاعة وكان الرئيس عبد الناصر يدخل في تلك اللحظة ويتجه نحونا وقال له الملك فيصل فخامة الرئيس لا أريد أن أجلس في وسط كل هذه المسدسات وقال الرئيس ضاحكا من قلبه لا عليك سوف أجلس أنا وسط هذه المسدسات وتفضل أنت فاجلس مكاني (*) » .

سادسا - حركته السريعة تجاه أهداف محددة

ظهرت حركته السريعة ومبادئه بوضوح في حربه للاستعمار فعندما أعلن سلوين لويد في فبراير ١٩٥٤ توقف انجلترا عن بيع السلاح لمصر ما لم تقبل شروطها ومنها عدم معارضة الأحلاف وعدم القيام بدور فعال في مؤتمر باندونج .

(*) محمد حسين هيكل ، بصراحة ، الأهرام ١٦/١٠/١٩٧٠

اتجه عبد الناصر بسرعة الى فرنسا فرفضت أيضا بيع السلاح لنا
الا بشرط التوقف عن مساعدة الثورة الجزائرية •

ونظرا لأن هذه الشروط تخالف المبادئ التي اعتنقها الرئيس الراحل
وكان يدافع عنها دائما فقد تحرك سريعا الى الكتلة الشرقية واشترى منها كل
ما تحتاجه مصر من سلاح وبذلك رد على الاستعمار الصفعة صفتين •

كما يتضح ذلك أيضا من الرد على رفض الولايات المتحدة تمويل
السد العالي بتأميم قناة السويس •

وهذه الملامح تدل على حركته السريعة وتحديده الواضح لأهدافه
والإصرار على الوصول إليها •

سابعاً - قدرته على السيطرة وتنسيق الجهود

كان لشخصية الرئيس ومظهره وثقافته قوة غريبة تكفل له السيطرة
على المواقف وتنسيق الجهود وتنظيمها للسير بها نحو الهدف المنشود • وهذه
الخاصية يتميز بها منذ نشأته وقد ضرب جورج فوشيه في كتابه جمال عبد الناصر
ورفاقه مثلاً لها فقال « في صباح يوم ١٢ نوفمبر ١٩٣٥ احتشد الطلبة
في ميدان الاسماعيلية وتسلق عبد العزيز الشوربجي أحد أعمدة النور وبدأ
يخطب في رفاقه الطلاب فهاجم البوليس المصري الطلبة وأخذ يضربهم
بالهراوات ووقف جمال يطالب اخوانه بالصمود وهو يهتف بأعلا صوته
تحيا مصر وانطلق الطلبة يرددون هتافه فاذا برجال الشرطة يتأثرون بحماسة
الطلبة الزائدة ويمتنعون عن ضربهم بالعصى ثم ما لبثوا أن انضموا اليهم مرددين
خلف جمال عبد الناصر تحيا مصر » •

وهذا المثال يوضح مدى قدرته على لم الشمل المبشر واعادة التنظيم بعد
انتشار الاضطراب والفوضى •

ثامنا - قدرته على التقريب بين وجهات النظر

كان الزعيم الراحل يتمتع بالقدرة على التقريب بين وجهات النظر المختلفة منذ نشأته ويشهد الجميع منذ قيام الثورة أنه كان مصدرا للاعجاب والالهام وهو يدير المؤتمرات الدولية أو المحلية على الرغم من تعدد اتجاهاتها وصعوبة التوفيق بين وجهات النظر المتناقضة تماما . وكان يستطيع أن ينفذ من خلال هذا التناقض الى جوهر الموضوع والى الأهداف التى عقد من أجلها المؤتمر . وقد تجلت هذه القدرات فى مؤتمر الملوك والرؤساء الأخير الذى عقد لحقن الدماء العربية فى الأردن وكان حديثه ساحرا يشد محدثه اليه ويجذبه تماما ، وقد وصف فرنسوا بيو سفير فرنسا ذلك بقوله « ان الرئيس عبد الناصر كان فضلا عن قوة شخصيته كرجل دولة يسحر محدثه بشخصيته وهو أمر اعترف بأننى شعرت به الى أقصى درجة وأستطيع أن أشهد أن كل واحد من أبناء وطنى تشرف بلفساته منذ جئت للقاهرة كان يشعر بهذا الشعور (*) » .

تاسعا - إنسانيته وعالميته

كان رحمه الله يتمتع بكافة مقومات الشخصية القوية التى كانت أساسا هاما لنجاحه فى قيادة أمة وفى شعور العالم أجمع - حكاما ومحكومين - به كزعيم له رأى قاطع وحاسم وشريف وعادل فى المسائل الدولية ، فقد كان مؤمنا بالله ايمانا لا يتزعزع ، سلوكه تطبيقا عمليا لما يؤمن به ، أمين ، نزيها ، صادقا فى قوله ، كريم الخلق ، سليم القلب ، طاهر السريرة ، كثير التفاؤل ، يقول ما يعتقد ، ويعتقد ما يقول ، ذكى ، حاضر البديهة ، حسن البصيرة ، صافى الذهن ، صادق الحس ، محب للتعاون ، يشارك الناس فى مسراتهم ويواسيهم فى أحزانهم . وبجانب هذه الصفات الخلقية والعقلية والاجتماعية فقد كان تكوينه الجسمانى أيضا عامل مساعد لزعامته ومدعم لقوة شخصيته فقد كان رحمه الله قوى الجسم ، معتدل القامة ، حسن الهيئة ، جميل الذوق ، يتمتع بجاذبية غريبة تسيطر على كل من حوله دون تصنع أو كلفة .

وما أكثر الأمثلة في حياته التي تثبت كل صفة حميدة من صفاته السابقة ولكن ضيق الوقت والحيز المحدود للبحث يقف مانعا دون عرض وإثبات كل ما يجب أن يعرض أو يثبت •

وسأكتفى هنا بعرض جوانب الرحمة والانسانية التي جعلته بطلا عالميا له في نفوس شعوب العالم أجمع مكانة خاصة ويحتل بين حكام العالم الثالث مكان الصدارة •

فقد اعتبرت الشعوب عبد الناصر ليس ابن وطنه وفتى عصره فحسب وإنما اعتبرته ابن الجماهير في العالم كله وفتى جميع العصور ، وكان هذا مرجعه لا تقديرا لنبوغه فحسب ولا احتراما لبطولته وشجاعته فقط بل لكونه انسانا عالميا لأبعد حدود هذه الكلمة •

فقد كان جمال عبد الناصر يرى في المجتمع الدولي كله مجتمعه لا فرق لديه بين جنس وآخر ولا بين لون ولون ولا بين لغة ولغة ولا حتى بين دين ودين مجتمعا ليس لجغرافيته حدود وليس للعنصرية فيه وجود •

وقد قال محمد حسنين هيكل في هذا الصدد « كان جمال عبد الناصر شخصية عالمية كاملة وكان شخصية عربية كاملة وكان تأثيره قادرا على اقتحام حدود وحواجز بعيدة يصل ورائها الى أكثر ما تصل اليه سلطة الدولة التي كان يحكم فيها (١) » •

ومن هذا يمكن أن نقول أن صفة الشخصية العالمية أعطت عبد الناصر قدرات أكثر على محاربة الاستعمار القديم والجديد ويؤكد ذلك قول محمد حسنين هيكل « ان نفوذ جمال عبد الناصر كان يتجلى وبشكل حاد خارج حدود بلاده بل وفي كثير من الأحيان ضد سلطة الدولة في بلدان كثيرة خارج حدود بلاده » •

(١) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، الأهرام ١٢/١١/١٩٧٠

وترجع هذه الشخصية العالمية لأسباب عديدة أذكر منها :

١ - حبه للسلام :

فقد كان يكره الحرب وحتى فكرتها نفسها وكان يشعر دائما أن الإنسانية لا حق لها في الحياة إذا لم تجاهد من أجل السلام • وقد أخذ عهدا على نفسه وهو يحارب في فلسطين • انه لو قدر له أن يصبح زعيما في بلاده فانه سيفكر ألف مرة قبل أن يسوق القوات المصرية الى الحرب ، وهو لن يفعل ذلك ما لم يكن هناك بديلا له وفي حالة واحدة فقط وهي عندما يتعرض شرف وكرامة الأمة للتهديد ولا يمكن لأي شخص آخر انقاذها غير الحرب (١) •

كما يتضح ذلك من قوله لزعماء المقاومة عندما بعث اليهم بالكتاب الفلسطينية الثلاثة التي كانت على ضفة القناة لكي تنضم لقوات المقاومة في دمشق » ان ارسال الكتاب ليس عملا عسكريا انه عمل سياسي وليس الهدف منه أن تستمروا في القتال وانما الهدف منه أن يتوقف القتال في لحظة أكثر ملاءمة لكم من لحظة قبلها (٢) •

٢ - رحمته :

كان البطل الراحل انسانا رحيمًا واننا نستطيع أن نستشف رحمته مما أورده في كتابه فلسفة الثورة عن الألم النفسي الذي صاحبه عندما تقرر اتجاه الضباط الأحرار للعنف ونفذوا فعلا خطتهم • كما قال مرة » ان القتل لا يفيد شيئا فان عشرة أعداء جدد وربما أشد عداوة قد يبرزون من بين الأحياء وانك تستطيع دائما أن تخلق مؤيدا متحمسا من عدو اذا لم تتسرع في ازهاق روحه « (٣) ، كما تجلت رحمته في الموقف الذي اتخذه حيال اصرار بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة على محاكمة الملك فاروق بعد خلعهِ واعدامه فقد قال جمال عبد الناصر رغم كونه هو قائد الثورة ضد الملك » ان الشعب قد

(١) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ١٦٥

(٢) محمد حسنين هيكل ، الرئيس ، مرجع سابق ص ١٦٥

(٣) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ١٠٦

حكم عليه وانتهى أمره وان محاكمته لا داعى لها وان اعدامه أسهل الأشياء ولكنه خطأ لأن حضارة مصر ترفض منطق الدم ان مصر لها القدرة على التمييز الايجابى وأما تنفيذ أحكام الاعدام فهو اجراء سلبى تستطيع الثورة الأصلية أن تستغنى عنه (١) » •

٣ - انسانيته :

ظهرت اللمحات الانسانية فى معظم تصرفاته وطوال حياته فقد كان وهو ضابط صغير فى القوات المسلحة « يحس بالاسى البالغ لمجرد التفكير فى أن رجاله سيحاربون وليس أمامهم الا الزيتون والجبن وكثيرا ما كان يردد لنفسه هذه ليست حربا (٢) » • وهذه لمحة صغيرة تظهر مدى اهتمامه بالنواحي الانسانية البسيطة لرجالہ التى لم يكن أحد من المسئولين فى ذلك الوقت يفكر فيها • وبعد توليه السلطة فى البلاد كان مهتما اهتماما شديدا بأفراد القسوات المسلحة فى كافة النواحي الانسانية والاجتماعية ويكفى للتدليل على ذلك أنه قبل وفاته بخمس دقائق عندما عاد الأمل مرة أخرى وعاد قلبه العظيم الى الدق بانتظام فتح عينيه فقال له الدكتور منصور فايز ان الرئيس فى حاجة الى أجازة طويلة - وقال الرئيس كنت أريد أن أذهب الى الجبهة قبل الأجازة - هل أستطيع أن أذهب وأرى أولادنا هناك قبل الأجازة ؟ (٣) •

كما كان دائما معتزا بأصدقائه مدافعا عنهم مساعدا لهم فبعد القاء القبض على أنور السادات فى أغسطس ١٩٤٢ ومحاكمته عسكريا واعتقاله قرر أن يقوم الضباط الأحرار بدفع اشتراكات شهرية تخصص لاعانة أسر من يعتقل ويسجن واستمر جمال يدفع لأسرة أنور السادات لعدة سنين وطوال اعتقاله ٢٥ جنيها شهريا (٤) » •

(١) حديث وزير الارشاد القومى الى جريدة التايمز ، الأهرام ١٢/١٠/١٩٧٠

(٢) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ٢٣

(٣) محمد حسنين هيكل ، بصراحة ، الأهرام ١٦/١٠/١٩٧٠

(٤) روبرت سان جون ، الرئيس ، مرجع سابق ص ٩٣

كما تتجلى انسانية جمال عبد الناصر فى طلبه من الرئيس الراحل عبد السلام عارف عندما تخلص من حكم البعث فى العراق عدم اضاءة الوقت فى محاكمة من اعتقلهم من الحكام الخونة وأن ينصرف الى البناء وأن يتفادى اراقة الدماء وقال له أن مصر مفتوحة كل من لا تريده أرسله الينا ليقم عندنا وجاء فعلا الى القاهرة بعض من يحكمون العراق اليوم أمثال الفريق صالح مهدي عماش وغيره وعاشوا حياة كريمة فى أمان وفى حرية مطلقة الى أن عادوا مرة أخرى (١) .

٤ - صاحب مبدأ ورسالة :

كان طول حياته صاحب مبدأ يدافع عنه بكل ما أوتى من قوة وكان يعلم أن هذا الطريق يكلف كثيرا وقد قال فى هذا الصدد « ان الشعب المصرى اختار طريق المبادئ رغم تكاليفه ورفض حتى فى أخطر فترات العنف الاستعمارى أن يساوم على القيم النضالية ويروى هو عن سبب استقالته من حزب مصر الفتاة عام ١٩٣٥ » لقد ضحيت كثيرا من أجل الحزب ولكن لن أضحي بشيء بعد ذلك ، كنت مؤمنا بالحزب حتى رأيت الرئيس يجلس فى حجرته بعد أرباحه كان يسلك مسلك أى زعيم آخر وعندما سمعت الطريقة التى يتحدث بها عن المال بدلا من المثل العليا والمبادئ والأمانى ، لم أعد مهتما بها . وكانت هذه أول خيبة أمل فى حياة شاب مثالى فى السابعة عشرة من عمره وبداية كفره بالأحزاب السياسية .

من كل هذه الصفات التى هى صفات انسان عالمى ، اكتسب جمال شخصيته التاريخية وأثره اللانهائى فى الجماهير العربية وفى كافة شعوب العالم وقدرته على التأثير فيها والتأثر بها وهذا ساعده كثيرا فى حربه للاستعمار .

(١) فى حديث للسيد محمد سليمان ، سفير السودان ، أهرام ١١/٤/١٩٧٠ ص ٥ .

خاتمة

انى أعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدى وحتى
الحياة الى آخر نفس فيها .

جمال عبد الناصر

أولا - أهم النتائج المستخلصة من البحث

يمكن من استعراض ما سبق ، استخلاص النتائج التالية من البحث :

- أن ثورة يوليو ١٩٥٢ يجب أن تتسبب لعبد الناصر حيث الواقع
والتاريخ يثبت أنه كان عقلها ومديرها ورائدها وقائدها يوم الزحف
واستمر يدير دفتها بنجاح طوال ثمانية عشر عاما .

- كانت ثورة عبد الناصر ثورة على الاستعمار فى المقام الأول ويشهد
بذلك ما سبق أن عرضناه فعبد الناصر كان وطنيا من الطراز الأول
كما أن مبادئ ثورته الخمس الأخرى كانت كلها تمهيد لحرب
الاستعمار القديم أو تدعيم للجبهة الداخلية للوقاية من الاستعمار
الجديد . فقد كان يؤمن بأن حرية رغيف الخبز ضمان لا بد منه
لحرية تذكرة الانتخاب هذا فى المجتمع الداخلى ، ويمكن أن نقيس
على هذا المبدأ ونقول بالنسبة للمجتمع الدولى ، أن الحرية الاقتصادية
تدعيم اقتصاد الدولة وتنميته ضمان لا بد منه للحرية السياسية فى
مجتمع الدولى . ولذلك فقد حارب الاستعمار اتجاهنا الاشتراكي
كأسلوب للثورة الاجتماعية وحاولت الدول الاستعمارية والامبريالية
القضاء على كل محاولاتنا لبناء قوتنا الذاتية ، فحاربتنا عندما أمم
عبد الناصر القناة وحاربتنا عندما شرع عبد الناصر فى بناء السد العالى
وحاربتنا عندما كسر عبد الناصر احتكار السلاح . لأن الاستعمار يرى
فى كل ذلك وسائل مانعة لاستغلاله لشعبنا .

كما حارب الاستعمار الوحدة سواء على مستوى دول العالم الثالث أو قارة أفريقيا أو العالم العربي لأن معناها قيام قوة تستطيع أن تقف أمامه وقيام أمور تتنافى مع ما يريد • فهو يريد استمرار التفتيت والضعف الذى خلفه الاستعمار القديم وراءه حتى يستطيع الاستعمار الجديد أن يتسلل •

— كان أحد أسرار قوة عبد الناصر فى حربه للاستعمار ايمانه بالشعب وايمان الشعب به وكان عبد الناصر يعتبر الشعب معلمه وقائده ، وكان الشعب يعترف له بهذا الجميل وينظر الى عبد الناصر كقائد زحفه الذى لا تعصى أوامره ، ومحقق انتصاراته الذى يجب أن يسير وراءه ويستجيب اليه ويتجمع حوله • وكانت هذه الاستجابة وهذه الطاعة وهذا التجمع يتم بصورة غريبة لم يراها التاريخ الا بين أصحاب الرسالات وأتباعهم • وقد كان عبد الناصر يصارح شعبه بكل صغيرة وكبيرة سواء فى القضايا البسيطة أو السياسة الدولية ولذلك كان الشعب يعلم أن كل خطوة تتخذ هو الذى قررها وأن كل اجراء يتبع هو الذى دبره وقد عبر عن ذلك محمد حسنين هيكل بقوله « ان من أبرز مميزات جمال أنه استطاع أن ينقل الشارع الى السياسة العليا وأن ينقل السياسة العليا الى الشارع (١) » •

— رغم الاختلاف بصدد تحديد وقت ظهور الاستعمار الجديد الا أننى أميل الى أنه ظهر مع الحرب العالمية الثانية ويؤيد الميثاق (٢) ذلك اذ اعتبر الاستعمار الجديد أحد التغيرات البارزة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية •

— أثبت عبد الناصر أن فى استطاعة الحاكم أن يكون تجسيدا لسلطة الشعب وأن يكون شخصية تاريخية فان من يستطيع أن يحكم نفسه

(١) محمد حسنين هيكل بصراحة الاهرام ١٦/١١/١٩٧٠

(٢) الميثاق الباب الثانى ضرورة الثورة ، البند رابعا « ... وفى نفس الوقت اضطر الاستعمار تحت هذه الظروف الى الاتجاه لوسائل العمل غير المباشرة ... الخ » ص ٢٠

وشهواته وغرائزه يقدر بلا شك أن يحكم غيره وبالتالي يتمكن من أن يقود بمبادئه شعبه الى النصر في معركة التحرير كما يستطيع أن يحاسب غيره وأن ينقد في كل وقت •

— أثبت جمال عبد الناصر للشعوب المغلوبة على أمرها أنه ليس في العالم مستحيل وأن الانسان الأصفر أو الأسود أو الأسمر قادر بطاقته وبالتزاماته وبايمانه أن يطوع المستحيل ويجعل منه أداة تصدى للقوة وتكافح في سبيل الحق وتناضل ضد الاستعمار القديم والجديد بشتى صورته وأشكاله وأن تقتصر عليه •

— ان اكتساب صفة العالمية للحاكم لا تأتي فقط عن طريق الاستقلال للشعوب الأخرى أو عن طريق القوة المادية التي يملكها والتي تقاس بعدد القنابل الذرية أو الهيدروجينية أو الصواريخ عابرة القارات بل يمكن — كما أثبت عبد الناصر في حربه للاستعمار — أن يمتد تأثير الحاكم أو الدولة خارج حدود بلاده ولأبعد مدى ممكن عن طريق اتباع المثل العليا واتخاذ المبادئ كدستور وكمنهج والنظر للبشر جميعا على أنهم أسرة واحدة ومحاربة العنصرية والبعد عن النظرات الضيقة الذاتية •

— يظهر البحث أن جمال عبد الناصر كان رمزا لجيل من التوئب والاقبال على الحياة الهادفة والمؤثرة والمثمرة ، كما ظل طوال حياته عنوانا للطموح يعيش العصر ويدرك احتمالاته ولا تثنيه نكساته ولا تغريه انتصاراته ، بل يعرف التحديات التي يواجهها فيجابهها ويستوعبها ويتصدى لها ، وكان لا يستجيب الا لما يمليه عليه ضميره أو ما يفرضه عليه الشعب للسير قدما نحو خلق مجتمع أفضل مجتمع السلام والمساواة والكرامة والقيم الانسانية •

— أضفى جمال عبد الناصر على الثورة في مصر أبعادها الانسانية وأبعادها الحالية فجعل من الحلم واقعا ومن الواقع الجديد واقعا

يحياء في حياته ويحييه في ضمير أمته وفي ضمير البشرية • وكان
اعتزازه بالانسان كبير وكانت فلسفته كلها فلسفة انسانية من الطراز
الأول • وأهم ما كان يعتز به عبد الناصر في الانسان كرامته
وحرية •

— قدم هذا البحث بعض الصور والوقائع التي تكشف عن نواحي نضال
وكفاح وخلق وشخصية عبدالناصر مما يقطع بأنه كان عدو للاستعمار
والامبريالية من طراز فريد لم تره الامبريالية من قبل •

— أثرت ثورة عبد الناصر بشكل واضح في ثورات التحرير بوجه عام
وخاصة في العالم العربي والأفريقي كما كان للتأييد المطلق المادي
والمعنوي أثر واضح تماما في استمرار ثورات كثيرة ، وتدعيم جهود
بعضها الآخر •

— ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن عبد الناصر كان داعية سلام في
المقام الأول ويرجع اليه الكثير من الفضل ان لم يكن كله في توحيد
القوى الثورية سواء في العالم الثالث أو على مستوى قارة أفريقيا
أو على مستوى العالم العربي كقوة تدعم السلام وتخفف من حدة
التوتر الدولي •

— حارب عبد الناصر الاستعمار الجديد عن فهم ودراسة لأساليه فكان
حربه عن طريق بناء القوة الذاتية ومحاربة التكتلات الاقتصادية وكان
مؤمنا بالوحدة كأساس لخلق دولة قوية غنية تستطيع أن تقف في
وجه الاستعمار والامبريالية ولذلك كان يدعو دائما وأبدا للوحدة
وقد حقق في هذا المجال الكثير رغم حرب الاستعمار المتواصل لهذه
الفكرة وصاحبها •

— كان أسلوب عبد الناصر في حربه للاستعمار أسلوبا ناجحا على طول
الخط وذلك نتيجة قدراته التاريخية وخصائصه الذاتية وللمواهب

العديدة التي خصه الله بها حتى اعتبر البعض أن نجاحه نوعاً من الإلهام وقد قال في هذا الصدد محمود فوزى رئيس الوزراء « بعد غيابه ليس أماننا غير حساب المنطق وغير ما نستطيع استقراؤه من تحاربنا معه (١) » .

ثانياً — المفاضلة بين مهادنة الاستعمار أو التصدي له (٢)

يثير الناس قضية هامة يجب أن نضع لها في خاتمة هذا البحث اجابة محددة + وهي ألم يكن في استطاعة عبد الناصر أن يريح نفسه وأن يريح شعبه من عناء مواجهة الاستعمار ومشقة مطاردته في كل مكان وبصفة مستمرة متواصلة وبالتالي يعفى نفسه وأمته من مواجهة حرب الاستعمار وضغوطه المستمرة والدائمة علينا والتي لاشك أنها شغلنا طوال ثمانية عشر عاماً عن أداء دورنا كاملاً في معركة البناء والإنتاج من أجل التنمية .

ألم يكن في استطاعة جمال عبد الناصر وفي مقدوره أن يهادن الاستعمار ولا يحاربه إلا اذا تعرضت أرضنا نحن لغزوه وأموالنا لاستغلاله — أرضنا بحدودها الإقليمية المعروفة في مصرنا العزيزة — وخاصة بعد أن نجح في طرده من مصر ورد القناة لأهلها وأصحابها في عام ١٩٥٦

أليس من المنطق أن يتساءل الناس لماذا حارب عبد الناصر الاستعمار في أقصى الشرق من العالم في فيتنام ؟ لماذا حاربه في أقصى غرب الدنيا في كوبا ؟

هل كان الدافع لذلك مجرد الرغبة في الحرب لاشباع نزوة أو شهوة أو لتحقيق شهرة ؟ أم كان الدافع لهذه الحرب المستمرة والمتواصلة ضد الاستعمار والامبريالية مصلحة الوطن أو الدفاع عن مبدأ ؟

(١) من حديث للسيد رئيس الوزراء مع السيد محمد حسين هيكال الأهرام

١٩٧٠/١١/١ ص ٣

(٢) إضافة للبحث تجيب عن نقطة أثارها رئيس اللجنة التي ناقشت البحث من الدافع للتصدي للاستعمار ومحاربته في كل مكان وقد أجاب عنها بأن الدافع هو المصلحة حيث أن القوى الاستعمارية لو نجحت في معاركها ضد الحرية فلن تترك مصر تسير في طريق التنمية ولن تسمح لها ببناء قوتها الذاتية . وأرى أنه المبادئ وعوامل أخرى .

هل كان هناك خيار أماننا بين مهادنة الاستعمار ومعاداته أم كان هناك إجبار على ضرورة خوض هذه الحرب الضروس ضد القوى الاستعمارية ؟

ومن الأسباب الآتية نستطيع أن نرى أن طريق مهادنة الاستعمار كان مسدودا أمامنا أى أنه لا طريق أمام عبد الناصر غير حرب الاستعمار وأسباب ذلك مجموعة من العوامل تحكمها المبادئ التى ارتضيها دستورنا نلتزم به وطبيعة عالم اليوم الذى نعيشه والتى تضطرننا أن نشارك فى قضاياها والتى يصينا كل ما يلحق به من شر أو خير وفهم عبد الناصر لطبيعة الاستعمار وأساليبه وخططه وأنه مصدر دائم لتهديدنا .

ويمكن سرد أهم النقاط التى دفعت عبد الناصر لاختيار الطريق الصعب وهو محاربة الاستعمار بصفة دائمة فى كل أشكاله وصوره فيما يلى :

١ - الالتزام بالمبادئ والمثل العليا :

التزم عبد الناصر بمجموعة من المبادئ والمثل العليا أوردها فى ميثاقه وحددها كطريق نسير عليه فى سياستنا الخارجية ومن أهم هذه الخطوط « الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع اقنعه وحربه فى كل مكان » (١) .

ومن هنا نجد أن الخروج على هذا المبدأ يعد خروجاً عما ارتضاه الشعب ولذلك فحرب الاستعمار فى كل مكان أمر واجب ومبدأ ملزم لا يصح الخروج عليه .

وقد عبر عبد الناصر عن التزامه بالمبادئ بقوله « احنا ذهبنا الى اليمن لكى ننصر المبادئ لا لننصر الأشخاص » (٢) .

(١) الميثاق الباب العاشر السياسة الخارجية .

(٢) فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية فى دورة الانعقاد الخامس

لمجلس الأمة فى ٢٣/١١/١٩٦٧

وهذا المبدأ لا يتعارض مع المصلحة الشخصية للدولة إذ اثبتت التجربة التي خاضتها الجمهورية العربية المتحدة أن هبت القوى المعنوية في العالم أجمع لمساندتنا ضد القوى الاستعمارية وضد قوى العدوان الثلاثي أسوة بالمبدأ الذي التزمنا به وهو محاربة الاستعمار في كل مكان ومساندة كل الحركات الثورية في العالم وقد قال السيد الرئيس في هذا الصدد « علاقتنا بحركة التحرير الوطني في العالم في سنة ١٩٥٦ . . . استطاعت القوى المعنوية العالمية والقوى المحبة للسلام في العالم أن ترهب الاستعمار وساعدت على انتهاء العدوان وساعدت على دحر العدوان . وهل بعد هذا نتكر للقوى الوطنية الصاعدة في العالم أو نعاملهم بالمثل زى ما تعاملنا نحن في سنة ١٩٥٦ النهاردة جميع الدول التي تحارب من أجل الاستقلال ، جميع الحركات الوطنية في كل انحاء العالم تنتظر من العالم ومن القوى المعنوية في العالم ومتنا - احنا بالذات - أن نساعدنا ونعاونها ، (١) »

٢ - الايمان بقيمة الحرية :

آمن عبد الناصر وكل فرد في هذا الوطن بقيمة الحرية وبأنها لا يمكن أن تقوم بشيء مادي مهما كانت كميته وحدوده ومهما كانت التضحيات في سبيله . فرغم أن حرب اليمن كلفتنا الكثير من الأرواح والأموال إلا أننا خضناها دفاعا عن الحرية التي لا تقدر بثمن وظهر من هذه التجربة ان عبد الناصر كان يغلب المبدأ على المصلحة المادية وقد قال في هذا الصدد « اما لقينا شعب اليمن ثار من أجل الحرية واما لقينا الاستعمار والرجعية تصدوا له ، تصدوا لحرية ، تصدوا لحقه في الثورة ، ولحقه في الحياة . كان لزاما علينا وكان واجبا أيضا أن نمد يدنا لمساعدة شعب اليمن » (٢) كما أكد الرئيس عبد الناصر مدى أهمية الحرية وقيمتها بقوله « احنا سياستنا مستقلة ، ومش مستعدين ، انا مش مستعد أبيع حباية رمل من هذا البلد لأى واحد ، ولا بميت مليون دولار ، (٣) وكرر أيضا نفس المعنى في نفس الخطاب بقوله عند حديثه عن

(١) من خطاب السيد الرئيس الراحل في بور سعيد في ١٢/٢٤/١٩٦٤

(٢) من خطاب السيد الرئيس الراحل في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي بأسبوط في ٨/٣/١٩٦٥

(٣) من خطاب السيد الرئيس الراحل في ميد العمال في ٢/٥/١٩٦٧

رفض المعونة الأمريكية « واحنا كمان بنقول لكم ، احنا ناس عندنا كرامة ومش مستعدين نبيع استقلالنا بأى ثمن ، حريتنا أغلى من أى ثمن ، حريتنا أغلى من كل شىء » •

٣ - تنفيذ ارادة الشعب :

عانى الشعب المصرى الكثير من الاستعمار ولذلك كان من أكثر الشعوب بغضا له ومن أكثرها استعدادا لحربه وقد استطاع جمال عبد الناصر بقدراته الخارقة التى حباه الله بها أن يستكشف هذه الارادة التى كانت تبلور فى عدم الرغبة فى الخضوع أو التبعية لدولة استعمارية أو امبريالية مع استعداد الشعب المطلق لبذل كل التضحيات وتحمل كل المشاق فى سبيل ذلك ومهما كانت المغام التى سيخنيها الشعب من وراء الخضوع والتبعية لدولة أقوى وقد قال عبد الناصر فى هذا المعنى « ما احنا بنقاوم بالجماهير العربية ، الجماهير العربية التى لا ترضى العمالة ، ولا ترضى أن تكون خاضعة لأمريكا أو لبريطانيا أو للاستعمار بأى شكل من الاشكال هيه الى بتقاوم فى كل بلد عربى ، (١) •

٤ - الاستعمار مصدر دائم لتهديد ثورة عبد الناصر :

ظل الاستعمار مصدرا دائما لتهديد الثورة حتى بعد زواله عن أرض مصر • فلم يغفر الاستعمار لمصر ولن يغفر لها انتصارها عليه فى المعارك التى دفعته للجلاء عن أرضها واسترداد قناتها ودعوتها لعدم الانحياز ومناداتها بالحياد الايجابى •

كما أن الاستعمار الجديد لا يرضى أن تقوم مصر ببناء اقتصادها وتحقيق معدل مرتفع للتنمية حتى لو كفت عن حربه لأن بناء القوة الذاتية فى حد ذاته يعد فى نظر الاستعمار الجديد حربا عليه • لأنه سيجعل الدولة قادرة على أن تستقل باقتصادياتها عنه وسيمكنها من عدم الخضوع له ، وهذا شىء يأباه •

ولهذه الأسباب اضطر عبد الناصر لمحاربة الاستعمار بكافة أشكاله وألوانه وفى كل مكان ايمانا منه بأن انتصار الاستعمار فى معاركه ضد القوى التحررية

(١) من خطاب الرئيس الراحل فى عيد العمال بشبرا الخيمة فى ١٩٦٧/٥/٢

فى العالم سىحقق له النصر فى كل مكان وسىجعله قادرا على توجيه ضرباته للدول المتحررة الأخرى دون رادع من ضمير أو قوة • وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا الصدد « اتنا نعمل ونتعرض خلال عملنا للتهديد ، ١٥ سنة تهديد مستمر من مين ؟ ما هو مصدر التهديد ؟ الاستعمار • طردنا الاستعمار من أرضنا وأفكارنا ومبادئنا وما تنادى به ، كل ده يهدد الاستعمار فى كل أرض عربية واحنا أعداء الاستعمار ، ونشارك فى الحرب ضد الاستعمار على اتساع العالم ، ولو بمجرد التضامن الأدبى مع كل الناس الذين يهبون ضده واللى بيناضلوا لآخراجه من بلادهم واسقاط سيطرة الاستعمار عليهم (١) » •

٥ - فهم الاستعمار والدراسة الواقعية التى تسبق التصدى له :

كان عبد الناصر يفهم جيدا طبيعة الاستعمار فى العصر الذى نعيشه فقد عرف أنه - بحكم طبيعة العصر وروحه واحكامه - لم يعد قادرا على اللجوء الى القوة العسكرية لفرض سيطرته على الشعوب التى ترفض هذه السيطرة أو تحاول التخلص منها • ومن هنا كان التصدى له أمرا غير محفوف بالمخاطر للعوامل الكثيرة التى طرأت على العالم عقب الحرب العالمية الثانية والتى سبق أن تعرضنا لذكرها •

وهذا الفهم لم يكن وحده هو الذى يجعله يقدم على محاربة الاستعمار بل كان يقوم فى كل مرة وفى كل قضية تفرض عليه التصدى للاستعمار اجراء دراسة دقيقة متأنية عن كافة الظروف المحيطة بالموقف والتنبؤ بكل الاحتمالات المتوقعة ودراستها دراسة جيدة •

وهذه الدراسة كانت دائما تكفل تمشى سياسة الجمهورية العربية المتحدة وفقا للمبادئ التى تعتقها وضمان مصلحتها وتحقيق النصر فى حربها وقد أورد محمد حسنين هيكل (٢) مثالا لهذه الدراسات التى كان يجرىها الرئيس قبل التصدى للاستعمار فعندما سحبت الولايات المتحدة عرضها بتمويل

(١) خطاب الرئيس الراحل ، فى عيد العمال بشبرا الخيمة فى ١٩٦٧/٥/٢ •

(٢) محمد حسنين هيكل ، خبايا السويس ، مرجع سابق ص ١٣٠ وما بعدها •

السد العالى وعندما رأى جمال عبد الناصر ضرورة الرد عليها وبناء السد العالى من ايراد قناة السويس وتأمينها • وقد شملت هذه الدراسة تقدير موقف من وجهة النظر المصرية والغربية فى حالة تأمين قناة السويس ، وعرضت هذه الدراسة الاحتمالات التى قد يقدم عليها ايدن أو موليه أو دالاس ، ومدى استغلال اسرائيل للفرصة • وتم تحديد الاحتمالات وكانت صحيحة الى حد بعيد ، ثم تم دراسة وضع بريطانيا العسكرية فى الشرق الأوسط وفى البحر الأبيض بدقة بالغة وعلى أساسها خاض السيد الرئيس معركة التأمين وانتصر فيها فى النهاية على قوى العدوان الثلاثى •

وهناك مثال آخر أورده أيضا محمد حسنين هيكل فى كتابه نحن وأمريكا يدل على الدقة التى كان السيد الرئيس الراحل يراعيها فى دراسته قبل معاركه مع الاستعمار • فعندما قابل سفير مصر فى واشنطن السيد الرئيس بعد اعلان مصر كسر احتكار السلاح اثار عدة نقاط كانت كل ردودها حاضرة فى ذهن السيد الرئيس كخوفه من ان تتخذ أمريكا تجاه مصر موقفا مماثلا لما اتخذته حيال جوايتمالا ومحاصرتها فأجابه السيد الرئيس « جوايتمالا هناك فى أمريكا اللاتينية ونحن هنا فى العالم العربى هناك شئ وهنا شئ آخر •

وقال السفير ولكن الأسطول الأمريكى السادس موجود فى البحر الأبيض • وقال عبد الناصر ماذا يستطيع الأسطول الأمريكى السادس بالنسبة لنا ؟

وقال السفير قد يوقف السفن القادمة إلينا •

وقال عبد الناصر سفتنا ليس بها شئ وإذا استوقف سفن غيرنا فلن تكون المشكلة معنا (١) ، •

(١) محمد حسنين هيكل ، نحن وأمريكا ، دار العصر الحديث ، القاهرة ص ٩٩ •

٦ - تفاوت وسائل عبد الناصر في التصدي للاستعمار :

رغم ايمان عبد الناصر بمبدأ محاربة الاستعمار أينما وجد وحيثما كان الا أنه كن يعلم تماما أن الاستعمار قوة عالمية هائلة لا يستطيع ولا تستطيع الأمة العربية معه أن تقف أمامه للقضاء عليه ولمواجهته مواجهة مباشرة والاشتباك معه في حرب ولذلك كانت وسائله تختلف من حيث الشدة تبعاً لمدى مساس الاستعمار بالمصلحة المباشرة لمصر وللدول العربية ولذا فقد كانت وسيلته دائماً الحرب مع الاستعمار على الأرض العربية والاكتفاء بالتأييد المعنوي لكل الدول الأخرى التي تحارب الاستعمار على أرضها .

كما كان تأييده المعنوي للقضايا التي تعرض على المنظمات الدولية أوتطرح للبحث في المؤتمرات نتيجة حكم مبني على دراسة موضوعية كاملة للقضية ووضع البحث وكان دائماً ينظر الى الأمور في اطار العدل والحق ويزن القضايا بميزان دقيق وقد قال في هذا الصدد « لا نتردد بأي حال من الأحوال أن نساند أي بلد يطالب بالحرية ويطالب بالاستقلال ، وما ينسكتش علشان نجمال البلد الفلاني ، ومنسكتش علشان نجمال بلد آخر ، ولكن بنقول الكلام اللى احنا بنؤمن بيه ، الكلام ان احنا بنؤمن بحق كل بلد في تقرير مصيره وحق كل بلد في الحرية (١) » .

وهذه السياسة تعدها الدول الاستعمارية حرباً عليها لأنها طريقة فريدة في المجتمع الدولي الذي يفتقر الى الموضوعية في مجال العلاقات الدولية وقد قال ايرك فروم في هذا الصدد « ان الافتقار الى الموضوعية في مجال العلاقات الخارجية أمر سيء شائع (٢) » .

ولكن سياسة عبد الناصر في هذا المجال تجدد اعجاباً كبيراً من الشعوب في كل أنحاء العالم ومن الدول المتحررة ومن بعض الساسة الكبار وقد قال الرئيس الفرنسي ديغول في هذا الصدد « ولو اتخذت الولايات المتحدة

(١) من خطاب السيد الرئيس الراحل في الاسماعيلية في ١٩٦٤/١٢/٢٤

(٢) السناتور وليام فولبرايت غطرسة القوة ترجمة محمود العدوي دار الكتاب

العربي للطباعة والنشر القاهرة ص ١٦٤

طريق الصدق - فى سياستها الدولية - فسوف تسترد نفوذها فى العالم أجمع
وستعظم فرص السلام هنا - أى فى كمبوديا - وفى كل مكان آخر ، ،

٧ - طبيعة عالم اليوم :

لا يمكن فى هذا العصر أن يعيش مجتمع أو دولة بمعزل عما يجرى
حولها فالنصر أو الهزيمة فى قضية عادلة يعود بالخير أو الفشل على غيرها من
قضايا ، كما أن تفشى الحرب قد يقود العالم الى أضرار قد تودى بالبشرية
كلها ، ولذلك كان لابد لعبد الناصر أن يحاول جمع شمل الدول النامية والتى
استقلت حديثا حتى يحصنها ضد الاستعمار الجديد وأن يساعد غيرها من
الدول فى التخلص من الاستعمار ومن هنا كانت ضرورة الحرب الشاملة ضد
الاستعمار فى كل العالم ، وقد قال جمال عبد الناصر فى هذا الصدد « وقضايا
العدوان والغارات الأمريكية التى يتعرض لها كل يوم شعب فيتنام والقتلى
والأبرياء ليست كل هذه القضايا بعيدة عنا بل فى صميم كفاحنا نحن فى عالم
أيها الأخوة لا يستطيع أن يعيش أحد فيه بمفرده وفى عزلة عن غيره (٢) ، ،

ثالثا - أنور السادات امتداد أصيل لجمال عبد الناصر

فى نهاية هذا البحث أود أن أقول أنه وان كان جمال عبد الناصر استطاع
أن يجمع الدهر كله فى بضع سنين ، وأن يبنى المجد الذى أعيا كل البناة
السابقين ، فى أقل من عقدين من الزمان ، فان الجمهورية العربية المتحدة
ستواصل تحقيق الأمجاد ، وستواصل رسالتها فى سبيل الانسانية وستحطم
كل أشكال الاستعمار والامبريالية ، وستعاقب كل نضال حر فى هذا العالم ،
على نفس الخط الذى سار عليه جمال عبد الناصر .

(١) الستاتور وليام فولبرايت ، غطرسة القوة ، مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٢) من خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد النصر بيور سعيد فى ١٩٦٦/١٢/٢٣

ومما يدعو للأمل أن من تولى القيادة بعد عبد الناصر هو رفيق عمره ، وزميل شبابه الرئيس أنور السادات * وحامل الرسالة الجديد عدو للاستعمار من الطراز الأول ، كفاحه قديم ، قاسى الكثير فى سبيل مبادئه ، وحتى تتضح لنا بعض ملامح صورة كفاح الرئيس الجديد فلنستعرض معا ما كتبه أحد كتاب الغرب فى وصف أول لقاء بين عبد الناصر وأنور السادات بعد نقل جمال من منقباد الى تل الشريف بسبب استنكاره ونقده للأعمال المشينة التى يقوم بها رؤسائه من الضباط المصريين (١) . فقد قال الكاتب « فى ظل هذا التل - أى تل الشريف - زرعت أولى بذور ثورة ١٩٥٢ ، كان الضباط الصغار يجتمعون ليلا بعد التدريب الشاق حول نار معسكرهم وكان أنور السادات أحدهم وكان رجلا شابا يتحدث بلين ورشاقة محبوبا وذا شعر أسود كالقحم وشارب كبير كثيف وكان أصغر من جمال بأحد عشر شهرا وفى إحدى الليالى قال السادات لهؤلاء الذين كانوا حول نار المعسكر انى احتقر البريطانيون أكثر من أى شخص على وجه الأرض فأعقب حديثه همسات من الموافقة واستمر السادات فى حديثه انكم جميعا تعرفون ما حدث لزهران أليس كذلك ؟ ان ما حدث كان أشد فصول التاريخ المذل بأكمله مدعاة للأسى والحزن ، وبعد سرد حادث دنشواى قال بغضب هل أنا أكره البريطانيين ؟ نعم ! ما فى ذلك من شك وبعد لحظة أضف قائلا فى صوت رقيق مشوب بالحقد والغل فى يوما ما سأعرف كيف أتصرف معهم لما اقترفوه فى دنشواى لا أعرف بعد كيف ولكن يومى معهم قريب واشترك الكثيرون فى المناقشة وحول نار المعسكر تحدثوا عما عانتهم مصر كثيرا وعن قلق الرجال الشبان المتعلمين منهم وعن التغيرات المتكررة للسلطة بين السياسيين وعن سخطهم على النظام القائم ، فصمت جمال الشاب أكثر مما تكلم وفكر كثيرا خلال هذه الشهور فى الصحراء عن تنظيم أول تشكيل للضباط الأحرار (٢) بعد أن وجد زميل سلاح بهذه الروح الوطنية الفياضة .

(١) وصف جمال عبد الناصر رؤسائه بقوله « انهم متخمين وكسالى وانانيون ومنافقين للبعثة العسكرية البريطانية وكانوا يمضون وقتهم فى الأكل والشرب ولعب القمار وفى اللهو وفى شرب الخشيش ويساهمون فى أشكال مختلفة من الاستبداد والفساد » .

(٢) روبرت سان جون « الرئيس » مرجع سابق ص ٧٩ ، ٨٠ .

عرضت هذه القصة تفصيلا رغم امكان اختصارها لأنها توضح بعض جوانب شخصية أنور السادات الرئيس الذى تسلم العلم ، كما تضيف بعض الملامح لشخصية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذى سلم العلم •

وقد بايع الشعب المصرى العريق وجماهير الأمة العربية الصامدة الرئيس أنور السادات الذى حمل الرسالة والذى وعد بتحقيق الأمانة حينما قال « أملى فى الدنيا شئ واحد هو أن أصل بالأمانة الى حيث كان يريد جمال عبد الناصر للأمانة أن تصل • لن أسمع بالتوقف وانما سوف أسير وسوف نسير ولننقل المسئولية الى جيل جديد قادر على التجديد وذلك هو معنى الاستمرار كما تعلمناه منه » •

ومن هذا الجهد نرى أن الحرب ضد الاستعمار القديم والجديد أمر مستمر وأن تحرير الشعوب المستعمرة والمغلوبة على أمرها قدر محتوم وأن مصر ستظل قلة الثوار ومنبر الأحرار فى كل مكان وفى كل زمان •

المراجع

مراجع عربية

أنيابانت سفير الهند

العدوان والعنف ، التجارب الفاندية للتغلب عليها — المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية ١٩٦٨

د . ابراهيم أحمد العدوى

الصراع بين الأمة العربية والاستعمار الجديد — دار نهضة مصر — القاهرة ١٩٦٩

د . ابراهيم أحمد وزقانة :

الجغرافيا السياسية — الطبعة الثالثة — دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٦٦

د . اسماعيل صبرى عبد الله :

في مواجهة إسرائيل — دار المعارف ١٩٦٩

السيد فرج

أصول القيادة ومشاهير القادة — دار الجمهورية للصحافة — بالقاهرة

أمين سامى الفمراوى

العهد — دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٦٦

أنور السادات

قصة الثورة كاملة — الدار القومية للطباعة والنشر — يوليو ١٩٦٥

أنور السادات

يا ولدى هذا عمك جمال — الدار القومية للطباعة والنشر — ١٩٦٥

د . بطرس بطرس غالى

الأحلاف العسكرية — ملحق الأهرام الاقتصادى — القاهرة أول نوفمبر ١٩٦٥

بیر جورج

عالمنا اليوم واقعه ومشاكله — ترجمة كمال السيد — دار المعارف بالقاهرة

جان لاكوتير

الدول النامية في الميزان — ترجمة فوزى عبد الحميد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة

د . جمال حمدان

الاستعمار والتحرير في العالم العربي — الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٤

د . جمال حمدان

استراتيجية الاستعمار والتحرير — دار الهلال بالقاهرة — ابريل ١٩٦٨

جمال سليمان ابو العود

في ظلال القومية العربية — ادارة الشؤون العامة بالقوات المسلحة — القاهرة ١٩٦٥

جورج د . هالس

ادارة الناس فن — ترجمة احمد زكى ابراهيم — دار المعارف بمصر — طبعة ثالثة ١٩٦٨

جيان كننج

اهداف الاستعمار في عدن — ترجمة خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٦

حامد اسماعيل سيد احمد

الاستعمار الصهيونى في آسيا وافريقيا — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة .

خالد محمد خالد

مواطنون لا رعايا — مكتبة الخانجي — القاهرة ١٩٦٤

د . راشد اليراوى

حقيقة الانقلاب الاخير في مصر — دار النهضة — القاهرة ١٩٥٢

د . ل . كارنجيا

كيف نجح عبد الناصر — ترجمة خيرى حماد — دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥

روبرت سان جون

« الرئيس » قصة حياة الرئيس جمال عبد الناصر — ادارة الثقافة السياسية
مصلحة الاستعلامات — طبعة ثانية

شحاته عويس ابراهيم

الكتاب الاسود للاستعمار البريطانى فى مصر — الدار القومية للطباعة
والنشر — القاهرة فبراير ١٩٦٩

د . عبد العزيز رفاعى

دراسات فى الشرق الاوسط — مكتبة النهضة المصرية

عبد المنعم النجار

الجمهورية العربية وسياسة عدم الانحياز — الدار القومية للطباعة والنشر —
القاهرة ١٩٦٦

عبد المنعم شمس

الجمهورية العربية وسياسة عدم الانحياز — الدار القومية للطباعة والنشر —

د . عبد الحى دياب

الاقطاع الفكرى وآثاره — دار الشعب بالقاهرة

على صبرى

التطبيق الاشتراكى فى مصر — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٤

على صبرى

مشاكل التطبيق الاشتراكى فى مصر — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة

د . فتحى الرملى

الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار — دار الكتاب العربى — القاهرة ١٩٦٨

لمى المطيمى

لماذا الاشتراكية العربية — دار المعارف — مارس ١٩٦٥

محمد أبو الفتوح الخياط

مجتمع الكفاية والعدل - دار القومية - سبتمبر ١٩٦٩

محمد حسنين هيكل

الاستعمار لعبته الملك - دار العصر الحديث - القاهرة

محمد حسنين هيكل

خبايا السويس - دار العصر الحديث - القاهرة

محمد حسنين هيكل

نحن وأمريكا - دار العصر الحديث - القاهرة •

محمد ضياء الدين الريس

العدوان الصهيوني على الوطن العربي والطريق الى النصر - مكتبة الانجلو

المصرية - أكتوبر ١٩٦٨

محمد علي الفتيت

الشرق والغرب - دار النهضة - بالقاهرة

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الاستعمار الجديد والدول النامية - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٩

محمد عزيز الجبالي

الشخصانية الاسلامية - دار المعارف ١٩٦٩

محمد عطيه الأبراشي

من وحى الثورة - دار القومية - يوليو ١٩٦٦

د • محمد عوض محمد

الاستعمار والمذاهب الاستعمارية - مؤسسة الخانجي - القاهرة ١٩٦٩

محمد قاسم وأحمد نجيب هاشم

التاريخ الحديث والمعاصر - دار المعارف بمصر

د • محمد يحيى عويس

الاشتراكية المذاهب والتطبيق - مطبعة الرسالة ١٩٦٦

محمود دبيع

شخصية عبد الناصر « أضواء جديدة » - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦

د . محمود حلمى وآخرين

تأملات فى ثورة ٢٣ يوليو - دار النهضة العربية

وليام فولبرايت (السناتور)

غطرسة القوة - ترجمة محمود العدوى - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر -
القاهرة •

مراجع اجنبية

— Dewan Brindranatg, Nasser the man and the miracle, 1966.

— Roland Oliver, A Short history of Africa, 1962.

وثائق رسمية ودوريات

- الميثاق للرئيس جمال عبد الناصر •
- فلسفة الثورة للرئيس جمال عبد الناصر •
- برنامج ٣٠ مارس للرئيس جمال عبد الناصر •
- ٢٥ عاما من تصفية الاستعمار ، مكتب الأمم المتحدة للاعلام ، سبتمبر ٧٠
- المصالح الاقتصادية الأجنبية والاستعمار ، الأمم المتحدة مكتب الاعلام
١٩٧٠
- محاضرات المرحلة الأولى والثانية والثالثة لمنظمات الشباب الاشتراكي
للاتحاد الاشتراكي العربى بالقاهرة •
- الدراسات الاشتراكية ، وزارة الشؤون الاجتماعية بالقاهرة •
- محاضرات التوعية السياسية ، مديرية أمن الاسكندرية ، الطبعة الأولى
سنة ١٩٦٧
- دور الشرطة فى مجال العمل السياسى ، ادارة الشؤون العامة بوزارة
الداخلية ١٩٦٧
- ملامح من الاستعمار الجديد ، ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة
وزارة الحربية •
- أعداد مختلفة من المجلة المصرية للعلوم السياسية ، مجلة السياسة
الدولية ، مجلة الطليعة ، مجلة الفكر المعاصر ، مجلة الكاتب ، مجلة
الأهرام الاقتصادى •
- أعداد مختلفة من جرائد الأهرام ، الأخبار والجمهورية •



معهد تدريب ضباط الشرطة

أثيحت الرابع

جمال عبد الناصر
ومحاربة الاستعمار
القديم والجديد

بقلم:

الرائد سيد مصطفى رضوان



اهداء:

الى التاريخ ..

الى روح شهيد الحرية ...

الى من كان له شرف عداوة الاستعمار العالى

الى جميع الشعوب المناضلة من اجل التحرر ، والمحبة للسلام ..

« ... يسمدنى أن تتاح لى الفرصة لمقابلة الزعيم
العربى ، الذى يرمى بكفاحه وجهاده الى معنى جميل ،
وهو تصفية الاستعمار . وشخصية القائد العربى الكبير ،
ليست محبوبة فى البلاد العربية فحسب .. بل هى أمل
ضخم عند كل شعوب المسالم التى تتطلع الى الحرية
والعزة والاستقلال ... انشا لا نعتبر الرئيس جمال
عبد الناصر ملكا للعرب وحدهم ، فان الشعوب العديدة
فى العالم تنظر اليه ، وتؤمن بأنه رجل الحق والسلام
القائم على العدالة للعالم أجمع » .

فيديل كاسترو

قائد ثورة كوبا

الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة

مقدمة

كانت مصر ترزح تحت نير الاستعمار البريطانى منذ عام ١٨٨٢ وقاوم الشعب المصرى الاحتلال العسكرى بالنضال الشاق والتضحية بالدماء تحت لواء عرابى ومصطفى كامل ثم كانت الثورة العارمة عام ١٩١٩ ، وتوالت الانتفاضات الشعبية ، فعمل المستعمر على اخمادها بالقوة المسلحة ، بالإضافة الى فشلها نتيجة تصدى القيادات السياسية الزائفة لمقدمة موجاتها المنطلقة . وتوج النضال بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذى شارك فى الانتفاضة الشعبية فى الثلاثينات من هذا القرن فترسبت فى أعماقه الكراهية والبغض لقوى الاستعمار والقهر والاستغلال . حارب من أجل فلسطين وتكشفت له أبعاد مأساتها . وأدرك بفكره المستير أن مستقبل مصر ونهضتها لمسايرة ركب الحضارة فى العالم يتطلب أولا الاستقلال الوطنى ونزع السلطة من القيادات السياسية الموالية للاستعمار والكفاح المسلح . فأعلن مبدأ نورته الأول وهو : القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين . وحفاظا على الاستقلال الوطنى الذى ناضل من أجله كان لابد من اقامة عدالة اجتماعية تكفل حياة حرة كريمة لأفراد الشعب ، وبناء اقتصاد وطنى قوى بعيد عن السيطرة والتبعية الاستعمارية ، ومن هنا كانت معاركه الشهيرة من أجل التصنيع والبناء .

وقد وعى عبد الناصر بفكره الثاقب أن المعركة ضد الاستعمار أبدية وأن مطامعه لن تتحول عن مصر والوطن العربى لموقعه الاستراتيجى العالمى . لذا كانت حربه ضد الاستعمار العالمى بلا هوادة فى كل مكان وزمان لفضح أساليبه والقضاء عليه ، فنادى بالوحدة العربية ، ومد يد الصداقة والعون المادى

والأدبى لكل الشعوب المناضلة من أجل الحرية ، وشارك فى الدعوة مع قادة التحرر فى العالم ، الى توحيد جهود الدول المستقلة المناهضة للاستعمار ، لمواجهة ومقاومته . فانبثقت عن جهوده الايجابية مجموعات دولية ، منها مجموعة الدول الأفريقية الآسيوية ومنظمة الوحدة الأفريقية ومؤتمر القارات الثلاث ، كل ذلك كان له دوره الايجابى فى مساندة حركات التحرر ومقاومة الاستعمار فى صورته الجديدة لاستنزاف موارد الشعوب وثرواتها ، وذلك عن طريق التسمية الاقتصادية المتحررة ومحاربة الضغوط الاستعمارية لربطها بأحلاف تهدم استقلالها .

ونظرا لما للمجتمع الدولى من أهمية وبالرغم من سيطرة الدول الاستعمارية على المنظمات الدولية ، فقد ساهم عبد الناصر بفاعلية فى تكوين مجموعات دولية داخل هذه المنظمات ، أيدت الشعوب المناضلة من أجل استقلالها وأدانت الاستعمار وكان لها دور كبير فى اقرار السلام العالمى باعادة التوازن لميزان القوى الدولى وكسر حدة الحرب الباردة القائمة بين الكتلتين المتصارعتين .

لقد كان عبد الناصر مناضلا ومحاربا حقا ضد الاستعمار العالمى بكل صورته وأشكاله فلم تكن حربه من أجل الحرب ولكنه نضال من أجل السلام . فساهم بكل جهده وفكره وطاقاته فى القضاء عليه فى كل مكان وبكل الأساليب .

ان شعبية عبد الناصر الزعيم الخالد تعود أولا الى حربه ونضاله المستمر ضد الاستعمار وعمله على تصفية جميع مواقعته فى العالم الثالث . الأمر الذى جعل الشعوب تتطلع اليه باعتباره المثل الأعلى فى الوطنية والتحرر ، وشعاع الأمل المنير لحياة أفضل بعيدا عن القهر والاستغلال . وكان طبعيا أن يمنحه

الاستعمار العالمى شرف عدواته فيهاجمه دائما وبضراوة باعتباره عدوه الأول
وتعددت وسائله •• من تدبير مؤمرات لاغتياله •• وتوجيه الضربات لنظامه
الاقتصادى المستقل ركيزة الاستقلال السياسى ••••• والعمل على اسقاطه
ولو بشن الحروب السافرة ضده •

ومن زعامة عبد الناصر ومبادئه ، التى كانت تعبيرا صادقا عن ضمير وطنه
وأُمته ، وتجسيذا حيا لآمال شعبه ، كان ايمانى بوجوب تقديم جهدى المتواضع
فى هذا البحث تقديرا وعرفانا • وكانت أهم مراجعى هى كلمات الزعيم
الراحل ، لما حوته من أفكار خالدة تعدت حدود وطنه وأُمته الى آفاق العالم
الرحبة •

وفى هذا البحث استعراض للظاهرة الاستعمارية وتطوراتها ، وكشف
عبد الناصر لأساليبها ، لما ترسب فى أعماقه وفكره من كراهية وبغض
للاستعمار • كذا الانتصارات المتتالية التى أحرزها على الصعيد القومى والعالمى •
وكيف حاربه الاستعمار للقضاء عليه •

ولعلنى أكون قد وفيت عبد الناصر حقه ، وان كان ذلك بالأمر العسير على
وعلى غيرى •

ويقينى أن عبد الناصر اذا كان قد رحل عنا ، فان مبادئه خالدة على مر
العصور والأزمان •

الفصل الأول

الاستعمار القديم والجديد

« ... ان الاستعمار ما زال يريد بالطريق المباشر أو بالطريق غير المباشر ، أن يحتفظ باليد العليا في القارة الأفريقية ... لكي يسلب شعوب القارة المضمون الحقيقي لكل الانتصارات التي أحرزتها ضد الاستعمار في شكله التقليدي القديم ، ويحاول نهب الثروات بالتفرقة العنصرية ، وبالأرهاب المسلح بالمؤامرات المتوالية .. أن يفرض عليها نفس الاستغلال القديم ، لكن ، بأساليب متطورة وحديثة ... » .

جمال عبد الناصر

ان الحركة الاستعمارية بالمفهوم الذي نتناوله في هذا البحث ظاهرة متكاملة الجوانب اقتصادية وسياسيا واجتماعيا وثقافيا ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الرأسمالي كوجهين لعملة واحدة ، قاما معا ، وتطورا معا من خلال ظروف تاريخية وحضارية أتاحت دائما امكانية تصدير الأزمات الداخلية للنظام الرأسمالي الاستغلالي الى المناطق المستعمرة . والواقع أنه لا يوجد خلاف في الجوهر بين الآثار العملية لظاهرة الاستعمار في القرن الماضي ، وبين الآثار العملية لهذه الظاهرة في وقتنا الراهن مهما اختلفت الأساليب والوسائل . فالاستعمار يقوم دائما على استنزاف ثروات الشعوب وناتج عملها الوطني ، وتصدير أزمات النظام الرأسمالي الى خارج حدوده .

مراحل تطور الحركة الاستعمارية :

أصبح الاقتصاد الأوربي نتيجة لسياسة نظام الانتاج الرأسمالي في القرن التاسع عشر في حاجة الى مصدر للمواد الخام الرخيصة الثمن ، وسوق واسعة لتصريف المنتجات الصناعية . ومع نمو قوى الانتاج ، وعجز السوق الداخلية في أوربا عن الوفاء بأى من هاتين الحاجتين ، الأمر الذي حدد النظم الرأسمالية بالانهيار المبكر ، يقابل ذلك أن المناطق المتخلفة المبكر في قارات آسيا وأفريقيا

وأمرىكا اللاتينية خارج أوربا تزخر بالثروات التى تشكّل الاحتياطي الضخم الذى استطاع تاريخيا أن يحل متناقضات النظام الرأسمالى الأوروبى، حيث وفرت له المصدر الرخيص للمواد الخام والسوق غير المحدودة لتصريف الانتاج فى وقت واحد • ومع استمرار النظام الرأسمالى فى غرب أوربا ودخوله الى أعتاب الاحتكارية داخل كل دولة على حدة، تطورت أشكال التعامل بين النظم الرأسمالية المختلفة لتصبح عملية تصدير واستيراد رؤس الأموال الأجنبية هى الواجهة التى يتم من خلالها كل شىء •

وكان اتساع القارة الأفريقية، كفيلا بحل المنازعات بين انجلترا وفرنسا، ومرجئا لقيام أى خلاف بين ألمانيا وإيطاليا • وكذلك كان حال القارة الآسيوية • وسارعت الدول الاستعمارية الى القارتين لتحقيق غاياتها الاقتصادية واغتصاب ثرواتها الزراعية والمعدنية، ومن ثم فقد عمل الاستعمار على أن يجعل من إفريقيا وآسيا امتدادا طبيعيا اقتصاديا لاقتصاديات دول أوربا، وربط ثروات القارتين بالاقتصاد الغربى •

وقد اتسم النظام الاستعماري فى هذه المرحلة التاريخية بسمتين أساسيتين :

- تصدير واستيراد رؤس الأموال الأجنبية بصورها المختلفة •
- احتلال عسكري لأراضى المناطق المتخلفة لحماية استثماراتها •

لذا يمكن القول بأن الاستعمار فى صورته القديمة هو قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها الاقتصادية أو السياسية خارج حدودها على شعوب أجنبية عنها غير راغبة فى ذلك بهدف امتلاك الأرض وثرواتها واستغلال السكان • وكان الاستعمار بصورته الكاملة يشمل الى جانب السيطرة السياسية والاقتصادية، الاحتلال العسكري، والهجرة بقصد التوطن فى أقاليم المستعمرات واحتلال رعايا الدولة الاستعمارية وأشخاص من الأجانب محل السكان الأصليين أو باخضاعهم لظروف معيشية قوامها التحكم والتمييز •

ولعل في القاء نظرة على تاريخ بعض الدول الاستعمارية ما يوضح لنا
المبررات التي يعلنها الاستعمار القديم في سبيل تحقيق هدفه الأساسي وهو
بسط السيطرة والنفوذ والاستغلال الاقتصادي . فقد ادعت فرنسا أن احتلالها
للجزائر كان على سبيل الانتقام لاهانات لحقت بها ، وادعت بريطانيا أن
احتلالها لمصر كان لمساندة الخديوى ومساعدته على اخماد التمرد ، كما ادعت
الدول الاستعمارية أن احتلالها لأفريقيا وآسيا كان لنشر حضارة الرجل
الأبيض ومدنيته !!

ونظرا لتصاعد حركات التحرر الوطنى بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة
لتسكّر الدول الاستعمارية للوعود التي بذلتها للشعوب بمنحها حق تقرير
المصير عقب انتهاء الحرب مقابل مساعدتها على احراز النصر ، فقد حدثت بعض
التطورات كان لها أبلغ الأثر على ظاهرة الاستعمار العالمى وتطوره أهمها :
بدء ظهور طبقة رأسمالية ناشئة داخل المستعمرة ساهم الاستعمار فى خلقها
واعدادها لدور معين ، وتبلور صورة تقسيم العمل على المستوى الدولى بين
دول منتجة أساسا للمواد الخام والدول الصناعية . فأصبحت هناك دول فقيرة
ودول غنية ، دول متخلفة ودول متقدمة ، وأصبح هذا الواقع الاقتصادى الدولى
يفرض نفسه على كل صور الحياة الأخرى .

الاستعمار الجديد :

حاول الاستعمار عقب الحرب العالمية الثانية تكرار ما فعله عقب الحرب
العالمية الأولى ، ولكن اشتعال حركة التطور الوطنى وكفاحها المسلح أجبره
على اجلاء قواته العسكرية ، ونالت كثير من الدول استقلالها السياسى . وقد
اضطر الاستعمار لذلك ، لابدافع انسانية ، وانما بعد حسابات وموازنات حكمتها
أربعة عوامل :

— ان حركات التحرر الوطنى نتيجة لصمودها فى الكفاح المسلح جعلت
وجود الاحتلال الأجنبى على أراضيها أمرا له تكاليفه الباهظة للغاية
بشرىا وماديا .

— بلوغ الاحتكارات العالمية وخاصة المتنامية الى الاقتصاد الأمريكي المتقدم
تكنولوجيا ، مرحلة السيطرة الكاملة على اقتصاديات المناطق المستعمرة •

— ضمان الاستعمار لوجود طبقات رأسمالية — كان قد خلقها في تلك
المناطق — لتعمل كواجهة أمامية له وتقوم بحماية مصالحه مقابل الاستفادة
من الفئات المتبقية على مائدته من دم الشعب •

— بروز قوة الرأي العام العالمي المعادية للاستعمار وتعاضم قوة الدول
الاشتراكية المساندة لحركات التحرر الوطنية •

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في تطور الظاهرة الاستعمارية ، وأخذت
الدول الاستعمارية تعمل على ابتكار أساليب جديدة للاستعمار ، الغرض منها
دوام سيطرتها واستغلالها لشعوب أجنبية عنها • وظهر الاستعمار في قناع
جديد •

فلاستعمار الجديد لا يرفض اعلان استقلال المستعمرات والاعتراف
بوجودها كدول ذات سيادة ، طالما أنه يكفل لنفسه الظروف التي تمكنه من
فرض ارادته على تلك الشعوب واستمرار استغلاله لها • كما أن الاستعمار
أصبح لا يرتبط لزوما بعمليات التوطين أو الاحتلال العسكري الأجنبي • وليس
من الضروري أن تقوم الدولة بتنفيذ سياستها الاستعمارية بنفسها بل من الجائز
أن يقوم الأفراد أو الشركات أو الهيئات بتنفيذ هذه السياسة بتأييد من الدولة •

اساليب الاستعمار الجديد :

ويزحف الاستعمار الجديد لاستقلال الشعوب متبعا وسائل عديدة فضحها
الزعيم المناضل جمال عبد الناصر وأهمها :

— استغلال مشكلات الدول للتدخل في شئونها والسيطرة على مقدراتها
مثل التناقضات الطبيعية — والتي كان للاستعمار الفضل الأول في
تجسيدها — سواء أكانت دينية أم قبلية مثال نيجيريا والاقليم الشرقي
(بيافرا) •

» . . . ان الاستعمار مازال يريد بالطريق المباشر أو بالطريق غير المباشر أن يحتفظ باليد العليا في القارة الافريقية ، وهو يحاول استغلال التناقضات الطبيعية في القارة ، ومشاكل ما بعد الاستقلال . . لكي يسلب شعوب القارة المضمون الحقيقي لكل الامتيازات التي أحرزتها ضده في شكله التقليدي القديم

— العمل على ابقاء الدول في حالة تخلف اقتصادي ، وحصر اقتصادها القومي في الصناعات الزراعية والاستخراجية والاستهلاكية الخفيفة مع احتفاظها معه بعلاقات غير متكافئة في الميدان الاقتصادي تخضع بمقتضاها للاستغلال الأجنبي أو تحرم من حريتها في التصرف في بعض شئونها الداخلية ، كعقود الامتياز والضغط المستمر بتخفيض أسعار المواد الخام مقابل رفع أسعار المواد المصنوعة . وتعاون الدول الاستعمارية في هذا المجال عن طريق الاتفاقات الاحتكارية واقامة التكتلات الاقتصادية .

» . . . لقد آن الوقت الذي يتعين فيه أن تراجع عقود الامتياز القديمة ، التي تسلم ثروات بلاد كثيرة الى بلاد غيرها بدون ثمن عادل . . لقد آن الأوان لكي نلح في رفع أسعار المواد الخام التي نعطيها ، أو يعطيها معظمنا ، بحيث تتناسب مع أسعار المواد المصنوعة التي نحاول ، أو نحاول معظمنا أن نحصل عليها تنفيذا لآماله في التنمية . . . (١) .

— اتخاذ السبل الكفيلة بإبقائها على حالة من التخلف العلمي والفني لضمان استمرار سيطرته عليها ومن صور ذلك منع المعونة العلمية والاكتشافات الحديثة ، وتشجيع الكفاءات العلمية من أبنائها على الهجرة للعمل بالدول الاستعمارية ، والسيادة على بعض اللجان الفنية مثل لجنة التعاون الفني الأفريقي (C. C. T. A.) التي تكوّنت عام ١٩٤٩ بمشاركة بعض الدول الأوروبية والأفريقية بهدف تبادل المعلومات

(*) من كلمة عبد الناصر بمقر المجلس التنفيذي ببلغراد في ٢ سبتمبر ١٩٦٥

من خطاب عبد الناصر في افتتاح مؤتمر دول عدم الانحياز الثاني بالقاهرة

في ٥ أكتوبر ١٩٦٤

والخبرات الفنية من أجل استغلال موارد القارة فتقدم أبحاثها العلمية في مجال الصناعة للاحتكارات الغربية ولا تقدم للدول الأفريقية إلا ما يساعدها على انتاج المحاصيل الجيدة لحساب هذه الاحتكارات . وقد فكرت منظمة الوحدة الأفريقية في شراء هذه المؤسسة فلم تجد فيها سوى مكتبة ، بينما استولت الشركات الاحتكارية على الأبحاث العلمية المتقدمة .

« . . . ان العلم هو طريق الحرية الحقيقية . . . والجهل هو أشد ألوان العبودية ظلاما ، كما أن قيوده وسلاسله هي أثقل القيود والسلاسل . . . بل ان الظواهر في العالم من حولنا لتوحى أن احتكار العلم سوف يصبح الشكل الجديد للاستعمار . . . » .

— ضرب تضامن الدول والشعوب النامية لأنه يشكل الخطر الأكبر ضد مصالحه ويحرمه من نهب ثرواتها والسيطرة على مقدراتها .

« . . . ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة له أثره على الدول الصغيرة . . . فهو يعزلها . . . ويفرق فيما بينها . . . كما يضعف الروابط والتعاون الذي يكون قائما بينها . . . وبذا تقع السيطرة الأجنبية . . . » (٢) .

— العمل على ابقاء الشعوب في حالة تخلف اجتماعي لا يصون كرامة الفرد وحرية استمرارا لاستعباده واستغلاله .

« . . . ان شعوبنا لا تصنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا في عداد الأصوات في الأمم المتحدة . . . ولكنها تريد الى جانب ذلك . . . أن يكون للاستقلال مضمون اجتماعي ، يصون كرامة البشر . . . كما يصون الاستقلال كرامة أرضهم . . . » (٣)

(١) من خطاب عبد الناصر في افتتاح مجلس الأمة في ٢٢ يوليو ١٩٥٧

(٢) من خطاب عبد الناصر أمام مؤتمر باندونج في ١٩ أبريل ١٩٥٥

(٣) من خطاب عبد الناصر أمام القمة الإفريقية الثانية في ١٧ يوليو ١٩٦٤

- تعبير الانقلابات والمؤامرات ، واثارة الحروب الأهلية ، واغتيال العناصر الوطنية ، واقامة حكومات عميلة موالية له . وقد لاقى هذا الاسلوب رواجاً في الوقت الحالى .

« . . . اننا نشهد ظواهر خطيرة من حولنا . . . تتفاقم بغير علاج . . . ان الحروب الصغيرة تشتعل فى أكثر من مكان فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . . . وانقلابات الداخل الموجهة والمدبرة من جانب الأجهزة الخفية للقوى الكبرى تتكرر أمامنا كل يوم . . . ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية يجرى التمهيد لها على قدم وساق . . . بل ونجد كيانات لها شكل الدول ، وهى فى الحقيقة مجرد قناع وشعار . . . وتجارة الجنود المرتزقة الأجانب تمارس الآن بغير شرف وبغير خجل . . . وفى ظروف يمكن أن ينتج عنها أوخم العواقب . . . » (١)

- ابقاء الجيوش الوطنية بشتى الوسائل على حالة من التخلف والضعف لا تستطيع معه حماية استقلالها السياسى اذا مادعا الأمر لذلك ، والاكتفاء بجعلها قوة بوليسية ذات بأس شديد لحماية عملائه الجالسين على قمة السلطة بالداخل ولضرب وقمع الحركات الوطنية .

- تسليم مقاليد الحكم فى الدولة الى حكومة من الأقلية البيضاء ، تمارس التمييز العنصرى وتعمل لاستغلال الغالبية العظمى من الشعب «الملون» !!

« . . . ان مشكلة روديسيا ليست بعيدة عنا . . . بل لربما كنا نحن أقرب اخواننا الأفريقيين الى فهم طبيعتها . . . فهى فى صميم الأمر تكرار لمؤامرة اسرائيل . . . أقلية غربية تدعى لنفسها عنصرياً حقاً فى وطن شعب آخر . . . وتحت ظل الاستعمار . . . تتقدم لتمسك بمفاتيح الثورة الوطنية والسلطة الفعلية . . . ثم تفرض بالقوة سيطرتها الى حد اعلان استقلال مزعوم . . . ويتظاهر الاستعمار بعدم الرضا ، مع أنه

(١) من خطاب عبد الناصر امام مؤتمر دول عدم الانحياز الثانى فى ٥ اكتوبر ١٩٦٤

يملك فرصة التغير ووسائله • • ولكنه فى الواقع شريك نفس المخطط العدوانى مهما تظاهر ومهما كان التنويع فى الأدوار •••• (١)

— استغلاله لأشكاله القديمة التى تمثلت فى زرع عملائه من المستوطنين فى المناطق الاستراتيجية على حدود الدول المتحررة فتقوم بمناوأتها والتهديد بالاعتداء عليها لإجبارها على تخصيص نسبة متزايدة من دخلها القومى لمواجهة أعباء الانفاق العسكرى لحمايتها ، هادفا من ذلك اعاقبتها عن السير قدما فى طريق التنمية الاقتصادية لدعم الاستقلال السياسى • ولعل فى دعم اسرائيل أوضح مثال لذلك بالنسبة للدول العربية ، وكذلك الحال بالنسبة لجنوب أفريقيا وروديسيا فى مواجهة الدول الأفريقية المتحررة •

— تفتيت الوحدة القومية متبعا جميع الأساليب المحققة لذلك ، ففى قيامها قضاء على نفوذه وانهاء لمصالحه ، وتاريخ الاستعمار حافل بالمخططات الاستعمارية ضد القومية العربية •

» • • • سيحاول الاستعمار بكل وسيلة من الوسائل أن يبدد بذور الشر والفتنة بين الدول العربية •• وسوف يقول ان مصر تريد نفوذا ما فى جهة ما • • هذا هو كلام الاستعمار • • وهذه هى طريقته • • فرق تسد • • التى استعملها بين الأفراد والأحزاب • • ويستعملها اليوم بين الدول • • • (٢)

— محاولة التغلغل الثقافى للوصول الى عقول الجماهير والتسلل المباشر وغير المباشر بأساليب عدة ، منها السيطرة على أجهزة الاعلام ، واقامة مراكز اجتماعية بالريف والمدن ، وتقديم المنح للدراسة • ومازال ماثلا أمامنا ما حدث مؤخرا فى بعض البلاد الأفريقية التى قامت بطرد فرق السلام الأمريكية من أرضها بعد كشف حقيقتها الاستعمارية •

(١) من خطاب عبد الناصر أمام مجلس الأمة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥

(٢) من خطاب عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى الثانى فى ١ يونيو ١٩٥٦

- شن الحرب النفسية ضد الشعوب المناهضة للاستعمار بجميع أساليبها مثل حرب الاشاعات لبث الفرقة بينهم وبين قياداتهم ، وحرب التشهير ، والدس بينهم وبين الدول الاشتراكية المناصرة لحركات التحرر العالمى بدعوى التخويف من الشيوعية ، وبهذا يصل الى تثبيت نفوذه ، بالإضافة الى ما يحققه ذلك من تفتيت الجبهات الداخلية •

» ••••• عندهم فى هذا أساليب لا أول لها ولا آخر • أساليب التزييف ، تزييف الوثائق • • وأساليب الاذاعات • • وأساليب الصحف • • وأساليب الدس • • وأساليب الخطابات • • وأساليب أعوان الاستعمار • • • • (١)

- التآمر على قضايا الشعوب فى الهيئات الدولية ، وقد جاهد الاستعمار العالمى فى تحويل هذه الهيئات لخدمة مصالحه ، بتكتل الدول الاستعمارية والحكومات العميلة التابعة لها لاجباط محاولات عرض الشعوب لقضايا كفاحها الوطنى واستقلالها ، بل وتجاوز الحد الى استخدام عمليات الأمم المتحدة ذاتها لحفظ السلام وبرامج معونتها كوسيلة للوصول الى أغراضه وممارسة الضغط والسيطرة وفرض أنظمة استعمارية كالتدويل •

» ••••• واليوم نجد أن الكونغرس بداية الاستعمار المقنع الذى لا يتورع حتى عن محاولة استغلال الأمم المتحدة ذاتها • • شعارا يخفى وراءه مطامعه • • ويقوم من خلف ظهره بمناورات لتحقيق أغراضه • • • • « و ••••• هكذا وجدنا أن للمحاولة الاستعمارية فى الكونغرس ضحيتين : شعب الكونغرس والأمم المتحدة • • • • (٢)

(١) من خطاب عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨

(٢) من خطاب عبد الناصر امام هيئة الامم المتحدة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠

— إقامة قواعد عسكرية وأحلاف استعمارية — بناء على اتفاقات قانونية دولية مع الحكومات العميلة — بحجة الدفاع عن خطر مستقبل وحقيقتها أنها وسيلة للضغط والتهديد والارهاب على الرغم من ارداة الشعوب •

• • • الاستعمار الجديد يحاول أن يحقق نفس الأهداف الاستغلالية للاستعمار القديم •• بوسائل تبدو في مظهرها أكثر مسايرة لروح العصر •• وفي هذا المجال أصبحت الأحلاف العسكرية موجهة الى الجبهات الداخلية لشعوب تتطلع الى الثورة على أوضاعها وتحقيق آمالها • • أكثر منها أدوات لمواجهة العدوان الخارجي ••• (١) ،

وقبل أن تنتهى من هذا العرض السريع للاستعمار وتطوره ، وأساليبه المتعددة ، نود أن نؤكد أنه يتلون بتغير الظروف المحيطة بالدول ، ويتكر من الوسائل ما يمكنه من بسط سيطرته ونفوذه على الدول الأخرى ، هادفا اختواء حركات التحرر الوطنية ، والقضاء عليها ، ضمانا لتحقيق مصالحه العسكرية والاستغلالية • ولعل فيما كتبه الثائر « كوامى نكروما » — والذي تعرض لانقلاب رجعى أبعده عن السلطة فى غانا — عن تطور الظاهرة الاستعمارية فى كتابه « الاستعمار الجديد » ما يلقي الضوء عليه وعلى مصيره فيقول :

يعتبر الاستعمار الجديد أسوأ ألوان الامبريالية ، فهو يعنى لمن يمارسونه سلطة دون تحمل المسؤولية ، ويعنى لمن يقاسونه استغلالا دون تعويض • وفى أيام الاستعمار القديم كان على الدول الامبريالية أن تبرر

(١) من خطاب عبد الناصر أمام مؤتمر الدول غير المنحازة فى ١ سبتمبر ١٩٦١

أعمالها في الخارج أمام شعبها ، أما في المستعمرة نفسها فقد كان من يخدمون الحاكم الامبريالي يتطلعون الى أن تقوم الدولة الامبريالية بحمايتهم ضد أى عدوان من خصومهم ، أما في حالة الاستعمار الجديد فلا يوجد أى من الوضعين •

ان الاستعمار الجديد مثل الاستعمار القديم ، محاولة لتصدير الصراع الاجتماعى الموجود فى البلاد الرأسمالية • ان النجاح المؤقت لهذه السياسة يمكن أن تراه فى توسيع الهوة التى تفصل بين الدول الغنية والدول الفقيرة • • • •

والحقيقة أن الاستعمار الجديد سيقع فريسة متناقضاته ، فحتى يبدو الاستعمار الجديد جذابا فى عين أهل المستعمرة ، يجب أن يظهر بمظهر النظام الذى يرفع من مستوى معيشتهم • فكيف يتم ذلك ، وهدف الاستعمار الجديد الاقتصادى هو الهبوط بمستوى المعيشة لصلحة المستعمر ، واذا فهمنا هذا التناقض أمكننا أن نفسر السر فى فشل برامج المعونة الكثيرة • •

الفصل الثاني

الاستعمار في فكر عبد الناصر

طالبا ثائرا ضابطا

« ... لقد كان اعظم الملامح في تجربتنا الفكرية والروحية .. اننا لم نهمك في النظريات بحثا عن حياننا ، وانما انهمكنا في حياتنا ذاتها بحثا عن النظريات ... ».

جمال عبد الناصر

شهدت مدينة الاسكندرية مولد جمال عبد الناصر في ١٥ يناير ١٩١٨ وسط أسرة متوسطة الحال ومن صميم الشعب فوالده كان يعمل موظفا بمصلحة البريد المصرية وقد تنقل الابن مع والده الى عدة مدن • واستقر به المقام مع عمه « بخان الخليلي » أحد أحياء القاهرة القديمة الدينية ، والتحق بمدرسة النحاسين الابتدائية ، وكان لاقامته بهذا الحى أثره الكبير في تشبعه بالقيم الدينية التي تنادى بالحرية والعدل والمساواة ومحاربة القهر والظلم والاستغلال • وقد انعكست هذه القيم على حياة عبد الناصر الشاب فنهل ضمن قراءاته الواسعة من سيرة سيدنا محمد (صلعم) فيقول « • • • وعندما كنت صيا أتلقى دروس الديانة في المدرسة • • استحوذ سيدنا محمد عليه السلام على كل اعجابي وتقديري • • فقد كان قائدا وزعيما • • كرس حياته لخدمة قومه وتحريرهم من ظلمة الجاهلية وضلالها • • » (١)

ويعلق جورج فوشيه (٢) على هذه الفترة من حياته بتأثيرها الواضح في تكوين شخصية الزعيم فقوت من روحه النضالية لما يحيطه من مظاهر الايمان بالدين والقيم الروحية والأخلاقية •

(١) من أقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي بالقاهرة في أكتوبر ١٩٧٠)

(٢) كتاب « جمال عبد الناصر » وصحبه « جورج فوشيه » مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

من مظاهر الى نائر :

وأثناء دراسته الثانوية بمدرسة رأس التين بمدينة الاسكندرية ، بعد نقل والده اليها ، لم يكن بالطالب العادى فساهم فى العمل الوطنى لمحاربة الاستعمار البريطانى بأقصى ما يمكن للطلبة المساهمة به فى هذه الفترة ، فاشترك فى المظاهرات الهاتفة بالجلاء والاستقلال * وفى عام ١٩٣٠ خرجت مظاهرة من مدرسته تهتف بالحرية لمصر وواجهها الانجليز باطلاق الرصاص ، وتساقط الشهداء والجرحى من حوله * (١) وتعددت المظاهرات التى اشترك فيها جمال * ولم يكن من المهم لديه أن يبدأ مع المظاهرة فى مسيرتها بل كان يجد نفسه مدفوعا للمشاركة فى أى مظاهرة يقابلها فى طريقه تعبيرا عن السخط المترسب فى أعماقه * ويؤيد ذلك ما قرره عبد الناصر بشأن مظاهرة اشترك فيها عام ١٩٣٣ « * * * ولم أتردد فى موقفى * * * فلقد انضمت على الفور للمتظاهرين دون أن أعرف أى شىء عن السبب الذين كانوا يتظاهرون من أجله * * * هوت على رأسى عصا من عصى البوليس تلتها ضربة ثانية * * * سقطت * * * ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من رأسى * * * * * سألت عن سبب المظاهرة فعرفت أنها مظاهرة للاحتجاج على سياسة الحكومة * * * «و» * * * بعد اشتراكى فى المظاهرة السياسية الأولى * * * دخلت الميدان بكل جوارحى وأصبحت رئيس لجنة لتنظيم المقاومة * * * » (٢) ويشير جورج فوشيه الى هذه الفترة من حياة الزعيم - ونحن نؤيده - بأنها كانت فترة تحول عبد الناصر من مظاهر الى نائر * .

كانت مصر أثناء مرحلة دراسته الثانوية (بمدرستى رأس التين بالاسكندرية والنهضة بالقاهرة ١٩٣٠ - ١٩٣٥) تمر بفترة عصية من حياتها السياسية فاتفعل بها جمال وتعمق مفهومه السياسى ، فقوات الاحتلال البريطانى على أرض الوطن ، والملك فؤاد يلغى العمل بدستور ١٩٢٣ ، وعلى الأثر قامت أزمة سياسية طاحنة وتنازع السياسيون فى سبيل الحكم ونادوا

(١) من خطاب عبد الناصر امام الجماهير بالاسكندرية فى ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤
(٢) من افوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منطلقة الشباب الاشتراكى بالقاهرة اكتوبر ١٩٧٠) .

بوجوب عودة الدستور ، وقامت ثورة الشباب تطالب بالوحدة الوطنية لمواجهة المستعمر وطفيان دكتاتورية الملك . وحدثت في هذه الفترة مذبحة كوبرى عباس الأولى سنة ١٩٣٥ حينما خرج ألوف الشباب في مظاهرة ضخمة احتجاجا على تصريح السير/صمويل هور ، وزير خارجية بريطانيا بأن موقع مصر الجغرافى فى طريق مواصلات الامبراطورية سوف يربطها الى الأبد بالامبراطورية البريطانية . وقاد الطالب الثائر جمال عبد الناصر احدى المظاهرات فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ بالقاهرة للاحتجاج على رئيس الوزراء توفيق نسيم لنقضه عهده باعدة العمل بدستور ١٩٢٣ والمناداة بحياة مصر وسقوط الاحتلال الذى أطلقت قواته الرصاص فسقط الشهداء والجرحى . ولما علم جمال باحتجاز بعض رفاقه بسجن الموسكى تجلت شجاعته بقيادة مظاهرة أخرى للعمل على الافراج عنهم ، وواجه الثائر الشجاع طلقات الرصاص مرة أخرى وأصيب فى رأسه وكتفه وضمت جراحه فى دار جريدة الجهاد التى صدرت فى اليوم التالى واسم الطالب جمال عبد الناصر من مدرسة النهضة الثانوية ضمن أسماء المصابين . (١) وقد عكست خطباته لأصدقائه فى هذه الفترة ما تكشف له ، وهو فى سنه الصغير ، عن مدى الظلم الواقع على الشعب من الاحتلال البريطانى وبحثه عن الطريق للحرية .

« ... قال الله تعالى .. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ، فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم ؟ ... ان الموقف دقيق ، ومصر فى موقف أدق ، ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت ، فان بناء اليأس عظيم الأركان ، فأين من يهدم هذا البناء ؟ ... (٢) ... ان فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة ، فأين من يغير هذا الحال ؟ .. والدستور معطل ، والحماية على وشك الاعلان ، فأين من يقول للاستعمار : قف عند حدك ؟ .. ان فى مصر رجالا ذوى كرامة لا يريدون أن يموتوا كالأنعام .. و .. ان الجميع يتمسحون بالاستعمار ، ولا يعرفون الا الملق والتزلف .. أين ذلك البلمس الذى تستظل بظله الوطنية ؟ .. ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع

(١) مقال « ابن مصر » اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

(٢) من فلسفة الثورة : جمال عبد الناصر .

وهم أثبت من الأطود رأيا وقلبا .. اذا عز النصر ، وخيف الزيف ، وأرهبته
القوة الغشوم .. أين وطنية ١٩١٩ ، ... (١) .

وهنا نجد أن سبيل عبد الناصر في محاربة الاستعمار من واقع فكره في
هذا الخطاب قد تجاوز الحدود الذهنية لمعظم أقرانه من الشباب الذين كانوا
ينادون بالاستقلال والجلء ، ولا يتعمقون بوجوب التخلص أولا من السلطة
الحاكمة القائمة على الفساد والرشوة ، والقضاء على أعوان الاستعمار المتسحين
به والمتزلفين اليه . لقد اكتشف عقل الشاب الثائر ووعيه ، مدى ما تعانيه مصر
من فراغ في حياتها السياسية رغم كثرة محترفي السياسة بها ، لفشلهم
ومنازعاتهم ولعدم ارتفاعهم الى مستوى الأحداث . وتجاوز وعيه الفكرى
النطاق الوطنى الى الوطن العربى حيث تابع الأحداث الدامية في فلسطين لثورة
العرب على اليهود ، وما كان يرتكبه الاستعمار الفرنسى من جرائم ضد
الوطنيين « ... وبدأت طلائع الوعي العربى تتسلل الى تفكيرى .. وأنا طالب
فى المدرسة الثانوية ، عندما كانت مشاعرى تهتز واحساساتى تتفاعل مع كل
ما يدور فى الوطن العربى من أحداث .. وكانت أهم الأحداث التى ملكت
على تفكيرى فى ذلك الوقت هى ثورة العرب فى فلسطين ثم الفطائع التى كان
يرتكبها الفرنسيون فى سوريا ... » (٢) .

ثقافة عبد الناصر الفكرية :

لم يكن الوعي العميق والفكر المستير للمطالب جمال عبد الناصر وليد
حماس فائر ووطنية جارفة ... فقد كان فى المرتبة الأولى نتيجة حتمية
لقراءاته العميقة . وعرف عنه استخدامه للقلم أثناء القراءة ، ووضع خطوطا
تحت العبارات التى تثير نفسه وتستوقفه للتأمل والتفكير ، ويعلق عليها بكلمات
من عنده . ويؤيد ذلك أنه وضع خطوطا تحت المحادثة التى دارت بين عالم
الآثار الفرنسى ومهندس الري المصرى «فى رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم»

من نص الخطاب المنشور بمقال « ابن مصر » اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة
العدد ١٨٧٧

(٢) من اقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي
بالقاهرة - اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

حول الشعب المصرى وافتقاره الى قائد مخلص يلتف حوله . . (١) كما عرف عنه استيعابه للكتب والمؤلفات التى تتعرض لأفكار وسير العظماء والفلاسفة ، مثل غاندى ، وفولتير ، وفكتور هيجو ، والاسكندر الأكبر ، ونابليون ، وجان جاك روسو فيلسوف الثورة الفرنسية . كما نهل من كتب الوطنية مثل كتاب « المدافعون عن الاسلام » الذى نشره وقدمه الزعيم مصطفى كامل يذكر فيه الأمة بمجدها السالف ويلقى الضوء على معالم الحضارة العربية وروعيتها ، ويدعو أبناء الأمة الى احياء المجد القديم . وكتاب « طبائع الاستبداد » للكاتب الوطنى السورى عبد الرحمن الكواكبي الذى عانى من الاضطهاد التركى ولجأ الى لبنان ثم مصر ، والذى كان ثورة عارمة على الاستعمار والاقطاع والطغيان . وكتاب « مجددى الاسلام » تأليف أحمد أمين الذى تناول فيه سير وكفاح المفكرين المناضلين مثل جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، (٢) ويتحدث عبد الناصر عن ثقافته الفكرية منذ كان طالبا فيقول : « . . . أذكر أنى أعجبت بعدد كبير من الأبطال . . . لقد أعجبنى غاندى كثيرا . . . » و . . . ومنذ عام ١٩٣٤ بدأت أقرأ الكثير عن مصطفى كامل ، قرأت تاريخ حياته ومقالاته الوطنية الحماسية ثم شرعت فى قراءة مؤلفات توفيق الحكيم وطه حسين . . . وكنت أجد متعة عند قراءة الكتب عن الثورة الفرنسية . . . أعجبنى فولتير . . . وقرأت لتشارلز ديكنز . . . وعندما كنت طالبا بالمدرسة الابتدائية ساءنى أن أقرأ فى كتاب التاريخ أن نابليون قد غزا مصر ، وأنه قد وضع مدافعه فوق تلال المقطم وأمطر القاهرة بوابل من القنابل . . . (٣)

وبدراسة الشباب للثورات ، وتفهمه لسير الأبطال ، ونضالهم ضد الاستعمار نضج وعيه السياسى وعرف ما هو الاستعمار وتأصلت فيه روح الحرب ضده . ولعلنا نكشف عن تعطشه للحرية وتطلعه اليها ، بأعجابه

(١) مقال « ابن مصر » اعداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧ .

(٢) من مقال ابن الارض الطيبة يوسف الشريف مجلة صباح الخير العدد ٧٦٩ .

(٣) من اقوال الزعيم الخالد كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي

بالقاهرة - اكتوبر سنة ١٩٧٠)

بالفيلسوف الفرنسي فولتير فكتب بشأنه مقالا أثناء دراسته بمدرسة النهضة الثانوية بمجلة المدرسة ، والذي نشرت صورته مؤخرا بالصحف والمجلات المصرية ، فنجده يصف فولتير بأنه رجل الحرية وأعرب عن إعجابه به لمحافظته على استقلاله ككاتب ، ويختم المقال بحديثه عن الثورة ضد التقاليد في حياة فولتير وأنه مهد مع آخرين لقيام الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩

مفهوم الوحدة الوطنية لدى الطالب عبد الناصر :

واستمرارا لاستعراض حياة مصر خلال فترة شبابه نجد أن العمل الايجابي الوطنى كان سبيله لمواجهة الأحداث وجاء بكتابه فلسفة الثورة فى هذا الشأن : « ... أصبح العمل الايجابى فى رأى أن يجمع كل زعماء مصر ليتحدوا على كلمة واحدة وطافت جموعنا الهائفة الثائرة بسيوتهم واحدا واحدا تطلب اليهم باسم شباب مصر أن اجتمعوا على كلمة واحدة ... » (١) وأصبحت الوحدة الوطنية حقيقة واقعة الا أنها تمخضت عن توقيع معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا (معاهدة الاستقلال !!) والتي اعترفت بالاحتلال وجمدت كفاح مصر ضد الاستعمار لفترة طويلة ، واصطف فيها جميع زعماء مصر السياسيون المعروفون وأعلنوا عهد الصداقة والتحالف مع المستعمر البريطانى ، عدو البلاد ، الذى قدم هذه المعاهدة عن طيب خاطر ، لادراكه أن يوم المواجهة مع المانيا النازية وايطاليا الفاشية قريب ، وأنه فى حاجة شديدة لتأمين ظهره فى صراعه المقبل مع دول المحور متبعاً فى ذلك سياسة ربط المستعمرات بمعاهدات قانونية ، بدلا من الاحتلال السافر ضد أمانى الشعوب ... وأصيب الشباب بخيبة أمل عظيمة ، وتبين له أن الوحدة الوطنية لمواجهة الاستعمار لا تؤتى ثمارها بتحالف الساسة والطبقات المتأثرة فقط بل يجب أن تكون تحالفا بين جميع فئات الشعب صاحب المصلحة الحقيقية فى مواجهة الاستعمار . ولعل هذا هو الوقت الذى نبت فيه أفكاره عن خطر الحزبية فى بلد محتل وإلى ما نفذه فيما بعد عند ثورته بحل الأحزاب السياسية وإنشاء هيئة التحرير لتمثل الوحدة الوطنية الحقيقية لجمع قوى الشعب لمحاربة الاستعمار

(١) من فلسفة الثورة ، جمال عبد الناصر .

ونواصل مع جمال عبد الناصر سرده لما أسفرت عنه الوحدة الوطنية التي كان يطالب بها فيقول « ... ولكن اتحداهم على كلمة واحدة ، كان فجيعة لا يمانى فان الكلمة الواحدة التي اجتمعوا عليها كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ (١)

من هنا ولهذه الأسباب كان عبد الناصر على قناعة تامة كما يقول « جورج فوشيه » بأن مصر لن تحصل على استقلالها بالخطب والمرافعات بل يجب أن تقابل القوة بالقوة ، والاحتلال العسكري بجيش وطنى .. وقرر أن يكون ضابطا .

عبد الناصر والجيش :

والتحق الطالب الثائر بالكلية الحربية وتخرج بعد سنتين ، وبدأ الضابط الشاب يلتمس عن قرب شدة ضعف الجيش المصرى ولهو الضباط ، وبدأ بحثه عن الرفاق الجادين المخلصين للوطن . وكانت نواة الثورة فى معسكرات منقباد مع الذين تلاقوا معه فى أفكاره ضد المستعمر والفساد ، وتنقل فى عدة وحدات عسكرية بمصر والسودان الى أن عمل مع جيش الاحتلال فى العلمين فتأججت فى نفسه الرغبة فى التخلص منه ويعبر عن ذلك قائلا : « ... بعد نشوب الحرب بزمان وجيز ، نقلت الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال . بالقرب من العلمين ، وكان ذلك بقصد التدريب لعدة أشهر ، وكانت أول مرة أحتك فيها احتكاكا حقيقيا بالبريطانيين كجنود وأشخاص ... كان شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن ، (٢)

اثر حادث ٤ فبراير على عبد الناصر :

ووقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كانت بريطانيا تقاتل والحرب تمر بمرحلة حيوية فى الصحراء الغربية وصمم البريطانيون على قيام حكومة مصرية تؤازرهم وذهب السفير البريطانى « السير/مايلز لامبسون » لمقابلة

(١) من فلسفة الثورة جمال عبد الناصر .

(٢) من اقوال الزعيم الخالد . كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي

بالقاهرة - اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

الملك فاروق وسلمه انذارا يخيره فيه بين اسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس (رئيس حزب الوفد) مع اعطائه الحق فى تشكيل مجلس متعاون مع بريطانيا ، وبين الخلع ، وقد سلم الملك بلا قيد أو شرط وكان للحادث أثره العميق فى اذكاء روح الوطنية والفداء بين ضباط الجيش . وكان وقع صده مؤلما فى نفس الضابط الشاب جمال عبد الناصر ، وهنا يصف مشاعره فى خطاب أرسله لصديق قائلا : « ان خطابك هز مشاعرى وهز كيانى وجعلنى أغلى غليانا مرا اننى أشعر بالخزى والعار لمن سكت على هذا الاعتداء وارتضاء ولكنى الآن سعيد فبعد أن كان ضابطا يتحدثون ويشغلون أوقاتهم بالحديث عن ساعات اللهو والمسرات بدأوا يتحدثون عن الانتقام ، لا من أجل القصر ولكن من أجل مصر » (١) و « ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائعين ، » (٢) وأحس عبد الناصر أن تطورا الى أفضل حدث بين ضباط الجيش ، الذى لم يعد كما كان يراد له مجرد أداة للأمن الداخلى والاستعراضات ، فلم يعد ضباطه يلهون بالدنيا ، وأصبحوا يفكرون فى الانتقام والثأر لكرامة مصر وكرامتهم ، ويتبلور فكر عبد الناصر عن تكوين نواة لتنظيم الضباط الأحرار الذين عاهدوا الله على القضاء على المستعمر وأعوانه من الخونة . وكان عام ١٩٤٥ بالنسبة لعبد الناصر « أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب فقد شهد بداية حركة الضباط الأحرار (٣)

حرب فلسطين وعبد الناصر :

فى مايو عام ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وأعلن قيام دولة اسرائيل . ودخلت الجيوش العربية أرض فلسطين وشارك الضابط الثائر فى القتال . وكانت فترة حاسمة فى حياته فتبلورت عقيدته الفكرية ، ورأى بجلاء ووضوح طريقه لثورة التحرير وتوصل الى أن وطنه « مصر » محاصر

(١) من مقال (ابن مصر) انداد محمد عبد الحميد مجلة آخر ساعة العدد ١٨٧٧

(٢) من فلسفة الثورة - جمال عبد الناصر .

(٣) من أقوال الرئيس الخالد - كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي بالقاهرة - اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

بالأعداء وأن المعركة الحقيقية يجب أن تبدأ به • ويقول مستعرضا لفترة حصاره في الفالوجا « » وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء وغرر به ، ودفع الى معركة لم يعد لها ، ولعبت بأقداره مطامع ومؤامرات وشهوات ... كان أحمد عبد العزيز (قائد المتطوعين) يقول دائما : ان المعركة الحقيقية في مصر « » و « » لقد اتضح لي عندئذ أن المعركة الحقيقية هي بالفعل في مصر ، فبينما كنت ورفاقي نحارب في فلسطين ، كان السياسيون المصريون يكسسون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة التي اشتروها رخيصة وباعوها للجيش • (١) ،

ولم ينس عبد الناصر خلال الحرب أن عدوه الأول هو الاستعمار ثم صنيعة اسرائيل • وحاول أن يتلمس الطريق السليم في سبيل حربه المستقبلية ضده ، بدراسة خطى من قاوموه وانتصروا عليه • فلم يجد حرجا من سؤال أعدائه في المعركة عن أسلوبهم في مقاومة الانجليز أثناء الانتداب ابريطاني لفلسطين ، ونستشهد في ذلك بما قرره الزعيم الخالد من حديث لأحد الضباط الاسرائيليين نشر بجريدة « جويشن أوبزرفر » بأنه أثناء لقائه مع عبد الناصر في مباحثات عن الهدنة كان الموضوع الذي يطرقه عبد الناصر معه دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز وكيف نظموا حركة المقاومة السرية في فلسطين وكيف استطاعوا أن يجندوا الرأي العام في العالم وراءهم في كفاحهم ضدهم • (٢)

وبانتهاء معارك الجيوش العربية بفلسطين وعودة عبد الناصر الى مصر ، كان قد تأكد وضوح الرؤية لديه • وتبلورت فكرة القومية العربية وتحددت نهائيا في ذهنه ، بضرورة قيام الوحدة العربية باعتبارها سلاحا لا يخبى في حربه ضد الاستعمار ، وأيدت ذلك دراسته بكلية أركان الحرب للمشكلات الاستراتيجية في الشرق الأوسط ويقول في ذلك : « » كنت قد قرأت

(١) من اقوال الزعيم الخالد - كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي بالقاهرة - أكتوبر سنة ١٩٧٠) •

(٢) من فلسفة الثورة - جمال عبد الناصر •

تاريخ العرب منذ أقدم العصور ، وعرفت أنه عندما كان العرب وحدة متماسكة ، استطاعوا رد المعتدين على أعقابهم كما حدث أيام الحروب الصليبية ، ولكن بعد أن فرق المستعمرون بين العرب أصبحوا عرضة للهزيمة وفريسة للسيطرة الأجنبية . وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عيني طوال فترة المناقشة في العام السابق للثورة سنة ١٩٥١ - التي كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر - ولأول وهلة اتضح لنا ، أن مصر مثلها في ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربي ، لا يمكن أن تضمن سلامتها الا مجتمعة مع كل شقيقاتها في العروبة ، في وحدة قوية متماسكة (١)

ومن المحقق أن عبد الناصر كان مهيبا لأداء دوره في السياسة العالمية ، فقد ناقش في كتابه فلسفة الثورة المجالات التي يمكن أن تقوم فيها مصر بدور ايجابي فتحدث عن أرض مصر ومكانها من العالم ، وذلك الموقع الاستراتيجي الهام ، الذي يعتبر ملتقى طرق العالم ومعبى تجارته وممر جيوشه . واهتدى الى الدوائر الثلاث المعروفة : العربية والافريقية والاسلامية ولقد مضى عهد العزلة و « . . . ولم يعد مفر أمام كل دولة من أن تجيل البصر حولها تبحث عن وضعها وظروفها في المكان . وترى ماذا تستطيع أن تفعل فيه وما هو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ودورها الايجابي في هذا العالم المضطرب (٢)

هكذا تكونت عقيدة عبد الناصر في معاداته للاستعمار ، وتبلور فكره ، وخرجت مبادئه الى حيز الوجود ، عند قيامه بثورته . فأعلن الحرب على الاستعمار ، وكشف حيله وأساليه ، وتصدى لها ، وقاومها في كل زمان ومكان دون أن يخشى بأسه أو يلين لتهديده ، أو تغريه عروضه ووعوده . فكان قائدا وطنيا محاربا للاستعمار ، ليس في مصر والوطن العربي فحسب بل في العالم كله على الوجه الذى سنوضحه .

(١) من اقوال الزعيم الخالد - كتاب عبد الناصر والثورة (منظمة الشباب الاشتراكي بالقاهرة - اكتوبر سنة ١٩٧٠) .

(٢) من فلسفة الثورة - جمال عبد الناصر .

الفصل الثالث

حرب عبد الناصر

ضد الاستعمار البريطاني في مصر ونضاله لتدعيم الاستقلال

« ... ان هذا الجيل من شعب مصر على موعد
مع القدر فمئذ أكثر من ألفي سنة ووطننا يحكمه
الفراة ... والحلم الضائع لابنائنا ان يعود وطنهم يوما
اليهم . وقد قدر لهذا الجيل ان يعيش ليرى عودة الحلم
الضائع ... »

جمال عبد الناصر

في صباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لاحت في أفق الحياة المصرية
نسمات الحرية باعلان السيد/أنور السادات من محطة الاذاعة المصرية بيان
الثورة الأول التي أعد لها وكافح في سبيل نجاحها وقادها الضابط الثائر
جمال عبد الناصر .

الثورة سلاحه الأول ضد الاستعمار :

لقد شهر الزعيم الخالد أول أسلحته ضد الاستعمار باعلان الثورة فكان
هذا اليوم « بداية مرحلة جديدة ومجيدة في تاريخ النضال المتواصل للشعب
العربي في مصر » (*) وكان من الطبيعي أن يعلن البطل أول مبدأ لثورته
في مواجهة جيوش الاحتلال البريطاني الرابضة في منطقة قناة السويس ، وهو
القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين . ولايمانه بأن الشعوب
لا تبني مستقبلها في الحياة الحرة الكريمة الا بتحرير الفرد من الظلم الاجتماعي
وتحرير الأرض من الاستغلال فكان مبدأ الثورة الرابع هو اقامة العدالة
الاجتماعية والتي لن تتحقق الا بالقضاء على الاقطاع والاحتكار وسيطرة
رأس المال على الحكم . وهما المبدأان الثاني والثالث للثورة . وحماية للمجبهة
الداخلية والاستقلال السياسي كان لابد من اعلان المبدئين الخامس والسادس
لثورة وهما اقامة الجيش الوطني واقامة الحياة الديمقراطية السليمة .

(*) اميثاق العمل الوطني .

ويهمنا هنا في هذا الفصل حربه ضد الاستعمار البريطاني ، وكان مرشده الأول فيها كفاح الشعب المستمر ضده ، ويعبر عبد الناصر عن هذا أبلغ تعبير فيما أورده بالميثاق وقائلا :

« ... ان قوة الاحتلال البريطاني العسكرية ومؤامرات المصالح الاحتكارية الاستعمارية والاقطاع الذي أقامته أسرة محمد علي باحتكارها للأرض أو اقسام جزء منها بين أصدقائها أو أصدقاء المستغلين الأجانب ، ذلك كله لم يستطع أن يطفىء شعلة الثورة على الأرض المصرية . »

ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية في مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبي والمصالح الدولية الاستعمارية ... ، و « ... » لقد سكت أحمد عرابي ، ولكن صوت مصطفى كامل بدأ يجلجل في آفاق مصر ... ، ويستمر التأثير في عرض كفاح الشعب الى أن قامت ثورة ١٩١٩ ، ويوضح أن الأسباب التى أدت لفشلها أمام المستعمر كانت هي نفس الأسباب التى حركت حوافز ثورته ، ولخصها في : « اغفال القيادات التى تصدت في مقدمة الموجة الثورية للجوانب الاجتماعية من محركات الانفجار الثورى ، فلم تستطع أن تبين بوضوح أن الثورة لا تحقق غاياتها بالنسبة للشعب الا اذا مدت اندفاعها الى ما بعد المواجهة السياسية الظاهرة من طلب الاستقلال ووصلت الى أعماق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية » (١) . هذا بالإضافة الى عجزها عن تحديد موقع الشخصية المصرية في نطاق القومية العربية بالرغم مما كان واضحا من أن أسباب نجاح المستعمر في مواجهته للأمة العربية كان لتعامله معها « أمة عربية ممزقة الأوصال مفتة الجهد » (٢) وأخيرا فقد انخدعت هذه القيادات بالتنازلات الشكلية التى يمنح بها الاستعمار « من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ومن الحرية شعارها واغتصب حقيقتها ، وهكذا انتهت الثورة باعلان استقلال لا مضمون له ، وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال » (٣)

لقد كان لنفاذ رؤية عبد الناصر أثره الحاسم فى النتيجة الايجابية الباهرة التى انتهت بانتصاره على الاستعمار البريطانى فى مصر • فقد تعددت أسلحته من قضاء على أعوانه ، وتحرير للفرد من الظلم الاجتماعى والاقتصادى ، وتجميع لقوى الشعب فى وحدة وطنية ، وتضامنه مع الدول العربية ، وبالكفاح المسلح • ولم يكن استعماله لهذه الأسلحة مرحليا فقد فطن الى وجوب السير فيها كوحدة متكاملة •

القضاء على أعوان الاستعمار :

كان فى تحالف القصر الملكى والرأسمالية المتحكمة والاقطاع المستبد والأحزاب السياسية الزائفة أكبر عون لاستمرار الاحتلال • فبدأ عبد الناصر بطرد الملك قمة التحالف البغيض فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، واعتقل عددا كبيرا من الاقطاعيين ومحترفى السياسة ورجال الحكم السابقين من الخونة فى سبتمبر ١٩٥٢ ، وتشكلت محاكم القدر فى ديسمبر ١٩٥٢ لمحاكمة من استخدم نفوذه للاثراء غير المشروع • وتم حل الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها ومحاكمة عدد من رجالها حاولوا القيام بمؤامرة ضد الثورة فى يناير ١٩٥٣ ، وبهذا فقد الاستعمار أعوانه وركيزة وجوده فى مصر •

••••• وبعد النصر الثورى العظيم صباح ٢٣ يوليو ، وفى طريق الشعب الى التقدم الثورى ، داست الجموع المنتصرة بأقدامها بقايا المهد الملكى الدخيل ودكت حصون الاقطاع واجشت جذور الرجعية •

لقد كانت تلك هى الركائز التى ثبت الاستعمار عليها وجوده فوق أرضنا وبانقضاء شعبنا عليها وتدميرها فان الوجود الاستعمارى فقد حلقات اتصاله بأرض الوطن الطاهرة ••••• (١)

(١) ميثاق العمل الوطنى •

الوحدة الوطنية :

وايمانا من عبد الناصر بوجوب الوحدة الوطنية بتحالف جماهير الشعب الذى تطلع وناضل طويلا فى سبيل الحرية ، ونبعا من فجيعة بالوحدة الوطنية التى تمثلت فى تحالف الزعماء والطبقات الممتازة والتى تمخضت عن توقيع معاهدة ١٩٣٦ (معاهدة الاستقلال ٩٩) فكان أمله كبيرا - بعد قضائه على أعوان الاستعمار وتحرير الفرد من الاستغلال بالقضاء على الاقطاع - فى اعلان تأسيس هيئة التحرير فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ بعد حل الأحزاب السياسية وتكونت تحت شعارى « الاتحاد والنظام والعمل » و « وكلنا أعضاء فى هيئة التحرير » . وقد عبرت هذه الهيئة فى حركتها عن خروج الثورة من نطاق العمل فى الجيش الى حدود العمل وسط الجماهير الشعبية بأفاقها الواسعة .

وبعد القضاء على أعوان الاستعمار وقيام الوحدة الوطنية لم يكن أمام المستعمر بد من أن يبدأ مباحثات الجلاء فى أبريل ١٩٥٣ خاصة وقد فوت عبد الناصر عليه فرصة المساومة على مشكلة استقلال السودان الشقيق - والتى كانت الجهود السابقة تتمسك بها شكلا لا حقيقة - وذلك بتوقيع الاتفاق المصرى البريطانى فى فبراير ١٩٥٣ ويضمن للشعب السودانى حق تقرير مصيره .

الكفاح المسلح :

عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بدأ الكفاح المسلح مرحلته الأولى ضد قوات الاحتلال البريطانى فى قاعدة قناة السويس ، ولما كانت السلطة الحاكمة آنذاك غير جادة فى حربها ضد الاستعمار فهو حاميا وسندا ، لذا فقد تعرض الفدائيون الى حملات الاعتقال وبدأت السلطات فى تصفيتهم .

وبقيام الثورة وانتقال السلطة وقمة جهاز الدولة الى القوى الثورية بقيادة جمال عبد الناصر ، بدأت مرحلة جديدة وحاسمة فى حركة الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال . وكان لدور القائد المناضل ولمن عاونه فيها من الرجال الشرفاء المخلصين ولمن استشهدوا فى سبيل الوطن ، الأثر الكبير فى نجاح الكفاح وتوحيجه بالنصر .

وقد تميزت هذه الحركة بعدة خصائص أساسية نعرضها في إيجاز :

- تناسقت حركة الكفاح المسلح مع موقف المفاوض الانجليزى من قضية الجلاء بهدف ضغط المقاومة عليه لإجباره على تقديم تنازلات عند تشدده .

- توحيد عمليات المقاومة تحت قيادة واحدة مما أدى الى توحيد جهودها وعمق أثرها الإيجابى فى نشاطها ضد قوات الاحتلال .

- قدمت المخابرات المصرية « خدمة معلومات كاملة » لقيادات المقاومة تمثلت نتائجها فى :

x مد المقاومة بجميع المعلومات عن قوات الاحتلال وأماكنها وامكانياتها البشرية والمادية والميكانيكية .

x مراقبة نشاط المخابرات البريطانية والحد منه وكشف العملاء مما سهل اختطافهم ومحاكمتهم .

x شن حرب سيكلوجية على أفراد القوات البريطانية عن طريق المنشورات والاذاعة من « محطة خاصة » بهدف تحطيم معنوياتهم .

وتجلى نشاط الكفاح المسلح بمنطقة قناة السويس قاعدة الاحتلال ، فى نسف المنشآت وتخريب المطارات واشعال الحرائق بالمخازن وتكيد قوات الاحتلال خسائر متوالية فى الأفراد والسلاح واختطاف المعدات سليمة متكاملة واعادة استعمالها ضده .

وأمام مراوغة الجانب البريطانى واصراره على البقاء تعثرت المفاوضات وأعلن عبد الناصر فى مايو ١٩٥٣ وقف المباحثات من جانب مصر . واستمر عبد الناصر فى حربه ضد المستعمر والضغط عليه لإجباره على الرحيل :

- فى المجال الدبلوماسى تم سحب السفير المصرى من لندن فى مايو ١٩٥٣ وابتعد عبد الناصر عن الدخول فى معارك جانبية لالهائه عن معركته

ضد الاستعمار برفض مناورتين ، احدهما بريطانية والأخرى نيوزيلندية ، في صورة مشروعات قدمتهما بريطانيا ونيوزيلندا لمجلس الأمن بطلب السماح لإسرائيل بالمرور بقناة السويس ومشكلة خليج العقبة .

— في مجال التضامن العربي بدأت اذاعة صوت العرب في إرسالها في يوليو ١٩٥٣ تعلنها حربا شعواء على الاستعمار في الوطن العربي وتفضح أساليبه . وعقد مؤتمر لرؤساء أركان حرب الجيوش العربية بالقاهرة في يناير ١٩٥٤ . وعقد اجتماع لرؤساء الوزراء العرب بالقاهرة ، أعلن أن أساس السياسة الخارجية تحرير البلاد العربية من كل نفوذ أجنبي وصدر بيان مجلس الدفاع المشترك للدول العربية يؤكد أن القوات المسلحة للبلاد تعمل على تأمين الدول العربية وسلامتها . واندلعت ثورة الجزائر في نوفمبر ١٩٥٣ وأعلنت مصر مساندتها .

— وفي مجال الكفاح ، فقد صدر في نوفمبر ١٩٥٣ قرار بحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع القوات البريطانية في مصر هادفا الى تجويع قوات الاحتلال ، وتولت المقاومة عملية وضع هذا القرار موضع التنفيذ . وزاد الكفاح المسلح من ضغطه على قوات الاحتلال بالقناة حتى بلغت الى حد اعلان وزير الحرب البريطاني « بأن الغارات المصرية المسلحة التي قامت بها المقاومة المصرية بلغت ١٣٠٠ غارة خلال عام ١٩٥٣ » وأعلن وزير الخارجية البريطاني ايدن « أن الجلاء عن قاعدة السويس أفضل بكثير من الابقاء على ثمانين ألف جندي محاصرين من شعب معاد لهم » .

وازاء هذا كله لم يجد المستعمر أمامه الا أن يعلن على لسان وزير خارجيته في مارس ١٩٥٤ رغبة الحكومة البريطانية في استئناف المفاوضات . وكان رد عبد الناصر أن المفاوضات لن تستأنف الا على أساس التسليم بحقوق مصر كاملة . وفي يوليو ١٩٥٤ استؤنفت المفاوضات برئاسة عبد الناصر لوفد مصر والسفير البريطاني لوفد بريطانيا .

وكان لموقف عبد الناصر من المفاوضات ، برفضه المناورات السياسية واصراره على أن يكون أساس المباحثات تنظيم الجلاء الكامل عن منطقة السويس دون المناقشة في مبدأ الجلاء نفسه ، أثره الحاسم في نتيجةها بتراجع المفاوض البريطاني وهزيمة الاستعمار والتوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق ترضخ فيه بريطانيا لارادة الأمة ، وتوافق على انتهاء الاحتلال - الذي جاوز ترضخ فيه بريطانيا لارادة الأمة ، وتوافق على انتهاء الاحتلال - الذي جاوز السبعين عاما - بجلاء قواتها نهائيا عن أرض مصر * وتم توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ولعل من أهم ماورد بها ، بعد جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الأراضي المصرية خلال عشرين شهرا ، هو الاعتراف بأن قناة السويس البحرية جزء لا يتجزأ من مصر ، وكأن الزعيم الخالد بانتزاعه لهذا الاعتراف الصريح من قم الاستعمار ينوى مواجهته ومواجهة العالم به عند تأميمه لقناة السويس في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦

حرب عبد الناصر لاقامة الجيش الوطنى :

وبدأت القوات البريطانية في تنفيذ مراحل الجلاء عن أرض مصر وكان لابد في نظر القائد البطل من تدعيم هذا الاستقلال ببناء الجيش الوطنى القوى * وبدأت حربه ضد دول الغرب الاستعمارية من أجل تسليح الجيش ، وكانت معركته لكسر احتكار السلاح ولعل أبلغ وصف لمعركته هذه ما سنقدمه من مقتطفات من خطابه في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ : (*)

« ... فرنسا كانت تساومنا دائما ، تساومنا على شمال أفريقيا وتقول لنا دائما انا نعطيكم السلاح على شرط ألا تنتقدوا موقفنا في شمال أفريقيا ، على شرط أن تتخلوا عن عروبتكم ، على شرط أن تتخلوا عن انسانيتكم ، على شرط أن نرى المذابح التى تحدث فى شمال أفريقيا ونسكت عليها ... » و « ... كنت دائما أهدد بقطع السلاح ... أهدد بتموين اسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر ... »

(*) من خطاب عبد الناصر في معرض القوات المسلحة .

« ... قصة أمريكا ، منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح ، ونحن نؤعد بالسلاح ، وماذا كانت النتيجة ؟ ... كانت الوعود ، وعودا مرتبطة بشروط ، نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على ميثاق أمن متبادل نوقع على حلف من الأحلاف ، ورفضنا ... »

« ... كانت إنجلترا تقول لنا أنها مستعدة لتمويننا بالسلاح وماذا كانت النتيجة ؟ ... لقد مونتتا إنجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذي قامت هذه الثورة من أجله كان الجيش المناوى لنا ، يمون بالأسلحة من دول متعددة من العالم ... »

« ... حينما رأينا هذا التحكم قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيد ولا شرط ... » و « ... إلى أمريكا ، إلى إنجلترا ، إلى فرنسا إلى روسيا ، إلى تشيكوسلوفاكيا ، إلى باقي الدول وصلتني ردود من بعض هذه الدول بأنني يمكنني أن أسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط ورفضت هذه الشروط ... »

ويقرر عبد الناصر بعد ذلك بأن تشيكوسلوفاكيا أبدت استعدادها بتمويننا بالسلاح حسب حاجة الجيش المصري على أساس تجارى بحت ووقعت اتفاقية تجارية بذلك . وهاجت الدول الاستعمارية وأبرزت أجهزة دعايتها أن مصر دخلت دائرة النفوذ الشيوعى بقبولها لهذه الأسلحة وتبادل البعثات مع الدول الشيوعية . وقد فند الرئيس الخالد مزاعمهم باعلانه « ان سياستنا الاقتصادية تقوم على الاستقلال التام ، وأساسها حرية التجارة مع أى دولة ، وفى أى مكان ، ذلك لأننا لا نفرق بين شرق وغرب فى السياسة أو الاقتصاد ... » و « ... » . وفيما يتعلق بهذه الأسلحة فهذه اتفاقية تجارية بحتة بيننا وبين تشيكوسلوفاكيا وهى لا تتعارض مطلقا مع سياستنا الدولية ، بل انها برهان على سياستنا الاستقلالية ... » (١)

(١) من حديث عبد الناصر مع مراسل محطة الاذاعة الاهلية الأمريكية فى ٢٠ سبتمبر

وواصل القائد جهاده بالرغم من وجود قوات الاحتلال ولم ينتظر جلاءها
لقيام بثورته الاجتماعية والصناعية لتدعيم الاستقلال وضمان الحرية للفرد
الحر في الوطن الحر . فبعد قضائه على الاقطاع بقانون الاصلاح الزراعي
في ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، تم اعتماد ملايين الجنيهات للمشروعات الاجتماعية
والانتاجية ، وانطلاقا منه للصناعات الثقيلة باعتبارها أساس الاستقلال
الاقتصادي تم الاتفاق مع احدى الشركات الألمانية لاقامة مصنع لانتاج الحديد
والصلب ، وتم تمصير الشركات المساهمة ، واخضاع رؤوس أموالها للتنظيم
القومي ، وتطلعا منه الى مواكبة عصر الذرة تم عقد اتفاق مع الاتحاد السوفيتي
لانشاء معمل ذري ، وصدر بيان بشأن تمويل مشروع السد العالي عماد التنمية
الاقتصادية .

ولم يتوان عبد الناصر خلال هذه الفترة عن القيام بمحاولات جادة
في سنيل احياء القومية العربية وجمع شمل هذه الأمة ضد الاستعمار فأعلن
« اعتراضه على أية معاهدة دفاعية عن الشرق الأوسط ، تكون الدول الكبرى
مشتركة فيها وقرر أن العرب يعملون لتنظيم الدفاع عن كياناتهم والوقوف
في وجه أي اعتداء يوجه اليهم وأن أي نظام للدفاع عن الشرق الأوسط تساهم
فيه بريطانيا وأمريكا لا يمكن قبوله وشعوبنا ضده وتعدده نوعا من الاستعمار
المفتع » (٢) واجتمع رؤساء الدول العربية بالقاهرة في يناير ١٩٥٥ لبحث
السياسة التي أعلنها عبد الناصر بمعارضة الأحلاف العسكرية نتيجة لاعلان
حكومة العراق تحالفها مع تركيا (حلف بغداد) ودعوتها بعض الدول العربية
الأخرى للاتضمام اليها .

كما لم يفت المناضل العظيم دور مصر في العالم وتأييده لنضال الشعوب
من أجل الحرية فتقابل مع نهرو رئيس وزراء الهند بالقاهرة في فبراير ١٩٥٥

(٢) من حديث عبد الناصر لمراسل مجلة « ذي يونيتد ستيتس نيوز آند وورلد ريبورت »

في ٢٠ أغسطس ١٩٥٤

وأيدوا نضال الشعوب والجهود المبذولة لتحريرها وكانت انطلاقته الكبرى في عالم التحرر الوطني برئاسته لوفد مصر مع عدد من رؤساء الدول الأفريقية والآسيوية في مؤتمر باندونج صيحة الحرية الأولى العالمية التي طالبت بحق تقرير المصير للشعوب وتأييد قضية الحرية والاستقلال واستنكار استعمار الشعوب . وكان صوته أول صوت عربي ينادى بحقوق شعب فلسطين في مؤتمر دولي ، ونادى عبد الناصر بسياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز .

جلاء قوات الاحتلال :

توجت جهود عبد الناصر برحيل آخر جندي بريطاني من أرض مصر في الثالث عشر من يونيو ١٩٥٦ وتحقق حلم الأجيال بالقضاء على الاستعمار . واحتفل الزعيم الخالد برفع العلم المصري على مبنى البحرية في بور سعيد في الثامن عشر من يونيو ١٩٥٦ . وألقى خطابا تاريخيا استعرض فيه نضال شعب مصر المتواصل في سبيل بلوغه هذا النصر وأشار الى مراحل الكفاح المستقبلية قائلا : « ... ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية ، انه طريق بعيد المدى ، مداه مدى الحياة نفسها ، كلما بلغ منه الشعب مرحلة ، لاحت أمامه في المنى مراحل . ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد ساعة النصر ولا تتراخي . انها في ذروة شعورها بالقسوة تدرك خاتمة المطاف . تلك هي حكمة طريق الكفاح . ذلك أنه في نفس الوقت الذي تتحقق فيه للشعوب أمانها القديمة ، ترسب وتتجمع في ضميرها ووجدانها أمان جديدة . ان كفاح الشعوب طاقة دائمة مستمرة متجددة العمر ، خالدة البقاء ... هذا هو موعد جيلنا مع القدر . فرحة بنصر شهدناه يبلغ غايته ، ومسئولية غايات جديدة لا بد لها من كفاح ... » .

الفصل الرابع

سياسة عبد الناصر في محاربة الاستعمار على الصعيد العالمي

« ... اننا لنؤكد ، ان القوى المادية لحرية الشعوب ، لن تستطيع ايقاف ساعة التاريخ .. ولن تستطيع اعادة عقاربها الى الوراء ... »
وان اقصى ما تستطيعه هذه القوى ، المادية لحرية الشعوب ، لا يمكن ان يكون أكثر من عارض عابر ... ومع ذلك فانا لا نستطيع ان نعتد على حركة التاريخ وحدها ... وانما لا بد من تدعيمها بنضال مشترك عميق ومتسع . »

جمال عبد الناصر

وأب الاستعمار على أن يجعل من أفريقيا وآسيا امتدادا طبيعيا واقتصاديا لدول أوروبا ، وربط ثروات القارتين بالاقتصاد الغربي ، بالإضافة الى الأهمية السياسية والاستراتيجية للقارتين بعد الحرب العالمية الثانية ، وانقسام العالم الى كتلتين ، وساعد الاستعمار على استمرار حالة التخلف التي كانت تعانيها شعوب القارتين ، الأمر الذي جعل سكانهما أرقاء للمستعمرين ، وكان ينظر الى شعوبهما على أنهم ليسوا أكثر من سلع اقتصادية رخيصة يستغلها كما يشاء ، ويهتص دماء الحياة من شرايينها دون مراعاة للأدمية أو الانسانية .

ومع استمرار الغزوات الاستعمارية للقارتين أدركت شعوبهما المرامي والغايات القريبة والبعيدة للسياسة الاستعمارية ، مما حفزها على الاستيقاظ ، وبنشيتها الوعي الوطني . ونتيجة لذلك ظهرت الحركات التحررية التي تدعو الى الحرية ، وتحقيق الاستقلال والخروج من نطاق النفوذ والتبعية .

مضت الأحداث العالمية في سرعة ، وأخذت التفاعلات الوطنية تعمل في النفوس بشدة ، كما بدأت الدعوة الى التضامن بين الشعوب المغلوبة على أمرها ، وعندئذ ، وجد الاستعمار لزاما عليه أن يساير هذا الشعور المتيقظ

ولا يقف في طريق الحركات الثورية والنضج السياسى . وأخذت
الامبراطوريات الاستعمارية تتهاوى تحت ضغط التحرر الوطنى ، وحقت
ثورات الشعوب انتصارا فى كل مكان .

وجدت الدول النامية - التى تخلفت زمنا طويلا من الاستقلال
الاستعمارى فى أبشع صوره - وجدت نفسها أمام مسئوليات جديدة ، وأعباء
كثيرة فى مستهل عهدها بالاستقلال وكان الطريق أمامها بناء على تجاربها
المريرة السابقة هو الابتعاد عن مناطق النفوذ والتبعية بكل صورها وأشكالها ،
وقطع صلتها بكل صراع اقتصادى أو سياسى قائم بين العسكريين المتصارعين
الذين يسميان ويتصارعان لكسب صداقتها شكلا واستغلالها موضوعا ، الأمر
الذى يهدد حريتها واستقلالها .

مؤتمر باندونج : ابريل ١٩٥٥ :

بعد يوم ١٨ ابريل ١٩٥٥ يوما خالدا فى حياة عبد الناصر السياسية
بل يوما مشهودا فى حياة العالم كله . لقد كان نقطة البدء التى تبلورت بعد
ذلك فى سياسة عدم الانحياز التى أصبح لها وزنها فى المجتمع الدولى ، وجعلت
من عبد الناصر بطل عدم الانحياز بل جعلته من أبرز زعماء العالم الثالث .

وقف الزعماء الثلاثة عبد الناصر مصر ، ونهرو الهند ، وتيتو يوغسلافيا
يعلنون عداوتهم للاستعمار ، ويمجدون الاستقلال الذى تحقق حديثا لبعض
الدول ، ويطالبون بالحرية للبلاد والشعوب التى ما زالت تعاني من التبعية
والاستغلال من الدول الاستعمارية ، وأعلنوا أن اتباعهم لسياسة الحياد أمر
اقتضته الحاجة والمصلحة القومية والمبادئ الخلقية السامية ، ومصلحة السلام
العالمى .

وكان شعار المؤتمر « عش ودع غيرك يعيش » وارتفع الصوت يدوى
فى باندونج ليدعم السلام والتعاون بين الدول ، ويعبر عن رغبة الشعوب فى
أن تصنع بنفسها مصيرها ، وتبنى مستقبلها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ،
متحررة من أى قيد أو تبعية ، متعاونة تعاون الند للند وفى غير ما سيادة دولة على

أخرى • ارتفع هذا الصوت ينادى لا أحلاف ، ولا استعمار ، بل حياد لصالح السلام والانسانية • وارتفع صوت عبد الناصر كأول صوت لزعيم عربى فى المجتمع الدولى باسم شعب فلسطين « الذى طرد من وطنه ليحل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا •• وكل هذا حدث على مرآى من هيئة الأمم المتحدة بل بمساعدتها وموافقتها ••••• ارتفع هذا الصوت بينما دول الاستعمار تقيم العقبات فى طريق نجاح المؤتمر وأوجت الى عملاتها باثارة ما أسموه بالاستعمار الشيوعى • ولكن بالجهود المتوالية لعبد الناصر وزعماء السلام نجح المؤتمر •• وانتهى الى اعلان قراراته ويهنا منها :

— تصفية الاستعمار بكافة أشكاله ، اذ هو استغلال للشعوب الضعيفة وتسخير لمواردها •

— نبذ سياسة الأحلاف العسكرية لأنها تساعد على تحويل الحرب الباردة الى حرب ساخنة وتؤخر اقرار السلام •

— تطبيق ميثاق الأمم المتحدة نصا وروحا فى تعامل الدول بعضها مع بعض •

— تأكيد مبدأ الحياد الايجابى لأنه العامل المخفف للتوتر الدولى • وكان من نتائج المؤتمر :

— احساس شعوب القارتين الافريقية والآسيوية بأن لهم قوة فعالة فى توجيه السياسة العالمية ، بعد أن كانت هذه الشعوب بعيدة عن المجال الدولى •

— حمل دول الاستعمار على نبذ سياستها القديمة ، وتغيير معاملتها لشعوب هاتين القارتين •

— نبوت كذب نظرية الفراغ التى تؤكد وجوب سيادة الرجل الأبيض •

— خففت سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز من حدة التوتر الدولى وأبعدت شبح الحرب •

هذا ، وقد قام الرئيس جمال عبد الناصر بدور بارز في المؤتمر • وبذل جهودا كبيرة ليحقق المؤتمر أغراضه ، الأمر الذي أثار إعجاب ساسة العالم وتقديرهم •

ودعا عبد الناصر الى :

— تصفية الاستعمار وبدء مرحلة جديدة من التعاون بين الشعوب • فقد استيقظ في الشعوب وعى جديد لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض ، •

— نزع السلاح وتحريم أسلحة الدمار الشامل ، وتحويل الأموال المخصصة للتسليح لانفاقها في سبيل رفع مستوى الشعوب •

— القضاء على التفرقة العنصرية المنافية لميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان •

— التزام الأمم المتحدة لميثاقها والعمل على رفع الظلم عن شعب فلسطين الذي تعرض للعدوان •

— احترام الدول لالتزاماتها والتخلي عن سياسة القوة والضغط على الدول الصغيرة •

— الاعتراف بحق كل بلد في اختيار نظمته السياسية والاقتصادية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر واحترام سيادة أراضي كل دولة ووحدتها •

كما تبلورت جهود عبد الناصر في عزل اسرائيل تماما عن التسلل الى مؤتمرات وتجمعات الحرية بصفتها حقيقة عدوانية عنصرية استعمارية رغم ادعائها بأنها دولة مستقلة بالقارة الآسيوية •

وفي ٢٤ أبريل ١٩٥٥ انتهى مؤتمر باندونج وأنصت العالم الى قراراته التي تناولت أهم الشؤون الدولية ، والمشكلات التي تواجه الشعوب الآسيوية والأفريقية •

ومن ذلك التاريخ أخذت فكرة الحياد الايجابي وعدم الانحياز تكتسب لنفسها بالتدريج ، وبصورة دائمة ، قوة فعالة وعمقا جديدا ، وبدأت تمارس فاعليتها على ميزان القوى السياسية في العالم لاقرار السلم العالمي .

وقد حظيت هذه السياسة لدى الدول النامية والحديثة الاستقلال بكل اهتمام وتقدير . اذ أن التيارات السياسية المختلفة التي تتنازع العالم هي الدافع الى انتهاج هذه السياسة بعد أن عرفت الدول الحديثة حقيقة المبادئ التي تنادي بها كلتا الكتلتين .

وقد عرض عبد الناصر بعد ذلك تصوره لأعمال مؤتمر باندونج عرضا رائعا في خطابه التاريخي الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ طالبا منها أن تقر مبادئ باندونج .

مؤتمر بريوني يوليو ١٩٥٦ :

ومرة أخرى بعد مؤتمر باندونج التقى زعماء الحياد الثلاثة عبد الناصر ونهرو وتيتو ، في بريوني بيوغسلافيا واستأنفوا مباحثاتهم فيما يهم بلدانهم والسلم العالمي ، وأكدوا مرة أخرى قرارات مؤتمر باندونج ، وجاء في بيانهم المشترك أنهم يدركون أن النزاع والتوتر الدولي قد أديا الى ما يسود العالم من الخوف في الحاضر والمستقبل ، وأنه طالما ظلت هذه المخاوف تسيطر على العالم فانه لا يمكن ارساء السلم على قواعد ثابتة .

مؤتمرات الشعوب ديسمبر ١٩٥٧ :

في ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ فتحت القاهرة ذراعيها لتستقبل وفودا شعبية لأربعة وأربعين بلدا آسيويا وأفريقيا في أعظم مؤتمر دولي شهده التاريخ حتى ذلك الوقت وكان مؤتمر الشعوب في القاهرة انعكاسا حيا لآمال البلدان الآسيوية والأفريقية وترجمة أمينة لارادتها وأهدافها .

وقد انتهى المؤتمر الى اصدار قرارات ثورية تتجاوب مع رغبة شعوب آسيا وأفريقيا في التحرر والتطلع لحياة أفضل • وجاء في قراراته :

— اقرار حق المستعمرات والمحميات في الاستقلال التام وانهاء وصاية الأمم المتحدة على البلدان الخاضعة للوصاية واتخاذ الخطوات العاجلة لتحقيق استقلالها •

— جعل أراضي آسيا وأفريقيا منطقة سلام خالية من كل سلاح نووي أو صاروخي وتحريم التجارب النووية كخطوة نحو تحريم الأسلحة النووية ونزع السلاح •

— استنكار الأحلاف والتدخل الأجنبي والتآمر على الحكومات الوطنية والقواعد الأجنبية والمعونات المخلة بالسيادة الوطنية •

— القضاء على عدم التكافؤ بين الدول المتقدمة والأقطار المتخلفة ، وتأكد حق شعوب آسيا وأفريقيا في تأمين مصادر ثرواتها ودعم التبادل التجاري والتنمية الاقتصادية على أساس التخطيط •

ودعا المؤتمر مختلف الحكومات لالغاء القوانين والنظم التي تجيز التفرقة العنصرية • كما تناولت قراراته المسائل الاجتماعية والثقافية في تحقيق التضامن بين الأمم واستخدام الاكتشافات العلمية في الأغراض السلمية وتأيد مبادئ مؤتمر باندونج والتعايش السلمي •

ثم عقد المؤتمر الثاني ببنينا في ابريل ١٩٦٠ والثالث بتانزانيا في فبراير ١٩٦٣ وتوالت مؤتمرات الشعوب ، وفي الوقت نفسه عقدت بالجمهورية العربية المتحدة والبلدان الحرة بآسيا وأفريقيا عديد من المؤتمرات النوعية على النطاق الأفريقي والآسيوي مثل مؤتمرات الكتاب والأدباء والأطباء وكان للقاهرة دورها الايجابي في كل منها •

مؤتمر الدار البيضاء يناير ١٩٦١ :

فى يناير ١٩٦١ عقد مؤتمر الدار البيضاء ، واشترك فيه الرئيس جمال عبد الناصر وكان عقد المؤتمر ضروريا لتوثيق العلاقات بين دول عدم الانحياز الأفريقية ، ومواجهة الأخطار الاستعمارية التى تهدد الدول المستقلة حديثا فى أفريقيا . بالإضافة الى ما حققه المؤتمر من تقارب بين الدول الأفريقية التى حاول الاستعمار دائما الفصل بين ما سماه أفريقيا البيضاء وأفريقيا السوداء ، وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن مهمة المؤتمر فى عام ١٩٦١ هى تثبيت الاستقلال بعد أن كان عام ١٩٦٠ عام استقلال أفريقيا لحصول سبع عشرة دولة أفريقية على استقلالها خلاله .

وتمثلت المشكلة بعد الاستقلال فى الحركات الانفصالية التى دبرها الاستعمار ونصب لقيادتها بعض العملاء .

ولا تنسى مشكلة التفرقة العنصرية فى « جنوب أفريقيا » واتحاد وسط أفريقيا الذى تطالب شعوبه بحله وإعلان الاستقلال .

وكان على المؤتمر أن يعالج هذه المسائل الحيوية بالنسبة لأفريقيا ، وغيرها من المسائل المتعلقة بوضع دول عدم الانحياز وقضايا التحرر والسلام العالمى .

هذا وقد عنى الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد معالجته لقضايا الجزائر والكونغو وغيرها من القضايا الأفريقية بتركيز الضوء على حقيقة إسرائيل وقيامها بدور القاعدة الاستعمارية وسط العالم العربى ، وقرر أن مشكلة العرب معها ليست مقصورة على مجرد وجود اللاجئين الفلسطينيين المشردين من أراضيهم . كما أوضح سيادته خطورة تعاون فرنسا مع إسرائيل فى المجال الذى فى محاولة من جانب الاستعمار وعميلته لارهاب الشعوب العربية والأفريقية والسيطرة عليها .

ودق ناقوس الخطر بالتحذير من التسلل الإسرائيلى فى أفريقيا الذى يخفى وراءه مصالح استعمارية تزود إسرائيل بالسلاح والاعانات والقروض .

وأعلن الزعيم الراحل أن الجمهورية العربية المتحدة تواجه إسرائيل ،
وتحمي البوابة الشمالية الشرقية من القارة الأفريقية ، وأن على دول أفريقيا
المتحررة أن تضع حدا للتوسع الصهيوني الاستعماري في القارة • وبذلك
طرحَت مشكلة فلسطين في أول مؤتمر لرؤساء الدول غير المنحازة في أفريقيا ،
وأصبحت قضية فلسطين قضية أفريقية لأول مرة • وقد أسفر المؤتمر عن
وضع ميثاق أفريقيا ويتضمن :

— عدم انحياز الدول الأفريقية لأيّة كتلة ، وإزالة القواعد العسكرية
الأجنبية التي تهدد التحرر الأفريقي •

— إنشاء قيادة أفريقية (عليا) مشتركة تتألف من رؤساء أركان حرب
القوات المسلحة للدول الأعضاء لضمان الدفاع الجماعي عن أفريقيا
ضد أي عدوان على القارة ، وللدفاع عن كل دولة على حدة •

— إنشاء لجان لتوحيد سياسة الدول الأفريقية وتنسيقها في كافة المجالات •

— اعتبار إسرائيل أداة للاستعمار الجديد في أفريقيا وآسيا
والشرق الأوسط واستنكار تواطي إسرائيل مع فرنسا في ميدان
التجارب الذرية •

— ضرورة إيجاد حل عادل لقضية فلسطين •

وكان رائعا أن يعلن الزعيم جمال عبد الناصر في الجلسة الختامية
للمؤتمر أن الصحراء أصبحت جسرا ولم تعد فاصلا بين الدول الأفريقية •

وهكذا تبلورت سياسة الدول غير المنحازة في أفريقيا ، واتخذت ارادتها
في العمل من أجل التحرر والسلام •• ووضعت أسس الوحدة الأفريقية على
أساس سليم •

مؤتمر بلغراد سبتمبر ١٩٦١ :

منذ مؤتمر باندونج ١٩٥٥ بدأت الجهود تبذل ، والاجتماعات تتوالى من أجل دعم قضية السلام وقضية الحرية ، وتبلورت أخيرا فى دعوة الى مؤتمر يضم أقطاب الدول غير المنحازة ، وقام بتوجيه هذه الدعوة الرئيس جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا لتبادل الرأى بشأن الموقف الدولى وقرار وتدعيم السلام والأمن الدوليين .

وفى يونيو عام ١٩٦١ ، انعقد بالقاهرة مؤتمر تمهيدى لوضع خطة مؤتمر القمة لأقطاب الدول غير المنحازة ، ووضع شروط الاشتراك فى المؤتمر .

وقد لقيت الدعوة الى هذا المؤتمر استجابة رائعة لدى الكثير من الشعوب ، خاصة وأن العالم فى هذه الفترة كان يمر بمرحلة دقيقة من الحرب الباردة التى كادت تنقلب الى حرب ساخنة مدمرة . . فقد كانت العلاقات الدولية بين الشرق والغرب متوترة بشكل مرعب مخيف ، حتى أن الاتحاد السوفيتى فى صبيحة اليوم الأول للمؤتمر فجر قبلته الذرية المشهورة ، وجاءت بمثابة اذار للعالم بأن الشرق يملك وسائل التدمير ، ويحسن أن تحل المشاكل الدولية عن طريق السلام بدلا من طريق افناء البشرية .

وبالاضافة الى ذلك - فقد اجتمع المؤتمر وقد توقفت محادثات نزع السلاح ، والأمم المتحدة تواجه أكبر تحدياتها فى الكونغو باغتيال لومومبسا الزعيم الكونجولى تحت سمع وبصر العالم أجمع وتحت علم الأمم المتحدة لأنه كان ينادى بحرية بلاده واستقلالها ، وكانت الجزائر ما زالت تناضل من أجل استقلالها ، ودول أفريقية كثيرة مازالت ترزح تحت وطأة الاستعمار وحكومة جنوب أفريقيا وروديسيا تمارسان التفرقة العنصرية ، واستعباد أصحاب البلاد الوطنيين .

وقد صدرت عن هذا المؤتمر عدة قرارات تعالج كل المشكلات العالمية التى تهدد البشرية بقاء تام ، والقرارات فى واقعها دعوة للسلام ، صادرة عن مشاعر صادقة لنصف شعوب الأرض ممثلة فى المؤتمر ، وأغلب شعوب

العالم أجمع ولو لم تكن ممثلة في المؤتمر ولكنها تحس هذه المشاعر وتتجاوب مع هذه الأحاسيس وكان انبثاق هذه القرارات من واقع المبادئ التي تعتقها الدول والشعوب الممثلة في المؤتمر - الأمر الذي أضفى عليها واقعية وجديّة وقد تضمنت القرارات :

- وجوب تجنب الحرب ، واستبعادها كوسيلة من وسائل فض المنازعات الدولية •

- وضع حد للحرب الباردة ، بل يجب أن تتوقف تماما •

- يمكن تحقيق التعايش السلمي بين مختلف الشعوب وإن اختلفت أنظمتها •

- يجب وضع حق تقرير المصير موضع التطبيق ، وأن تقوم العلاقات الدولية على أساسه •

- يجب القضاء على أسباب الحروب ، وفي مقدمتها الاستعمار الذي يجب أن يزول •

وقد حقق المؤتمر الأغراض التي عقد من أجلها ، وهو وإن كان لا يمكن فرض السلام إلا أنه بذل غاية ما يستطيع له ورسم الطريق الموصل إليه •

نتائج المؤتمر الايجابية :

أسفر المؤتمر عن عقد المؤتمر الاقتصادي للدول النامية في القاهرة في يوليو ١٩٦٢ لمواجهة نتائج التكتلات بالنسبة للدول النامية الآخذة بأسباب التطور الاقتصادي لمواجهة الاستعمار الجديد في سياسته نحو التمييز التجاري ضدها ، وهبوط أسعار مواردها الأولية في الوقت الذي يرفع فيه الغرب أسعار منتجاته الصناعية مما يشكل عقبة في سبيل التبادل التجاري العالمي بوجه عام ، وكان هذا مما مهد السبيل لعقد مؤتمر يضم الدول المتقدمة أيضا تحت إشراف الأمم المتحدة •

هذا ، وقد عالج الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في خطابه أمام أقطاب مؤتمر بلجراد الشؤون الدولية معالجة واقعية ، وكان يردد صيحة الشعوب العربية ، وغيرها من الشعوب المناضلة للتحرر من الاستعمار وأدان الصهيونية

والتفرقة العنصرية ، ودعا للتعايش السلمى والسلام القائم على العدل ، واثابة الفرصة أمام الشعوب الناهضة والمتخلفة لاستكمال نموها ، وتقريب التفاوت بين مستويات المعيشة فى مختلف البلدان •

وتقدم عبد الناصر بالاقتراح الخاص بتوجيه الدعوة الى كل من الرئيس جون كيندى ونيكىتا خروشوف (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى) للتفاوض بينهما فى كل المشكلات المتعلقة بين بلديهما ، الأمر الذى يساهم فى دعم السلام العالمى ووافق المؤتمر على اقتراح الزعيم الخالد •

وأعرب عبد الناصر فى خطابه فى مؤتمر بلجراد عن ثقته فى قدرة الدول غير المنحازة على خدمة السلام فقال « ان هذه الدول أقدر على الحركة الطليقة المتجردة ، تقريبا لأسباب الخلاف بين الكتلتين ، ودعما لأسباب التفاهم ، كما أن هذه الدول تتحمل مسؤولية خاصة تجاه السلام » •

وبناء على جهود عبد الناصر فى المؤتمر لكشف اسرائيل وحقيقتها الاستعمارية العنصرية العدوانية فى الشرق الأوسط •

كان قرار المؤتمر بالتدديد بالسياسة الاستعمارية فى هذه المنطقة ، وتأيد إعادة جميع حقوق الشعب العربى فى فلسطين •

كما أوضح سيادته مفهوم التعايش السلمى فى خطابه أمام المؤتمر قائلا : « ان التوتر الدولى الذى تعكسه الحرب الباردة بين الكتل هو نتيجة واضحة لعدم الايمان الكافى بضرورة التعايش السلمى ، والتعايش السلمى لا يمكن أن يكون هدنة مسلحة ، وانما التعايش السلمى بمفهومه الحقيقى هو التعاون الخلاق المثمر بين كافة الدول ، وبين كافة الأنظمة الاجتماعية لتستطيع جميعا أن تثبت جدارتها فى خدمة الانسان الحر ، ثم ليكون بينهما التفاعل القادر على دفع التطور المستمر لشعوب العالم جميعا ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا » •

ومن الجدير بالذكر أن عبد الناصر تقدم بعدد من الاقتراحات كان لها أثرها فى إنجاز المؤتمر لجدول أعماله فى الوقت المحدد له (١ - ٦ سبتمبر

وهكذا ، كانت دعوة عبد الناصر لعقد المؤتمر ، وجهوده المضنية في سبيل نجاحه ورأيه المخلص لوضع قراراته موضع التنفيذ من أهم العوامل التي أدت الى أن يصبح هذا المؤتمر انتصارا تاريخيا كبيرا لدعوة عدم الانحياز ، ودليلا صادقا على قوة هذه الدعوة ، ومدى انتشارها ، وجدوى مبادئها السلمية التقدمية واستنكارا للاستعمار ووجوب القضاء عليه .

فقد كانت دول عدم الانحياز وراء قضايا التحرر ، وفي مقدمتها قضايا الجزائر وايران وعمان .

وقد استقلت الجزائر ، وانتقلت ادارة ايران للأمم المتحدة تمهيدا لتسليمها لاندونيسيا في عام ١٩٦٣

كما ساهمت الدول غير المنحازة بقدر كبير في الجهود التي أدت الى توصية الأمم المتحدة بمنع استخدام الأسلحة النووية في نوفمبر ١٩٦١ ، والتوصية الخاصة بجعل أفريقيا منطقة مجردة من الأسلحة النووية ، واستنكار الجمعية العامة لسياسة التفرقة العنصرية في جنوب القارة الأفريقية ، كما كان لجهودها أكبر الأثر في دفع خطر الحرب النووية الذي نجم عن اعلان الولايات المتحدة لحصارها البحري على كوبا .

وعندما استأنفت الولايات المتحدة الأمريكية تجاربها النووية في الجيو في ابريل ١٩٦٢ ضغطت الدول غير المنحازة على الاتحاد السوفيتي حتى لا ينسحب من مؤتمر نزع السلاح ثم دعت لوقف جميع التجارب النووية في الحال أو في موعد أقصاه يناير ١٩٦٣ حتى يتم توقيع معاهدة لحظر هذه التجارب .

ونسجل هنا كلمات الدكتور محمود فوزي - وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة في ذلك الوقت في مؤتمر جنيف في ٢١ مارس ١٩٦١ ، لأنها تعبر عن ضمير مصر عبد الناصر ، وموقف جميع الشعوب من قضية نزع السلاح فقد قال :

« ان لشعوب العالم الحق في أن تسألنا أو تسأل بعضنا منا : ألم تتجربوا فعلا من الأسلحة ما يكفي تدمير البشرية بأسرها ؟ ألم تلوثوا الجو بتجارب

أسلحتكم النووية ، ألم تسمموا الهواء الذى نتنفسه ، اللبن الذى نشربه ،
والطعام الذى نتأوله ، ومن الذى أعطاكم تصريرا لتفعلوا هذا ؟ •

ينبغى لذلك أن نوقف مرض التسليح النووى حتى لا يصبح وباء ، وأن
نبدل كل جهودنا لنزع السلام •

وتوجت جهود عبد الناصر فى عالم عدم الانحياز حينما انعقد مؤتمر
القمة الثانى فى القاهرة •

مؤتمر عدم الانحياز الثانى - القاهرة • أكتوبر ١٩٦٤ :

منذ عقد مؤتمر بلغراد تغير وجه العالم نتيجة أحداث هامة وتطورات
بارزة • فقد خفت حدة التوتر الدولى بالاتفاق الجزئى لنزع السلاح - وزاد
تمثيل الدول الافريقية والآسيوية فى منظمات الأمم المتحدة ، واستقل عدد كبير
من الدول الافريقية ، ورسمت لنفسها طريق عدم الانحياز فى علاقاتها
الدولية - وكان نتيجة ذلك أن هدأت الحرب الباردة ، والفضل فى ذلك
للسياسة الحيادية الايجابية وعدم الانحياز •

وافتح المؤتمر الزعيم الخالد جمال عبد الناصر بخطاب أعلن فيه مبادئ
تدعيم السلام والتعاون الدولى والسلوك الدولى فى المرحلة الجديدة التى
يواجهها العالم ، وهى مرحلة بناء السلام ، وأطلق الرئيس جمال عبد الناصر
على مؤتمر باندونج أنه مواجهة شرور الاستعمار وفى رأيه أن مؤتمر بلغراد
كان مؤتمر مواجهة خطر الحرب • • واقترح أن يكون مؤتمر القاهرة - هو
مؤتمر تدعيم السلام عن طريق التعاون الدولى وأعلن أمام المؤتمر الكبير مبادئ
نخبة لتدعيم السلام ، وهذه المبادئ هى :

- أن السلام ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وإنما هو التسوية
فى الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها •

- أن تحقيق الشروط والأحوال اللازمة للسلام هو أمر يهم جميع الدول
ويعزز اشتراكها جميعا فى المسئولية •

- أن العدل وحده سيصنع السلام •
- أن السلام لا يستقر اذا استند على تجميد الأوضاع الظالمة ، وأن المعاهدات الجديدة بالاحترام هي معاهدات الحرية والاختيار التي لا تخالف مبادئ الأمم المتحدة •
- أن التعاون الدولي بين الشعوب لا يتحقق الا اذا تلاشت الفوارق في مستويات الحياة بينها ، وتأكدت لها جميع حقوقها المسلوبة •
- وأوضح عبد الناصر الظروف المتغيرة التي عقد فيها هذا المؤتمر • ثم عدد التغيرات التي حدثت منذ مؤتمر بلجراد ، وأبرزها الهدوء النسبي في الحرب الباردة والانتصارات المستمرة ضد الاستعمار وأسفر ذلك عن أمرين :
- أن ميزان الرعب النووي ، مضافا اليه ضغط الضمير العالمي ، حقق هدنة محققة في المجال الدولي ، وهي وان كانت ظاهرة مشجعة ، الا أنها ليست السلام الذي يدوم ولذا سميت بالهدنة القلقة •
- أن المفهوم الحقيقي لعدم الانحياز هو العمل من أجل سلام يدوم ومعنى ذلك أن يقوم على العدل ، وعلى شركة الرخاء بين الشعوب •
- كما أبرز الزعيم الراحل أن معالم الطريق الى السلام تبدو في :
- أن الاستعمار يجب أن يزول بجميع أشكاله وألوانه ، وتحت عنوان الاستعمار توضع سياسة القمع للمستعمرات البرتغالية ، والجنوب العربي المحتل وعدن وعمان ، وسياسة الأحلاف العسكرية ، وسياسة الاستيلاء على أرض الشعوب ، كما نرى في فلسطين ، وسياسة التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا •
- أن عملية نهب ثروات الشعوب يجب أن تتوقف — وأن مطلب العدل الاجتماعي الذي يؤدي الدور الأكبر في تحريك الحوادث داخل كل الوطن يوشك الآن أن يؤدي دوره على مستوى العالم كله •

— أن الفوارق المؤلمة في مستويات معيشة الشعوب تضع العالم على فوهة
بركان لا يهدأ ولا يستقر . . فلا يستطيع الفقر والغنى أن يعيشا في
سلام جنباً إلى جنب .

— يجب أن تترك للشعوب فرصة لإعادة صنع حياتها من جديد ، وأن
الحروب الصغيرة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وانقلابات الداخل
المدبرة من الأجهزة الخفية للدول الكبرى التي تتكرر أمام الشعوب
بلا خجل ، ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية التي يجرى التمهيد
لها بوسائل متعددة وتجارة الجنود المرتزقة ، ومحاولات التأثير النفسي
على الشعوب التي ترفض الخضوع والتبعية — يجب أن تتوقف كلها
جميعاً .

تم لمس عبد الناصر مسائل بالغة الخطورة والحساسية :

— عقود الامتياز القديمة وضرورة مراجعتها .

— الضغط المستمر على أسعار المواد الخام وتخفيضها .

— ضرورة التعاون بين المتقدمين والمتخلفين .

وتعرض الزعيم الخالد في خطابه الى ميثاق الأمم المتحدة ووجوب تطويره
بما يناسب التغيرات العالمية التي طرأت على العالم منذ وضع الميثاق حتى الآن ،
وحتى مساهمة الميثاق للأحداث الدولية حتى يكون مطابقاً للواقع وأكثر تمثيلاً
للحقائق العالمية ، وأكثر قدرة على حفظ السلام العالمي والتوازن الدولي .

ونادى بوجوب نزع السلاح تأكيداً للسلام ، وتعميقاً لمعناه ، وأن توجه
اعتمادات التسليح الى مشاريع التنمية الخلاقة .

وأبرز عبد الناصر قضية فلسطين ، كصورة بشعة من صور الاستعمار الحديث ، وعملية قرصنة دولية ، وسببا من أسباب التوتر الدولي لا في الوطن العربي فحسب بل في العالم كله وأشار إليها بقوله :

« ان الاستعمار اغتصب متخفيا وراء الحركة الصهيونية العالمية المتحالفة معه قطعة من قلب الأمة العربية ، وطرد شعبها ، وأقام عليها وسط الأرض العربية قاعدة عدوانية مسلحة تهدد مطلب الحرية العربية ومطلب الوحدة العربية ومطلب التقدم العربي * * »

هكذا وقف عبد الناصر في كل مناسبة يدعو الى تصفية كل آثار الاستعمار وتقديم كل عون لجميع الشعوب المناضلة ضد الاستعمار القديم والجديد ، ومن ذلك يتضح أن مبادئ الحياد الايجابي وعدم الانحياز لا تقتصر على المفهوم السياسي فقط ، وانما تتعدى ذلك الى كل نواحي التبعية وفي مقدمتها التبعية الاقتصادية . فالموقف الحيادي يختم على الدول الممارسة له أن تحرر نفسها من أي تبعية اقتصادية أو قبول أي معونات مشروطة ، وأن تبتعد عن مبادئ الحرب الاقتصادية الباردة ، وتبنى اقتصادها المستقل وتطوره بسرعة لتعوض مافاتهما من سنوات القهر والاستغلال ، وتحقق التغيرات الاجتماعية الثورية وتبدأ نموها الاقتصادي المتحرر .

ولما كانت الدول الاستعمارية قد اتخذت موقفا اقتصاديا موحدًا نحو الدول النامية في علاقاتها الاقتصادية معها بما يتفق ومصحتها ، وليس لمصلحة هذه الشعوب فإن الدول النامية قد أدركت ما تهدف إليه وحدة الدول الاستعمارية من منع الشعوب النامية من تحقيق استقلالها الاقتصادي ، ولهذا رسمت سياستها غير المنحازة على أساس تحرير اقتصادها من أي تبعية ، ثم محاربة كل التكتلات الاقتصادية التي تهدف الى تحقيق مصالح الدول الكبرى على حساب التضحية بمصالح الدول الصغرى * وضرب عبد الناصر المثل فيما قام به في بلاده في هذا المجال .

هذا ، وتعتبر مجموعة دول عدم الانحياز نتاجا طبيعيا لسياسة التعايش السلمى ، وتزايد عدد هذه المجموعة حتى أمكن تثبيت مبادئ التعايش السلمى بما حقق المزيد من التقدم الانسانى والحضارى •

من ذلك يتضح أن تدعيم مبادئ التعايش السلمى ، واتساع نطاق الدول المؤمنة بهذه المبادئ سيؤدى الى المنافسة السلمية بين الدول فى مبادئ الحضارة للتنمية الاقتصادية وتوجيه الصراع الى ميادين البناء السلمى ، مما يوفر للشعوب قدرات وطاقات متزايدة لسد حاجات الانسان المادية والمعنوية ورفع مستوى معيشته ، وتمكينه من ممارسة حقوقه السياسية والاقتصادية على أوسع نطاق •

ان التعايش السلمى هو الطريق لخلق الانسان الجديد والعالم الجديد والقيم الانسانية المثالية •

عبد الناصر والوحدة الافريقية :

كان لعبد الناصر دوره الايجابى فى تنظيم الجهود وانشاء المنظمات لتحقيق الوحدة الافريقية ، وترسيخ الوعي بالانتماء الى افريقيا كقارة ، وكان يندد دائما بمؤامرات الاستعمار لعزل مصر عن افريقيا لمحاولة ايجاد تناقض مصطنع بين عروبة مصر وافريقيا ، ومحاولة تصوير حوافز الوحدة العربية باعتبارها متعارضة مع حوافز الوحدة الافريقية •

فمنذ قيام ثورة عبد الناصر فى ١٩٥٢ ، اشتركت مصر اشتراكا فعالا فى مساندة الحركات التحررية فى القارة ، وأصبحت القاهرة قلعة للتأثرين الافريقيين ، وقاعدة لقادة الحركات القومية فى نضالهم ضد الاستعمار ، كما كانت دوما بالنسبة لنضال الشعب العربى •

فقد كان عبد الناصر يرى أن قضية الحرية لا تتجزأ وأن نضال شعوب آسيا وافريقيا لا يجرى فى عزلة عن نضال الأمة العربية (*)

(*) من كلمة عبد الناصر فى ٩ مايو ١٩٦٤

وقف عبد الناصر الى جانب شعب الكونغو ، كما وقف قبلها الى جانب شعب الجزائر والشعوب العربية في شمال افريقيا حتى تحررت . وقف الى جانب نضال كينيا ، وقف ضد محاولة الانفصال في نيجيريا وأسهم في صندوق تمويل هذه الحركات التحررية ، وأدان التفرقة العنصرية في روديسيا وجنوب أفريقيا وقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا تضامنا منه مع بعض الدول الافريقية التي اتخذت مثل هذا القرار لميوعة موقف الحكومة « البريطانية » عندما أعلنت حكومة الأقلية البيضاء في روديسيا استقلالها على حساب الغالية العظمى من شعب روديسيا المناضل .

وكانت لجهود عبد الناصر وقادة الدول الافريقية الأثر الايجابي في جمع الاتحادات الافريقية المحدودة مثل ما أطلق عليه مؤتمر مونروفييا الذي ضم بعض الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية ومؤتمر أكرا ومؤتمر الدار البيضاء .

وفي ٢٥ مايو ١٩٦٣ وفي ختام اجتماعات المؤتمر الافريقي بأديس أبابا وقع عبد الناصر مع أربعة وعشرين زعيما أفريقيا ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، وكان مؤتمر القمة الأفريقي الثاني بالقاهرة ، واستمرت الدول الأفريقية في اللقاء سنويا من خلال منظمة الوحدة الافريقية هادفة الى محاربة الاستعمار وتدعيمها لكفاح الشعوب في نضالها في سبيل التحرر . وتحققت أمنية عبد الناصر في أن تسير مصر نحو الوحدة الافريقية مسيرتها في طريق الوحدة العربية الشاملة . فقد كتب عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة قائلا :

« . . . اننا لن نستطيع بحال من الأحوال حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور اليوم في أعماق أفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتي مليون من الأفريقيين .

لا نستطيع لسبب هام وبديهي . هو أننا في افريقيا .

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع اليها نحن الذين نحرس الباب الشمالي للقارة ، والذين تعتبر صاتها بالعالم الخارجي كله . . .

ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى وهو أبرز سمات القرن العشرين * * *

هكذا كان لعبد الناصر رصيده الضخم فى نضاله ضد الاستعمار ومن أجل تصفية مواقفه فى العالم الثالث * فان حربه المستمرة ضد الاستعمار رسمت المعالم الرئيسية لصورة عبد الناصر فى سجل التاريخ ، وأكسبته مكانا عالميا ، ومنحته شرف عداوة الاستعمار العالمى *

لقد ناضل عبد الناصر بشجاعة نادرة ، وصبر لا حدود له دون ما تردد فكانت مؤامرات الاستعمار تحاك ضده فى أكبر عواصم العالم ، للتخلص من نظامه والقضاء على حياته * وحفظ الله جمال عبد الناصر وباءت كل المؤامرات بالفشل ، فقد كان فى قلوب الملايين من شعوب العالم المناضلة والمتطلعة الى الحرية والعزة والكرامة فقد ارتفع صوت عبد الناصر فى كل مناسبة معبرا عما يجيش فى صدورهم * * * صوتا قويا شجاعا مهيبا * * *

كانت مبادئه صامدة كالطود الشامخ تنادى بالحرية وترفض التبعية ، وقف يهاجم الغرب الاستعماري دائما ، وهاجم الشيوعية الدولية عندما حاولت التدخل فى شئوننا الداخلية للنيل من القومية العربية ، وذلك عندما لاح لها فى العراق ركلة لنشر عقيدتها فى الوطن العربى عامى ١٩٥٨/١٩٥٩

كان جريئا على الرغم من مساندة الاتحاد السوفيتى فى جميع المجالات لمصر المستقلة ووقوفه بجانبها فى معاركها دائما ضد الاستعمار الغربى *

ولقد كان لموقف عبد الناصر وثورته ووضوح مبادئه أن اكتسب الاتحاد السوفيتى كأشرف الأصدقاء ، اكتسبه الى جانب مبادئ الحق والعدل ومناصرة لجميع حركات التحرر العالمية *

الفصل الخامس

حرب عبد الناصر ضد الاستعمار في الوطن العربي

« .. رفضنا الدعوة الى الاخلاف ... وقلنا لنا
فكرة نؤمن بها كل الايمان .. لان أى تحالف مع الدول
الكبرى يعنى السيطرة .. فطلبنا من الدول العربية
أن تتضامن تحت لواء الدفاع المشترك .. لان هذه
الاخلاف .. هى اخلاف الذئب مع الحمل .. ولا بد
أن يأكل الذئب الحمل .. »

جمال عبد الناصر

كان الوطن العربى دائما فى حساب القوى الاستعمارية ، وقامت الثورة
المصرية فى يوليو ١٩٥٢ والبلاد العربية دون استثناء ، اما محتلة بقوات دول
الغرب الاستعمارية ، واما مستقلة استقلالا سياسيا زائفا يتربع على قمم السلطة
فيها حكام رجعيون من عملاء الاستعمار .

ولم تكد أقدام الثورة المصرية التى فجرها جمال عبد الناصر ترسخ على
أرض مصر ، حتى بدأ المناضل يطلق نداءاته المدوية ، داعيا الى العمل العربى
الموحد والثورة العربية فى مواجهة الاستعمار . « ... ما دامت المنطقة واحدة
... وأحوالها واحدة ... ومشاكلها واحدة ... ومستقبلها واحد ...
والعدو واحد مهما يحاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة - فلماذا تشتت
جهودنا ؟ » (*)

كان لدعوة القومية العربية التى تحققت فعلا بالوحدة بين مصر وسوريا
أثرها فى قيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ التى أطاحت بالنظام
الملكى وأعلنت الجمهورية العراقية ، وأسقطت حلف بغداد وكانت تأكيداً
للشخصية العربية التى أبرزها عبد الناصر فى مؤتمر باندونج ، كما كانت كشفاً

(*) من فلسفة الثورة - جمال عبد الناصر .

للعناصر الرجعية وتفجيرا للشرارة الثورية التي أمكن على ضوئها أن يرى
الانسان العربى حقيقة الاستقلال الاجتماعى •

ومضى المد الثورى بعدها يجرف الاستعمار والرجعية فانتصر شعب
الجزائر فى معركة التحرير ، وسقط الحكم الملكى الاقطاعى فى اليمن •••
وقامت ثورة السودان •• ثم ثورة ليبيا •• وكلها بفضل مساندة عبد الناصر
ودعمه السياسى والعسكرى والاقتصادى •• فرفعت كلها شعارات ناصر « فى
الحرية والاشتراكية والوحدة » •

وتعددت أسلحة عبد الناصر فى حربه الدخوب ضد الاستعمار فى الوطن
العربى وبدأ يفضح أساليبه ، فكانت حربا شعواء على الاستعمار وأعوانه من
اذاعة صوت العرب بالقاهرة منذ يوليو سنة ١٩٥٣

ووقف عبد الناصر يساند النضال العربى لدول حركة التحرر الوطنى
بكل الوسائل الممكنة ، سواء من خلال العلاقات المباشرة بينها أو من خلال
المنظمات والمؤتمرات الدولية ، فلم يبخل عليها بالقروض والمعونات والدعم
المادى والعسكرى • وأبرز القضايا العربية فى المؤتمرات العالمية وخاصة قضية
فلسطين •

هكذا وقف عبد الناصر يساند الشعوب والدول العربية فى كل زمان
ومكان ، وإن استعراض مواقفه الايجابية فى هذا المجال لا يتسع لها هذا البحث
بل تحتاج الى مزيد من البحوث كى نوفيها حقها فى العرض •

لقد كانت مساندة عبد الناصر للأمة العربية فى كافة المجالات السياسية
والعسكرية والاقتصادية والديبلوماسية تكاد تكون كل يوم بل وكل ساعة وفى
كل مناسبة وتحت أى ظروف ، وعلى كل المستويات الرسمية والشعبية وفى
المحافل والمؤتمرات الاقليمية والدولية •

ويهمنا فى هذا الفصل الاشارة الى نضال عبد الناصر ومقاومته لحلف
بغداد الاستعمارى ومسانداته البارزة للدول والشعوب العربية وسنعرض فى
الفصل السادس نضاله ضد الأحلاف الأخرى التى أقامها الاستعمار بوصفها
حربا منه للقضاء على زعامته واسقاطه •••

الجزء الأول

حلف بغداد

قامت الثورة المصرية وانتصرت بقيادة عبد الناصر على قوات الاحتلال البريطاني وتم جلاء قواته * وأراد الاستعمار إعادة فرض سيطرته ونفوذه على المنطقة العربية بفرض حلف سمي بحلف بغداد نسبة الى عاصمة العراق التي تم التوقيع عليه فيها *

وفي عام ١٩٥٤ بدأت المباحثات والاتصالات بين تركيا (عضو منظمة حلف الأطلسي) والعراق بحجة تنظيم الأمن في الشرق الأوسط استنادا الى معاهدة الصداقة المبرمة بين البلدين عام ١٩٤٦ * وفطن عبد الناصر الى هذه التحركات المريبة فتوجه وزير الارشاد المصري الى الدول العربية للتفاهم معها في هذا الشأن حرصا على وحدة العرب ، وأن مصالحهم لن تتحقق بالتحالف مع آخرين خارج المنطقة وأن السبيل الى ذلك تحويل معاهدة الضمان الجماعي العربي الى حقيقة واقعة بتدعيمها بواسطة الدول العربية نفسها مع تدعيم الجامعة العربية واتاحة جميع الامكانيات التي تمكنها من القيام بدورها الأساسي وهو تكتل العرب وجمع كلمتهم وانبثاق أمن المنطقة من داخلها * وأقر جميع المسؤولين بالبلاد العربية وجهة نظر عبد الناصر القومية علنا رئيس وزراء العراق نوري السعيد العميل الاستعماري الذي حضر الى القاهرة في أغسطس سنة ١٩٥٤ وتباحث معه عبد الناصر بشأن تقوية ميثاق الضمان الجماعي للدول العربية واتضح من مناقشته أبعاد المؤامرة الاستعمارية المستقبلية حيث أشار بتوسيع نطاق هذا الضمان بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وايران وأصر على رأيه * وسارع جمال عبد الناصر للاجتماع بوزراء الخارجية العرب في مجلس جامعة الدول العربية في ديسمبر

١٩٥٤ وأكد لهم أن سياسة الدول العربية وسيادتها يجب أن تقوم على أساس تدعيم ميثاق الضمان الجماعي العربي واثاحة الامكانيات اللازمة لجعله أداة فعالة مع تقوية الجامعة العربية ، وطلب الوزراء استشارة حكوماتهم على أن يعودوا للاجتماع في منتصف يناير عام ١٩٥٥ ، وقبل هذا التاريخ أراد نوري السعيد عميل الاستعمار أن يضع الدول العربية أمام الأمر الواقع وصدر بيان تركي عراقي مشترك بشأن عزم الدولتين على عقد ميثاق للتعاون بين الدولتين وبإادر عبد الناصر الى اتخاذ خطوات ايجابية لمواجهة هذا الخطر الاستعماري الجديد فأرسلت مصر على الفور في دعوة رؤساء الدول العربية الموقعة على ميثاق الضمان الجماعي للاجتماع في القاهرة في يناير ١٩٥٥ ، ولم يدع مناسبة على الصعيد الشعبي والعربي الا وفضح سياسة الأحلاف ورفض مصر لسياسة ربط العرب بأي دولة أجنبية وأنها مصممة على الدفاع عن نفسها وعن العرب بجهار ينبثق من ارادتها واردة الشعوب العربية الا أن نوري السعيد أصر على موقفه وأوفد وزير خارجيته الدكتور فاضل الجمالي الى سوريا ولبنان في منتصف فبراير ١٩٥٥ لاقناعهما بالانضمام الى الحلف ، وأمام ثورات جماهير الشعب العربي في كل مكان لم تكلل جهوده بالنجاح فتم توقيع الحلف التركي العراقي في بغداد في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ ، وظهر مدى تبعية هذا الحلف للاستعمار الغربي فوصفه وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في اليوم التالي بأنه يعتبر مساهمة ايجابية في الدفاع عن الشرق الأوسط . وأعلن ايدن رئيس وزراء بريطانيا أمام مجلس العموم البريطاني في ٣٠ مارس أن الهدف من الحلف هو تكوين رابطة جديدة مع العراق ، وأن في انضمام بريطانيا اليه تعزيزا لنفوذها ورفعاً لصوتها في شئون الشرق الأوسط ، وانضمت اليه رسميا في ابريل بموجب اتفاق خاص مع العراق حل محل معاهدة سنة ١٩٣٠ السابقة وتبعتها باكستان في يوليو وايران في نوفمبر وظلت الولايات المتحدة مكثفة بالمراقبة في لجان الحلف ومساعدته

اقتصاديا وانتهى الأمر بها بالانضمام رسميا الى لجنته العسكرية في
يونيو ١٩٥٧ (*)

وواصل عبد الناصر مهاجمته لحلف بغداد فاضحا أبعاده ومقاصده ،
ولما عيلت الدوائر الاستعمارية والرجعية صبرا من اقناع حكومتى الأردن
وسوريا سياسيا ودبلوماسيا بالدخول فى الحلف ، بدأت المؤامرات لقلب
الحكومتين بتهريب الاسلحة والأموال للعملاء لاشعال الفتن الداخلية واشتعلت
الثورة الوطنية بالأردن فى نهاية عام ١٩٥٥ وانتهى الأمر بطرد جلوب قائد
الجيش الأردنى ، الانجليزى الجنسية ، وقاومت سوريا حكومة وشعبا فقام
الاستعمار بتدبير المظاهرات العسكرية على الحدود السورية بحشد القوات
التركية والعراقية بدعوى القيام بمناورات عسكرية • وأمام اصرار الحكومة
الوطنية السورية على عدم الانحياز لسياسة الأحلاف الاستعمارية وثورة
الشعب السورى العارمة ومساندة عبد الناصر تحطمت أسطورة ضم سوريا
الى حلف بغداد • وهفت القلوب السورية الى الوحدة مع مصر عبد الناصر
وأعلن مجلس النواب السورى فى يوليو ١٩٥٦ مطالبة الشعب السورى باقامة
اتحاد فيدرالى مع مصر ، وشن الاستعمار عدوانه الثلاثى على مصر ، ورفع
الستار عن حقيقة حلف بغداد عندما وضعت القواعد البريطانية فى الحبانية
بالعراق فى خدمة القوات المعتدية • وقامت الجمهورية العربية المتحدة باتحاد
الاقليمين السورى والمصرى فى فبراير سنة ١٩٥٨ واستمر الاستعمار فى
حربه ضد عبد الناصر لاستقاطه ، وقد أوضحنا ذلك تفصيلا فى الفصل السادس
من حلف استعمارى أمريكى (مشروع أيزنهاور) الى تدبير مؤامرة الانفصال
الرجعية فى سوريا وممارسة الضغوط بالحصار الاقتصادى ثم الحلف الاسلامى
وعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧

(*) كتب قومية - احلاف العدوان الامريكية فؤاد دواره •

الجزء الثاني

مساندة الشعوب والدول العربية في نضالها

إيماننا من عبد الناصر بالوحدة العربية وأنها الطريق الى تحرير الأمة العربية من طغيان الاستعمار وتحكمه في مقدراتها فانه لم يدع شعبا الا وسانده في ثورته ومقاومته لطغيان الاستعمار • وتحرر السودان وتونس والمغرب والجزائر والكويت واليمن وجنوب اليمن والأردن ، وقامت الثورات التقدمية في سوريا والعراق والسودان وليبيا للقضاء على النظم اليمينية وسياستها الموالية للاستعمار وبرز الكيان الفلسطيني الى الوجود معلنا حقيقة اسرائيل صاعدا في معركته المريعة القاسية للقضاء عليها •

السودان :

منذ قام عبد الناصر بثورته وهو يساند الشعب السوداني لنيل استقلاله وجلاء القوات البريطانية عن أرضه وكان دور الزعيم الخالد عظيما • فقد عمل على استقلال السودان قبل استقلال مصر واستخدم كل الحق والمهارة السياسية فسكنت الثورة المصرية من عقد اتفاق مع الأحزاب السودانية سجل في وثيقة أصبحت أساسا للمفاوضات مع بريطانيا وحطم عبد الناصر الصخرة التي ظانها تحطمت عليها مباحثات الجلاء عن مصر بالموافقة على إعطاء الشعب السوداني حقه في تقرير المصير • ووقعت اتفاقية السودان في فبراير ١٩٥٣ مع الجانب البريطاني ونصت على تهيئة الجو المحايد الحر الذي لا بد من توفره لتقرير المصير • وخلال فترة الانتقال بادرت بريطانيا بسحب قواتها المسلحة واسحب الجيش المصري تاركا أسلحته الثقيلة هدية لجيش السودان وأعلن استقلال السودان في أول يناير ١٩٥٦ • وساند عبد الناصر الثورات التي قامت به لمحاولة التخلص من قوى الرجعية ، وأيد ثورته الأخيرة بقيادة اللواء جعفر نميري في مايو ١٩٦٩ الذي أعلن أهدافها الثورية التقدمية • والتفت ثورته مع ثورة عبد الناصر الأم الى أن تم اعلان ميثاق طرابلس بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا على طريق الوحدة والحرية والاشتراكية •

تونس :

تحررت تونس من الاستعمار الفرنسي عام ١٩٥٥ واحتفظت فرنسا بقاعدة عسكرية لها في بنزرت * ورغم هجوم مندوبها السفير ضد شخص عبد الناصر في حفل مجلس اتحاد دول الجامعة العربية ترحيبا بقبول تونس عضوا بها عام ١٩٥٨ إلا أن المناضل العربي لم يتقاعس عن مناصرة الشعب التونسي وحكومته ضد العدوان الفرنسي في قاعدة بنزرت وأعلن في يوليو ١٩٦١ تقديم الامدادات العسكرية الى تونس لصد القوات الفرنسية في عدوانها على الشعب التونسي وطالبت الجمهورية العربية المتحدة مجلس الأمن بجلاء القوات الفرنسية عن الأراضي التونسية وقامت بتقديم مساعدات بحوالي ٢٠ ألف جنيه لأسر ضحايا العدوان الفرنسي * وتم جلاء فرنسا في ديسمبر ١٩٦٣ ودعت الحكومة عبد الناصر البطل لزيارتها فكان الاستقبال الشعبي الحماسي له تقديرا لنضاله *

المغرب :

كان لتأييد مصر عبد الناصر الأثر الفعال في استقلال المغرب وتحريرها من الاستعمار الفرنسي بناء على الاتفاقية المغربية الفرنسية عام ١٩٥٥ * فقد أيد عبد الناصر ثورة شعب المغرب بقيادة السلطان محمد الخامس الذي نفاه المستعمر الفرنسي الى جزيرة مدغشقر وأقام بدلا منه «الجلالوي» أحد عملائه * وأمام الارادة الشعبية ومساندات عبد الناصر للحركة الوطنية المغربية رضح الاستعمار وأعاد السلطان الى المغرب وتحقق استقلالها * وقد شارك السلطان الثائر في مساندة ثورة الجزائر عندما اتفق معه عبد الناصر على أن تكون المغرب قاعدة انطلاق لثورة الجزائر وحملت البواخر المصرية الأسلحة الى المغرب وتم تهريبها الى ثوار الجزائر لمواصلة نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي وقد حضر السلطان الى الجمهورية العربية المتحدة وشارك عبد الناصر في اطلاق اشارة بدء العمل في مشروع السد العالي في يناير ١٩٦٠

الجزائر :

كانت مساندات عبد الناصر لثورة الجزائر غير محدودة منذ اندلاع شراراتها الأولى في نوفمبر ١٩٥٣ فقدم لها العون السياسي والاعلامى والمادى والعسكرى الى أن تحقق استقلالها ، وثاب الاستعمار الفرنسى الى رشده أمام الثورة العارمة ووقعت فرنسا مع الحكومة الجزائرية المؤقتة اتفاقية ايفيان في مارس ١٩٦٢ تمهيدا لاستقلالها . وسارع عبد الناصر الى دعمها ماديا في مرحلة الاستقلال الأولى بأيفاد مصريين في يناير سنة ١٩٦٣ لتشغيل المصانع التى توقفت بعد الهجرة التخريبية للمستوطنين الفرنسيين . وعقد اتفاقية صناعية معها لاقامة مصنع للنسيج بحوالى ٨ مليون جنيه . وتقرر منحها قرضا قيمته ١٠ مليون جنيه لتنفيذ مراحل بناء الاقتصاد القومى . وعاد عبد الناصر لمساندتها عسكريا بارسال قوات من الجيش المصرى اليها في نوفمبر ١٩٦٣ لمشاركة جيشها وشعبها في حمايتها من المؤامرات والتحرشات العسكرية المغربية على حدودها بحجة المطالبة بجزء من أرضها .

الكويت :

وقف عبد الناصر بجانب الكويت الى أن رحلت قوات الاستعمار البريطانى عنها ولما أعلن عبد الكريم قاسم حاكم العراق فى عام ١٩٦١ ضم الكويت للعراق بالقوة وسارعت القوات البريطانية باحتلالها بحجة حمايتها من التهديد العراقى ، طالبت مصر مجلس الأمن بجلائها . وفى اطار جامعة الدول العربية تم احلال قوات مصرية تحت علم الجامعة محل القوات البريطانية الاستعمارية صيانة لاستقلال الكويت وأعلنت القاهرة سحبها لقواتها فى أكتوبر ١٩٦١ عندما استقرت الأمور وتوقف العراق عن تهديده .

اليمن :

قامت ثورة تقدمية فى اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢ للقضاء على الرجعية وعهد القرون الوسطى ، وأيدها عبد الناصر على الفور . وطلبت مساندتها ضد قوات السعودية الرجعية الموالية للاستعمار ، فأرسل قوات من الجيش المصرى لحمايتها واستمر فى مساندتها اقتصاديا وأعلن القائد العام للقوات المسلحة

المصرية فى فبراير ١٩٦٥ أن شهداءنا باليمن تجاوز عددهم خمسة عشر ألفا من الضباط والجنود خلال عامين وتم خلالها اتفاق ٣ مليون جنيه استرليني بالإضافة الى ١٥ مليون جنيه مصرى سنويا • ولعل فى هذا ما يوضح لنا تصريح رالف بانس مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة عقب زيارته لليمن : « ان ما يفعله عبد الناصر هناك • • • لهو خدمة للانسانية • • • » وانتقلت جمهورية اليمن من العصور الوسطى الى مشارف القرن العشرين • وحققنا للدماء العربية سافر عبد الناصر الى جدة وعقد اتفاقية للسلام مع فيصل ملك المملكة العربية السعودية لانهاء القتال فى اليمن واستمرار ثورته •

جنوب اليمن :

انطلقت ثورة جنوب اليمن المسلحة من ردفان فى أكتوبر سنة ١٩٦٣ فى مواجهة الاحتلال البريطانى • وكان عبد الناصر أول من ساندتها عسكريا بالأسلحة وتدريب الثوار الذين خاضوا معارك باسلة أذهلت المستعمر ، وأعلن الزعيم الخالد فى زيارته لليمن عام ١٩٦٤ أن كافة امكانيات بلادنا بشريا وماديا وعسكريا تحت تصرف الثورة من أجل التحرر والنصر • ومنذ طرحت قضية الاستقلال فى الأمم المتحدة وهو يقوم بدور فعال لتسهيل مهمة لجنة تصفية الاستعمار التى تبحث فى القضية وأفسحت القاهرة صدرها لاستقبالها ومقابلتها لمثلثى الثورة الموجودين بها بعد أن وضعت بريطانيا العراقيل فى سبيل اللجنة ومنعتها من دخول البلاد • وتضامن جيش الجنوب مع الثورة الشعبية المسلحة فى يونيو ١٩٦٨ ولم يكن أمام الاستعمار سوى التسليم للارادة الشعبية وقامت جمهورية جنوب اليمن المستقلة فى نوفمبر ١٩٦٧

الخليج العربى :

عاش الاستعمار البريطانى فى امارات ومشيخات الخليج العربى طويلا ووضع سمورا سميكا من الصمت حول المنطقة مستغلا ثرواتها البترولية وقامت الثورة المصرية وقائدها عبد الناصر الذى التف حوله الشعب العربى من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى ، وثار شعب الخليج العربى ضد الاستعمار البريطانى فى المنطقة • وفكر الاستعمار فى محاولة احتواء ثورته داخل حلف

بغداد فقبول الوزير البريطاني للبحرين بثورة وطنية عارمة تزعمها العمال والشباب المثقف عند زيارته للامارات داعيا للحلف • وقامت ثورة عمان وتولت الجمهورية العربية المتحدة تقديم الارشاد الفنى والتدريب العسكرى لها • وبلغت الثورة أوجها فى عام ١٩٥٧ وأصبحت القضية ناضجة ل طرحها على هيئة الأمم المتحدة ونجحت الجمهورية العربية المتحدة بادراجها فى جدول أعمال الهيئة عام ١٩٦٢ رغم معارضة بريطانيا الشديدة وحلفائها • وفى عام ١٩٦٤ رأت مصر عبد الناصر أن الحالة تستدعى المساندة من الدول العربية فان امارات الخليج وان لم يكن ينقصها المال فانها فى حاجة الى الخبرات فى سبيل النهضة والتقدم والا فانها سوف تلجأ الى معونة ايران ذات المطامع الاستعمارية فى المنطقة والتي تنادى دائما بأن الخليج فارسى وليس عربى • وبناء على جهود مصر قررت الجامعة العربية تكوين لجنة تشترك فيها مع السعودية والكويت والعراق لمساعدة الامارات والشيخات ، والحق بها صندوق لتمويل المشروعات العمرانية بالمنطقة • واذا ما تتبعنا جهود عبد الناصر فى مباحثاته مع رؤساء الدول الاشتراكية والآسيوية والأفريقية فاننا نجد دائما خروجه بقضية الخليج العربى الى المجال العالمى فى سبيل تحريرها من الاستعمار البريطانى ، ولقد كانت القاهرة هى منبر « السلطان أحمد الفضلى » رئيس المجلس الأعلى لمحميات الجنوب العربى الذى أعلن منه المؤامرات الاستعمارية التى حاكها الاستعمار فى مؤتمر لندن عام ١٩٦٤ بشأن المنطقة •

وأمام هذا كله وضغط الثوار فى الجنوب لم يجد الاستعمار البريطانى أمامه بدا من الرضوخ للرجبة العارمة فى الاستقلال فأعلنت الحكومة البريطانية (حزب العمال) استعدادها للجلاء عن المنطقة عام ١٩٧١ • ومازالت بريطانيا تقوم بمناوراتها فى سبيل اقامة اتحاد بين الامارات والشيخات يخدم مصالحها ونقضت الحكومة البريطانية (حزب المحافظين) عهدا باعلانها عزمها البقاء بالمنطقة وسترفع راية الحرية حتما على الخليج العربى •

سوريا ولبنان والعراق والأردن :

لعلنا في عرضنا في الجزء الأول من هذا الفصل قد أوضحنا جهود عبد الناصر وكفاحه المستمر ضد حلف بغداد الاستعماري الذي حاول ضم الأردن ولبنان وسوريا الى دائرة نفوذه فقد ساند البطل شعوب وحكومات هذه الدول في نضالها ضد الأساليب والمؤامرات والتهديدات الاستعمارية التي وجهت ضدها لاعادة السيطرة عليهم • وبدأ الاستعمار في سبيله لاقامة أحلاف أخرى ، واضحة وصريحة مثل مشروع ايزنهاور ، ومقنعة تحت ستار الاسلام مثل الحلف الاسلامي للقضاء على زعامة عبد الناصر وقيادته للأمة العربية وكان لمساندة عبد الناصر لشعوب هذه الدول أكبر الأثر في تجميد هذه الأحلاف والقضاء عليها • ووصلت مساندته الى حد ارسال قوات من الجيش المصري للوقوف بجانب سوريا ضد المؤامرات الاستعمارية وسنوضح ذلك تفصيلا في الفصل السادس الخاص بحروب الاستعمار ضد عبد الناصر •

ليبيا :

قامت الثورة التقدمية في ليبيا في سبتمبر سنة ١٩٦٩ بقيادة الثائر العقيد معمر القذافي ضد الرجعية والقواعد العسكرية الأجنبية والاستغلال الاستعماري لقد آمن القذافي بثورة عبد الناصر ومبادئه والتقت ليبيا الثورة مع الثورة المصرية الأم ووضع الزعيم الخالد كل امكانيات الجمهورية العربية المتحدة تحت تصرف الثورة الليبية في سبيل الحفاظ عليها وحمايتها • ونجحت الثورة وهزم الاستعمار ورحلت قواته المحتلة عن قواعد العسكرية الأمريكية بهويلس والانجليزية بالعظم • وغادر الأجانب ليبيا بعد استغلال دام طويلا للشعب الليبي •

والتقت الثورة الليبية والثورة السودانية مع القائد الخالد جمال عبد الناصر في جميع المجالات الى أن تم اعلان ميثاق طرابلس بين الثورات الثلاث على طريق الوحدة والحرية والاشتراكية •

فلسطين :

عاش جمال عبد الناصر مأساة فلسطين وكان لها الأثر العميق في وجدانه منذ كان طالبا - يقول في كتابه فلسفة الثورة « ... وأنا أذكر فيما يتعلق بنفسى أن طلائع الوعي بدأت تتسلسل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية أخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر نوفمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود * ومنحتهم به وطننا قويا فى فلسطين اغتصبته ظلما من أصحابه الشرعيين * » وقامت دولة اسرائيل وحارب عبد الناصر على أرض فلسطين وارتوت أرضها بدماء الشهداء من أصدقائه خلال عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ * لذا كانت نقطة المنطلق من ثورته هى قضية فلسطين والتهديد الاسرائيلى المستمر للأرض العربية كلها وكان اعلانه واضحا صريحا « ... ان اسرائيل يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة أى حرية ، ويعتبرها مزرعة لمصالحه الخاصة كما هى خطة الاستعمار دائما فى القضاء على الأمة العربية جميعا وهى ليست خطة قصيرة الأجل ، بل خطة طويلة الأجل تهدف الى القضاء على العروبة كلها ، »

وكان نضاله المستمر فى سبيل استنفار كل القوى العربية داعيا الى وقفة موحدة فى النضال ضد الاستعمار وصنيعته اسرائيل ، نضال محوره الأساسى تحرير أرض فلسطين المغتصبة واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى وازاء التناقضات التى يطفح بها الواقع العربى لم يدع عبد الناصر أى صيغة ممكنة لعمل عربى مشترك فى مواجهة العدو المشترك الا وطرحها ابتداء من اتفاقيات الدفاع الثنائية والثلاثية بين البلاد العربية المحيطة باسرائيل ، وانتهاء بمؤتمرات القمة العربية لمواجهة توسع اسرائيل واستغلالها للمياه العربية وبرغم ما تعرض له العمل العربى من عثرات ، نراه أشد ما يكون اصرارا وثقة ووضوح رؤية بالنسبة للقضية فى كل أبعادها فيقول : « ... ان قضية فلسطين بالدرجة الأولى هى عدوان استعمارى لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، بل لنثق أن يقظة الضمير الانسانى لن تجعل له مثيلا فى المستقبل أيضا * هو عدوان بغير سابقة فى التاريخ وهو فى نفس الوقت عدوان لا يمكن أن يتكرر (*) »

(*) من كلمة جمال عبد الناصر امام ملك ماليزيا فى زيارته الى ج.ع.م فى ٢٣ أبريل ١٩٦٥

وانطلاقاً من ادراك عبد الناصر المبكر للحقيقة الواضحة بأن وقوف قوى التحرر العربية بمعزل عن تيار التحرر العالمى ، سيؤدى الى حرمانها من قوى التحرر العالمية فى مواجهة الاستعمار والصهيونية العالمية واسرائيل ، كان خروجه بقضية فلسطين الى المجال الدولى والعالمى * ولعلنا فى عرض ما قاله فى خطابه أمام هيئة الأمم المتحدة ورسائله الشهيرة الى جون كيندى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ما يؤكد لنا مطالبته باعادة النظر فى القضية الفلسطينية على ضوء كونها حقيقة عنصرية عدوانية استعمارية من الدرجة الأولى وليست بمشكلة لاجئين فيقول فى الأمم المتحدة فى الدورة الخامسة عشر فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٠ « ... لست أريد هنا استدرار الدموع على أحوال اللاجئين من شعب فلسطين وانما أريد لشعب فلسطين حقوقه كاملة ولا أريد له الدموع * وان التعلل بالأمر الواقع لخطيئة كبرى ترتكب فى حق المبادئ ... ان الأمر الواقع على غير أساس من العدل وحكم القانون المعوج يجب على المجتمع تقويمه وتلافيه ... » وفى رسالته الى كيندى أعلن الحقيقة بقوله ... لقد أعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق ثم استطاع الاثنان (من لا يملك ومن لا يستحق) بالقوة والخديعة أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه ... » كما نجح عبد الناصر فى أول مؤتمر للحرية للدول الآسيوية والافريقية بباندونج عام ١٩٥٥ فى عزل اسرائيل الاستعمارية تماماً عن التسلل الى حركات التحرير العالمية رغم ادعائها بأنها دولة آسيوية مستقلة * وكان صوته أول صوت لزعيم عربى فى مؤتمر عالمى للحرية يعلن حقيقة اسرائيل العنصرية ويطالب بتأييد حق الشعب الفلسطينى فى الحرية والعودة الى وطنه السليب * .

وفى كل تجمع للحرية ضم جمال عبد الناصر مع زعماء العالم نرى دائماً ادانة لاسرائيل وتأييدا للحق العربى فى فلسطين * .

لقد أعلن الزعيم الخالد دائماً أن ليس من حق الدول العربية أو احداها أن تتصرف فى قضية فلسطين بعيداً عن صاحب الحق الأول فيها وهو الشعب الفلسطينى ، فكرس كل جهوده من أجل ابراز كيانه للوجود * وأحبط جميع

المحاولات الاستعمارية والرجعية الهادفة الى تصفية الوجود الفلسطيني رافضا مشروعات توطينه خارج أرضه ، وعرف قطاع غزة هويته الفلسطينية وبتوجيهه ورعايته تمت في عام ١٩٥٤ في القطاع أول محاولة لتحويل شعب فلسطين من لاجئين الى مقاتلين ، وكانت أولى كتائب المقاومة الفلسطينية عام ١٩٥٥ من أبناء غزة . وعقد المؤتمر الفلسطيني بالقدس في مايو ١٩٦٤ لبحث الكيان الفلسطيني وأسفر عن تكوين منظمة التحرير الفلسطينية ، وبمبادرة عبد الناصر وجهده المستميت في مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد بالاسكندرية في سبتمبر ١٩٦٤ برز الكيان الشرعي الفلسطيني لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ ، وبتقديمه المساندات المادية والعسكرية تم بناء جيش التحرير الفلسطيني .

وبالرغم من النصر العسكري لاسرائيل في عدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ واحتلالها لجزء كبير من أراضي الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن فان عبد الناصر يطالب وينادي بفلسطين أولا رافضا الضغوط الأمريكية لتجزئة القضية ويطالب بالقدس قبل سيناء . . . الضفة الغربية قبل سيناء . . . غزة قبل سيناء . . . الجولان قبل سيناء .

لقد أثمر كفاح عبد الناصر حقا من أجل الشعب الفلسطيني واصراره على الابقاء عليه ، فلم تكد اسرائيل تقيم أفراحها احتفالا بالنصر في العدوان حتى سمع العالم صوت المقاومة الفلسطينية مدويا في أرض فلسطين في كفاحها المسلح ضد الغزاة وزاد لهيب المقاومة اشتعالا بعد العدوان . وأمام المؤامرات الاستعمارية المدبرة بالتعاون مع الرجعية العربية لتصفية المقاومة الفلسطينية والقضاء عليها في قواعد تدريبها وانطلاقها بالأردن ولبنان ، أعلن عبد الناصر أن الارادة الفلسطينية يجب أن تترك بغير اعتراض ويجب أن تكون لها الفرصة كاملة لتحقيق آمالها ولا ينبغي أن تكون هناك أى وصاية على تصرفاتها وتمثلت مساعداته الايجابية بشأن ذلك في اتفاق القاهرة الذي عقد بين المقاومة ولبنان

لايقاف الأزمة الدامية بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية في أكتوبر
سنة ١٩٦٩

وكانت خاتمة أعمال المناضل الخالد ، بذله لآخر نفس من أنفاس حياته
في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ بعد نجاح جهوده في سبيل ايقاف نزيف الدم في
الأردن ولانقاذ الشعب الفلسطيني من مذبحة الافناء المدبرة له ، لقد عاش من
أجل فلسطين ... ومات شهيدا من أجل فلسطين فمنحته الثورة الفلسطينية
أرفع أوسمة شهدائها •

الفصل السادس

حروب الاستعمار ضد عبد الناصر

« لم يكن عملنا في يوم من الايام سهلا ولا هينا
فقد كان علينا أن نواجه ألوان المخاطر السياسية
والاقتصادية والعسكرية وكان كل انتصار حققناه نتيجة
لمشاق ومصاعب صبرنا عليها وتحملنا أعباءها ... »

جمال عبد الناصر

ان نضال عبد الناصر ضد الاستعمار في مصر والوطن العربي ، وعلى
الصعيد العالمي ، كان نابعا من ايمانه بأن الاستعمار ، وخاصة الجديد منه ،
يتميز بالجماعية • فلم تعد الدول الاستعمارية تعمل على تحقيق مصالحها
منفردة ، خاصة بعد اشتعال حركات التحرر واجبار المستعمر على الاعتراف
باستقلال دولها •

فقد كان لظهور النظم الاحتكارية الدولية التي جمعت بين مصالح الدول
الاستعمارية ولقائها على طريق استغلال ثروات الدول النامية ، ما أيقظ هذه
الدول لخطورة الاستعمار على استقلالها الاقتصادي ، وأوجب عليها ضرورة
توحيد جهودها لمواجهة هذا الخطر الذي يهدد كيانها • ومن هنا وجد
عبد الناصر أنه لا مناص من المقاومة الجماعية ، والنضال الدولي ، ضد هذه النظم
الاستعمارية لمقابلة تكتلاتها بتكتلات وطنية مستقلة •

ولو قدر لعبد الناصر أن يفض النظر عن هذه التكتلات الاستعمارية
ويغلق الباب على نفسه ، لتمكن الاستعمار من النيل من ثورته ، ولأمكنه ضرب
كل الثورات التحررية ، الواحدة تلو الأخرى ، دون أن يعمل حسابا لاحداها ،
هذا بالإضافة الى أنه لن يتركه سائرا في طريق تقدم بلاده اجتماعيا واقتصاديا ،
لأن في ذلك خطورة على وجوده ، وفسادا لهدفه الأساسي ، وهو الاستقلال •

ولو تركه وشأنه لأعطى عبد الناصر المثل الأعلى لباقي الدول المتحررة لتحذو
حذوه . ومن هنا كانت طبيعة الصراع بين عبد الناصر والقوى الاستعمارية .

وعانى الاستعمار من حرب عبد الناصر ضده في جميع الجبهات الداخلية
والقومية والعالمية ، لتقويض دعائمه والقضاء عليه . فكان لزاما عليه - دفاعا عن
نفسه واستمرارا لبقائه - أن يشن الحرب ضد المناضل العالمى الأول لاسقاطه ،
لتحطيم الرمز العالمى المعاصر لقضايا التحرر والاستقلال السياسى والوطنى
والاقتصادى . المناضل الذى أوضح لشعوب العالم الثالث المغلوبة على أمرها
حقائق الاستقلال الكامل بجميع أبعاده ، البطل الذى نادى بتحرير جميع
الشعوب من ربة الظلم والاستغلال المتمثلة في طغيان الاستعمار القديم
والجديد ، الثائر الذى قدم من ثورته المثل الأعلى للشعوب المتطلعة للحرية
والتخلص من الاستعمار . وتعددت أسلحة الاستعمار للقضاء على عبد الناصر ،
من : مؤامرات حيكت في الظلام لاغتياله ومنها مؤامرة الاخوان المسلمين
في صيف ١٩٦٥ ، الى دس الفتن بينه وبين أجهزة الحكم في البلاد العربية ،
ونشر الدعايات المغرضة ضد نظامه الاقتصادى ركيزة الاستقلال السياسى ، الى
محاولة القضاء على زعامته باقامة أحلاف عميلة ، وفرض الحصار الاقتصادى
على مصر ، وغير ذلك من أساليب بلغت ذروتها عند عودته الى أسلوبه التقليدى
بالعدوان العسكرى المسلح .

وستتناول في هذا الفصل أهم الحروب التى شنّها الاستعمار ضد
عبد الناصر في ستة أجزاء : الأول عن العدوان الثلاثى ، ونوضح في الثانى
مشروع أيزنهاور وأبعاده ، ونشير في الثالث الى مؤامرة الانفصال السورية
الرجعية ، وتتناول في الرابع الحصار الاقتصادى الأمريكى ، والجزء الخامس
خاص بالخلف الإسلامى ، ثم ننتهى الى الجزء السادس الذى عاد فيه الاستعمار
الى أسلوبه التقليدى القديم وهو عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧

الجزء الأول

العدوان الثلاثي

أكتوبر / ديسمبر سنة ١٩٥٦

بعد تتويج كفاح عبد الناصر في حربه الأولى ضد الاستعمار البريطاني في مصر بخروج آخر جندي بريطاني من قاعدة قناة السويس والاحتفال بيوم الجلاء في ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، عاجله الاستعمار العالمي بحرب سافرة ضده وضد ثورته في العدوان الثلاثي في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦

استعراض تاريخي :

في مايو ١٩٥٥ صدر أول بيان لثورة مصر عبد الناصر بشأن تمسويل مشروع السد العالي باصدار سندات وأذون على الخزانة المصرية • انه الحلم الذي راود عبد الناصر لبناء الاقتصاد الوطني الحر باعتباره في هذا الوقت ، احدي القمم في طريق التنمية الاقتصادية بزيادة الرقعة الزراعية في مصر ، وارتفاع الدخل القومي ، والطريق لبناء الصناعات الثقيلة بما سيوفره من طاقات كهربائية هائلة • وأعلنت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أنهما عرضتا على مصر تقديم المساعدات المادية لتيسير البدء في تنفيذ المشروع ، وانتهى الأمر الى سحبهما لمساعدتهما المشروطة بعد رفض عبد الناصر السقوط في فخ للسيطرة على استقلالنا الاقتصادي • وعرض الاتحاد السوفيتي استعداده للاشتراك في تمويل المشروع وأعلن وزير خارجيته مساعدة بلاده لمصر في جميع الميادين بقروض طويلة الأجل دون ما قيد أو شرط •

وكان رد عبد الناصر على الاستعمار في خطابه الشهير بالاسكندرية في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية لتحقيق المصالح الحقيقية للسيادة المصرية • وأعلن « • • • أننا لن نتمكن منا المستعمرين أو المستبدين • • • أننا لن نقبل أن يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى

اننا قد اتجهنا قدما الى الأمام لبنى مصر بناء قويا متينا ... نتجه الى الأمام نحو استقلال سياسى واستقلال اقتصادى ... واقتصاد قومى ... من أجل مجموع هذا الشعب ... » •

وكانت اللطمة الكبرى للاستعمار العالمى فى احدى شركاته العالمية المستقلة فأعلن حربه الكبرى فى جميع المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية وتبلور ذلك فى العدوان المسلح بجيوشه وسنعرض فيما يلى يوميات موجزة (*) لما قام به الاستعمار ومواقف جمال عبد الناصر البطولية ودور دول عدم الانحياز فى نطاق هيئة الأمم المتحدة بالاضافة الى ما ساهم به الشعب العربى والكفاح المسلح لمدينة بور سعيد الخالدة ضد قوى البغى والعدوان :

— ٢٧ يوليو ١٩٥٦ رفضت مصر تسلم الاحتجاج البريطانى الخاص بمعارضة تأميم شركة قناة السويس •

— ٢٨ يوليو : بريطانيا وفرنسا تهددان باحتلال مصر ، وينذرهما عبد الناصر بأن مصر ستقابل القوة بالقوة ، العدوان بالعدوان ويعلن التعبئة العامة •

— ٢٩ يوليو : أعلنت بريطانيا وفرنسا حربهما الاقتصادية بتجميد الأرصدة والأموال المصرية ، وتجميد ممتلكات شركة قناة السويس فى كل من الدولتين •

— ٣٠ يوليو : اعلان عدد كبير من دول العالم والاتحاد السوفيتى تأييد مصر فى موقفها وحققها فى التأميم وشرعت الولايات المتحدة الأمريكية فى ممارسة ضغطها الاقتصادى بوضع جميع الأموال التى لحساب الحكومة المصرية لديها وكذلك أموال شركة القنال المؤممة ، تحت الرقابة المؤقتة •

— ٣١ يوليو : صدرت الأوامر الى الجيش البريطانى بالاستعداد ، والى الأسطول البريطانى بأن يكون قريبا من قناة السويس •

(*) يوميات الثورة — مجلة الطبيعة العدد ٧ عام ١٩٦٥

أول أغسطس : تعهدت بريطانيا وفرنسا بعدم استخدام القوة ضد مصر وأعلن في لندن فكرة دعوة مصر لعقد مؤتمر دولي لبحث المشكلة يحضره الاتحاد السوفيتي الذي كرر تقديم عرضه لتمويل مشروع السد العالي وأندرس عبد الناصر دول الغرب بأننا نعرف كيف ندافع عن وطننا وكيف نرد الغاصبين *

٣ أغسطس : تم فتح باب التطوع لتكون الكتائب الشعبية في مصر *

٨ أغسطس : بدأت مؤامرة تعطيل الملاحة في القناة بتحريض بريطانيا وفرنسا المرشدين الأجانب على الاضراب عن العمل *

٩ أغسطس : أصدر عبد الناصر قرارا بإنشاء جيش التحرير الوطني من الحرس الوطني وكتائب التحرير والشباب والمتطوعين *

١٢ أغسطس : رفضت مصر الدعوة الى حضور مؤتمر لندن لبحث مشكلة تأميم القناة ، والنظر في أمر تدويلها *

١٨ أغسطس : رفضت مصر فكرة تدويل القناة التي نادى بها مؤتمر لندن وأعلنت أن التدويل محاولة لفرض السيطرة الاستعمارية العالمية وأنه تعبير مهذب عما ينبغي تسميته بالاستعمار الدولي *

٢٥ أغسطس : تشكلت لجنة خماسية منبثقة من مؤتمر لندن سميت لجنة منزيس نسبة الى اسم رئيس وزراء استراليا للتفاوض مع مصر *

٥ سبتمبر : حشدت بريطانيا وفرنسا قوات كبيرة في جزيرة قبرص *

٦ سبتمبر : أعلنت مصر رفضها لمقترحات لجنة منزيس الدولية بشأن تدويل القناة بعد عقد اجتماعها مع عبد الناصر *

٨ سبتمبر : سحبت بريطانيا وفرنسا وبعض الدول الغربية مرشديها من قناة السويس بقصد تعطيل الملاحة *

١٥ سبتمبر : انتظمت الملاحة في القناة وأعلنت مصر فشل مؤامرة سحب المرشدين *

— ١٧ سبتمبر : مصر تطلب عقد مجلس الأمن للنظر في التهديدات
البريطانية الفرنسية باستخدام القوة •

— ٢٠ سبتمبر : عقدت بريطانيا مؤتمرا ثانيا في لندن واقترح وزير
الخارجية البريطانية تشكيل (جمعية المتفعين بالقناة) تقوم بارسال
سفن اختبار مزودة بالمرشدين وتطلب المرور في القناة دون دفع
رسوم للهيئة المصرية • وقد فشل المشروع لاصرار مصر على مقاومته
ورفض كثير من الدول لفكرته •

— ٧ أكتوبر : أعلنت مصر في مجلس الأمن تصميمها على المحافظة على
سيادتها الكاملة على القناة •

— ٢٧ أكتوبر : تلقت مصر رسالة من داج همرشلد السكرتير العام
للأمم المتحدة يقترح فيها عقد اجتماع يوم ٢٩ أكتوبر في جنيف •

— ٢٨ أكتوبر : أمرت أمريكا رعايا في الشرق الأوسط بمغادرة المنطقة
وأعلنت اسرائيل تعبئة قواتها العسكرية •

— ٢٩ أكتوبر : هاجم الجيش الاسرائيلي سينا ، ودخلت قواته عن
طريق القسيمة ورأس النقب ، والكوتيل ، وأعلنت بريطانيا أنها لن
تستغل القتال الدائر بين مصر واسرائيل للتدخل •

— ٣٠ أكتوبر : وجهت بريطانيا وفرنسا انذارا الى مصر تطلبان فيه
انسحاب القوات الى مسافة عشرة أميال من قناة السويس وهددتا
بالتدخل بالقوة •

— ٣١ أكتوبر : أعلنت مصر رفض الانذار بقطع العلاقات الدبلوماسية
بين الدولتين وبدأت القوات البريطانية والفرنسية تهاجم مصر ، وقدم
السكرتير العام للأمم المتحدة استقالته احتجاجا على العدوان •

— أول نوفمبر : أعلن عبد الناصر أن مصر ستقاتل حتى النصر وطلب
من السكرتير العام للأمم المتحدة سحب استقالته من أجل السلام •

٢ - نوفمبر : تم اغراق سفينة أسمنت مصرية بالقناة وتعطلت الملاحة ودمرت القوات المصرية جزءا من السلاح الجوى الاسرائيلي وأصدر عبد الناصر أمره بانسحاب الجيش المصرى من سيناء حتى لا يقع فى المصيدة الموضوعة من قبل القوات الاستعمارية وتوحيداً لجهة القتال والمقاومة • وأسقطت المدفعية المصرية بعض الطائرات الفرنسية والبريطانية ، وأعلن عبد الناصر فى الأزهر أن الشعب سيقا تل حتى آخر قطرة فى دمه •

٣ - نوفمبر : فشلت القوات البريطانية والفرنسية فى النزول الى السويس وأغرقت بعض قطع الأسطول البريطانى •

قام العمال العرب فى بعض البلاد العربية بنسف أنابيب البترول لمنعهم عن دول الغرب وتضامنا مع مصر فى مواجهة العدوان •

٤ - نوفمبر : مدينة بور سعيد تقاوم الغزو البريطانى الفرنسى ببسالة تذهل العالم وتم توزيع السلاح على جميع أفراد الشعب •

٥ - نوفمبر : وجهت مصر نداء الى جميع شعوب العالم بطلب العون المادى والأدبى ضد العدوان - وأنذر الاتحاد السوفيتى باستخدام القوة ضد المعتدين •

٦ - نوفمبر : أصدر مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار •

٧ - نوفمبر : وافقت الأمم المتحدة على ارسال قوات طوارئ دولية حتى يتم انسحاب المعتدين •

٩ - نوفمبر : أعلن عبد الناصر مرة أخرى بالجامع الأزهر أن الاستعماريين فرضوا علينا القتال ولن يفرضوا الاستسلام •

٤ - ديسمبر : بدأ انسحاب القوات الانجليزية والفرنسية من بور سعيد •

٢٣ - ديسمبر : وتم جلاء القوات المعتدية عن بور سعيد وحطم الأهالى تمثال فرديناند ديليسبس •

- ٢٦ ديسمبر : بدأت اسرائيل الانسحاب من سيناء •
- أول يناير ١٩٥٧ : ألغت مصر اتفاقية الجلاء المعقودة مع بريطانيا في أكتوبر سنة ١٩٥٤ باعتبارها منتهية منذ يوم العدوان ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦
- ٧ يناير : توحدت جهود المعسكر الاستعماري في الضغط الاقتصادي على مصر بتجميد الولايات المتحدة الأموال المصرية الموجودة بها تضامنا مع بريطانيا وفرنسا •
- ٩ يناير : استقال أنتوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا لفشله في السياسة الخارجية لبلاده •
- ١٤ يناير : انسحبت القوات الاسرائيلية من العريش وتسلمتها القوات المصرية •
- ١٩ يناير : وافقت ٧٤ دولة في منظمة الأمم المتحدة على وجوب انسحاب اسرائيل فورا بعد تملكها •
- ٢٤ يناير : حذر عبد الناصر الغرب من اثاره اضطرابات اذا حاول استخدام قوات الأمم المتحدة بتدويل غزة والعقبة •
- ٨ فبراير : طالبت الكتلة الافريقية الآسيوية في الأمم المتحدة بفرض عقوبات على اسرائيل لتأخرها في الانسحاب من
- ٦ مارس : تم انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة وشرم الشيخ •
- ١٨ مارس : وزعت قوات الطوارئ الدولية على خطوط الهدنة •
- ٩ أبريل : تم تطهير القناة واستؤنفت الملاحة تحت ادارة الهيئة المصرية وقامت الدول بعد ذلك جميعا بدفع رسوم مرور سفنها بالقناة الى مصر •

العدوان الثلاثي بهدف اسقاط عبد الناصر :

هل كان تأميم قناة السويس هو السبب الأول للعدوان كما روجت له الدعايات الغربية الاستعمارية ؟ لقد كان التأميم ذريعة الاستعمار للعدوان وليس للتأميم نفسه وقد تكفل رئيس وزراء بريطانيا بفضح ذلك ، عندما أعلن أنهم ليسوا في نزاع مع مصر ، وإنما النزاع مع عبد الناصر . كما أيد ذلك أحد قادة حملة العدوان « جنرال بوفر الفرنسى » فى حديث له مع قائد الثورة الليبية العقيد معمر القذافى أثناء زيارته ليبيا فى فبراير سنة ١٩٧٠ ، بأنه كان يريد احتلال القاهرة بأمل اسقاط حكم عبد الناصر .

وقد أوضح لنا البطل الخالد - فى ايجاز لماذا كان العدوان وذلك فى خطابه أمام الجماهير ببور سعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦ قائلا :

« ايه كان قصدهم من هذه المؤامرة كانت بريطانيا تريد ضرب مصر لتعيدها الى مناطق نفوذها بعد الثورة صممنا على الجلاء وخرجنا من مناطق النفوذ وتصدينا لحلف بغداد وكانت بريطانيا ترى بعد جلاء قواتها أنه لا بد أن تضرب مصر لتعود مرة أخرى الى مناطق النفوذ البريطانية . وكانت بريطانيا تريد الحيلولة دون قيام قوة ذاتية وطنية فى مصر اقتصادية وسياسية وعسكرية بعد الثورة بدأنا نبني بلدنا سياسيا وبدأنا سياسيا نكون فعلا أحرارا ثم بدأنا اقتصاديا نبني بلدنا ونعمل على تصنيعها ثم بدأنا عسكريا فى اقامة الجيش الوطنى القوى ونكسر احتكار السلاح ، كانت بريطانيا أيضا تريد عزل مصر عن تأثيرها وتأثيرها بالأمة العربية »

« كانت فرنسا تريد أن تحول دون مصر وأداء دورها المشروع والحق فى تأييد ثورة شعب الجزائر ، كانت فرنسا تريد اخضاع القاهرة وكانت تعتقد أنها بذلك تستطيع اخضاع الثورة الجزائرية »

« كانت اسرائيل تريد أن تجعل مصر جسدا هامدا لا روح فيه ولا مقاومة ، وأيضا كانت تريد أن تضرب دعوة القومية العربية التى أعلنتها مصر بعد الثورة »

من هنا كان العدوان الثلاثى - رغم ما تمثلت فيه من صور الاستعمار القديم من غزو عسكري - بمثابة اعلان الحرب من جانب الاستعمار الجديد بصورته الجماعية المميزة لاسقاط عبد الناصر • ان الاستعمار فى تطوره بعد انتشار حركات التحرر الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية ولضمان سيطرته على الشعوب المتحررة واستغلالها ، اتبع أساليب جديدة متعددة سبق أن أشرنا إليها فى الفصل الأول ، فى جميع المجالات اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكريا وقوميا ودوليا • وقد كشف الزعيم الملهم عن هذه الأساليب الخفية وساهم ايجابيا فى فضحها على المستوى العالمى وكانت ثورته مجال تطبيق مفاهيمه عنها بما قام به فى جميع هذه المجالات قبل العدوان الثلاثى :

- فى المجالين السياسى والاجتماعى قضى عبد الناصر على أعوان الاستعمار وهى الطبقة التى خلقها أثناء الاحتلال القديم لتكون امتدادا لنفوذه واستغلاله فأعلن ثورته الاجتماعية لتحرير الفرد من الظلم الاجتماعى • فقضى على الاقطاع وتحكم رأس المال وتم اعتماد ملايين الجنيهات للمشروعات الاجتماعية والصحية •

- وفى المجال الاقتصادى رفض عبد الناصر بحسم واضح ربط بلاده بالكتل الاقتصادية الكبرى التى يسيطر عليها الاستعمار ، وأعلن مسيرة مصر فى طريق الاستقلال الاقتصادى فى العيد الرابع للثورة •

وكانت مسيرته فى هذا الطريق منذ قيامه بالثورة بإنشاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج ، واعتماد ملايين الجنيهات للمشروعات الانتاجية العديدة وطرح سندات لتمويل مشروع السد العالى والاتفاق على اقامة مصنع للحديد والصلب ومنع تحكم رأس المال الأجنبى فى مشروعات التنمية الاقتصادية باصدار قانون بتنظيمه وعقد اتفاقا مع الاتحاد السوفيتى لإنشاء مفاعل ذرى •

- فى المجال الثقافى لم يمكن عبد الناصر الاستعمار من التسلسل الى عقول الجماهير عن طريق أجهزة الاعلام وبالطرق غير المباشرة وأعلن بوجوب التخلص من الاستعمار الفكرى (*) •

(*) كلمة جمال عبد الناصر فى معسكر تدريب للشباب فى ١٨ سبتمبر ١٩٥٣

— وفى المجال العسكرى تجلت قدرة عبد الناصر فى اقامة الجيش الوطنى القوى بعد معركته فى سبيل كسر احتكر السلاح والخروج بعيدا عن دائره النفوذ الغربى الاستعمارى والحصول عليه من دول المعسكر الشرقى دون ما ضغوط أو شروط ماسة بالاستقلال •

— وعلى المستوى القومى ناضل عبد الناصر فى سبيل احياء القومية العربية ونادى بوحدة الأمة العربية لمواجهة الاستعمار والقضاء عليه • وكان نضاله فى مجال الاشتراك فى الأنشطة الايجابية لجامعة الدول العربية وحربه ضد الأحلاف العسكرية بالإضافة الى مساندته الأدبية والمادية والعسكرية للثورات العربية وخاصة فى الجزائر • وتوجت جهوده باعلان مجلس النواب السورى ومجلس الوزراء رغبة الشعب السورى فى اقامة اتحاد فيدالى مع مصر •

— وفى المجال الدولى أعلن عبد الناصر حربه على الاستعمار فى جميع صوره سواء فى اجتماعاته ومباحثاته مع قادة حركة التحرير فى العالم أو عن طريق اشتراكه فى المؤتمرات السياسية العالمية وأدواره الايجابية فيها • ودعا الى وحدة شعوب ودول العالم الثالث وتضامنها وتأييده ودعمه لثورات الحرية ومبادئه بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز •

ولهذه الحرب الدائمة المستمرة فى جميع الجبهات والمجالات كان العدوان الثلاثى لاسقاط عبد الناصر •

وقد قوبل هذا العدوان بمساندة دولية منقطعة النظير بهيئة الأمم المتحدة بقيادة الدول الاشتراكية والأفريقية والآسيوية والولايات المتحدة الأمريكية — التى لم تكن على اتفاق مع دول العدوان ليس فى اسقاط عبد الناصر ولكن فى اتباع أسلوب العدوان — والاتحاد السوفيتى وانذاره الشهير باستخدام القوة ضد بريطانيا وفرنسا اذا لم يوقفا العدوان ويسحبان قواتهما •

وتحركت روح التضامن العربى وقامت الشعوب العربية فى ثورة عارمة من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ، غير عابئة بمحاولات بعض الحكومات العميلة فى اخمسادها وتم نسف أنابيب البترول لمنعها عن الدول الغربية الاستعمارية •

كما قاد عبد الناصر شعبه خلال المعارك بروح مناضلة ترفض الاستسلام وأصدر أمره بتوزيع السلاح على الشعب ، وتأكدت حوله وحدة قوى الشعب الوطنية وأعلنها مدوية من فوق منبر الجامع الأزهر •• سنقاتل ولن نسلم •• سأقاتل معكم ضد أى غزو ، وسنقاتل الى آخر نقطة دم ، لن نسلم أبدا ، وسنبني بلدا وتاريخا ومستقبلا •

وقاوم الشعب المصرى فى مدينة بور سعيد ببسالة أذهلت العالم واستمرت المقاومة رغم دخول قوات الاحتلال للمدينة ، واستمرت المقاومة حتى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ يوم الانسحاب • ويصف الصحفى الهندى كارنجيا هذه الأيام بالمدينة الخالدة بقوله « صبغت جدرانها بدماء الشهداء • • • وامتلأت شوارعها بشظايا القنابل المتطايرة وارتفعت صور عبد الناصر على هذه الجدران • • • المصبوغة بالدم بعد أن تم قذف المعتدين الى البحر » • (*)

وانتصرت مصر بقيادة أملها وحاضرها ومستقبلها جمال عبد الناصر وخرجت القوات الغازية بخزى عظيم وكان للنصر دويه العظيم ولم يكن النصر الا مقدمة لانتصارات أخرى :

فى المجال الوطنى :

ببراعة السياسى الوطنى رأى عبد الناصر استغلال العدوان للتخلص من الخيط الذى كان يربطنا ببريطانيا ، فأصدر قرارا باعتبار اتفاقية الجلاء كأن لم تكن منذ العدوان وكانت تتضمن مساعدة مصر لبريطانيا فى تهيئة القاعدة الحربية وادارتها ادارة فعالة فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة فى الخارج على تركيا أو البلدان الموقعة على معاهدة الدفاع المشترك من بين دول الجامعة العربية •• وواصل عبد الناصر مسيرته فى ثورته الاجتماعية والاقتصادية وتحرير الاقتصاد الوطنى بتمصير الشركات الأجنبية ثم تأميمها لصالح الشعب وأرسى قواعد الصناعة الثقيلة وبدأ بناء السد العالى وتوسع فى مجالات التعاون

(*) كيف نجح عبد الناصر (كارنجيا) ايام خالدة فى حياة ميد الناصر د. جمال العطفى

« سلسلة كتب اقرا » :

مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية والدول النامية وفي يوليو ١٩٦١ أكد مسيرته نحو التحول الاشتراكي ويقول في الميثاق « . . . ان الحرية الاجتماعية طريقها الاشتراكية . . . » و « . . . وان الاشتراكية بدعائيتها من الكفاية والعدل هي طريق الحرية الاجتماعية . ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر وصول ثوري الى التقدم ، لن يكون افتراضا قائما على الانتقاء الاختياري دائما وانما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع ، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين وان التجارب الرأسمالية في التقدم تلازمت تلازما تاما مع الاستعمار فقد وصلت بلدان العالم الرأسمالي الى مرحلة الانطلاق الاقتصادي على أساس الاستثمارات التي حصلت عليها من مستعمراتها . . . »

في المجال العربي :

واصل القائد البطل مسيرته بمساندة الدول العربية وشعوبها وحذر الاستعمار من أي تدخل في شئونها ، وقاوم الأحلاف الاستعمارية ، وأيد ثورات الشعوب العربية وساندها ، وتخلص العراق من حلف بغداد واستجاب المناضل لنداء ثورة اليمن وتحررت المغرب والجزائر وتونس ، وتعددت مؤتمرات القمة العربية بناء على دعوته لمواجهة أخطار الصهيونية واسرائيل ، وبرز الكيان الفلسطيني الى الوجود باعلان قيام منظمة تحرير فلسطين واتحدت مصر وسوريا .

وقامت الجمهورية العربية المتحدة :

كان جمال عبد الناصر أمل الأمة العربية في احياء القومية وتحقيق الوحدة الشاملة في مواجهة الاستعمار ومؤامراته ونادت الشعوب العربية بها . وتجددت رغبة الشعب السوري العارمة في تحقيق الوحدة فيما أعلنه مجلس النواب السوري ومجلس الوزراء في يوليو ١٩٥٦ بإبداء رغبة سوريا في اقامة اتحاد فيدرالي مع مصر ، وبتصفية آثار العدوان الثلاثي تجدد حديث الوحدة . وتآمرت قوى الاستعمار والرجعية ضد سوريا لاحتوائها داخل حلف بغداد

الاستعماري ، فقاومت شعبا وحكومة وفضحت مؤامرات تهريب الأسلحة اليها بضبطها على حدودها مع الأردن • وأعلن عبد الناصر مساعدتها الى غير ما حد • وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لفرض مشروع أيزنهاور عليها • وأوهمت العالم بارتقاء سوريا في أحضان الشيوعية الدولية ، وحشدت القوات التركية والاسرائيلية والعراقية على حدودها وظهر الأسطول السادس الأمريكي أمام شواطئها وأعلن عبد الناصر أن جميع امكانيات مصر تسند سوريا في معركتها وسارع الى نجدتها بارسال قوات من الجيش المصري للاشتراك مع الجيش السوري في حمايتها من العدوان • وأصر الشعب السوري على الوحدة ، وفي ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ شهد وفد من أعضاء مجلس الأمة برئاسة السيد / أنور السادات جلسة مجلس النواب السوري في دمشق وصدر قرار مشترك يتضمن أن نواب المجلسين يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر وسوريا في اقامة اتحاد فيدرالى بين القطرين ويدعون الحكومتين للدخول فورا في مباحثات مشتركة لاستكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد ، الا أن الجماهير العربية ألحت في طلب وحدة كاملة شاملة برئاسة جمال عبد الناصر فتقرر تلبية رغبتها وأن يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطيا وسياسيا وأن يكون لها مجلس تشريعى واحد وعلم واحد وجيش واحد •

ودعى الشعب العربى فى القطرين للاستفتاء على الوحدة ورئيس الجمهورية فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨ وكانت النتيجة ما يشبه الاجماع على الوحدة وانتخاب عبد الناصر رئيسا للجمهورية • وتوجه عبد الناصر الى سوريا وكانت لقاءاته مع شعبه عارمة اجمعت وكالات الأنباء العالمية على أنه لم يحدث لها مثيل فى تاريخ سوريا وما أبلغ تعبيره حين قال :

« ... ان هذا الجيل من شعب مصر من تلك الأجيال التى واعدتها القدر لتعيش لحظات الانتقال العظيم التى تشبه مهرجان الشروق ، لقد عشنا
... »

ساعة الفجر ورأينا انتصار النور الساطع على ظلمات الليل الطويل لقد عشنا وشاهدنا فجر الاستقلال لقد عشنا وشاهدنا فجر الحرية ، وعشنا ورأينا فجر العزة والكرامة وعشنا ورأينا فجر القوة ، وعشنا ورأينا الأمل فى بناء المجتمع الجديد واليوم نعيش ونرى فجرا جديدا رائعا ... لقد بدأ مشرق الوحدة وقامت دولة كبرى فى هذا الشرق تحمى ولا تهدد تصون ولا تبدد تقوى ولا تضعف توحد ولا تفرق تسالم ولا تفرط • تشد أزر الصديق ترد كيد العدو لا تحزب ولا تتعصب ولا تنحرف ولا تتحاز تؤكد العدل تدعم السلام توفر الرخاء لها ولمن حولها وللشعر جميعا بقدر ماتحمل وتطبق (*) •

فى المجال الدولى :

كانت نتائج العدوان الثلاثى وبالا على الاستعمار العالمى • يقول القائد المعلم فى الميثاق • • • » ان الهزيمة التى منى بها الاستعمار فى حرب السويس أنهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة • • ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا • • • • • وتزايدت حركات التحرر فى العالم ، ونالت دول كثيرة استقلالها وواصل المناضل مسيرته فى محاربة الاستعمار العالمى محذرا من أساليبه وتسلاته ومساندا للشعوب المناضلة وتعددت لقاءاته مع قادة الحرية فى العالم وتعددت مؤتمرات الحرية ومناصرة الشعوب وأجمعت قراراتها على ادانة الاستعمار وتقديم كل عون لحركات التحرر العالمى ونبذ سياسة التفرقة العنصرية وتأيد سياسة الحياد الايجابى والدعوة الى التعايش السلمى وقرار السلام العالمى •

(*) من خطاب عبد الناصر امام مجلس الامة فى • فبراير ١٩٥٨

الجزء الثانى

مشروع أيزنهاور

بعد العدوان الثلاثى أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية رائدة الاستعمار العالمى فى يناير سنة ١٩٥٧ أحد أحلافها الاستعمارية المسمى بمشروع أيزنهاور بحجة أن هناك فراغا فى الشرق الأوسط فى مواجهة الزحف الشيوعى بعد خروج القوات البريطانية من المنطقة • وكأنما كانت تريد تقاضى ثمن شجبتها للعدوان فى الأمم المتحدة فكان رد عبد الناصر عليها « • • • • لو كان هذا الفراغ المزعوم موجود حقا لاستطاع المعتدون البريطانيون والفرنسيون والاسرائيليون أن يملئوه ، ولكنهم باءوا بالفشل والهزيمة وأجبرناهم على الانسحاب بلا شرط (١) • • • • »

وأعلن القائد على الشعوب العربية مايلى « • • • • فى ٥ يناير أعلن مبدأ أيزنهاور وتضمن هذا المبدأ تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية ، ولكننا لم نقبل مبدأ أيزنهاور لأنه يتضمن قيودا سياسية تجعلنا نرتبط بالسياسة التى ترسمها وزارة الخارجية الأمريكية (٢) • • • • » وكان رأى عبد الناصر أن المشروع « يستهدف نفس ما كان يستهدفه عدوان بريطانيا وفرنسا » (٣) ولم يقبل الاستعمار الأمريكى أن يكون مصير هذا الحلف التجميد كحلف بغداد ، وكانت أحداث الأردن هى الحلقة الأولى من سلسلة الأعمال العدوانية لمبدأ أيزنهاور ، فأرسلت الولايات المتحدة الأمريكية الأسطول السادس الى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وأعلنت وكالة اليونيتدبرس « أن الأسطول الأمريكى يقوم بمظاهرة تأييدا للملك حسين ، ولما كان الأردن خاليا من الشواطىء فان هذه المظاهرة تقتصر على تحليق الطائرات النفاثة وقاذفات القنابل

(١) من حديث عبد الناصر للصحفى الهندى كرانجيا فى مارس سنة ١٩٥٢

(٢) من خطاب عبد الناصر بالإسكندرية فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٧ •

(٣) حديث عبد الناصر لـ «مجلة نيوزويك» الأمريكية فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧

وتعتبر تمهيدا لتنفيذ مشروع أيزنهاور في حالة الضرورة (١) وأفلحت المؤامرات بعد تدفق الأموال للعملاء وسقطت الحكومة الوطنية برئاسة النابلسي بالأردن وقامت حكومة يمينية وقد تنبأت بذلك صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية قبل سقوط الحكومة بحوالى شهر فقالت « ان انقلابا سيتم في الأردن يلعب فيه الرفاعي والمفتى دورا كبيرا » (٢) •

وقد شجع هذا النجاح الاستعمار الأمريكى واتجه الى سوريا وكلف الجيوش العراقية (حلف بغداد) والتركية (حلف الأطلسي) والاسرائيلية بحشد قواتها على الحدود السورية وتوالت التحرشات العسكرية وأخذ الأسطول السادس الأمريكى يجوب البحر الأبيض المتوسط بالقرب من الشواطىء السورية وصورت الدعايات الاستعمارية للعالم أن سوريا ارتمت فى أحضان الشيوعية الدولية وأصبحت قاعدة عسكرية سوفيتية الأمر الذى يضرب مصالحها فى الشرق الأوسط ويخشى من امتداد النفوذ الشيوعى ليشمل المنطقة بأسرها وبإدراك عبد الناصر عندما لاحت له مقدمات العدوان الى مساندة سوريا وشعبها المناضل وحكومتها الوطنية فأرسل فى أكتوبر سنة ١٩٥٧ قوات من الجيش المصرى لمساندتها تنفيذ لاتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين عام ١٩٥٥ وقضت الخطة الاستعمارية فى ضم سوريا الحرة لهذا المشروع الاستعمارى وفى مواجهة هذه المؤامرات تمت الوحدة بين البلدين وقامت الجمهورية العربية المتحدة •

أما فى لبنان فقد كانت هناك حكومة عميلة تسير الاستعمار وتسيطر على دفة الحكم ورغم رفض الجماهير اللبنانية للمشروع الأمريكى فقد استقبلت الحكومة مبعوث أيزنهاور (المستر جيمس ريتشاردز) وانتهت زيارته بانضمام لبنان رسميا الى السياسة الأمريكية. ومنذ أعلن كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية فى ذلك الوقت أنه سيعدل فى الدستور لتجديد مدة رئاسته ست سنوات أخرى ، هب الشعب اللبنانى فى ثورته المجيدة ولعبت الدعاية الأمريكية دورها فى تصوير الأمر على أن هذه الثورة كانت لتدخل الجمهورية العربية المتحدة ،

(١) أمريكا والشرق العربى ميشيل كامل سلسلة كتب قومية .

(٢) نفس المرجع السابق .

وأوحت للحكومة العميلة بتقديم شكوى الى مجلس الأمن ضد الجمهورية العربية المتحدة تتهمها بالتدخل في شئونها ، وأعلن دالاس وزير الخارجية الأمريكي عزمه على ارسال جنود أمريكيين الى لبنان وتدفقت الأسلحة الى أعوان الاستعمار لضرب الثورة الوطنية وتحرك الأسطول السادس الى الشواطئ اللبنانية • وأعلن عبد الناصر • • • • • « انا نحمي استقلال لبنان واذا اعتدى أى فرد على لبنان واذا اعتدت اسرائيل على لبنان فاننا سنقوم بالتعاون مع لبنان ومساندة لبنان • • • • • » (١)

كما أدلى الرئيس بحديث صحفي (٢) ردا على الدعايات الاستعمارية أوضح فيه أن « الثورة اللبنانية قامت واستمرت منذ أعلن أن السيد / كميل شمعون رئيس الجمهورية سيعدل الدستور من أجل تجديد مدة رئاسته ، وأن التوتر مستمر منذ ارتباطه بالأحلاف الأجنبية • وأن حكاهم اتهموا الجمهورية العربية المتحدة بأن الثورة اللبنانية نتيجة تسلل منها وأنها تمدها بالأسلحة • وتباسب مندوب لبنان حين تحدث بذلك في مجلس الأمن أن حمل السلاح في لبنان أمر قانوني وأن الجمهورية العربية المتحدة لم تعارض قرار مجلس الأمن بارسال هيئة مراقبين تابعة للأمم المتحدة لما سترتب عليه من توضيح للحقيقة » • وطالب حكام لبنان الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا باحتلال لبنان لقمع الثورة الوطنية ، وتفاقم الموقف وأعلن « نيل مالسكري » وزير الدفاع الأمريكي في مؤتمر صحفي (٣) أنه لن يتردد في استخدام القاذفات ب - ٤٧ (التي تحمل قنابل ذرية) في الشرق الأوسط اذا تدخلت أى مؤثرات أخرى في لبنان •

وكان من المقرر أن يجتمع رؤساء الدول الموقعة على حلف بغداد في أنقرة في ١٤ يوليو ١٩٥٨ لبحث شئون الشرق الأوسط التي تتضمن تنظيم عملية التدخل في لبنان للقضاء على ثورة شعبها وتثبيت دعائم حكم كميل شمعون •

(١) من خطاب عبد الناصر في ١٦ مايو ١٩٥٨

(٢) من حديث صحفي مع عبد الناصر لجريدة الشعب نشر في ٢٩ يونيو ١٩٥٨

(٣) امريكا والسعودية العربي « ميشيل كاملي »

وفجأة ارتفعت في هذا اليوم راية للحرية وصحا العالم على ثورة جيش العراق وشعبه فحطم أسوار سجنه الكبير وقضى على الرجعية وعادت للشعب حريته وسقط حلف بغداد وأصبح حلفا بلا بغداد. وفقد الاستعمار صوابه ونزلت القوات الأمريكية في لبنان والقوات البريطانية في الأردن تمهيدا لتوسيع نطاق عملياته العدوانية الى الجمهورية العراقية الفتية والاقليم السوري بالجمهورية العربية المتحدة . كان عبد الناصر في ذلك الوقت في زيارة ليوغوسلافيا ومن المقرر عودته الى القاهرة بطريق البحر . وكان العالم يرقب الباكورة الحرة وهي تسير في هدوء في البحر الأبيض المتوسط في طريق عودتها الى الاسكندرية بينما الأحداث كلها في المنطقة العربية تسير بسرعة الصاروخ. الا أن عبد الناصر كان قد اتخذ أحد قراراته التاريخية ، وسافر الى الاتحاد السوفيتي وفجأة قطع راديو دمشق اذاعته وأعلن نبأ وصوله الى دمشق قادما من موسكو وسارع قادة ثورة العراق الى لقاء البطل الخالد في دمشق فأعلن انطلاق القومية العربية من عقالها واكد مساندته وتأييده لثورة العراق وأعلن للشعب العربي(*) أن مباحثاته في موسكو تناولت تطورات الموقف الدولي والعمل على وقف العدوان ضد الوطن العربي والمحافظة على السلام واستقلال البلاد العربية وقد أصدر رئيس الاتحاد السوفيتي بيانا يدعو فيه الى اجتماع مؤتمر للأقطاب لبحث تطورات الموقف الدولي والقضاء على التوتر وابعاد شبح الحرب . لقد كان عبد الناصر صادقا في نبوءته التي تحققت (سوف تنتصر بيروت بعون الله) وكانت الوفاة الحتمية لمشروع ايزنهاور بسقوط حكم كميل شمعون في لبنان وانتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية فأعاد الاستقرار الى بلاده والتقى بالرئيس الخالد على الحدود السورية اللبنانية .

(*) من خطاب عبد الناصر في ميدان الجمهورية في ٢٢ يولييه ١٩٥٨

الجزء الثالث

مؤامرة الانفصال السورية الرجعية

لم يستسلم الاستعمار واستمر في حربه ضد عبد الناصر فكان هدفه الأكبر ضرب وحدة الأمة العربية ودبرت المؤامرة بفصل الاقليم السوري عن الاقليم المصري ونفذت بقيام تمرد عسكري انفصالي رجعي قامت به وحدة عسكرية من معسكر قطنه بدمشق في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ فاحتلت القيادة العامة للجيش والاذاعة وأعلنت الانفصال • وهب الشعب في جميع أنحاء سوريا للذود عن ثورته وقوميته ، لجأ المتآمرون الى محاولة للتصويه وكسب الوقت بحجة أن لهم مطالب تخص الجيش ، وأنهم يريدون حلا وسطا وأعلن عبد الناصر رفضه للمساومة • وكانت الطعنة قاسية للقائد الخالد وعندما أشار عليه البعض بسحق العصيان قرر أن الوحدة ارادة شعبية ولن يحولها من جانبه الى عملية عسكرية وأوقف جميع العمليات العسكرية التي كانت قد بدأت لمناصرة الجموع الشعبية النائرة ضد الحركة الانفصالية • وطلب من الأمة أن ترتفع فوق جراحها الى مستوى الموقف • ورغم ماوجه اليه من افتراءات واهانات من قادة الانفصال والرجعية العربية فقد كان على المستوى القومي وأعلن أن الوحدة الوطنية داخل سوريا يجب أن تحتل المكانة الأولى وألتقف مصر في وجه حكومة الانفصال عند عرضها لطلب قبول سوريا عضوا في الأمم المتحدة أو الجامعة العربية وأن ذلك هو الطريق الوحيد لاجتماع الأمة العربية • ويواصل عبد الناصر نضاله معلنا • • • « خدعتنا الرجعية • • • وأخذنا الفرور • • • واعتقدنا أن الكفاح قد انتهى وعلينا أن نحول النكسة الى اندفاع للأمام • • • » (*)

(*) من خطاب جمال عبد الناصر في ٢ اكتوبر سنة ١٩٦١

وكان انتصارا للرجعية والاستعمار هلالا له طويلا • الا أنه كان انتصارا مؤقتا فتعددت الانقلابات في سوريا ، كلها تنادى وتهتف بشعارات الوحدة • ومازال الشعب السوري على قوميته وإيمانه بالوحدة الى أن قام الفريق حافظ الأسد بانقلابه الأخير بعد وفاة الزعيم الخالد ، ونادى بالوحدة وبدأ في اتخاذ الخطوات الايجابية نحو تحقيقها مع الثورات الوطنية الثلاث في الجمهورية العربية المتحدة وليبيا والسودان •

الجزء الرابع

الحصار الاقتصادي

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها الاقتصادية على الجمهورية العربية المتحدة في يوليو ١٩٦٤ بمنع ارسال القمح الى مصر بعد هجوم عبد الناصر عليها وفضح ضغوطها للنيل من استقلالنا . ولستعرض هذه الحرب من واقع خطابى الرئيس الخالد : الأول فى عيد الناصر فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٦٤ والثانى فى ٢٢ يوليو ١٩٦٥ وحديثه لمحطة تليفزيون واذاعة كولومبيا الأمريكية فى ٩ يوليو ١٩٦٥ :

— كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعطى القمح لمصر كمساعدة اقتصادية بشرائه بالعملة المصرية على سبيل المعونة بمقتضى قرض يسدد على ٣٠ سنة بفائدة ٤٪

— تسلمت مصر القمح بكميات محدودة عام ١٩٦٠ وتضاعفت حتى عام ١٩٦٣ وبلغت قيمتها حوالى ٦٠ مليون جنيه .

— اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية رائدة الاستعمار العالمى أن هذه المعونة أصبحت سيفاً مسلطاً على رقبة جمال عبد الناصر وبدأت فى فى املاء شروطها والا كانت المجاعة للشعب المصرى ، فطلبت من عبد الناصر التعهد بعدم انتاج الأسلحة الذرية والصواريخ مع منحها حق التفتيش فى بلادنا لضمان ذلك كما طلبت تجميد الجيش المصرى على الحالة التى وصل اليها .

— أعلن عبد الناصر للشعب فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٤ هذه الحرب الاقتصادية وشروط أمريكا التى رفضها قطعياً وقرر أننا لا نبيع

استقلالنا بثمانين مليون جنيه ولا بثمانية آلاف مليون جنيه ولا نقبل
تدخلهما كان الثمن •

— عقب هجوم عبد الناصر على الضغط الأمريكي في هذا الخطاب
أوقفت الولايات المتحدة الأمريكية ارسال القمح ، وكان الايقاف
عندما كان احتياطي البلاد منه يكفي لمدة خمسة وأربعين يوما وبدأت
المفاوضات مع بعض الدول لاستيراده •

لقد كان هدف الايقاف الضغط الى أقصى الحدود اقتصاديا على جمال
عبد الناصر وشهر سلاح التجويع في وجهه • وأصر على موقفه وبعث برسالة
للسيد / رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي وصدرت الأوامر فورا للبواخر التي
تحمل القمح من كندا وأستراليا لتوصيله الى روسيا بالتوجه الى بلادنا ولم تبحث
أى شروط بين الدولتين ولم يعقد أى اتفاق تجارى بل ولم يكن هناك اتفاق
على سعر القمح وكانت الهزيمة للولايات المتحدة الأمريكية رائدة الاستعمار
العالمى •

الجزء الخامس

الحلف الاسلامى

لم يعد خافيا على الجماهير العربية أهداف السياسة التوسعية للاستعمار بمحاولاته المتكررة ، لربطه بها ابقاء عليها فى دائرة نفوذه واستغلاله وكان الفضل فى ذلك يعود للمناخ الثورى الذى أشاعه جمال عبد الناصر فى جميع أرجاء الوطن العربى وكشفه لحيل وأساليب الاستعمار فى سبيل تسلمه الى المنطقة العربية ، وانتهت محاولاته بالفشل الذريع • وكان لابد للاستعمار من الاختفاء وراء ستار يحجب مطامعه وسيطرته ، ووجده فى الدعوة الاسلامية للقضاء على القومية العربية ونزع زمام الزعامة من بطلها عبد الناصر • وقد كشف عن ذلك أنتونى ناتنج الوزير البريطانى السابق اذ كتب عقب جولة قام بها فى العالم بعد هزيمة العدوان الثلاثى على مصر أن « الوسيلة الفعالة للتفاهم مع القومية العربية يجب أن تكون عن طريق اقامة جامعة اسلامية فى المنطقة • وعندئذ تخرج هذه البلاد عن حيز القومية العربية الضيق الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع حيث ينسب التركى والعربى والايرانى والباكسانى جنسياتهم ولا يفكرون الا فى الاسلام وعندئذ يمكن التفاهم مع الغرب وحتى مع اسرائيل » (١) •

ولجأ الاستعمار الجديد الى قناع الاسلام للتستر خلفه للسيطرة على الأمة العربية وكان الحلف الاسلامى — وتكفل القائد المناضل بفضح هذا الحلف وخلع القناع الاسلامى الزائف عن وجهه أمام الشعوب العربية فى

خطاب له بمناسبة عيد الوحدة في ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٦ فاستعرض ما نشر
بصحافة الدول الاستعمارية حتى تكون ادانة الاستعمار من فمه :

— نشرت الصحافة البريطانية في ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٥ أن فيصل ملك
المملكة العربية السعودية أوفد أحد أصدقائه في مهمة سرية الى دول
المغرب العربي للدعوة الى انشاء حلف اسلامي مقدس يتصدى
للتورات التقدمية بالمنطقة العربية ولمكافحة الشيوعية ، كما نشرت
صحيفة لاتريبيون في تعليق لها أن واشنطن كلفت فيصل وشاه ايران
بالقيام بمهمة تشكيل الحلف الاسلامي * ثم أذاعت وكالة رويتر من
طهران أن ملك السعودية سيبحث مع شاه ايران شئون الشرق
الأوسط والوحدة الاسلامية * ونشرت صحيفة كومبا الفرنسية
أن فيصل انتهز الهدنة في اليمن لوضع أسس لتحالف ايراني
سعودي في جميع المجالات وانشاء جمعية اسلامية متحدة *

— ثم عقدت صفقة أسلحة بريطانية مع السعودية علقت عليها مجلة جين
أفريك الأمريكية بأن لها صلة بزيارة فيصل ودعوته لتحالف اسلامي
وأن الصفقة والدعوة فيهما بعث لمشروع أيزنهاور الفاشل ، وتحقيق
الحلم بريطاني أمريكي بقيام جبهة تخلف الحلف المركزي (حلف
بغداد) للوقوف في وجه القومية العربية والحياد الذي يجتاح الشرق
الأوسط *

— في ١٨ يناير سنة ١٩٦٦ ورد بصحيفة الديلي تلجراف البريطانية
أنه طالما أن الشرق الأوسط حانوت مغلق من الدول العربية فإن
القاهرة تظل بلا جدال عاصمته السياسية ولكن وجود حلف اسلامي
تشارك فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان يغير الوضع ، وكثير
من الزعماء المسلمين يرددون أن الحلف الاسلامي يمكن أن يكون

أقوى نفوذا من القومية العربية في الشؤون العالمية • ويعلق الرئيس على ذلك بأن هذا النفوذ بالطبع لموالاة الغرب وأنه قام بعرض أمر هذا الحلف عليهم لتوعية الجماهير المكافحة المناضلة في البلاد العربية •

وثارت الجماهير العربية ضد هذا الحلف الاستعماري وتكشفت أبعاده أمامهم كما وصفه عبد الناصر في حديث صحفي بأنه امتداد للاستراتيجية الاستعمارية « لمحاربة الثورة لتمكين الاستعمار الجديد تحت ستار الخوف من الغول الشيوعي • ولكنهم اليوم قد أعطوا هذا الاستراتيجية طلاء دينيا زائفا » (*) • وأمام ثورة الجماهير ضد أي أساليب الاستعمار في سبيل بسط نفوذه وسيطرته سقط الحلف الاستعماري وانتصر عبد الناصر •

وأمام ثورة الجماهير ضد أي من أساليب الاستعمار في سبيل بسط نفوذه الأمريكية للقضاء على عبد الناصر والنيل من زعامته ، لم يكن أمامه بد من ضربة كبرى تطيح بالبطل وتذهب به بعيدا في وادي النسيان فلجأ الى صنيعته اسرائيل لتنفيذ أغراضه ، دون كشف سافر لأمره كما حدث في العدوان الثلاثي • وكان عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧

(*) حديث عبد الناصر للصحفي الهندي كارنجيا في ٨ مايو ١٩٦٦

الجزء السادس

عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧

ان اسرائيل تعد ثمرة ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن من النشاط الفكرى والسياسى والاقتصادى الذى مارسته الصهيونية العالمية . . . فقد أكد المؤتمر الصهيونى السابع الذى انعقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٩٠٥ فكرة استقرار اليهود على أرض فلسطين العربية . . . وكان من المستحيل أن يتحقق هذا الحلم الا بمساندة قوى السيادة العالمية فى ذلك الوقت ، فاتجهت الصهيونية الى الدول الاستعمارية الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا التى كانت تمثل أكبر قوة بحرية ، والتقت مصالحها مع مصالح الصهيونية ، اذ كانت فى حاجة الى تطوير أسلوب تواجدتها فى الشرق العربى لضمان استمرار استنزاف خيرات المنطقة العربية ، وكان لقاؤهما التاريخى على أرض فلسطين فصدر وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين لتصبح قاعدة للاستعمار تخدم مصالحه الاقتصادية والعسكرية فى هذا الجزء الحيوى من العالم .

ولعل أصدق تحليل لهذا الوعد ما كتبه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر فى رسالته الى جون كيندى الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية فيقول :

« لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق بالقوة وبالخدعة ، أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه ، وفيما يستحقه » .

والصهيونية كحركة منظمة ، ومخطط له مطامعه ، أدركت أنه لضمان بقائها يجب أن تكون هناك صلة عضوية بينها ، وبين دولتها اسرائيل ، وبين أكبر قوى الاستعمار العالمى ، تكون لها أطماعها فى المنطقة الغربية . ومن هذا المنطلق كان تحالفها مع بريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى أكبر قوة استعمارية فى هذا الوقت ، ولكنها سرعان ما اتجهت نحو الولايات

المتحدة الأمريكية عندما تزايدت قوتها في الربع الثاني من القرن العشرين وامتدت أطماعها في الوطن العربي وافتحمت موارده البترولية والاقتصادية . فمارست الصهيونية مختلف الضغوط عليها لتحقيق أهدافها . . . ولئن كانت بريطانيا قد قامت بدور المنجب والمهد للكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي ، فقد جاءت مرحلة الفطام لهذا الكيان ثم تغذيته ودعمه على يد الاستعمار الأمريكي (١) .

وهكذا كانت إسرائيل قاعدة استعمارية ، زرعت في قلب الوطن العربي لتكون رأس جسر للاستعمار يستخدمها كأداة لتمزيق وحدته ، ومصدر ضغط وتوتر دائم في منطقة الشرق الأوسط يستخدمها كلما تأزمت علاقاته مع شعوبها ضمانا لوضع الأرض العربية من الخليج الى المحيط تحت سيطرته حتى يتمكن من مواصلة استغلالها ونهب ثرواتها . . . اذ تعتبر إسرائيل ، بما لا يدع مجالا للشك ، تجسيدا حيا للاستعمار المتعدد الأغراض في شتى صوره : من استعمار استيطاني قام على طرد السكان الشرعيين واغتصاب وطنهم دون سند ، واستعمار استراتيجي عسكري يبغي السيطرة على هذه المنطقة الحيوية من العالم لما تتمتع به من موقع استراتيجي هام ، واستعمار استغلالي اقتصادي يقتحم موارده الطبيعية والاقتصادية الوفيرة . ومن ثم فان دولة إسرائيل تقوم على العنصرية ، والتوسع ، والعدوان . فالكيان عنصري يهدف الى التوسع ووسيلته منطقيا هي العدوان والارهاب .

ونستطيع أن نلمس بصمات الالتقاء المباشر بين المصالح الصهيونية والاستعمارية بوضوح في العدوان الثلاثي وبصورة أوضح في عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ . . . ذلك العدوان الاستعماري الصهيوني تحت علم إسرائيل على البلاد العربية . . . فهناك التداخل الأمريكي الاسرائيلي حريا واقتصاديا وسياسيا ، وهناك القواعد العسكرية والأساطيل وأسلحة الضغط الاقتصادي ، وهناك الكم الهائل والأنواع المتطورة تكنولوجيا من

(*) كتاب الاستعمار الصهيوني في فلسطين د . فايز صايغ .

الأسلحة التقليدية * * * بهدف ضرب حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى التى بدأت تتعاضد بآفاقها الاشتراكية بزعامة عبد الناصر ، مهددة المصالح الأمريكية فى المنطقة * * * من هنا كان طبيعيا أن تركز القوى الاستعمارية ضرباتها اليوم ضد هذه النظم بهدف تصفيتيها وعزلها والتخلص منها *

والخلاصة أن الاستعمار هو العدو الأساسى ، وهو جوهر القضية * وأن الجمهورية العربية المتحدة قاعدة النضال العربى والعالمى أصبحت هدفا لبطش الاستعمار المباشر الذى ينقض بكل قوته ليقضى على حركة التطور العربية والعالمية وعلى قياداتها ، وهو فى ذلك يستعمل اسرائيل قاعدة للبطش وأداة للعدوان *

ان تاريخ اسرائيل مع الجمهورية العربية المتحدة بالذات ليين أنها قد تعرضت لسلسلة من الاعتداءات الاسرائيلية دون أى استفزاز من جانبها يوجب ذلك - وأن الاعتداءات على العوجة والكونتيل والصبيحة خلال سنوات ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩٥٥ يبرر بما لا يدع مجالا للشك كيف أن هذه الاعتداءات الاسرائيلية كانت لتحقيق توسع على حساب العرب أو لتهديدهم والضغط عليهم بهدف الالتجاء الى الاستعمار باعتباره الوسيلة الأساسية للحماية من اسرائيل ، ودفع الجمهورية العربية المتحدة الى الارتقاء فى أحضان حلف بغداد الاستعمارى ، الذى رفض عبد الناصر ومعه الأمة العربية الانضمام اليه ، وفى نفس الوقت رفضت دول حلف الأطلنطى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تسليح جيش مصر *

ثم كان تحطيم مصر لاحتكار السلاح وفشل الاستعمار فى الوصول الى أهدافه * وبدأت السياسة المصرية تتجه اتجاها واضحا الى تحقيق الاستقلال الوطنى الكامل بما فى ذلك الاستقلال الاقتصادى والتحرر

من مناطق النفوذ * وأخذ عبد الناصر يلعب دورا هاما في قيادة الحركة العربية الوطنية المتصاعدة ، التي ترفض الخضوع للاستعمار وتسمى الى التحرر والوحدة * وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تضغطان على مصر لاجبارها على تغيير مسلكها عن طريق سحب تمويل مشروع السد العالي وتدخل الاستعمار سافرا في صورة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ * ولكن الصراع العربي من أجل الاستقلال تصاعد واستمر *

مقدمات عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ :

ان المرحلة التالية للعدوان الثلاثي شاهدت اعادة تشكيل الأوضاع في المنطقة العربية :

- فمن ناحية بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تحاول أن تحتل في المنطقة المكانة التي كان يحتلها الاستعمار البريطاني والفرنسي * وأخذت تلعب دورا قياديا بدأته بمشروع ايزنهاور في مواجهة حركة الثورة العربية المتصاعدة وتسحق بين القوى المختلفة المضادة لمسار هذه الثورة وتخطط لها *

- ومن ناحية ثانية اشتد ساعد قوى الثورة العربية ، وحقت عديدا من الانتصارات في العراق ، واليمن ، وسوريا ، والجزائر ، والجنوب العربي ، والسودان وفي الجمهورية العربية المتحدة تأكدت المسيرة في طريق التحول الاشتراكي لتحقيق التنمية الهادفة لبناء دولة صناعية زراعية متقدمة ، وتحقيقا للمعدل الاجتماعي *

وكان من نتيجة استقطاب القوى الرجعية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لوقف تيار الثورة العربية من جانب ، وللتطور المستمر لهذه الثورة من جانب آخر دور هام في زيادة حدة الصراع الوطني والقومي والاجتماعي في الفترة السابقة للعدوان مباشرة *

وقد تميزت هذه الفترة بعدد من الاتجاهات العامة التي يمكن تلخيصها فيما يلي :

— اتباع الاستعمار لاستراتيجية الهجوم على النطق العالمي — (العدوان الأمريكي على فيتنام وعلى جمهورية الدومينكان) والتدخل في العديد من الدول الأفريقية والآسيوية ، ومساندة الانقلابات الرجعية في أندونيسيا وغانا • وفي إطار من هذه السياسة العامة كانت أمريكا تتحرك في الشرق الأوسط ، تحاول أولاً تغيير الأوضاع فيه عن طريق الضغوط الاقتصادية ، فكان التوقف عن امداد مصر بالقمح ، ثم محاولة ثانية لايجاد تكتل من القوى العربية الرجعية لمواجهة قوى الثورة مستترا باسم « الحلف الاسلامي » ومن ناحية ثالثة كانت هناك محاولات التجسس الأمريكية خلال عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ بعد أن فشلت مؤامرة الاخوان في ١٩٦٥

وأثر فشل هذه المحاولات ، زاد الحديث في الصحافة الأمريكية عن احتمالات الحرب في المنطقة الشرق الأوسط ، وأخذ الأسطول السادس يتحرك في البحر المتوسط ، وأعلن أشكول أن جونسون أبلغه أن الأسطول السادس موجود لحماية اسرائيل •

— وفي هذا الوقت كان هناك العديد من القوى تتحرك في منطقة الشرق الأوسط كما أن المحاولات التي بذلت لتصفية الخلافات بين الدول العربية في مؤتمرات القمة العربية لم تحقق نجاحاً يذكر ، والمحاولات التي بذلت لتصفية حرب اليمن لم تأت بنتيجة • وبالتالي فشلت الجهود العربية لمواجهة اسرائيل ومنع محاولاتها لتحويل نهر الأردن •

وكانت تحركات الاستعمار وأعوانه في المنطقة بهدف عزل عبد الناصر وتشيتت قوى الجمهورية العربية المتحدة في أكثر من مواجهة ،

واتخذت هذه التحركات والجهود أشكالاً متعددة من مساعدات طائلة بالمال والسلاح للمرتزقة في اليمن ، الى المناذاة بالاعتراف بسياسة الأمر الواقع في وجود اسرائيل •

وهكذا كانت، القوى المضادة للثورة العربية تتحرك في مخطط منسق من أجل وقف نموها وهزيمتها ، وايجاد أوضاع جديدة في البلاد العربية تسمح باستمرار السيطرة الاستعمارية واستقرار أنظمة الحكم الرجعية •

— وقد كان للنضال العربى دور بارز في الحركة العالمية للتحرر الوطنى واستطاع عبد الناصر بثورته في ٢٣ يوليو أن يحقق الاتصال بالثورات التحررية في القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، مؤكدا دورها المؤثر في مرحلة طلب استقلال السياسى أو في مرحلة تدعيم الاستقلال السياسى عن طريق بناء الاستقلال الاقتصادى بالتنمية الشاملة والمستمرة لثروات مصر الوطنية •

ويمكن تناول العلاقة بين النضال العربى ونضال الحركة العالمية للتحرر الوطنى فى نقطتين :

الأولى :

هى اصرار النضال العربى بقيادة عبد الناصر على تقديم المثل على الأرض العربية لكل الشعوب النائرة ، فقد تصدى دون تردد لكل المؤامرات الاستعمارية التى تزايدت منذ قيام ثورة عبد الناصر •

الثانية :

هى مساندة النضال العربى لدول حركة التحرر الوطنى بكل الوسائل الممكنة سواء من خلال العلاقات المباشرة للجمهورية العربية المتحدة ، أو من خلال المنظمات والمؤتمرات الدولية • وكان لعبد الناصر دوره البارز فى هذا المجال ، فلم تبخل الجمهورية العربية المتحدة على دول التحرر الوطنى بالقروض

والمعونات في حدود امكانياتها الاقتصادية المتاحة ، فوفقت اتفاقيات فروع مع غينيا ومالي وغيرهما من الدول المتحررة • كما وقفت بصلافة مع الحركة الوطنية في الكونغو فمدتها بالمعونات ، وأدنت العدوان الأمريكي في فيتنام • وساندت الشعب الأفريقي في المستعمرات البرتغالية في أنجولا وموزمبيق •

هذا كله علاوة على دورها في مؤتمرات التنمية الدولية سعيًا إلى تجميع كلمة دول الثورة الوطنية من أجل وقفة موحدة ضد الأعباء الدول الاستعمارية لتحطيم هذه المؤتمرات ، وإحباط جهود الدول النامية للحصول على فرص متكافئة لأحراز التقدم •

أهداف العدوان ووسائله :

يلتقي الاستعمار العالمي والصهيونية في هدف عام مشترك في الوطن العربي يمكن تلخيصه في الحيلولة دون نجاح الثورة العربية في بناء الدولة العربية الواحدة الديمقراطية الاشتراكية ، وينبع من هذا الهدف العام هدف خاص يتمثل في تحقيق السيطرة السياسية والاقتصادية على المنطقة ، وفرض السيطرة على اقتصاديات الوطن العربي يقتضي نوعًا من السيطرة السياسية يضمن تهيئة المناخ والأوضاع الممكنة لاستمرار وتدعيم الاستغلال الاقتصادي الاستعماري ، ووسيلة كل من القوتين العاديتين لتحقيق هذه السيطرة السياسية والاقتصادية تتمثل في العمل من أجل بقاء الأوضاع في الوطن العربي على ما هي عليه من حيث التخلف ، لضمان الاحتكارات البترولية في المنطقة في ظل حماية سلسلة من القواعد العسكرية أقامها الاستعمار على امتداد الأرض العربية ، مع بقاء حالة التجزئة والتمزق السياسي بإشاعة الفرقة ، وإقامة الحدود والحواجز المصطنعة ، وقاعدته إسرائيل • هكذا تبلورت أهداف الاستعمار والتقت مع هدف إسرائيل والصهيونية في :

— ضرب حركة القومية العربية ، والقضاء على حركة التحرر في الوطن العربي خاصة بعد نجاح ثورة اليمن ، واشتداد الثورة في جنوب اليمن والخليج العربي •

— القضاء على حركة تحرير فلسطين التي أخذت تشتد بعد انشاء منظمة التحرير الفلسطينية وبناء جيش فلسطين •

— تلافى الاستعمار في تدعيمه لاسرائيل هذه المرة أخطاءه السابقة في العدوان الثلاثي بأمل ألا تفتضح نواياه ، وحتى يتجنب غضبة الشعوب العربية وآثارها البعيدة على مصالحه الاقتصادية في المنطقة وعلى أمل وجوده فيها •

وبالرغم من ذلك ، فلم يعد خافيا مقدار الدعم العسكري الذي قدمته أمريكا وبريطانيا لاسرائيل في العدوان من طائرات ومعدات وحماية بحرية وجوية ، ومتطوعين واستخدام أجهزة التشويش لعاقة أجهزة الانذار ، وكذلك أجهزة التجسس •

واختارت اسرائيل ضربتها قبل أن يبدأ مفعول اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن والعراق •

ويهدف الاستعمار من ضربته بواسطة اسرائيل الى :

— اسقاط عبد الناصر رمز الوحدة العربية ومحاولة بث روح اليأس في العرب واقناعهم بأن اسرائيل قادرة ، وقواتها لا تقهر • واقناعهم في نفس الوقت بأنهم عاجزون وعليهم أن يقبلوا الأمر الواقع ، وفرض السيطرة الاستعمارية عليهم •

— ايها الدول النامية والمتحررة التي كانت تتخذ الجمهورية العربية المتحدة مثلاً ، بأنه لا سبيل الى الحياة أمامها الا بالارتقاء في أحضان الغرب والخضوع لسيطرته •

وتحركت اسرائيل في اطار الاستراتيجية العامة للاستعمار الأمريكي ، ويتحالف وثيق معه • فان كان الاستعمار يهدف أساسا الى تصفية الثورة العربية ، فان لاسرائيل أهدافها الذاتية في التوسع وفرض الصلح على البلاد

العربية • والتفت مصالح الطرفين فيما يتعلق بتوجيه ضربة قاصمة للدول
التحررية في العالم العربي وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة •

وقد استطاعت اسرائيل في اطار من الانقسام القائم بين النظم التقدمية
والرجعية في العالم العربي ، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتحول
الى معسكر مسلح • وحصلت على مساعدات ضخمة في شكل أسلحة مجانية من
الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية ، وأعدت بالفعل خططها للهجوم
على المنطقة العربية ، وبدأت سلسلة من التحرشات الواضحة ابتداء من أوائل
عام ١٩٦٧

المؤامرات الاستعمارية السابقة للعدوان :

ان العدوان المدبر على قرية السموع الأردنية سنة ١٩٦٧ كان بداية
للتحركات الاسرائيلية وسياسة الارهاب الاسرائيلي ، وكانت اسرائيل قد
تحولت بالفعل الى معسكر مسلح • واختارت - ظاهرياً - الأردن وسوريا
لممارسة سياستها وكانت الحقيقة أن هدفها الرئيسي الذي يشاركها فيه الاستعمار
العالمي ، هو جمال عبد الناصر عدوهما الأول ، ويعلمون أنه لن يسكت عن
مساندة البلاد العربية موضع الاعتداء ، فتهيأ الظروف للدخول معه في معركة ،
أعدت لها اسرائيل في احكام وتدبير • لقد برز هذا الاتجاه بوضوح في السياسة
الصلبة التي اتخذتها اسرائيل وخاصة ازاء سوريا ، فبعد عدوان مدبر بالطائرات
على دمشق تردد أكثر من تصريح لمسؤولين اسرائيليين عن امتداد اسرائيل
للزحف على دمشق ، وتغيير الأوضاع القائمة فيها بالقوة المسلحة •

وليس من المعقول أن يقف عبد الناصر موقف المتفرج ازاء التهديدات
والاعتداءات الاسرائيلية على الأردن وسوريا ، والا حدث التفكك السريع في
قوى الثورة التقدمية العربية • فتحركت القوات المصرية الى سيناء لمجابهة
تحرشات اسرائيل والاستعمار • وطالبت الجمهورية العربية المتحدة بسحب
قوات الطوارئ الدولية ، وأغلقت خليج العقبة في وجه اسرائيل •

وبدأت السياسة الأمريكية عملية من أكبر عمليات التمويه والخداع :

— اتصلت أمريكا بالاتحاد السوفيتي باعتباره أقوى الأصدقاء للعرب زاعمة أن واشنطن وموسكو تستطيعان بذل جهود مشتركة لحل الأزمة في الشرق الأوسط حلا سلميا ، وهي بهذا تتظاهر بمظهر الدولة الحريصة على السلام في المنطقة •

— وجه الرئيس جونسون نداء الى الجمهورية العربية المتحدة، واسرائيل يطلب فيه ضبط النفس حتى لا تكون احدهما هي البادئة باطلاق النار • وبلغت مسرحية نداءات ضبط النفس حدا هائلا ، فاستدعى مستشار الرئيس جونسون سفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن وأبلغه رسالة من جونسون الى الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يرى في هذه الظروف ألا يترك شيئا للمصادفات ، وأنه من الضروري ضبط النفس حتى لا تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة الى التدخل ضد مصر • وفي نفس الوقت كان الرئيس الأمريكي جونسون يتصل بالرئيس السوفيتي اليكسي كوسيجين يرجوه أن يبذل مساعيه الحميدة لدى القاهرة حتى لا تبدأ بالهجوم •

— وكانت النتيجة أنه في نفس الليلة التي وصلت فيها رسالة الرئيس جونسون الى الرئيس عبد الناصر ليلة ٢٦ مايو ١٩٦٧ من سفيرنا في واشنطن توجه السفير السوفيتي بعد منتصف هذه الليلة الى مقابلة عبد الناصر مبلغا اياه رسالة الرئيس كوسيجين بضبط النفس •

وازاء هذا أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أنه لن يكون الباديء بالعدوان ••• ولم تكف الولايات المتحدة الأمريكية بهذا التظاهر بالحرص على السلام ، بل راحت تقوم بنشاط سياسي واسع المدى يوحى بأنها تبحث عن حلول أخرى غير الصدام المسلح •

— وفي أثناء هذه التحركات السياسية الأمريكية كانت زيارات أبا ايبان « وزير خارجية اسرائيل » المشبوهة لكل من واشنطن ولندن •

ووراء ذلك كله كان التدبير الحقيقي للعدوان يستكمل استعداداته بطريقة سرية وسريعة ودقيقة ، ولم تكن هذه المناورات السياسية سوى غطاء لما يدبر فى الخفاء مع اسرائيل من جهة ، ولاعطائها فرصة للاستعداد والقيام بالضربة الفادرة المفاجئة من جهة أخرى .

ولم يكن من المعقول أن تقف الولايات المتحدة الأمريكية موقف الحياد من النزاع الاسرائيلى العربى رغم كل ماتدعيه . فهى صاحبة اليد الطولى فى خلق اسرائيل والابقاء عليها عن طريق المعونات والمساعدات بطريق مباشر وغير مباشر . ولكنها فى هذا الادعاء تهدف الى تغطية الدور الحقيقى الذى تمارسه فى تواطئها مع اسرائيل . . هذا الدور الذى تكشفه أقوال المسؤولين من الأمريكيين والاسرائيلين فى الأيام السابقة للعدوان :

— وفى ٢٣ مايو أعلن الرئيس جونسون أن اشراف مصر على الملاحة فى خليج العقبة عمل غير مشروع ، وتهديد خطير للسلام .

— وفى ٢٤ مايو : أعلن ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل بأن الأسطول السادس فى خدمة اسرائيل .

— وفى ٢٩ مايو : تعهد الرئيس الأمريكى لاسرائيل بتوفير البترول ومساعدات عسكرية ضخمة . كما صرح وزير خارجية اسرائيل بأن اسرائيل واثقة من أنها لن تتجاز هذا الأسبوع الامتحان بمفردها كما بعث نائب الرئيس الأمريكى الى اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية الأمريكية برسالة جاء فيها : ان اسرائيل شقيقة أمريكا وشريكتها وصديقتنا التى نحرص عليها .

— وفى ٣٠ مايو : صرح متحدث رسمى باسم وزارة الدفاع الأمريكية بأن شحنات من الذخيرة تنقلها الطائرات من ترسانات الجيش الأمريكى الى اسرائيل مباشرة .

العدوان المسلح :

وقفت أمريكا الى جانب اسرائيل وتكفلت حاملات الطائرات البريطانية والأمريكية في البحر الأبيض المتوسط بحماية الأجواء الاسرائيلية أثناء المعركة ، وحقق ذلك هدفين لاسرائيل :

ـ أن تكون القوة الاسرائيلية الجوية كلها مخصصة للهجوم على الجبهة العربية .

ـ ألا يكون هناك مجال لاسقاط طائرة أمريكية في أى عملية خارج اسرائيل حتى لا يكشف التواطؤ .

وتولت طائرات « يو ٢ » الأمريكية الشهيرة أعمال التجسس الجوي في الفضاء العالي باستكشاف الدفاع الجوي المصرى ، وتحديد ممرات الأمان التى يمكن للقوة الاسرائيلية الجوية أن تسلكها في هجوم مفاجئ على القوات الجوية العربية .

ـ وقامت اسرائيل بتوجيه ضربتها المفاجئة في الخامس من يونيو ١٩٦٧ للطيران المصرى وشلت فاعلية قواتنا المسلحة وتحقق لها النصر السريع الذى فاق كل أحلامها .

ويؤكد الزعيم الخالد في خطابه التاريخي في ٩ يونيو ١٩٦٧ .
كيف تفوق العدو . . . بمساعدة من تواطؤوا معه :

« . . . ان العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة . . . ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية لحماية أجوائه من أى رد فعل من جانبنا ، كما كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها . . . ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربي . . . »

- وظهر التواطؤ الأمريكى الاسرائيلى جليا حين اكتشف أمر باخرة التجسس «ليبرتى» التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية عندما هاجمتها الطائرات الاسرائيلية اعتقادا منها أنها مصرية ، وكانت تقف بالقرب من الشواطىء المصرية فى سيناء لالتقاط جميع الاشارات الصادرة من غرفة عمليات القيادة المصرية وحل رموزها والتدخل للتأثير على الاتصالات بين القيادة المصرية وقواتها فى جبهة القتال .

- كما افترض أمر الدعم العسكرى غير المحدود لاسرائيل ، وامدادها بالمتطوعين من الطيارين والملاحين الأمريكين .. ووضع الأسطول السادس والأسطول البريطانى ، والقواعد الأمريكية والانجليزية فى خدمة العمليات الحربية الاسرائيلية .

ووقفت أمريكا فى مجلس الأمن ضد الاقتراح السوفيتى بادانة أعمال اسرائيل العدوانية والمطالبة بانسحاب القوات الاسرائيلية فورا وبلا شرط .. وادعت أمريكا أن فى ذلك خطوة الى الوراء !! ولأول مرة يصدر عن مجلس الأمن قرار بايقاف اطلاق النار دون أن ينص على انسحاب القوات المعتدية وفقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة .

كما حاولت أمريكا عرقلة اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة خشية عدم تمكنها من خدمة مصالح اسرائيل كما تفعل فى مجلس الأمن ، وحينما فشلت ، حاولت فى أول جلسة للجمعية العامة فى ١٧ يونيو أن توسع المناقشة بهدف تسميعها ، وتعطيل الأمم المتحدة عن ادانة العدوان .

ومن هنا يتضح لنا فى جلاء أن قضية التواطؤ السياسى ، والتدخل العسكرى لم تعد فى حاجة الى ما يؤكدها .. وأنها ليست فى حاجة الى أقوال الأسرى الصريحة الذين اشتركوا فى العدوان المسلح ، والتي قد يقال ، انها صدرت فى ظروف غير عادية فى ظل الأسر .

ماذا حقق العدو من انتصاره :

ونتيجة للخطأ في تقدير القوى من جانب ، والمخادعة الأمريكية من جانب آخر ، والأخطاء التي ارتكبتها قيادة القوات المسلحة المصرية • تمكنت إسرائيل من تحقيق النصر العسكري • وتخيّل الاستعمار العالمى وإسرائيل أن الآوان قد آن فعلاً لتحقيق كل الأهداف التي يسعىان إليها في المنطقة العربية ، وهي تصفية الثورة العربية والقضاء على رمز آمالها جمال عبد الناصر ، مع دعم النظم التقليدية ، وتثبيت الانقسام بين أجزاء الوطن العربى ، وحماية الاستثمارات البترولية بما يؤدى الى مزيد من الأرباح للشركات الاحتكارية ، والى السيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة بما يدعم المركز العسكرى بصفة عامة • كما أتاحت للاستعمار نقطة هجوم قريبة من الاتحاد السوفيتى وباقى دول المعسكر الاشتراكى • والى جانب هذه الأحلام التي راودت الاستعمار ، فقد خيل لإسرائيل أنها أصبحت قادرة على فرض الصلح على العالم العربى ، وعلى توسيع رقعة أراضيها توطئة لبلوغ هدفها النهائى فى تكوين دولة إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات • لقد بدا بعد الهزيمة أن الأمة العربية لابد وأن ينتهى بها الأمر الى القبول بكل طلبات الاستعمار والى الاذعان الى كل ما تطالب به إسرائيل •

كانت هذه هى خطة الاستعمار وإسرائيل التي فى إطارها وقع عدوان يونيو ١٩٦٧ ، فترك على واقع الصراع بصمات جديدة تشكّل مجموعة من النتائج المباشرة السلبية والايجابية التي تكون مع بعضها الواقع الذى انتهى اليه العدوان والذي يسعى كلا الطرفين لدفع نتائجه الايجابية خطوات الى الأمام •

واستطاعت إسرائيل والاستعمار العالمى أن يحرزا نصرا عسكريا ، واحتلت إسرائيل بالفعل مساحات كبيرة من الأراضى العربية فى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن ، وأصبحت جيوشها فى موقع دفاعى أفضل ، بعد أن بعدت خطوط وقف إطلاق النار عن حدودها ، واحتمت بعوائق طبيعية فى قناة السويس ، ونهر الأردن وهضبة الجولان • وقد أدت المعركة الى خسائر اقتصادية جسيمة بالبلاد العربية التي احتلت إسرائيل أرضها ، فأغلقت

قناة السويس أهم مصادر النقد الأجنبي في مصر ، واحتلت سينا بمصادرها البترولية والتعدينية الهامة . وتنحى عبد الناصر عدو الاستعمار الأول ، الذي اعتقد أن أهدافه قد تحققت . ولكن الهبة الشعبية الواسعة النطاق التي شملت كل البلاد العربية يومى ٩ ، ١٠ يونيو منذ لحظة سماع خبر تنحى عبد الناصر ، والتي بلغت أقصاها في الجمهورية العربية المتحدة سرعان ما شتت أحلام الاستعمار واسرائيل . واستطاع ايمان الشعب بزعيمه أن يحول قسوة الأيام التي عشناها بعد ٥ يونيو ومرارتها الى طاقة تفجرت بالاصرار على المقاومة والنصر .

لقد وصف عبد الناصر موقف الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو بأنه كان « . . . » بعا للثورة وتجديدا لشبابها ، والهاما لا يخيب ، وضوءا لا يخبو أمام طريق المستقبل »

عبد الناصر رمز النضال :

هب الشعب العربى كله ليعلن على العالم أجمع أنه يرفض الاستسلام ، ويرفض الهزيمة ، ويصر على أن الهزيمة العسكرية هزيمة فى معركة واحدة من معارك نضاله الطويل فى مواجهة اسرائيل والاستعمار بقيادة عبد الناصر .

لقد أذهلت المفاجأة قوى الاستعمار واسرائيل التى لم تكن تتوقع مثل هذا الحدث ، وبدأ الاستعمار يلعب دوره لتحقيق أهدافه النهائية عن طريق المبالغة فى ابراز النكسة وأبعاد الهزيمة ، والصعوبات الاقتصادية ، التى لا بد وأن تتعرض لها البلاد التى أحتلت أراضيها . وما يتطلبه ذلك من توضيحات يقع عبؤها على الشعب والتشكيك فى موقف الاتحاد السوفيتى . كل ذلك بهدف محاولة فتح ثغرة تؤثر فى العلاقات بين العرب والدول الصديقة ، وتمزيق الوحدة العربية ، وتفثيت الوحدة الوطنية بين الجيش والشعب ، تلك الوحدة التى كانت من أعظم مكاسب الثورة . وأخذ الأعداء يستخدمون كل الوسائل لبث السموم ، وخلق البلبلة ، وإثارة الشائعات فى الداخل وزعزعة الثقة فى كفاءة القوات المسلحة وقدرتها ، ومحاولة إيقاف عملية التنمية وبناء المجتمع ، والقضاء على عناصر القوة الذاتية قبل أن تكتمل .

الدعم العربي في مواجهة العدوان :

بدأ الشعب العربي ، بعد الهزيمة مباشرة في إعادة تنظيم صفوفه لمواجهة الأوضاع الجديدة . وفي مؤتمر القمة بالخرطوم الذي اشترك فيه عبد الناصر أمكن تحقيق الاجماع العربي على عدم الصلح مع اسرائيل ، وعدم المفاوضة معها ، وعدم الاعتراف بها ، والسعى بكل الطرق لازالة آثار العدوان ، مع عدم المساس بحقوق شعب فلسطين . كما أمكن تصفية الخلافات العربية المتعلقة بحرب اليمن ، وأخيرا أمكن الاتفاق على أن تدعم أهم الدول البرولية (الكويت والسعودية وليبيا) البلاد العربية التي شحملت العدوان اقتصاديا بتعويضها عن تلك الخسائر التي تترتب على احتلال أراضيها وأمكن بذلك العمل على استمرار الأوضاع الاقتصادية التي كان الاستعمار قد تنبأ بانهارها في مدة لا تتجاوز الشهور الستة .

وتعاقبت الأحداث في سرعة على جبهة القتال الممتدة شرقا وغربا حول اسرائيل تؤكد أن ثمة تطورا يحدث كل يوم على هذه الجبهات .

درس النكسة :

كان من نتائج العدوان كشف مواقف الامبريالية ، اذ أن كثيرا ممن خدعوا في نوايا الدول الاستعمارية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، وانزلقوا بسذاجة الى دعوى الفصل بين مصالح الاستعمار ومصالح الصهيونية ، ظهر لهم بجلاء أن اسرائيل ليست الا جنديا مرتزقا في الكتيبة الاستعمارية تحارب لتكسب الكتيبة ، ويكسب هو .

ان السياسة الدولية لاتحكمها المجاملات والعواطف ، فمصالح أمريكا تدافع عنها اسرائيل ، وبالتالي فان أمريكا لا تتخلى عن اسرائيل ، ولن تتخلى عنها ، والدليل على ذلك أنه غداة حريق المسجد الأقصى لم تجامل أمريكا أصدقاءها من الحكام العرب الذين يحمون مقدسات الاسلام ، وطلما دعوا الى الحلف الاسلامي بل على العكس من ذلك تماما أعلنت عن تزويدها اسرائيل بطائرات الفاتوم وسلمتها صفقة منها بالفعل .

ولم تجامل انجلترا حلفاءها التقليديين فى المنطقة على حساب ما تعتقد أنه مصلحتها ، بل تتخذ من الخطوات ما يدل فى وضوح على تمسكها الكامل بمساندة اسرائيل مع ما فى ذلك من الاضرار بمن كانوا يعتبرونها الدولة الحامية لهم •

وافترض تخاذل الأنظمة التقليدية العربية ، وعدم قدرتها على رؤية ماهو أبعد من مصالحها الشخصية دون النظر الى تطلعات جماهير الشعوب حتى فى أولى قضايا العرب المصرية ، قضية ازالة آثار العدوان ، والوقوف موقفا حاسما من القوى الاستعمارية المفتضحة فى موقفها السافر مع العدو •

وظهرت بوضوح سليات الاعلام للرأى العام العالمى فيما قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأن العمل والاقناع الهادى . والحقائق العلمية هى البديل الوحيد للخطب الرنانة ، والانفعالات العاطفية ، وأن المحاولات المستمرة المتعددة والمتطورة الأساليب للاقتراب من قطاعات الرأى العام العالمى فى كل دول العالم الصديقة والمحايدة والعدوة ، أجدى بكثير من تركها لتسيطر عليها الدعاية الصهيونية •

فرضت المقاومة الباسلة لشعب فلسطين قضيته العادلة على الرأى العام العالمى ، واكتسبت أزمة الشرق الأوسط بعدا جديدا يطرح حقوق هذا الشعب الذى يناضل فى أصعب الظروف وأقساها •

ظهر بوضوح دور أصدقاء العرب فى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الذين قدموا للنضال العربى ، وما زالوا يقدمون ، كل أشكال العون السياسى والاقتصادى والعسكرى • وفى تصريحات عبد الناصر مايقضى عن كل تعليق فى مجال تقدير موقف السوفيت والمعاونة الصادقة من الحكومات والشعوب فى البلدان الاشتراكية التى لم يكن لها أى شروط مقابل دعمها للنضال العربى المصرى ، انطلاقا من التقاء المصالح فى مواجهة الامبريالية العالمية والعنصرية •

جهود عبد الناصر لازالة آثار العدوان :

اذا كانت أحداث صيف عام ١٩٦٧ قد أدت الى هزيمة عسكرية بدلا من النصر ، فإن عبد الناصر بجهوده الخلاقة وتحركة الدءوب فى كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والقومية قد حال دون هدف العدو فى استسلام الشعوب العربية ، وسقوط الحكومات التقدمية فى الوطن العربى ، وفرض العدو لارادته •

فقد أعاد عبد الناصر القضية القومية والوطنية لتصبح هى القضية الأولى التى تواجه الشعوب العربية فى سبيل تحرير الأرض المحتلة وتحقيق السيادة القومية والوطنية على الأراضى العربية •

وأشار بعد ذلك الى بعض العوامل التى شابت مسيرتنا الثورية ، وبعض العناصر التى انحرفت عن هذه المسيرة •

ثم رفع شعاره : يد تبنى ويد تحمل السلاح •

وفى أقل من عام كانت الجمهورية العربية المتحدة قد انتهت من مرحلة نقد النفس ، ونفضت الغبار الذى لحق بها ، والذى كان من بين عوامل الهزيمة • فالقوات المسلحة تعيد بناء نفسها ، والأمة العربية تملك من ارادة التصميم مالم تملكه فى يوم من الأيام ، وتساعد كفاح المقاومة الفلسطينية ، والرأى العام العالمى أصبح يرى من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى أكثر وضوحا •

وقال عبد الناصر (*)

« . . . ان العدو فى هذه السنة فاتته ثلاث فرص محددة تصور أنها سوف تأتیه بالنتيجة السياسية للعمل العسكرى الذى بدأه يوم ٥ يونيو ••

— فرصة مفاجأة الهزيمة : وقد تصورها من الناحية النفسية والمعنوية قادرة على تحطيم ارادة المقاومة لدى شعبنا واجباره على الركوع • لكن جماهير ٩ و ١٠ يونيو غيرت اتجاه التيار وكانت المفاجأة للعدو ذاته •

(*) خطاب عبد الناصر فى الذكرى الاولى لخمسة يونيو •

- فرصة الضغط الاقتصادى : وقد تصور العدو أن هذا الضغط سوف يحقق فعله فى شهر ديسمبر الماضى •• لكن تضامن الأمة العربية وتكافلها الى جانب المنجزات المحققة التى بناها الشعب المصرى ، عززت كلها ارادة المقاومة السياسية بسند اقتصادى سليم متين •

- ثم فرصة تمزق الجبهة الداخلية المصرية •• قد تصورها العدو قريبة من بداية هذا العام ، لكن العدو أخطأ فى تفسير تملل الجماهير فى حين كانت هذه الجماهير تطلب التغير والتصحيح اصرارا على مبادئها وأهدافها ، فلقد ظن العدو أن هذا التملل بداية للتخلى والمقدمة للعودة •••

وفى يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ ألقى عبد الناصر بيانا على المواطنين عرض فيه برنامج عمل محدد « ••••• » يكفل وصولنا الى الأهداف القريبة لنضالنا ، ويقرب منا يوم الوصول الى الأهداف البعيدة لهذا النضال ••••• » وتضمن برنامج العمل المقترح ، جانباً يتعلق بحشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو ولتحرير الأرض وتحقيق النصر ، وجانباً يتعلق بتعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كاملة من أجل واجبات التحرير والنصر ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر • وجاءت موافقة الشعب عليه بما يشبه الاجماع ، وأصبح وثيقة سياسية هامة الى جانب ميثاق العمل الوطنى •

ومضى عبد الناصر فى طريق تنفيذ برنامج ٣٠ مارس مؤكداً : « ان بيان

٣٠ مارس من وضع الجماهير ومن صنعها • فقد كان صدى لصوت الجماهير يومى ١٠ ، ٩ يونيو حين خرجت الجموع معلنة رفض الهزيمة ومطالبة بالصمود وبالوحدة الوطنية • »

وبسرعة تفوق الخيال شهد لها العدو قبل الصديق ، تمكن عبد الناصر من اعادة بناء قواتنا المسلحة تنظيمياً وتدريباً وتسليحاً وقيادة ، وسط ظروف بالغة الصعوبة ليس أقلها أنه كان على قواتنا المسلحة أن تتحمل خلال عملية بنائها واجب الدفاع عن قلب الوطن ضد عدو متشبح بحماقة القوة ، وغرور الانتصار السريع الذى حمل قواته الى مواقع شديدة القرب من قلب الوطن •

وفي سبيل مواصلة البناء الاجتماعي أعلن عبد الناصر في حزم أن النضال شامل لأن الثورة شاملة والمركة العسكرية على جبهة القتال ليست بعيدة عن مشاكل التطور ، فحربنا ضد الاستعمار هو جزء من حربنا ضد التخلف • وقد تضمن برنامج ٣٠ مارس تخطيطا محددا في سبيل بناء الدولة الحديثة والتنمية الشاملة وإقامة الصناعات الثقيلة •

وأعلن عبد الناصر تعبئة الجماهير بالوسيلة الديمقراطية من أجل المركة ، ومن أجل بناء المجتمع الاشتراكي ، وأعيد تكوين الاتحاد الاشتراكي لتدعيم واستكمال بنائه وسط مواقع الجماهير ومن خلال المركة •

وعلى الصعيد العربي قدم الزعيم الخالد الكثير من أجل حشد كل القوى العربية لتحقيق الصمود ، ولاتمام الاستعدادات اللازمة لمواجهة العدو وحصره • لقد أشار في عام ١٩٦٧ أن المركة تقتضي أمة عربية واحدة •• وفي عام ١٩٦٩ أشار في المؤتمر القومي الى أن المركة لم تعد في حاجة الى مجرد الدعم المادي وإنما تحتاج الى تفكير مشترك ، وتخطيط مشترك لأن الخطر يهدد شعوبها كلها ، لا يستثنى من ذلك أحدا •

كان عبد الناصر يدرك تماما أن تحقيق هذه المهام إنما يتطلب مرحلة تاريخية بأكملها • ومن هنا كان رأيه يتلخص في :

ان العمل السياسي بين الدول العربية يمكن أن يتقدم مهما كان البطء الذي يتقدم به ، وأنه يمكن أن يقوم عمل عربي موحد بين الدول العربية رغم اختلاف النظم السياسية والاجتماعية •

وأن تقدم كل دولة عربية جهودها في المركة وفقا لتصوراتها ودون توريط •

وأن تقدم الى المقاومة الفلسطينية كل المساعدات المادية والسياسية والعسكرية بدون شروط .

وتعددت لقاءات عبد الناصر العربية سواء من خلال مؤتمرات القمة أو من خلال اللقاءات الرسمية والشعبية لارساء دعائم العمل العربي المشترك من أجل التحرر والنصر .

وتحرك عبد الناصر على المستوى العالمى لاحداث تحولات واسعة وعميقة داخل الرأى العام العالمى ، وداخل جميع الدول بغض النظر عن أنظمتها السياسية والاجتماعية . وأعلن على العالم أجمع أننا لا نسعى ، ولا نريد أن تتطور أزمة الشرق الأوسط ، الى مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، كما أوضح أنه يدخل دائما فى الاعتبار مواقف ومصالح الأصدقاء . ونجح عبد الناصر من خلال العمل السياسى والدبلوماسى والشعبى على المستوى الدولى فى كسب أصدقاء جدد ، وازدياد تعاطف الرأى العام العالمى فى صف القضية العربية ، وحق شعب فلسطين فى وطنه ، وعزل اسرائيل كدولة معتدية أمام قطاعات كبيرة من الرأى العام العالمى . كما تزايد الدعم السوفيتى لنا عسكريا ، واقتصاديا ، وساندتنا البلدان الاشتراكية فى كافة المجالات .

ومجمل القول أن جهود عبد الناصر المضنية فى كافة الميادين والجبهات الوطنية والقومية والعالمية ، قد كللت بالنجاح بحيث أحبطت خطة اسرائيل والاستعمار فى فرض شروط الاستسلام على البلاد العربية . بل على العكس فإن حركة الجماهير العربية من أجل ازالة آثار العدوان كانت تكسب مع كل يوم زائدا جديدا لتقدمها . وقد تمخضت هذه الحركة ، التى زادت بها مرارة النكسة اصرارا ، عن ثورة الشعب السودانى ، ودخل السودان العربى فى مجال التأثير الإيجابى لحركة الثورة العربية ، كما كان أحدث مولود لهذه الحركة

ثورة الشعب الليبي التي أخرجته ، ولأول مرة ، من جب العزلة التي فرضها عليه الاستعمار والحكم الرجعي الى ساحة التأثير الثوري العربية بآفاقها التحررية والتقدمية والوحدوية •

والتقى زعماء الثورات الثلاث التقدمية عبد الناصر ونميرى والقذافي حول اتفاق طرابلس في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٦٩ تمهيدا للوحدة العربية ، كان المغزى العظيم لهذا اللقاء اقامة جبهة عربية ثورية تنطلق بقدرات ليبيا ومصر والسودان ، ودعمها ماديا للثورة الفلسطينية الباسلة والحق المشروع لشعب فلسطين في استعادة حقوقه •

وقد وضع تضامن الثورات الثلاث حينما وقعت فتنه مارس سنة ١٩٧٠ من صنع الاستعمار وعملائه لضرب الثورة السودانية فوقفت مصر وليبيا الى جانبها احساسا بمسئولياتهما في المرحلة الراهنة ، كما تجلى هذا التضامن حينما بدأ العقيد القذافي جهوده لتكون المعركة ضد اسرائيل على المستوى العربي كله تحقيقا لقومية المعركة •

وبدأ التنسيق بين سياسة البلدان الثلاثة في تحركاتها السياسية على خريطة العالم العربي ، بعد المبادرة الأمريكية وتجاه الأحداث الدامية التي وقعت في الأردن خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٧٠

واقترحت تونس أن يعقد في القاهرة مؤتمر قمة عربي ، ووافق عبد الناصر على الفور ، وفي هذه الأثناء كانت اسرائيل قد بدأت تتحفز الى التحرك ، وكانت الولايات المتحدة قد بدأت تعد العدة للتدخل •

وبدأت اجتماعات القمة العربية وانتهت في مساء ٢٧ سبتمبر بالتوصل الى اتفاق بانتهاء العمليات العسكرية من جانب المقاومة والجيش الأردني فورا ، كما تقرر تكوين لجنة عليا لمتابعة تنفيذ الاتفاق •• وكان يوما حافلا •• سجل

فيه عبد الناصر آخر أدواره التاريخية الحميمة .. رغم أن أطباء طلبوا منه أن يخفف من الجهد المصنئ الذى كان يبذله ، وكان رد عبد الناصر : فى أن دقيقة يمكن أن يقتل عشرات من الرجال والنساء والأطفال فى عمان .. ألا ترون أننا فى سباق مع الموت .

وبدأ يودع الملوك والرؤساء العرب الذين شهدوا الاجتماع التاريخى وكان وداع أمير الكويت .. آخر واجب رسمى قام به .. فكان الوداع الأخير .

ويوم يكتب تاريخ الثورة العربية سيعرف العالم أنه ما من علم شريف يرفرف على الأرض العربية الا وكانت يد عبد الناصر أولى الأيدى التى امتدت لترفعه .. فقد كان عبد الناصر أول من أرسى دعائم المقاومة الفلسطينية لتبقى .. واستشهد عبد الناصر وهو يكافح من أجل فلسطين التى وهبها حياته .

خاتمة

... أما وقد انتهينا من عرضنا لدور الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في نضاله مع الاستعمار ، وكيف حاربه الاستعمار محاولة منه لايقاف تيار ثورته الجارف نحو الحرية والكرامة والعدل والمساواة .

فقد أرسى عبد الناصر أسسا جديدة في التعامل الأخلاقي والانساني بين الدول والشعوب والأفراد فكانت مبادئه وتعاليمه نقطة تحول . . . ليس في تاريخ مصر فحسب . . . وليس في الوطن العربي فقط ، ولكن في تاريخ العالم كله .

وليس هذا البحث ، بطبيعة الحال ، كل ملامح الصورة لنضال عبد الناصر في كل الجبهات ... إنما هو جزء ضئيل منها ... فقد تحمل عبد الناصر تبعات عدة منها ... بعث القومية العربية ... تحقيق الثورة الاجتماعية لشعبه .

... ان عبد الناصر مفكر وزعيم

مفكر ... لأن مبادئه وأفكاره لم تقف عند حدود وطنه وأمه . كما أنها ظلت باقية بعد رحيله

وزعيم ... لأنه لم يسبق لغيره من أبناء وطنه أو أمته ، أن كان رمزا وأملا كما كان عبد الناصر . كما أن وطنه وأمه ، لا يزالان يسيران على مبادئه وينبضان بوحى من الهامة وروحه بعد رحيله .

... ان عظمة عبد الناصر تكمن في أنه مصدر قلق وازعاج للاستعمار وعملائه في حياته وبعد مماته .

كان مصدر قلق له في حياته لأنه واجه تحديات الاستعمار وحربه
السياسية والاقتصادية والعسكرية في شجاعة وإيمان •

شجاعة وإيمان المفكرين والزعماء

وسيطل عبد الناصر مصدر قلق وازعاج للاستعمار وعملائه بعد مماته ،
لأنه ترك وراءه رفاقا وأخوة وتلاميذ في الكفاح والنضال على الصعيد الوطني
والقومي والدولي ، كلهم يؤمنون بمبادئه • سائرون على نهجه •

••• اذا كان عبد الناصر قد مات ••• فان مبادئه حية لن تموت •••
وستبقى أعلام الحرية ترفرف على أرجاء وطننا وأمتنا وغيرها من الأوطان •••
التي اختارت طريق عبد الناصر ••• طالما بقيت الحياة •

• • • وسيسجل التاريخ لعبد الناصر صفحات ••• وصفحات تشكل هديا
لمن يليه من المفكرين والزعماء •

رحم الله عبد الناصر •

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً
بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم
الله من فضله » •

صدق الله العظيم

مراجع البحث

مجموعات خطب وتصريحات وبيانات الرئيس - مصلحة الاستعلامات

فلسفة الثورة

جمال عبد الناصر

الميثاق

جمال عبد الناصر

بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨

جمال عبد الناصر

عبد الناصر والثورة - من أقوال الزعيم الخالد - منظمة الشباب

الاشتراكي - أكتوبر ١٩٧٠

كوامي تكمروما

الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية - ترجمة عبدالحميد حمدي

ر . ج . هاريسون تشرش

الاستعمار الحديث - ترجمة د . دوت صادق ، محمد السيد غراب

د . محمد عوض محمد

الاستعمار والمذاهب الاستعمارية - ١٩٥٧

د . أبو الفتوح رضوان

القومية العربية

عبد الرحمن عبد المتعال يوسف

مؤتمر القمة العربي الثاني

لواء سيد عبد الحميد مرسى - محمد محمود مكرم

سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز والتعايش السلمي

حسن فهمي مصطفى

سياسة عدم الانحياز في المجال الدولي

ميشيل كامل

أمريكا والشرق العربي — وزارة الثقافة

فؤاد دواره

أحلاف العدوان الأمريكية — وزارة الثقافة

د + جمال العطيفي

أيام خالدة في حياة عبد الناصر — سلسلة كتب اقرا ١٩٧٠

عبد القادر البنداري — نجيب برسوم

ثورة الحرية (عرض وتحليل لثورة ٢٣ يوليو) — سلسلة كتب قومية

د + ولیم سلیمان

الاستعمار الجديد في افريقيا — ندوة افريقيا — اكتوبر ١٩٦٦

سعد زهران

الاستعمار الجديد في افريقيا — ندوة افريقيا — اكتوبر ١٩٦٦

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الاستعمار الجديد في افريقيا — ندوة افريقيا — اكتوبر ١٩٦٦

مجلة الطلبة — يوليو ١٩٦٤ / يناير ويوليو وأغسطس وديسمبر ١٩٦٦ /

ديسمبر ١٩٦٧ / نوفمبر ١٩٧٠

مجلة السياسة الدولية — يناير ويوليو ١٩٦٦ / ابريل ١٩٦٩

د + لويس عوض

ملحمة المثقفين — جريدة الأهرام — ٩ اكتوبر ١٩٧٠

سلسلة محاضرات وكتيبات الاتحاد الاشتراكي العربي — لجنة الثقافة
والفكر والاعلام

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل الوزارة

على سلطان على

رئيس مجلس الإدارة

رقم الإيداع ٣٦٣٢ / ١٩٧١

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٥٠٠-١٩٧٠-٦٨٦٢



Bibliotheca Alexandrina



0548547



١٩٧١